

جمعية الإمام الصادق عليه السلام  
لإحياء التراث العلمي

# البهائي الفقيه العارف

جامع مختلف العلوم والفنون

الجزء الثاني



الكتاب: البهائي الفقيه العارف جامع مختلف العلوم والفنون (الجزء الثاني)

---

إصدار: جمعية الإمام الصادق عليه السلام لإحياء التراث العلمي

---

تاريخ الإصدار: ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

---

**البهائي**

**الفقيه العارف**

جامع مختلف العلوم والفنون

**الجزء الثاني**



## فهرست الكتاب

- الفصل الرابع: المنهج التقريبي عند الشيخ البهائي ..... ٧  
الشيخ البهائي ومشروع الوحدة الإسلامية
- الشيخ أحمد القطان ..... ٩  
ثقافة التقريب عند الإمام بهاء الدين العاملي
- الشيخ ماهر عبد الرزاق ..... ١٧
- الفصل الخامس: السلطة والسياسة في فكر الشيخ البهائي ..... ٢٥  
الدور التركي في المنطقة بين عثمانيتين
- د. محمد نورالدين ..... ٢٧  
نقد السلطة، المجتمع والممارسة الدينية عند الشيخ البهائي
- د. خنجر حمية ..... ٤٥  
العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني
- د. علي نور الدين ..... ٦٩  
الشيخ البهائي والعهد الصفوي
- د- مصطفى بزي ..... ١٠٥

- الفصل السادس : التصوّف والعرفان والفلسفة عند الشيخ البهايي ..... ١٢٧
- الفكر الفلسفي عند الشيخ البهايي
- د. هادي فضل الله ..... ١٢٩
- الشيخ البهايي والتدين الزائف
- د. أحمد راسم النفيس ..... ١٥٥
- العرفان في تراث البهايي
- السيد هادي خسروشاهي ..... ١٧١
- البهايي القلق في صورة العالم وصورة زمانه
- الأستاذ الدكتور سمير سليمان ..... ١٨٣
- الظاهر والباطن في الإسلام بمنظار الشيخ البهايي
- أ. د. دلال عباس ..... ١٩٥
- التصوّف والعرفان عند الشيخ البهايي.. مقارنة أولية
- د. حبيب فياض ..... ٢١٩
- الفصل السابع : الشعر والأدب والفن عند البهايي ..... ٢٣١
- دغدغات نحوية عند الشيخ البهايي
- د. أكرم محمد نبها ..... ٢٣٣
- شعرية العالم في قصيدة الشيخ البهايي
- أ. علي مهدي زيتون ..... ٢٦٥
- البهايي في مرايا الكشكول
- د. عبد المجيد زراقط ..... ٢٧٣
- ملحق
- مؤلفات الشيخ البهايي ..... ٣١٣

## الفصل الرابع:

# المنهج التقريبي عند الشيخ البهائي



### الأبحاث:

- الشيخ البهائي ومشروع الوحدة الإسلامية: الشيخ أحمد القطان.
- ثقافة التقريب عند الإمام بهاء الدين العاملي: الشيخ ماهر عبد الرزاق.



# الشيخ البهائي ومشروع الوحدة الإسلامية

## الشيخ أحمد القطان<sup>(1)</sup>

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأنتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم وسار على منهجهم واهتدى بهداهم إلى يوم الدين، وبعد: إن وجوب الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية ليس أمراً جديداً، بل إنه قديم قدم الإسلام الحنيف، فالله سبحانه وتعالى منذ بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم أمرنا أن نكون أمة واحدة يتعاون أفرادها على البر والتقوى، ويبتعدون عن الفرقة والتقاتل، لأنّ الفتنة فيما بين المسلمين لا يمكن أن يكون لها آثار إيجابية على الإسلام والمسلمين، لذا أمرنا ربنا سبحانه وتعالى أن نعتصم بحبل الله جميعاً وأن لا نتفرّق أبداً، من هنا نجد أن الله تعالى لم يوجه الأمر بالإعتصام بالله تعالى إلى الأفراد، وإن كان واجباً على كل فرد على حدة، وإنما المقصود الأمر بإعتصام الأمة كلّها، قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

(1) رئيس جمعية «قولنا والعمل في لبنان».

(2) سورة آل عمران: الآية: 103.

وفي آية أخرى أمرنا الله تعالى بالطاعة لله عز وجل ورسوله ونهانا عن التنازع (تجاذب الآراء وافتراقها)، بل أكد الله تعالى على ضرورة الوحدة فيما بيننا من خلال ذكره عز وجل لمفاسد وأضرار الشقاق والتنازع وخطر ذلك على الأمة الإسلامية قاطبة، وذهب ريحها قال الله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

كما ينبغي على الإنسان عموماً أن يعلم حقيقة يجهلها الكثير من الناس في مجتمعاتنا الإنسانية، وهي أن الأنبياء جميعاً بعثهم الله تعالى لدعوة الناس إلى الدين الواحد والألفة والمحبة فيما بين الناس، ونهوا عن الفرقة والتنازع قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: «بعث الله تعالى الأنبياء كلهم لإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة»<sup>(٣)</sup> ويعبر بعض الدعاة المعاصرين عن هذا المعنى بأن قيام الدين على ركنين أساسيين هما: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، ولا يستقيم أمر الأمة الإسلامية في الدين والدنيا إلا بها، لأن الإنسان المسلم إذا كان مؤمناً بوحدة الله عز وجل ينبغي أن يؤمن بضرورة الوحدة فيما بين المسلمين، ونجد ذلك بديناً وواضحاً من خلال ما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم بسبب فرقتها ودخول الأعداء على خط إثارة النعرات المذهبية فيما بينها، ولكن لا يمكننا أن نضع اللوم دائماً على غيرنا بل إن المشكلة فينا لأننا نستجيب لمخططات الأعداء وننفذ ما يريدون من حيث ندري أو لا ندري، وما المحطات الإعلامية الفتوية التي نشاهدها على بعض قنوات التلفاز إلا مظهراً من مظاهر تحقيق غاية الاستكبار العالمي المتمثل بمقولة (فرق تسد).

(١) سورة الأنفال الآية: ٤٦.

(٢) سورة الشورى الآية: ١٣.

(٣) معالم التنزيل للإمام البغوي ١٨٦/٧.

إذا حرّينا بنا معشر المسلمين أن نلتزم بالتوحيد والدعوة إلى وحدة أمّتنا الإسلامية التي أمرنا بها ربنا عز وجل ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام، حيث قال: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإنّ الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد، من أراد بحبوة الجنّة فليكن مع الجماعة»<sup>(١)</sup>.

نعم، لا يمكن أن تكون الجنّة لأولئك الذين يعملون ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاً، لشردمة الأمّة الإسلامية وتعميق الخلاف بينها، فالذين يعملون على تمزيق الأمّة الإسلامية هم أدوات ينفذون أوامر شياطينهم.

وقد تكرر من نبينا عليه الصلاة والسلام وجوب لزوم الجماعة في أحاديث عدّة، إذا ينبغي على كلّ مسلم أن يعلم بأنّ آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام وصحابه والسلف الصالح ومن اتبعهم، اتفقوا على أنّ الوحدة الإسلامية هي الحقّ الذي أمر به النبي عليه الصلاة والسلام، فلم نقرأ أو نسمع عن أحدهم أنّه شقّ صف الأمّة الإسلامية في يوم من الأيام، يقول الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى: (كان يقال خمسٌ كان عليها أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام والتابعون بإحسان، لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن الكريم، والجهاد في سبيل الله تعالى)<sup>(٢)</sup>.

بعد هذه المقدّمة المختصرة، لا يمكننا إلا أن نوجه تحية الإجلال والإحترام والتقدير لدعاة الوحدة والتقارب المذهبي فيما بين الأمّة الإسلامية، وشيخنا الفاضل محمد ابن الشيخ حسين عبد الصمد المعروف بالشيخ البهائي، من المشايخ والعلماء الفضلاء الذين أمضوا عمرهم في خدمة إسلامنا العظيم وتكريس مبدأ الوحدة الإسلامية التي لا يمكن أن تحقق الأمّة عزّها ونصرها إلا من خلالها لأنّه في الإتحاد على الحقّ والإيمان قوّة ونصر وتمكين من الله تعالى، ولا عجب من ذلك فهذه هي مهمّة الأنبياء والأولياء والعلماء الربانيين والدعاة إلى الله عز وجلّ.

(١) سنن الترمذي ٤ / ٤٦٥.

(٢) شرح إعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي ١ / ٦٤.

وما كانت تنقلات ورحلات الشيخ البهائي من إيران إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ومصر ودمشق ولبنان إلا من أجل الدعوة إلى الله تعالى والتأكيد بالقول والعمل على وجوب تكريس الوحدة فيما بين المسلمين، كما تدلّ هذه الرحلات على إنفتاح الشيخ البهائي وحبه للعلم وأهله ناهيك عن الجهد المضني الذي كان يبذله في سبيل نشر الفكر الوحدوي الأصيل بين المسلمين، ولأنّه كان رحمه الله تعالى صاحب فكر وحدوي أصيل عدّه العلامة المحبي من أهل السنة والجماعة.

وفي معرض حديثنا عن الوحدة والتقارب فيما بين المسلمين، هناك سؤال يتبادر إلى الذهن، ما معنى الوحدة بين الأمة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية؟ هل المراد بالوحدة التحوّل من مذهب إلى آخر؟ بمعنى انتصار أصحاب مذهب على أنصار المذهب الآخر أي أن يتحوّل المسلم السني إلى مسلم شيعي أو العكس؟ هل هذا هو المقصود من الدعوة إلى الوحدة الإسلامية؟ أبدأً، ليس المقصود من الوحدة الإسلامية الذوبان، وإنّ مثل هذه الإشاعات التي نسمعها من أنصار الفتنة والتفرقة، لا تعدو أن تكون إشاعات ومحض إفتراءات من قبلهم لزيادة الشرخ فيما بين المسلمين، ناهيك عن بعض وسائل الإعلام المأجورة للمشروع (الصهيواأمريكي) في المنطقة والتي تسعى جاهدة لنشر مثل هذه الأفكار المسمومة والمكذوبة، كما أنها وللأسف تستضيف بعض دعاة الفتنة أو سمّهم إن شئت مرتزقة، كي ينشروا الفكر التكفيري الفتوي مقابل حفنة من المال وكرمة لعيون الملوك والأمراء، وهؤلاء يسعون من خلال هذه القناة أو تلك لتصوير دعاة الوحدة والتقارب المذهبي على أنّهم تركوا مذهبهم وتحوّل مثلاً المسلم السني إلى مسلم شيعي أو المسلم الشيعي إلى مسلم سني، كل ذلك لإستتارة الغرائز المذهبية، بيد أنّك تكاد لا تسمع من أفواههم كلمة عن الإستكبار العالمي والعدو الإسرائيلي أو حتى عن الملحدين مثلاً.

وإذا أردنا أن نتكلم عن الوحدة الإسلامية والتقارب المذهبي بمعناه الصحيح هي لا تعدو أن تكون تعاوناً بين المسلمين (سنة وشيعة) على البر والتقوى وأن يتوحدوا

على محبة الله عزّ وجلّ ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم والقرآن الكريم والكعبة المشرفة والحج والزكاة...، وأن يعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا عليه، ويحترموا بعضهم ويعيشوا بسلام وأمان ويتخلقوا بالأخلاق الإسلامية القويمة والفاضلة فيما بينهم، وهكذا كان الشيخ البهائي يحرص على إستيعاب الآخر ولو اختلف معه فكرياً أو مذهبياً، ناهيك عن حسن معاشرته لأرباب المذاهب كما أنه كان ينبذ التعصب الطائفي والمذهبي وسوء الظنّ بالآخرين، كما كان يرفض تماماً كيل التّهم لهم، ناهيك عن تحذيره من السُّباب والتكفير للمسلم الذي يعتنق مذهباً آخر، كما أنه كان حريصاً على أن لا يستفز من يخالفه بالرأي ولا يجرح مشاعره حتى عند إبطال أقواله وآرائه، بل كان منهجه يتمثل بإقرار رأي المخالف مع الإنصاف والعدل، ثمّ بعد ذلك يقرّر الرأي الذي يراه هو وبكلّ لباقة، وكثيراً ما كان الشيخ البهائي يترك الحكم للسامع أو الخصم في الحكم على ما هو الحقّ، وبهذه الطريقة الحكيمة يتمكن من إقناع الخصم من طرف خفي، ويؤثر فيه دون التحامل عليه، بل في كثير من الحالات كان يضمن رضا الخصم وإعجابه بتقريره.

وتحمّل الشيخ البهائي كغيره من دعاة الوحدة والتقارب بين المسلمين الكثير من المتاعب والتهجم والتحامل عليه من أبناء جلدته والتي تصل أحياناً من قبل بعض الغلاة والمتطرفين إلى حدّ التكفير أو إخراجه من المذهب، كما ألصقوا به بعض التهم التي لا تليق أن تصدر من أقلّ طلبة العلم، وقد نُقل عن السيد نعمة الله الجزائري ما يثبت التناول والإفتراء على الشيخ البهائي.

قال السيد نعمة الله الجزائري: «وأما شيخنا بهاء الملة والدين طيب الله ثراه، فقد تكلم فيه بعضهم: تارة بالميل إلى علوم الصوفيّة وأخرى بسماعه الغناء وثالثاً بحسن معاشرته لطوائف الإسلام وأهل الملل، بل وغيرهم من الملاحدة وأهل الأقوال الباطلة، حتى أني وردت البصرة، وكان أعلمهم رجلاً اسمه الشيخ عمر، فتجارينا في البحث والكلام حتى انتهينا إلى أحوال الشيخ بهاء الدين فقال: لعلكم

تزعمون أنه من الإمامية، لا والله، بل هو من أفضل أهل السنة والجماعة...»  
 بربكم لولم يكن صادقاً في دعوته للوحدة والتقارب المذهبي، هل استطاع أحد  
 أن يتهمه بالتسنن مثلاً، إذاً الشيخ البهائي كان يملك أسلوباً بديعاً وجذاباً للآخر ولو  
 خالفه بالمذهب، كما كان والله أعلم من حرصه على الوحدة الإسلامية يطرح المسائل  
 الخلافية بين المسلمين جانباً، وهذا ما أكده السيد الجزائري عندما قال أسلوب  
 الشيخ البهائي كان قريباً من أسلوب الأنبياء والأولياء عليهم السلام فيقول: «وهذا نوع لطيف  
 من المناظرة، استعمله الأنبياء والأئمة في المباحثة مع المعاندين وأهل التعصب  
 في المذاهب، وقد أمروا به بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ  
 الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ  
 بِالْمُهْتَدِينَ \* وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>  
 الشاهد بالآية قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ومنه ما حكاه الله تعالى عن  
 رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ  
 إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد السيد الجزائري على الأسلوب الناجح الذي كان يستعمله الشيخ البهائي في  
 وحدة الكلمة بين الأمة الإسلامية ويضرب بعض الأمثلة على ذلك بقوله: «حدثني (أحد  
 مشايخه الثقات) أن رجلين من أهل بلدة بهبهان، أحدهم شيعي والآخر سني تناظرا  
 وتباحثا في المذهب فاتفق رأيهما على أن يأتيا إلى أصفهان ويسألا ذلك الشيخ  
 من مذهبه، ويرجعا إليه، فلما وردا أصفهان، جاء الرجل الشيعي إلى حضرة الشيخ  
 سراً عن صاحبه، وحكى له ما جرى بينه وبين ذلك الرجل، فلما وردا على الشيخ  
 نهراً وأعلماه أنهما تراضيا بدينه، شرع في حكاية المذهب بدلائل الفريقين، وما  
 أجاب به علماء المذهبين حتى انقطع النهار، فقاما من عنده وكل منهما يدعي

(١) سورة النحل الآية: ١٢٥-١٢٦.

(٢) سورة سبأ الآية: ٢٤.

أنَّ الشيخ على مذهبه»، نعم، ما كان ذلك إلاَّ لأنَّه كان صادقاً في منهجه الوحدوي الذي جعل حتى مَنْ يخالفه بالمذهب يتوهم أنَّ الشيخ البهائي على مذهبه، فبربكم كم نحن بحاجة إلى أمثال هذا الرجل في المذهبيين (السُّني والشيوعي)؟ وبربكم كيف كان حالنا لو أنَّ دعاة الأُمَّة الإسلاميَّة على مثل هذا المنهج؟ لذا نحن بحاجة ماسَّة لتكريس هذا المنهج الوحدوي القويم قولاً وعملاً، وهذه الخطوة تكون خطوة مباركة على طريق تحقيق الغاية المنشودة وهي التمكين والنَّصر على أعدائنا أعداء الله تعالى، وعندها إن شاء الله تعالى يمكَّن الله تعالى لنا في الدنيا ويرضى عنَّا ويدخلنا بعد هذه الحياة الدنيا جنَّات الفردوس الأعلى التي أعدها لعباده المؤمنين الطائعين المتبعين لمنهج نبيه محمد القويم عليه أفضل الصلاة وأتمَّ التسليم.



# ثقافة التقريب عند الإمام بهاء الدين العاملي

## الشيخ ماهر عبد الرزاق<sup>(1)</sup>

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

لقد شهد العالم العربي والإسلامي تطورات وحوادث في الآونة الأخيرة كان لها واقعة مؤثرة وكبيرة على خارطة العالم العربي والإسلامي. هذه الوقائع والتغيرات للأسف رغم أنها كانت تحمل الإيجابيات في كثيرًا من جوانبها إلا أنها لم تستطع أن ترتب الأولويات للعالم العربي والإسلامي أو بعبارة أصح لم تستطع أن تضع خارطة طريق تصحح المفاهيم وترتب سلم الحاجات والأولويات.

إن دور العلماء كان ولم يزل هو الركيزة الأساسية لأي تغيير في عالمنا العربي والإسلامي ولأنهم هم من يقودون عملية التغيير والإصلاح، والتقريب بين أبناء الأمة. وهم من يحملون الأمانة بعد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أمانة الهداية والنور والعدل والمساواة، أمانة نشر الرحمة والعطف والتسامح. أمانة الأخلاق العليا والقيم الإنسانية السامية والنبيلة.

---

(1) رئيس حركة الإصلاح والوحدة في لبنان.

ولقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطلاب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر<sup>(١)</sup>.  
سنن أبو داود (الترمذي) سنن ابن ماجه.

وقال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»<sup>(٢)</sup>.

في حمأة الصراع المذهبي وفي زمن إنقسم فيه العالم الإسلامي بشكل حاد إلى فريقين: «سني وشيعي»<sup>(٣)</sup> رأى كل واحد منهما مصالحه بعيدة عن مصالح الآخر. عاش بهاء الدين العاملي (ابن جباع وهي من قرى جبل عامل) سبعين سنة من حياته في إيران في مجتمع كل ما فيه يشير إلى التطرف، يعيش في كل مدينة منه إلى جانب الحكماء والفقهاء والمحدثين والدرأويش والزهاد والعباد والمتصوفة آلاف المحتالين والمستهترين وبين الجميع تشنج وتبرم وقطيعة كاملة حتى داخل الفرقة نفسها، وكل فرقة حاربت الأخرى قولاً وفعلاً وكل فرقة اتهمت الأخرى بالفسق أو الكفر أو النفاق. حتى الفقهاء أنفسهم كان بينهم جدال حول الكثير من الأمور الجوهرية والثانوية، والفقهاء إما مجتهدون وإما إخباريون يحرمون الإجتهد وينكرون التصوف والحكمة ويقدمون فيهما ويشبهون المجتهدون بالشياطين ويتهمونهم بأنهم أصحاب ظن وتخمين<sup>(٤)</sup>.

(١) سنن ابن ماجه والترمذي.

(٢) صحيح البخاري ج / ١.

(٣) زكناني شاه عباس اول ج ٢ ص ٢٥٢.

(٤) اعيان الشيعة ج ٢ ص ٨٢ و ج ٩ ص ١٣٧.

وانشغل العامة بالمستحبات الدينية ونسوا الواجبات، آلاف المتدينين يبالغون بالتمسك بفروع الدين، وآلاف آخرون يرتادون أماكن اللهو ويجاهرون بمخالفة تعاليم الدين لا يعرفون منه سوى الاسم.

كما كثرت في ذلك العصر البدع والمذاهب الباطلة وكلها لها أتباع بين العامة ومن أخطر البدع التي ظهرت في هذا العصر بدعة الجلايين وقد ظهرها في الأناضول، حيث ادعى رجل اسمه جلال من أتباع الشاه إسماعيل المهدوية، على أن أرفع درجات التناقض في ذلك المجتمع الذي غلب عليه الإفراط والتفريط في كل الأمور والتناقض في الممارسات والمواقف التعصب المذهبي وإدعاء الملوك الصفويين أنهم حماة الدين يقابله بُعد عن الدين في ممارسات الملوك الشخصية والعامة وإفراغ الدين من مضمونه وجوهره<sup>(١)</sup>.

كل الملوك الصفويين عدا طهماسب كانوا مدمنين على الشراب وعلى المخدر وبعضهم كان مفرطاً، الشاه عباس كان مولعاً بالشراب إلى درجة الإستهانة بالدين وذلك بأمره مرافقيه في زيارة كان يقوم بها لقساوسة أصفهان لتهنئتهم بعيد الميلاد أن يشاركوهم احتساء الخمر<sup>(٢)</sup>.

الشاه الديكتاتور الذي ما كان أحد يجرؤ على مخالفته سجن أباه، وقتل أبناء عمومته، وأبناء إخوته وولي عهده كان في نظر الناس قديساً، دعاؤه مستجاب والسعيد في الآخرة من يستطيع تقبيل لجام فرسه<sup>(٣)</sup>.

(١) بهاء الدين العاملي د. دلال عباس ص ٧١.

(٢) زنكاني شاه عباس أول ج ٢ ص ٢٩٠ و ج ٣ ص ٦ وتاريخ زهنك إيران ص ٢٤٢.

(٣) زنكاني شاه عباس أول ج ٢ ص ٢٥٣ إلى ص ٣٦٤.

في هذا العصر المضطرب الذي خرج فيه الناس عن عهد الاعتدال، الذي يريده الله تعالى بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(١)</sup>.

عاش الشيخ العالم محمد ابن الشيخ حسين عبد الصمد المعروف بالبهائي ما يقارب السبعين من عمره بثقة وهدوء لم يتحزب لأي فريق على حساب الآخر لم يدخل ضمن الصراعات الآنية، لم ينحرف قيد أنملة عن جادة الصواب، ترفع عن التعصب وانتقد أخطاء الجميع دون استثناء وهو بحق من أهم الذين دعوا إلى الاعتدال قولاً وفعلاً في ضوء التعاليم الإسلامية.

استطاع الشيخ البهائي أن يوفق في قدره بميزة بين التفكير والسلوك، مقدرة عجز كثيرون ممن أصابوا موقعاً كموقعه في عصره لذلك أصاب حياً من معاصرة لا تشوبه شائبة. واجه المذهبية المتجذرة في النفوس باعتدال العالم العارف المتفهم الذي عرف الآخر وما عنده لذلك احترمه أهل السنة وقدره في حياته وأنصفه من ترجم له منهم وقدره حق قدره بعد مماته كان بحق من أصحاب قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. لقد كان دأب الشيخ بهاء الدين العاملي في جميع لقاءاته وتنقلاته من مكان إلى مكان، أن يقرب ولا يفرق ويحتوي رداة الفعل ثم ينقل الخلاف إلى الحوار البناء والقائم على التقريب بين أبناء الأمة الواحدة. لقد التزم الشيخ مبدأ الدعوة إلى الله من باب التقريب والجمع بين أبناء الأمة.

لقد كان الشيخ بهاء الدين العاملي مثلاً رائعاً من الإنفتاح والتمازج الفكري بين العلماء العاملين.

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٢.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٤.

من هنا نرى كيف انطلق الشيخ العالم إلى السعي لتأمين الشروط اللازمة لتحقيق مشروع التقريب بين المسلمين ورغم الصعوبة التي واجهته في تحقيق هذا الهدف فإن اليأس لم يعرف طريقاً إلى عقله وقلبه فعمل بجد على زرع الأخلاق والقيم الإسلامية في نفوس الناس. لقد كان رحمه الله يقلل من أهمية الخلاف بين المسلمين ويرشد الناس إلى مواقع الإتفاق والتقريب.

إن وعينا لهذه الحقيقة وأبعادها تضعنا جميعاً أمام مسؤوليات جسام، غايتها تقريب المسلمين بعضهم من بعض وجعل الألفة والمحبة حلقة الوصل بين القلب والعقل، إن النهضة بالأمة الواحدة تبدأ بوضع مشروع متكامل يرشد ويعلم الأمة كافة المذاهب لذلك نرى لزاماً أن نشدد على الأمور الآتية:

التقريب والوحدة: قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup> وحث القرآن على عدم التفرق وأكد على مبدأ الأخوة الإسلامية الإيمانية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ودعا إلى التأكيد على مبدأ الرحمة بين المؤمنين قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

إننا نعتقد أن الإخلاص للقضايا الإسلامية الكبرى تقتضي منا مرونة إسلامية بالغة لأن تقاربنا ووجدتنا هما هدف سام لا بد من التعامل معه بجدية وبحرص وليس بعصبية وانفعال قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، ومع تشكل القنوات بمنهج التقريب فإنه يجب على

(١) سورة آل عمران آية (١٠٢).

(٢) سورة الحجرات آية (١٠).

(٣) سورة الفتح آية (٢٩).

(٤) آل عمران آية (١٥٩).

## ثقافة التقريب عند الإمام بهاء الدين العاملي

العلماء المثقفين أن يربوا الأمة على الفكرة التي تقول إن الخلافات بين المسلمين هي إجهادات مجتهدين وإن المجتهد قد يصيب وقد يخطئ، من هذا المنطلق يسهل تقبل عامة المسلمين لحقيقة الإختلاف في الرأي، وأن هذا الإختلاف لا يجب أن يكون مصدر تضليل. عندها سيعتادون قبول الآخر لا مجاملة إنما من القناعة الموضوعية.

وعليه فإن العمل على تحقيق التقريب والوحدة لا بد من أن ينطلق من أفكار لذلك نطرح ما يلي:

أولاً: يجب العمل على بناء إنسان يعرف كيف يعيش هموم الأمة الواحدة مع احترامه لخصوص الآخر، يعني إنسان يعيش روحية التقريب والوحدة في عقله وقلبه وفكره وسلوكه وعواطفه وتطلعاته ونذكر مثال على ذلك: الشيخ البهائي وشيخ الأزهر الأستاذ الأكبر محمود شلتوت.

لقد استطاع الشيخ البهائي ومن بعده الشيخ محمود شلتوت أن يكونا نموذجان لمسيرة تقريب الأمة بعضها مع بعض، بل وضعوا مشروع التقريب بين أيدي أبناء الأمة الواحدة ومن أولويات الدعوة إلى وحدة هذه الأمة.

ثانياً: العمل على إيجاد أسرة تؤمن بالوحدة والتقريب ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تيسير الزواج الوحدوي، وما ينتج عنه من تقارب أسري وإجماعي.

ثالثاً: وحدة الخطاب التربوي والوعظي على الصعيد الشعبي، ولا يُحصر هذا الخطاب أو يقتصر على النخبة المثقفة من العلماء المسلمين، وليعلم أن التنوع لا ينافي الوحدة لأن الوحدة في القاعدة الفكرية لا تتنكر للتنوع في التفاصيل... ومن خلال الخطاب التربوي يتعلم الجميع كيف يتقبلون الموعدة العامة في الشخصية المنتمية إلى مذهبهم أو مذهب غيرهم دون عقد نفسية.

رابعاً: الحركات الإسلامية وأخطر ما يهدد مشروع التقريب بين أبناء الأمة الإسلامية هو أن تراجع الحركات الإسلامية عن مشروع الأمة إلى المشاريع المذهبية، أو أن يرتمي بعضها في السياسات الفئوية والمناطقية، فهنا ينحرف المسار ويضيع

مشروع الأمة لذلك يجب أن يأتي طرح المساواة والعدالة والحرية في إطار وطني عام يلبي مصالح جميع المسلمين، بما يقطع الطريق على إظهار الألوان المذهبية التي تُثير الشقاق داخل المسلمين.

خامساً: إن أقرب صفة نطلقها على هذا العصر الذي نعيش فيه هو عصر الإعلام بدل أن يكون عصر العلماء. لكن إذا كان الأمر كذلك فيجب أن تستخدم وسائل الإعلام في كل الدول الإسلامية خادمةً لقضية مشروع تقريب الأمة فيما بينها، وخصوصاً المرثي منها وذلك من خلال الندوات واللقاءات الداعية إلى وحدة الأمة وتلك الأمثلة من تاريخ أئمة الأمة وعلماءها الربانيين الذين كانت حياتهم وتحصيلهم للعلوم أكبر دليل على وحدة الأمة فهذا أبو حنيفة النعمان إمام مذهب الأحناف شيخه الإمام جعفر الصادق عليه السلام. لقد تعبت الأمة من العنف والتحريض والتزوير الإعلامي.

ختاماً: إن علماء الأمة لم يعرفوا التفرقة بل كان كل منهم ينهل من معين صاحبه لا يقفون عند المذهب شيعياً كان أم سنياً بل كان الإنفتاح على الآخر هو شعارهم. وإن النكبات التي أصيبت بها الأمة لم ينجوا منها سوى علماء السوء والسلطان الذي كان لا يروقهم منظر الوحدة، خدمةً لأسيادهم شياطين الأنس لذلك ينبغي أن يفهم الجميع الخاصة والعامة أنه لا يجوز حصر الإسلام بمذهب واحد، فرحمة الأمة بإختلافها. إن الأمة بخير ما دام أبنائها أو بعضهم يسعون إلى التوحد والتقارب مع بعضهم وقدوتهم في ذلك آل البيت عليهم السلام والصحابة الكرام والتابعين والعلماء العاملين أمثال هذا الرباني العالم الشيخ بهاء الدين العاملي، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى أَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة المائدة آية (٧)



## الفصل الخامس:

# السلطة والسياسة في فكر الشيخ البهائي



### الأبحاث:

- الدور التركي في المنطقة بين عثمانيتين: د. محمد نور الدين.
- نقد السلطة، المجتمع والممارسة الدينية عند الشيخ البهائي «قراءة في كتاب التدين والنفاق: د. خنجر حمية».
- العلاقات الإيرانية اللبنانية من العصر الإخميني إلى العصر الخميني: د. علي نور الدين.
- الشيخ البهائي والعهد الصفوي: د. مصطفى بزي.



## الدور التركي في المنطقة بين عثمانيّتين

### د. محمد نورالدين<sup>(1)</sup>

أسّس العثمانيون إمارتهم الصغيرة في العام ١٢٩٩ على فكرة «الجهاد». فقد كانوا من حماة الثغور في الدولة السلجوقية في مواجهة الدولة البيزنطية. ولم تكن الفكرة العثمانية في الجهاد ذات منشأ سنّي كامل.

فقد تأسست دولتهم على أكتاف قبليين وأتباع طرق صوفية حملوا في القرنين الأولين من عمر الدولة في فكرهم بعداً عرفانياً اختلط بالكثير من المعتقدات الموجودة في الأناضول ومنها تلك التي تأثرت بغلاة المذهب الشيعي، كما بالمعتقدات الموروثة من الثقافة التركية القديمة التي غلبت على القبائل التركمانية التي استوطنت الأناضول<sup>(٢)</sup>. فكرة الجهاد والبعد عن التعصب السني كان ضرورياً لنجاح قيام الدولة الجديدة في مواجهة دولة سنية أخرى هي السلجوقية التي حمت قبيلة بني عثمان فانقلبت عليها في لحظة تحيّن.

وتوسعت الدولة بالتوازي غرباً في اتجاه الدولة البيزنطية وشرقاً في قلب الأناضول دون أن تتعداه شرقاً أو جنوباً.

(١) أستاذ التاريخ واللغة التركية في الجامعة اللبنانية.

(٢) الاثنا عشرية في الصلاة اليومية، ص ٥٥.

وخلال التوسعات العثمانية في أوروبا كان السلاطين العثمانيون ينفذون الشرعية الدينية المتمثلة في لقب الخليفة. ولم يتردد بعضهم في إرسال الرسائل، عند كل انتصار على المسيحيين، إلى حكام الممالك في مصر ليدعون في خطبهم من على المنابر للسلطان العثماني. ومن ذلك ان بايزيد الأول أرسل إلى الخليفة العباسي عام ١٣٩٦هـ أن يقر له بلقب «سلطان الروم» بعد انتصاره الكبير على الحملة الصليبية في موقعة نيكوبوليس في نفس العام لكي «يسبغ على السلطة التي مارسها هو واجداده من قبل طابعاً شرعياً رسمياً فتزداد هيئته في العالم الاسلامي». وقد استجاب السلطان المملوكي برقوق، حامي الخليفة العباسي لطلب بايزيد<sup>(١)</sup>.

لا شك أن الدولة العثمانية في نهاية القرن الخامس عشر للميلاد كانت تفيض توسعاً وقوة ولا سيما بعد الإستيلاء على القسطنطينية عام ١٤٥٣هـ.

غير أن التطلع التركي إلى الشرق والجنوب أي إلى المنطقتين الفارسية والعربية في مطلع القرن السادس عشر كان تحولاً في طبيعة دور الدولة إسلامياً وعالمياً. ذلك أن تحول نظر الدولة العثمانية شرقاً إلى الدولة الصفوية الشيعية كان بمثابة أول صراع كبير لها داخل الكتلة الإسلامية وكان تحولاً في طبيعة الصراع الذي طبع مسيرة الدولة في مواجهة «دار الكفر» المسيحية.

ابتعد الصراع بين العثمانيين والصفويين عن أي طابع قومي. ذلك أن السلطة الصفوية لم تكن سوى سلبية القبائل التركمانية نفسها المتواجدة في شرق الأناضول تحديداً وكانت من دعائم الدولة العثمانية على طول مسيرتها.

اكتسب الصراع عنواناً مذهبياً واضحاً. الدولة الصفوية اعتنقت المذهب الشيعي في السنة نفسها التي توج فيها إسماعيل الصفوي ملكاً على إيران أي في العام ١٥٠٢. ولما كانت القبائل التركمانية في الأناضول علوية أي على مشتركات مذهبية عامة

(١) ( في أصول التاريخ العثماني، أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار الشروق القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٢ ص ٤٥-٥٥).

مع الشيعة فقد استشعر السلطان سليم الأول، الذي خلف بايزيد الثاني المتعقل في العرش في العام ١٥١٢م الخطر المحدق بالدولة، في لوتمددت العقيدة الشيعية إلى الأناضول بالتواطؤ مع علويي الأناضول الذين كانت الدولة العثمانية تطلق عليهم اسم آل «قيزل باش».

وقد ترجم السلطان العثماني هواجسه ونواياه في حملة عسكرية كبيرة وشاملة ضد الشاه إسماعيل انتهت إلى هزيمة منكرة للشاه في موقعة تشالديران الشهيرة في ٢٣-٢٤ آب ١٥١٤م.

قرار السلطان سليم الأول التوسع شرقاً والصدام، كان نقطة تحول استراتيجية في التاريخ العثماني على أكثر من صعيد.

١- دشن مرحلة جديدة في التاريخ العثماني عنوانها الصراع بين السنة في الدولة العثمانية والعلويين في الأناضول والذي استتبع بمجازر في العقود التي تلت موقعة تشالديران، والتي أسست لما يعرف حالياً بالمسألة العلوية التي تعود جذورها إلى تلك الفترة، والتي لم تعرف خلالها حتى الآن رغم إندثار الدولة العثمانية في العام ١٩١٨م.

٢- دشن التحول مرحلة جديدة من الصراع العثماني - الصفوي المباشر استمر حتى العام ١٦٣٩م حين تبتت اتفاقية قصر شيرين الحدود الحالية بين تركيا وإيران.

٣- لم يكتف العثمانيون بافتتاح الصراع مع الصفويين، بل عملوا على تدعيم انتصارهم في تشالديران بالتوسع جنوباً، حيث استولوا على بلاد الشام ومصر عامي ١٥١٦ و ١٥١٧م، حيث كانت تسود دولة المماليك. الأمر الذي فتح أمام استيلائهم على كل شمال أفريقيا والجزيرة العربية والعراق وسقوط المناطق العربية بكاملها بيدي العثمانيين، ما اعتبر تفوقاً عثمانياً على القوى العالمية الأخرى ولا سيما في المتوسط.

٤- ولعل من أهم نتائج هذا التحول أن العثمانيين اكتسبوا شرعية إسلامية مع تنازل الخليفة العباسي عن الخلافة للسلطين العثمانيين الذين اكتسبوا لقب الخليفة، وإن استمروا يفضلون استخدام لقب السلطان على ما عداه.

مع الصدام العثماني مع الصفويين ومن ثم السيطرة على المنطقة العربية كان مسار التاريخ العثماني يضع نقطة بداية تراجع الإهتمام بأوروبا، ولو أن نتائج ذلك بدأت تظهر بعد قرن ونصف القرن. والتوسع العثماني في أوروبا في القرن السادس عشر كان من نتائج فائض القوة الذي كان يمتلكه العثمانيون. وعندما استنفذ العثمانيون هذا الفائض باتت الدولة العثمانية تتقلص في جناحها الأوروبي فيما تستند في قوتها إلى جناحها المشرقي، العربي تحديداً.

ومع ذلك كان للوجود العثماني في المنطقة العربية أثر إيجابي لجهة الحفاظ على وحدة المنطقة وهويتها الإسلامية في مواجهة الأطماع الغربية. وكان للسلطان عبد الحميد الثاني موقف تاريخي في معارضة الإستيطان اليهودي في فلسطين ومنع إعطاء اليهود أرضاً فيها لإقامة وطن قومي لهم، وكان ذلك من أسباب خلع السلطان عبد الحميد ومن بعدها شن حرب على الدولة العثمانية وتقسيمها كشرط ضروري لإقامة الكيان الصهيوني وفقاً لوعده بلفور.

لكن سياسات العثمانيين في آخر أيامهم ولا سيما في عهد الإتحاد والترقي كانت من عوامل إثارة العرب عليهم عندما مارسوا سياسات تمييزية وتهميشية لهم تبعاً لسياسة التتريك التي انتهجوها بعد العام ١٩٠٩. فكانت الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ نتيجة حتمية لرفض قادة الدولة العثمانية تلبية المطالب العربية.

وكان لهذا التباين بين العرب والأتراك أن أسس لتوتر وحساسيات لها بُعدٌ قومي حيث اعتبر الأتراك أن العرب قد طعنوا دولتهم في الظهر، فيما اعتبر العرب حركتهم بداية الإستقلال القومي رغم أنهم وقعوا في خداع وقيد القوى الاستعمارية ولا سيما فرنسا وبريطانيا.

وعلى هذا انطوت على زغل صفحة «العثمانية» من التاريخ العربي التركي المشترك. وبعد أربعة قرون كانت الدولة العثمانية تفقد آخر ممتلكاتها في المنطقة العربية أثر الحرب العالمية الأولى وتكفىء في العام ١٩٢٣، إلى ما هي عليه اليوم من حدود رسمت في معاهدة لوزان في العام نفسه، وتأسست بموجبها الجمهورية التركية التي أنهى بها مصطفى كمال أتاتورك ستة مئة عام من وجود الإمبراطورية الإسلامية الأخيرة في العالم الإسلامي، لتبدأ مرحلة جديدة من علاقة تركيا بالمنطقة العربية ومن الدور التركي فيها، مرحلة معقدة وممتلئة بالتقلبات والحساسيات والصدمات والعداوات والكراهيات وصولاً إلى التحالف العلني مع إسرائيل منذ تأسست وحتى هذه اللحظة.

#### العلاقات العربية التركية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية:

بعد انهيار الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، انصرف اهتمام الأتراك إلى إنقاذ ما تبقى من أراض لهم في منطقة الأناضول، خصوصاً أن القوات المنتصرة كانت تحتل أجزاء واسعة منه ومن اسطنبول والمضائق. وشهدت هذه الفترة ظهور إتفاقية سيفر في آب ١٩٢٠ التي قسمت الأناضول بين مناطق تابعة للإنكليز وأخرى لإيطاليا واليونان وفرنسا. لكن الأخطر كان إقامة دولة أرمنية في شرق تركيا وإعطاء حكم ذاتي للأكراد في الجنوب الشرقي منها. غير أن حرب التحرير الوطنية التي قادها مصطفى كمال حققت إنتصارات عسكرية وديبلوماسية انتهت إلى توقيع معاهدة لوزان في تموز ١٩٢٣، والتي اعترفت بحدود تركيا الجديدة المعروفة حالياً وتأسس الجمهورية بعد ذلك بثلاثة أشهر طابوياً بذلك إتفاقية سيفر ونتائجها الكارثية.

كان أول ما فكر به أتاتورك هو حسم الحدود التركية بالنسبة للقضايا الخلافية المتعلقة بمنطقتي الموصل وكركوك وبمنطقة الإسكندرون. وإذا كان فشل في ضم الموصل وكركوك وفقاً لاتفاقية في العام ١٩٢٦ مع بريطانيا وفرنسا فقد نجح لاحقاً في ١٩٣٩ في ضم الاسكندرون<sup>(١)</sup>.

(١) (أنظر الشرق الاوسط في السياسة الخارجية التركية، محمد نورالدين، في كتاب العرب والأتراك في عالم متغير، بيروت ١٩٩٤).

لكن الخط العام الأساسي للسياسة الخارجية التركية كان ما يمكن تسميته «النأي بالنفس» واتباع سياسة الإنكفاء والإنطواء لترتيب البيت الداخلي وفقاً لشعار «سلام في الوطن سلام في العالم».

ولم تكن لتركيا تحركات بارزة في المنطقة الشرق أوسطية، وكانت العلاقة مع العالم العربي عادية جداً لم تشهد أحداثاً مفصلية. بل لم يزر مسؤول تركي رفيع أي بلد عربي باستثناء بعض زيارات لوزير الخارجية للمشاركة في مؤتمرات ليس إلا. ومع أن أتاتورك قد انتهج بعد العام ١٩٢٣ سياسات غير إسلامية وجهد لإستئصال المظاهر الإسلامية من المجتمع والحياة السياسية فلم يكن العرب عموماً في موقف سلبي من تركيا وتعددت الزيارات الرسمية على مستوى الرؤساء والملوك والوزراء<sup>(١)</sup>.

وفي الواقع أن المشهد السياسي في الطرفين لم يكن متكافئاً. فتركيا كانت بلداً مستقلاً في حين لم يكن من بلد عربي واحد كذلك. وكان الوجود التركي في المنطقة، كما الخلافة، من روابط العلاقة بين العرب والأتراك، فلم يعد لهما أثر. كما كانت نظرة أتاتورك الإستعلائية والمعادية للحضارة الإسلامية أيضاً في أساس الفتور أو عدم الحيوية في العلاقات بين الطرفين. لكن تركيا لم تتردد في التوسط بين إيران والعراق لحل الخلاف حول شط العرب وتوقيع إتفاقية بهذا الخصوص في تموز ١٩٢٧<sup>(٢)</sup>.

ووقعت تركيا العديد من معاهدات الصداقة في العشرينيات مع إيران. كما كانت تركيا طرفاً في ميثاق سعد آباد في تموز ١٩٢٧ الذي ضم إلى تركيا العراق وأفغانستان وإيران. ومن بنود الميثاق مواجهة هذه الدول للعصابات المسلحة (الكردية) التي تستخدم أراضي دولة ضد أراضي دولة أخرى<sup>(٣)</sup>. كذلك وقّعت تركيا مع مصر إتفاقية صداقة في العام ١٩٢٧.

(١) انظر العلاقات العربية التركية في عهد اتاتورك، محمد نورالدين، في كتاب حجاب وحراب، الكمالية وازمات الهوية في تركيا، بيروت (٢٠٠١).

(٢) (إسماعيل صويصال، العلاقات العربية التركية بين الحربين ١٩١٩-١٩٣٩ في كتاب العلاقات العربية-التركية، الجزء الأول، القاهرة-اسطنبول ١٩٩١ ص ٢٢٢).

(٣) (انظر نص المعاهدة في كتاب العلاقات التركية الايرانية/محمد سراي أنقرة ١٩٩٩، باللغة التركية).

يمكن الإستنتاج أن السياسة التركية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية كانت تهدف إلى تركيز أسس الكيان الجمهوري الوليد والتطلع إلى ترتيب بنية النظام الجديد. ولم تنخرط تركيا في اصطفاقات حادة إلا بقدر ما كانت تريد استكمال ما تراه الحدود القومية للدولة. وعلى هذا لم يكن من مشكلات خارجية جدية إلا فيما يتصل بمسألتي شمال العراق والإسكندرون. وكان التعامل التركي إلى حد ما إيجابياً مع الجيران بمعزل عن انتماءاتهم وخياراتهم وأبرز مثال على ذلك: العلاقة الجيدة مع إيران والإتحاد السوفياتي.

### بعد الحرب العالمية الثانية: استكمال الخيار الثقافي سياسياً

تمثل الحرب العالمية الثانية محطة مفصلية في مسار التاريخ الحديث. فمن خطاب الحيادية وعدم التدخل في شؤون الدول الأخرى كانت تركيا تذهب إلى الحد الأقصى في رسم سياسة خارجية جديدة بعدما أنهت في عهد أتاتورك إرساء تحولات إجتماعية وثقافية داخلية تحمل بعداً غربياً واضحاً.

التحولات الإجتماعية في اتجاه التغريب أو الأوروبة استكملت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بتحولات جذرية في موقع تركيا ودورها الإقليمي والدولي أمنياً وسياسياً. انتهت الحرب العالمية الثانية إلى معسكرين غربي رأسمالي وشرقي شيوعي. ورغم العلاقات الجيدة التي أرساها أتاتورك مع الإتحاد السوفياتي غير أن انقسام العالم إلى معسكرين كان يحتم على تركيا أن تنتمي إلى أحدهما. ذلك أن منطلق الحياد بين الحربين العالميتين كانت تفرضه وتسهله توازنات القوة في العالم حيث لم تكن هناك قوة عالمية عظمى قادرة على فرض إرادتها بمفردها في العالم. كما أن المعادلة في المحيط الإقليمي لتركيا بعد الحرب الثانية قد تغيرت لصالح الإتحاد السوفياتي بوقوع دول أوروبا الشرقية المحيطة بتركيا غرباً وشمالاً تحت النفوذ الشيوعي. وهذا كان من أهم عوامل استيقاظ الخوف التركي من الشيوعية. وجاء وصول الحزب الديموقراطي إلى السلطة عام ١٩٥٠ بزعامة عدنان مندريس ذي النزعة الإسلامية ليضعف من انحياز تركيا إلى الغرب على اعتبار أن الشيوعية هي خطر على الدين الإسلامي.

وجاء تأسيس إسرائيل عام ١٩٤٨ ووقوفها مع الغرب ليدفع تركيا إلى الإعراف بها في العام ١٩٤٩ ، خصوصاً بعدما تبين أنها ليست كوكباً في الفلك السوفياتي والشيوعي ، فضلاً عن أن تأسيس إسرائيل كان للنخب التركية القومية فرصة (١) للإنتقام من الثورة العربية ضد الأتراك في العام ١٩١٦<sup>(١)</sup>.

وهكذا بدأت تركيا مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بتعميق انتمائها الغربي في السياسة الخارجية والذي توجته في الإنضمام إلى حلف شمال الأطلسي في العام ١٩٥٢. وفي الوقت نفسه لم تتأخر تركيا في تأكيد نزعتها الغربية بالإنخراط في مشروع الإنضمام إلى المجموعة الأوروبية في نهاية الخمسينيات ولا سيما عبر بروتوكول أنقرة الذي وقع عام ١٩٦٢. وفي نظرة إلى الدور التركي في المنطقة العربية وغير العربية يمكن القول أنها بداية المرحلة الأسوأ في تاريخ العلاقات العربية - التركية.

فتركيا كانت أول بلد مسلم اعترف بإسرائيل في العام ١٩٤٩ ، ونسجت معه أوثق العلاقات الإقتصادية والعسكرية والأمنية والسياسية خلال الخمسينيات وصولاً إلى مطلع الستينيات. وكانت طرفاً مباشراً في أحلاف إقليمية معادية لحركات التحرر العربية ولا سيما بعد ظهور جمال عبد الناصر في الخمسينيات.

وقاربت تركيا حافة شن حرب عسكرية ضد سوريا في العام ١٩٥٧ نظراً لوقوف سوريا مع الإتحاد السوفياتي وتقاربها مع سياسات عبد الناصر. كما أن القواعد العسكرية على أراضيها استخدمت مراراً من جانب الأميركيين لشن اعتداءات على دول عربية. وكان الموقف الأكثر عدائية للعرب وتحررهم ، معارضة تركيا إستقلال الجزائر في الأمم المتحدة وتصويتها ضد القرار الخاص بذلك في ٦ كانون الأول ١٩٥٧ متحالفة بذلك مع المستعمر الفرنسي<sup>(٢)</sup>.

(١) (انظر السياسة الخارجية التركية من حرب التحرير الى اليوم، مجموعة باحثين إشراف باسكين أوران، ص

٦٤١. اسطنبول ٢٠٠٢ الطبعة الرابعة، الأولى ٢٠٠١)

(٢) (أنظر العلاقات التركية العربية في مرحلة المد القومي العربي (١٩٤٥-١٩٧٠) لفاخر أرما أوغلو، في

كتاب العلاقات العربية التركية الجزء الثاني ص ٢٣١، اسطنبول القاهرة ١٩٩١-١٩٩٢).

ولقد استمر النهج التركي المؤيد للغرب والمتعاون مع إسرائيل على امتداد الحرب الباردة.

وشهد عهد الرئيس الراحل طورغوت أوزال (١٩٨٣-١٩٩٣) وكان للمفارقة منفتحاً على الإسلام والإسلاميين، عودة التماسك إلى العلاقات التركية-الإسرائيلية. كما لو أن قدر الإسلاميين، باستثناء نجم الدين أربكان، أن تكون عهودهم الأكثر ارتباطاً بإسرائيل والغرب.

لا يمكن بالطبع إغفال محاولة الحكومات التركية تحسين علاقاتها مع العرب في فترات متفاوتة، لكنها كانت مرتبطة بمحاولة كسب العرب إلى جانبها في قضايا مثل قبرص، أو الاستفادة من بعض المكاسب الاقتصادية أو الإضطرار تحت ضغط حكومات في السبعينات كان أربكان شريكاً فيها.

وباستثناء بعض فترات الإنفتاح على العالم العربي فقد كانت تركيا في نهجها العام في سياستها الخارجية اتجاه المنطقة جزءاً من التحالفات الغربية وشريكاً مباشراً في عمليات حلف شمال الأطلسي وحليفاً لإسرائيل على كل الأصعدة. ولم يتغير هذا الأمر بعد انتهاء الحرب الباردة بل ازدادت عروة التحالف مع إسرائيل في الإتفاقية العسكرية الشهيرة في شباط ١٩٩٦، ومن ثم التعاون مع واشنطن وإسرائيل لإسقاط حكومة (أربكان) في العام ١٩٩٧ بحسب إقرارات القادة العسكريين الذي قادوا ما يسمى بعملية ٢٨ شباط ١٩٩٧ لإسقاط أربكان بطريقة سلمية.

#### مرحلة حزب العدالة والتنمية:

لم يكن وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في تركيا في نهاية العام ٢٠٠٢ مجرد تناوب بين حزب فائز وآخر خاسر.

فالانتصار الكبير الذي حققه حزب العدالة والتنمية بقيادة رجب طيب أردوغان أنهى حقبة الحكومات الائتلافية التي استمرت أكثر من عشر سنوات، وجعلت الحزب ينفرد بالسلطة عبر الحكومة التي شكلها والغالبية الساحقة في البرلمان. وقد مكنه

ذلك من تنفيذ برامجه المختلفة من دون صعوبات جدية. لكن الأهم أن حزب العدالة والتنمية كان يحمل مسبقاً رؤية للتغيير والإصلاح ولموقع تركيا ودورها ومكانتها في المنطقة وفي العالم.

ولقد كان الأستاذ الجامعي أحمد داود أوغلو مهندس السياسات الخارجية بعد أن أصبح مستشاراً لرئيس الحكومة منذ العام ٢٠٠٣، ومن ثم وزيراً للخارجية في العام ٢٠٠٩<sup>(١)</sup>.

ولقد كان العنوان الأساسي لهذه الإستراتيجية، أن تركيا لا يمكن لها أن تستمر ببعيد واحد غربي، بل عليها أن تكون متعددة الأبعاد من أوروبا والغرب وإسرائيل إلى المتوسط والقوقاز والدول السلافية والإسلامية وكل محيطها القريب والبعيد<sup>(٢)</sup>.

وفي رأس عناوين هذه السياسة أن تركيا يجب أن تكون قوة إقليمية بل مؤسسة لنظام إقليمي جديد وهذا يتطلب أن تتمتع بقوة إقتصادية وإعادة إحياء روابطها التاريخية والثقافية مع عمقها العربي والإسلامي والتركي الموروث من العهد العثماني والموجود في كل محيطها من البلقان إلى الشرق الأوسط فالقوقاز وآسيا الوسطى.

وفي ترجمة لهذه الإستراتيجية الجديد انتهجت تركيا بتأثير من أحمد داود أوغلو سياسة «تفسير المشكلات» مع كل جيرانها ونجحت في تحويل جيرانها من أعداء إلى أصدقاء.

ولقد كان النجاح الأكبر لتركيا في إقامة علاقات وصفت بالإستراتيجية مع كل من سوريا والعراق وإيران ومجلس التعاون الخليجي. كما نجحت في أحداث خرق وإن لم يكتمل مع أرمينيا. ووصلت العلاقات مع معظم هذه الدول ولا سيما سوريا إلى حد إلغاء

(١) انظر أول حوار عربي شامل معه في العدد ١١٦ من فصلية «شؤون الأوسط» ربيع ٢٠٠٤، حاوره محمد نور الدين).

(٢) انظر تفاصيل وافية عن السياسة الخارجية التركية الجديدة في بحث: الدور التركي تجاه المحيط العربي، محمد نور الدين، مركز دراسات الوحدة العربية في سلسلة أوراق عربية رقم ١٤ بيروت (٢٠١٢).

تأشيرات الدخول وإقامة مجلس أعلى للتعاون الإستراتيجي.

وظهرت تركيا بالنسبة للقضية الفلسطينية بوجه جديد عندما دعمت حركة حماس ليس في مقاومة إسرائيل، بل الإعتراف بأنها حركة غير إرهابية وصلت إلى السلطة بطريقة ديموقراطية ويجب أن تكون جزءاً من أي مفاوضات لحل القضية الفلسطينية. كذلك وجه المسؤولون الأتراك إنتقادات حادة للإسرائيليين في أكثر من مناسبة. لكن أنقرة مع حزب العدالة والتنمية كانت في الوقت نفسه تسعى إلى تسوية بين إسرائيل والفلسطينيين والعرب، وقامت بأكثر من محاولة للوساطة في الصراع العربي الإسرائيلي، ومنها عقد قمة في أنقرة عام ٢٠٠٧ برعاية رئيس الجمهورية عبد الله غول بين الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز والفلسطيني محمود عباس.

ويمكن القول أن سياسات حزب العدالة والتنمية الإيجابية تجاه العرب والمسلمين والفلسطينيين وفرت لتركيا فرصة زيادة نفوذها في المنطقة وتحسين صورتها القديمة العدائية إلى صورة المنجد الجديد للقضايا العربية. وقد ساهم ذلك في تعاظم التعاون الإقتصادي مع الدول المجاورة لتركيا وتحول تركيا إلى قوة اقتصادية احتلت بعد سنوات المرتبة السابعة عشرة في العالم.

لم تكن سياسة تركيا كما قد يبدو للوهلة الأولى منحازة للعرب والمسلمين، بل اتسمت بالتوازن. لم تغادر تركيا المحور أو البعد السابق أي الغربي الإسرائيلي لكنها أضافت إليه أبعاد جديدة. ولقد شكل ذلك تحدياً للسياسة الخارجية التركية في إمكانية الجمع بين متناقضات ومصالح متباينة.

وقد بان لاحقاً وفي أكثر من مناسبة أن ذلك ليس ممكناً الإستمرار فيه. من ذلك، حادثة أسطول الحرية في ٣١ أيار ٢٠١٠. لقد سعت تركيا إلى أن تقوم بدور مهم إقليمياً مع التطلع لتكون لاعباً عالمياً أو قريباً من العالمية. ولقد كان الدور الوسيط أحد أهم أدوات تركيا للنفوذ في المنطقة. وفي ١٧ أيار ٢٠١٠ نجحت تركيا مع البرازيل في إقناع إيران بتبادل تخصيص اليورانيوم على الأراضي التركية مع الغرب.

وكان إعلان طهران بهذا الخصوص نجاحاً دبلوماسياً كبيراً لأنقرة. لكن ذلك لم يرق للولايات المتحدة والغرب الذي رأى في النجاح التركي تجاوزاً للدور الذي يمكن لتركيا أن تقوم به. وكان توجه أسطول الحرية لكسر الحصار على غزة فرصة سريعة للغرب أن يوجه لتركيا رسالة دموية قاسية عبر البحرية الإسرائيلية حيث قتل الإسرائيليون تسعة ناشطين أتراك كانوا على متن إحدى سفن الأسطول (ممررة). ويتضح جيداً أن الرسالة قد وصلت. إذ أن ردة الفعل التركية على الهجوم كانت ضعيفة واكتفت بعد سنة ونيف بخفض العلاقات الدبلوماسية وبعض الإجراءات غير المؤثرة.

وقد بين السلوك التركي أن تركيا في لحظة ما لا يمكن أن تتجاوز السقوف الغربية، وأن تركيا تبقى رهينة سياسة الإرتباط بالغرب التي ارتضتها بعد الحرب العالمية الثانية، وإن كان الغرب يسمح لها بهامش للمناورة يضيق ويتسع تبعاً لمصالح الغرب. ولقد وسّعت تركيا هذا الهامش أكثر مما تحتمله المصالح الغربية فكانت الصفة في حادثة أسطول الحرية التي كانت رسالة غربية بأدوات إسرائيلية.

وتأكد الإلتزام التركي بالسياسات الغربية و«فهم» رسالة أسطول الحرية أن تركيا بعد الحادثة بخمسة أشهر فقط أعلنت موافقتها في قمة لشبونة في تشرين الثاني ٢٠١١، أي قبل إندلاع الثورات العربية، بنشر منظومة رادارات الدرغ الصاروخي على أراضيها بمواجهة الدول المعادية للسياسات الغربية وهي روسيا وإيران وسوريا والعراق ربما. ويلتقي جميع الخبراء العسكريين على أن هذه الرادارت تسهم في المزيد من حماية الأمن الإسرائيلي لانتماء رادارات تركيا الأطلسية ورادارت إسرائيل إلى حوض استخباراتي مشترك هو الولايات المتحدة الأميركية. إذ أن الدرغ الصاروخي هو مشروع أميركي خالص بغطاء شكلي أطلسي<sup>(١)</sup>.

(١) (أنظر المقالة المهمة لقدري غورسيل في صحيفة «ميليت» التركية في ٩ تشرين الثاني ٢٠١١). تركيا والثورات العربية: عودة الأوهام.

مع ارتهان تركيا بالكامل، خلال الحرب الباردة وحتى العام ٢٠٠٢، لحلف شمال الأطلسي والسياسات الغربية شكل وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة وسياسات فتح الحدود وتصفير المشكلات مع الجيران فرصة لتقوية الدور التركي. وقد نجحت تركيا أيما نجاح، من إيران إلى العراق وسوريا إلى أرمينيا وروسيا واليونان وغيرهم. لكن هذا النجاح كان مع مختلفين عنها إثنيًا ودينيًا ومذهبيًا وحضاريًا وسياسيًا. ومن هنا أهمية سياسات التواصل التركية تلك مع كل هذا المحيط والذي أسفر عن تعزيز العلاقات السياسية والإقتصادية وإلى تعزيز الإستقرار في المنطقة وكانت تركيا من أكبر الرابحين من مثل هذه العلاقات.

غير أن بدء الثورات العربية في نهاية العام ٢٠١٠ وبداية العام ٢٠١١ شكل إنعطافة في طريقة التعامل التركي مع جيرانها المباشرين والبعيدين. وواجهت سياسة تصفير المشكلات والتعاون الإستراتيجي تحديات حقيقية، وامتحاناً أفضى في النهاية إلى انهيار كل ما بنته تركيا على امتداد عدة سنوات، وتحولها من جديد إلى دولة محاطة بالأعداء.

وفي الواقع أن تركيا واجهت الثورات العربية بارتباك في البداية حيث لم تكن تتوقع مثل سائر الأطراف في الوطن العربي والعالم بهذه الثورات. لذلك لم يكن الموقف التركي موحداً منها واتسم بتعدد المعايير واختلافه من حالة إلى أخرى.

ففي مصر دعا رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان إلى رحيل حسني مبارك بعدما وجد أن نهايته اقتربت. وفي ليبيا وقف إلى جانب معمر القذافي بسبب وجود مصالح إقتصادية تركية كبيرة في ليبيا، وما لبث تحت الضغوط الأميركية ومنع تفرد فرنسا في ليبيا أن انقلب ضده بل شاركت أنقرة بعمليات حلف شمال الأطلسي للإطاحة بالقذافي. ورغم أن أردوغان حذر بدايةً من حصول كربلاء في البحرين، لكنه كان تصريحاً يتيماً حيث التزمت أنقرة الصمت المطبق على ما يجري هناك كما لم تعارض تدخل قوات درع الجزيرة لقمع الثورة.

وحين انتقلت عدوى الإضطرابات إلى سوريا كان الإمتحان الأصعب للسياسة الخارجية التركية.

منذ اللحظة الأولى دعت تركيا النظام في سوريا إلى إجراء إصلاحات جذرية ديموقراطية. وكانت أنقرة تبلغ سوريا ذلك تارةً بالنصح وتارةً بالإملاء. وفي الوقت نفسه كانت تركيا تنتصر للمعارضة السورية السياسية وتحضنها وتظمها. ولاحقاً بادرت أنقرة إلى إيواء عناصر الجيش السوري المنشقة الهاربة إلى تركيا تحت اسم «الجيش السوري الحر». وبذلك في الوقت الذي كانت تدعو أنقرة دمشق إلى الإصلاح كانت تحشد صفوف المعارضة السياسية والعسكرية. وصولاً إلى مرحلة اعتبر فيها رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان الشأن السوري شأنًا داخلياً تركيا، ودعا الرئيس بشار الأسد إلى التنحي ومعتبراً أن لا حل إلا بإسقاط النظام.

ومع أنه يمكن لتركيا وغير تركيا، من منطلق الجيرة والخوف على المستقبل، أن توجه النصح لكن طريقة تعاطيها مع الأزمة السورية تجاوزت الضوابط الحقوقية الدولية وضوابط السيادة، وتحولت إلى طرف في صراع داخلي لدولة أخرى، فضلاً عن أنها استنزفت كل الدول التي تقف إلى جانب النظام السوري وكلها مجاورة جغرافياً لتركيا. ولا شك أن تركيا لم تكن لتضحى بكل مكاسب علاقاتها مع سوريا والعراق وإيران ونصف اللبنانيين على الأقل لو لم تكن تتطلع إلى مكاسب تعتقد أنها تفوق تلك الخسائر. ولم يعد خافياً على المتابعين أن رهان تركيا الأساسي كان إسقاط النظام في سوريا وبسرعة، على غرار سقوط أنظمة مبارك وبن علي وحتى علي عبدالله صالح. لتنتفح الأبواب أمام تركيا لتحقيق هدفين:

الأول: كسر حلقة رئيسية من المحور المعادي للغرب والمشروع الصهيوني امتثالاً للإملاءات الأميركية والإلتزامات التركية بسياسات الغرب.

الثاني: كسر حلقة رئيسية مما أسماه الملك الأردني عبد الله الثاني «الهلال الشيعي» وإقامة هلال سني يمتد من إسطنبول مروراً بحلب ودمشق وعمان وصولاً إلى

القاهرة وشمال أفريقيا من جهة والجزيرة العربية من جهة ثانية. إن تحقيق هذين الهدفين يترجم حلمًا متجددًا أشارت إليه أدبيات وتصريحات ومواقف العديد من مسؤولي حزب العدالة والتنمية حول تجديد الدور العثماني بالمعنى السياسي والثقافي والإقتصادي وليس بالمعنى الجغرافي. غير أن حسابات الحقل التركي لم تطابق حسابات البيدر. فلم يسقط النظام السوري فخرت تركيا محور الممانعة، ولم تريح المحور المقابل الذي لا يمكن أن تربحه لعوامل متعددة، فكانت الخسارة مزدوجة وما يفسر ذلك التشدد والحدة في السلوك التركي اتجاه سوريا مع سقوط الرهان على إسقاط النظام السوري، والذي تمثل في المزيد من خطوات الهروب إلى الأمام بدلاً من مراجعة الحسابات واعتماد العقلانية والواقعية في موضوع شديد الحساسية. ولا شك أن العنوان الرئيسي للمحصلة التركية هو انهيار سياسة تصفير المشكلات وعودة الحساسيات التاريخية في العلاقة بين المكونات المجتمعية في تركيا والدول المجاورة لها.

## خلاصات

١- لا يمكن أن نضع وجود العثمانيين على رأس الدولة الإسلامية الأكبر في الكفة نفسها لوجود الدولتين الأموية والعباسية. فالانتقال من السلطة الأموية إلى العباسية كان تبعاً لانتفاضات وتحولات داخل الدولة العربية الإسلامية نفسها. فيما كان وصول العثمانيين إلى رأس الخلافة نتيجة غزو خارجي من دولة ضد دولة. من الدولة العثمانية ضد دولة المماليك في بلاد الشام وسوريا. ولم يكن الحكم بالتالي مجرد تبادل أسر وتناوبها بل سيطرة عرق وثقافة خارجية، ولو كانت إسلامية، على المنطقة العربية. وهو الأمر الطبيعي الذي انتهت إليه العلاقة بين العرب والأتراك عشية الحرب العالمية الأولى التي انتهت إلى طلاق بين العرب بنزعتهم القومية الجديدة والأتراك بنزعتهم الطورانية.

٢- اتسم السياسة الخارجية العثمانية على امتداد قرونها منذ العام ١٢٩٩ إلى العام ١٩١٨، في جانب أساسي منها، بنزعة العداء للغرب والمواجهة معه. وحقت الدولة العثمانية تحت هذا العنوان إنجازات واسعة وتاريخية ومهمة عبر إدخال الإسلام إلى أوروبا في جنوبها الشرقي والذي لا تزال مجموعاته الحالية في البلقان من مخلفات تلك المرحلة.

ومع أن الدولة رضخت للغرب في تطبيق إصلاحات في بنية الدولة عامي ١٨٢٩ و ١٨٥٦، فإن الدولة بقيت في خطها العام إسلامية ومعارضة للتوجهات الغربية.

٣- في المقابل نفذ مصطفى كمال أتاتورك إنقلاباً في السياسات الداخلية لجهة إجراء اصلاحات اجتماعية وثقافية وسياسية تكاد تكون بالكامل غربية ومعادية للإسلام. وهذا سهّل على خلفائه إكمال الإنقلاب الأتاتوركي الداخلي بانقلاب آخر في السياسة الخارجية أصبحت بموجبه تركيا جزءاً عضواً من المعسكر الغربي، وعضواً في حلف شمال الأطلسي، وحليفة للكيان الإسرائيلي منذ تأسيسه. ولم تتغير هذه التوجهات في ظل حزب العدالة والتنمية الذي كان إنفتاحه على العرب والمسلمين مجرد «ومضة» خاطفة انطفت بسرعة، إذ ما لبث الحزب أن واصل سياساته الخارجية تبعاً لإلتزاماته الغربية- الأطلسية.

٤- يُكرّر التاريخ نفسه لكن بأشكال مختلفة. لقد كان التوجه التركي العثماني الأول إلى المشرق، بهدف مواجهة الصفويين الشيعة، ومن ثم نزولاً إلى دمشق وصولاً إلى القاهرة ومكة لإكتساب الشرعية الدينية، وذلك بقيادة السلطان سليم الأول. واليوم بعد ستة قرون على التوجه الأول، وبعد عقود من إدارة الظهر للمنطقة العربية والمشرقية تعود تركيا، بقيادة أردوغان، بعثمانية جديدة إلى المشرق بهدف مواجهة النفوذ الإيراني ومن معه بمكونيه السياسي والمذهبي. الهدف واحد من سليم الأول إلى أردوغان، وتكاد تكون الخريطة الجغرافية لحراكهما متطابقة في مفارقة نادرة: شرقاً إيران وجنوباً سوريا. وكما جرف السلطان

سليم في طريقه إلى إيران الصفوية علوي الأناضول بتهمة التعاون والتآمر مع الصفويين الشيعة، فها هي سلطة حزب العدالة والتنمية الإسلامية، تتهم علوي تركيا بدعم نظام الرئيس السوري بشار الأسد من منطلقات مذهبية، فيما لا تزال تنكر عليهم، كما أسلافها، هويتهم وحقوقهم<sup>(١)</sup>.

٥- إن أخطر ما تحاول سلطة حزب العدالة والتنمية اليوم أن تفعله، هو أن تخلّ وتكسر التوازنات الحساسة سياسياً ومذهبياً، وهو الأمر الذي سيفتح أمام جروح جديدة وصراعات أهلية مريرة بين الدول الإسلامية وداخل المجتمعات الإسلامية لن تكون تركيا سوى في رأس المتضررين منها، ولم يكن الرابع فيها سوى الغرب والمشروع الصهيوني.

---

(١) (أنظر تصريح نائب رئيس حزب العدالة والتنمية حسين تشيليك، ميلليت ٨ ايلول ٢٠١١).



# نقد السلطة، المجتمع والممارسة الدينية

## عند الشيخ البهائي

(قراءة في كتاب «التدين والنفاق»)

### د. خنجر حمية<sup>(1)</sup>

أولاً: إيران في عهد البهائي على سبيل المدخل:

مقدمة :

لا يمكن فهم مواقف الشيخ البهائي السياسية والدينية، وأرائه المعرفية وأفكاره، ولا استيعاب رؤاه ومقاصده، من غير أن تتوضح لنا بصورة مجملّة طبيعة الظروف والأحوال والأوضاع التي حفل بها عصره، واضطربت بها الآفاق من حوله، في مجمل ميادين الحياة، في السلطة والدين والمجتمع والثقافة... فلقد طبعت أحوال هذا العصر مواقفه بطابعها، ووجهت رؤاه وتأملاته، وألقت بظلال وارفة على أفكاره وحياته الشخصية، وسوف يتبدى ذلك أكثر ما يتبدى في مواقفه النقدية التي انطوى عليها كتابه المشار إليه في العنوان أعني: «التدين والنفاق بلسان القط والفأر»، والذي سنحلله فيما يأتي في هذا النص بإجمال.

(1) أستاذ في الجامعة اللبنانية والإسلامية.

## ١. السلطة، الدين والمجتمع زمن البهائي

سيطر الصفويون المنحدرون من سلالة صوفيه في شمال إيران على إيران الحالية بأكملها بعد وقت قصير جداً من اندفاعهم من تبريز، مدعومين بقبائل تركمانية ذي نزعة صوفية، عرفوا فيما بعد بالقزلباش، أو أصحاب القبعات الحمراء. وبغض النظر عن الظروف المحيطة، فلقد أخذت تلك الإندفاع في طريقها أرواحاً كثيرة، ودمرت ولايات ودولاً، وشابتها مذابح لا تفسر إلا في سياق رغبة عارمة في السيطرة والنفوذ والهيمنة... فما أن استولى إسماعيل الصفوي المنحدر من حيدر أول ملوكها على أردبيل بعد عودته من منفاه في جيلان، حتى قتل حاكمها، ثم سار بجيشه من القزلباش نحو تبريز واستولى عليها بعد حرب طاحنة، وقتل ملكها، ألوند ميرزا، والكثير من أتباعه، وأعلن منها رسمياً التشيع لعلي عليه السلام مذهباً للدولة الناشئة، ثم توجه إلى مازندران فأخضعها، ثم إلى يزد فسيطر عليها بعد قتال مدمر... فشاع الفزع حينها في أرجاء إيران، وعمّ الخوف من بطش إسماعيل، الذي راح يعيد إلى الذاكرة مآسي المغول المهولة والمروعة، وفي حروب متواترة متدافعة، سيطر إسماعيل على الحوزة، ثم على أصفهان، لتدين له إيران بالخضوع، ولتدخل تحت سلطانه إلى غير رجعة.

ولقد طمح الصفويون فيما بعد إلى العمل على ترسيخ سلطانهم في عاصمة مركزية تدار من خلالها شؤون المملكة الناشئة، فجعلوا أصفهان مركز حكمهم، ووطدوا دعائم وجودهم في الأطراف من خلال سلطة مركزية محكمة. وليؤكدوا على مشروعية دينية- مذهبية لسلطانهم راحوا يدفعون باتجاه تأكيد التشيع مذهباً رسمياً للدولة والمجتمع، فساعدوا على إنشاء المعاهد الدينية والمدارس ومراكز العلم، ونشر الدعاة في الأصقاع، واستقدموا للغاية هذه علماء من مراكز علم شيعية معروفة كجبل عامل والبحرين، ومنحوا العلماء سلطات دينية واسعة. ولم يستقر لهم ذلك على نسق متواتر إلا زمن الشاه عباس بعد جهود بذلها أسلافه في السياق خصوصاً الشاه طهماسب،

## د. خنجر حمية

ليصبح في زمنه التشيع مذهباً راسخاً يدين به السواد الأعظم من الإيرانيين. وفي أصفهان تركزت سلطات الدولة، ومركز حكمها، وفيها كان مقر السلطان ومشيخة الإسلام، والإدارات الأساسية التي تدير الحكم وترعاه وتشرف عليه. وعلى أي حال، فالمناخ العام في إيران الصفوية، كان قد استقر على حكومة مركزية قوية ونافذة، تمد سلطانها في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، وتملك من القوة والنفوذ، ما يساعدها على تأمين استقرارها النسبي إلى حين، إستاناداً إلى وحدة دينية مذهبية تمنحها المشروعية، وإلى نزعة صوفية ترسخ قد استهيا في نفوس رعاياها، وإلى شعور قومي، وفره الإحساس العميق بتحقيق وحدة شعب عانى كثيراً من آثار التشتيت والتفكك والصراع، بين قبائل وشعوب، استمر طويلاً في أطراف إيران المترافيه وفيما أحاط بها من أصقاع.

## ٢. المعرفة، الثقافة والعلم

ولقد كان من الطبيعي لسلطة ناشئة تعي بعمق المحتوى الأيديولوجي الديني لنشوتها، والأساس المذهبي لمشروعيتها، أن تكون حريصة على أن تؤصل لوجودها في شكل من أشكال الثقافة ينبثق عن رؤيتها، أو فلنقل عن مصالحها الأيديولوجية، ورغبتها في الإستمرار وتأمين الإستقرار ودوام النفوذ. ولأن التصوف كان أساس وجودها، والقوة التي أمنت إندفاعتها الأولى، فلقد شجع الصفويون الطرق الصوفية، وأمنوا لها المناخ الملائم لتعظيم وتكاثر، في ارتباط وثيق بالسلطة واستناداً إليها. فشاعت ثقافة الخوارق والمعجزات كما سوف يأتي واختفت أو كادت المعرفة النقدية المتجاوزة، وبالتالي احتجب التفكير الفلسفي المتحرر الذي لم يجد لنفسه المكان الملائم للإنتشار والشيوع، والظروف المناسبة لممارسة حضوره، بالرغم من محاولات كان مصيرها على الدوام الإدانة والإتهام، ومن ثم العزل والإستبعاد. ولأن التشيع كان أساس مشروعية السلطة، فلقد انتشرت الثقافة المذهبية وتعمقت، وتضخم نفوذ رجال الدين الرسميين، المكلفين نشر المذهب وحمايته، وتطبيق رؤاه

## نقد السلطة، المجتمع والممارسة الدينية عند الشيخ البهائي

وتصوراته، ومنح السلطة مشروعية ممارساتها، وأسست مشيخة للإسلام، ترعاه وتحرص على نشره وضمن وجوده، في رعاية مباشرة كذلك من السلطة، وتحت نظرها، وجعل العلم الديني في خدمة ترسيخ أيديولوجيا مذهبية تمنح السلطة اعتبار وجودها أكثر مما تطمح إلى الحقيقة أو المعرفة الشرعية في سياق البحث المجرد عن العلم، أو بدافع توفير شروط استثماره مستجيباً لتحديات الحياة، وأصبح رجال الدين سلطة تتطلب لنفسها على الدوام رهاناً لوجودها واستمرارها، وبقاء سلطانها واستتباب نفوذها.

وإذا كان مثل هذا الأمر قد وفر للسلطة استقرارها إلى حين، فسوف يخلق فيما بعد من حولها مشكلات جمّة وصراعات راحت تتعاضم شيئاً فشيئاً، بين تناقضات كان يحتويها الاجتماع الصفوي وينطوي عليها من أول أمره، ثم ضخمتها ظروف التاريخ والأحداث والممارسات والوقائع. صراعات بين الفقهاء أنفسهم، وبينهم وبين المتصوفة والفلاسفة، ثم صراع المتصوفة فيما بينهم الذي جرّ إلى كوارث لم يعتبر من نتائجها. بين حيدريين ونعمة اللهيين وجلالين، ليؤثر كل ذلك فيما بعد في بنیان السلطة نفسها فيضعفها... ويشتت قواها ويفككها.

### ثانياً: تجربة البهائي في هذا العهد

#### ١. البهائي والسياسة

انخرط البهائي باكراً في التجربة السياسية للسلطة الصفوية، فهو بالرغم من كونه وصل إيران يافعاً بصحبة أبيه، الحسين بن عبد الصمد الحارثي، ثم امتهن مهنة رجل الدين كوالده، لكنه كان لزاماً عليه من أول نشأته، بحكم مكانة والده الدينية وبحكم العلاقة الجذرية بين السياسي والديني في دولة تقوم مشروعيتها على الدين، أن يكون على تماس مع السياسي. وإذا كان أسلافه من العلماء كأبيه أو الكركي أو الشيخ لطف الله العامل قد اندفعوا في خدمة السلطة بحماس مؤكد، ومن غير تردد، فإننا مع

## د. خنجر حمية

البهائي سوف نقع على فتور، إذ الواضح من سيرة حياته أنه كان يعاني موقفاً مضطرباً لم يستقر به على حال إلى آخر أيامه، فهو مقرب من السلطة، مندرج في دائرة الذين وفروا لها الحماية الدينية بعلمهم وبوجودهم. وهو من جانب آخر كان ينفر من طبيعة الممارسة السياسية التي كان يراقبها عن كثب، للحكام، ولحاشيتهم، ولمدبري شؤون المجتمع من حولهم من رجال البلاد والقضاة والولاة والمباشرين وقادة الجند، وكان يلمس بيده مفاسد ما يقترفون، وسوء ما يفعلون، والظلمات التي يرتكبونها ويقدمون عليها، وانعدام القيم التي توفر العدالة وتقلل فرص الظلم والاستبداد والهيمنة. وهي قيم كان عقله الحر يؤمن بضرورة توفرها في كل اجتماع بشري يطمح إلى الرفعة والقوة والتقدم، ولقد كان يبدو عليه شيء من النقمة وهو يتحدث عن الحكام ومفاسد سلطانهم، وسوء سيرتهم، وزوال العدالة بسبب ممارساتهم، وانتهاك كرامة الإنسان وتدمير إرادته، في مواضع من الكتاب الذي بين أيدينا. وفي خلاصة القول، فإن تردد البهائي هذا بين مكانة وجد نفسه فيها بحكم طبيعة عمله وعمل والده وقربه من الحكام، وبين عقله الحر الذي يدعو إلى الانتقاد وتأمله المجرد في أحوال مجتمعه والناس من حوله وفي السلطة والدين، لم ينته قط. وظني أن البهائي لم يقدر له أن يمتلك شجاعة الموقف ليحسم خياراته، وليتخذ قراره الذي ينسجم مع رؤاه وقتاعاته وحرية عقله، نتيجة أوضاع جد معقدة ترتبط بأساس تكوينه، وبالظروف التي نشأ فيها وترعرع.

## ٢. البهائي والمشاركة العلمية

ولم تكن المكانة السياسية للبهائي، لتطغى على مشاركاته العلمية، فهو كان يملك من الإمكانيات ما يسمح له بمجاوزة السائد المألوف، ولقد كان يدرك بعمق أحوال الفكر في زمن الصفويين - يتبدى لنا شيء من ذلك في هذا الكتاب وكان يعي إلى أي مدى ساد التقليد وهيمن على العقول، وإلى أية حدود انحسر الفكر الحر المجرد عن المنافع الطامح إلى الحقيقة... وكيف تبدلت قيم الدين من قيم إيجابية تحث على العمل والمكابدة والفعل والإنجاز، وتمنح الإنسان قدرة التغيير بإرادته المتحررة

وعقله المتحفز، إلى قيم سلبية، تمجد التكاسل والعزلة، وتسلم زمام الإرادة للخرافة والأوهام والشعوذات، وتستلب العقل في إطار شامل من الجمود والتحجر.. ولأجل ذلك سخر جهداً من جهده لإعادة الإعتبار للإجتهد العقلي الحر في قبال التقليد، وللعلم في قبال الخرافة والجهل، وللتواضع في قبال الزهد الفارغ الأجوف، وللمشاركة في الأحداث بدل العزلة والتقوقع وإهدار الطاقات في طقوس شكلية لا معنى لها ولا دلالة ولا مضمون، وكثير من مؤلفاته يندرج في هذا السياق.

لكن بالرغم من كل ذلك، بقي جهد البهائي محدوداً، وذا آثار ضيقة كذلك في السياق العام لفكر عصره وثقافته، وجهوده كما من مجرد همس خجول في خضم صخب لا يتوقف، وهدير لا يكاد ينتهي.

على أن جهد البهائي الأكبر يكمن في تراثه العلمي، بالمعنى الخاص للكلمة، فهو رجل حضارة وعمران وتمدن، وكان يعرف بدقة أن الازدهار لا توفره سلطة مستقرة نافذة تملك القوة فحسب، ولا ثقافة رائجة، ولا علم ديني رتيب ومكرر، بل علم تجريبي راسخ على قدم، يقدم للمجتمع وسائل عمرانه وآليات تقدمه وتطوره وأدوات ازدهاره ورقية، في الإدارة والعمران والفض والهندسة وعلوم الحساب والفلك وعلم الطبيعة... ولقد كانت مساهماته في السياق نظرية وعلمية معاً، قدم عبرها جهوداً غير مسبوقة، سوف تبقى آثارها ماثلة إلى الآن من غير أن تحدد قيمتها التفصيلية في سياق علوم عصرها ونتاجه، ومن غير أن تدرس نتائجها بدقة واعتبار.

### ٣. البهائي في ميدان المعرفة الفلسفية

والملفت أن البهائي كان أحد أعمدة مدرسة أصفهان الفلسفية والدينية، ساهم مع الميرداماد الحسيني، المفكر والفقهاء في بلورة صورتها ورفع دعائمها وتأكيد مكانتها، والظاهر أنها إنما أسست لتكون مركز التعليم الأساسي في زمن الصفويين، وخصوصاً الشاه عباس، ولتجمع ضمنها علماء المملكة الكبار الذين يقدمون المشورة والرأي للسلطان، ويشغلون على إنتاج العلماء والمبلغين لخدمة الشريعة والعلم الديني والوعظ

## د. خنجر حمية

والإرشاد. وهي مدرسة سوف تنتج فيما بعد وفي زمن الشاه عباس أحد أعظم فلاسفة إيران الصفوية أعني الملا صدرا الشيرازي. لكننا في الحقيقة - لا نملك معرفة كافية عن مقدار مساهمة البهائي في تأصيل بنیان هذه المدرسة وفي رسم ملامح توجهاتها العلمية، ولا نكاد نقف بتفصيل على مدى مساهماته الفلسفية في ميدان التعليم والتنشئة والتربية، ولا على الجهود التي بذلها في تكوين جيل من المفكرين ذوي التطلعات الفلسفية المتحررة، خصوصاً أن أصفهان فقدت وهجها بعد أن تركها ملا صدرا بتدخل مباشر من الشاه عباس، وبتحريض من العلماء الرسميين القشريين - كما كان يقول بنفسه - وحمد نتاجها وفقدت وهجها وتألقها وبريقها.

ولا نعرف كذلك على وجه الدقة مقدار ما نهله ملا صدرا على يد البهائي من علوم المعقول، بالرغم من اعتداده بأستاذه، وإشارته إليه في غير موضع من مؤلفاته، وإقراره بما قدمه له من نفع في سياق تكوينه.

غاية ما نعرفه، أن مديح ملا صدرا له يكشف عن عقلية البهائي الفلسفية المتحررة، وذهنه الوقاد، وطموحه إلى الإجتهد والتجاوز، وموسوعية ثقافته الدينية والفلسفية والصوفية والأدبية والعلمية.

### ٤. البهائي والسلطة الدينية

شكل البهائي جزءاً لا يتجزأ من السلطة الدينية زمن الصفويين، وكان واحداً من أولئك الذين وفروا للسلطة غطاءً كاملاً لمشروعيتها ولممارساتها. لكنه لم يكن على الدوام منسجماً مع هذا الدور الذي قدر له أن يمارسه، أو أن يقوم به، إذ وجد نفسه في خضم مناخ يتنافى قليلاً أو كثيراً مع طباعه التي تميل إلى التحرر والاستقلالية، ويتعارض بشكل أو بآخر مع ملكاته التي كانت تحفزه على الدوام على تخطي المؤلف الشائع، ومع عقله النقاد الذي كان يدرك مكامن الخلط والخلل في كل ممارسة سلطة، أو في كل ثقافة، ومع قيمه التي كانت تميل به إلى التواضع الزهد، وتنفره من المناصب ولوازمها ومقتضياتها. وهو كان يرى في السلطة الدينية وجهاً آخر من وجوه

السلطة بإطلاق، وكل سلطة عنده نزاعة إلى النفوذ والاستتثار والتملك، طموحة إلى الهيمنة والإستلاب، تتطلب لنفسها الرفعة والمنزلة. هذا في الجوهر، أما في الظاهر والشكل فهو كان يرى بأم عينه ما كان يخالط هذه السلطة من ضروب الفساد وأشكاله ومظاهره، وما كان يحيط بها من أصناف الرفاهية والتزلف والكبرياء... وما كانت تولده وتدفع إليه من صنوف التنافر والتنافس على المآرب والمكاسب والمصالح.. وما كان يشوبها على الدوام من ادعاء فارغ انحط بالعلم الديني إلى أدنى مستوياته وأوهن مراتبه وأدنى درجاته، حتى زال الورع والتقوى، واندرست الفضيلة، وأصبحت الشهرة مطلباً والرزق هدفاً والاكْتساب من أي سبيل طموحاً مؤكداً، وانعدمت المقاييس التي بها يحدد الصالح والطالح، ويميز الخبيث من الطيب، وتصدى للمكانة الدينية من ليس لها أهل ولا يملك أدواتها ولا شروطها ولا يتوفر على الشيء اليسير مما تتطلبه وتستوجبه من قيم ومبادئ وقواعد. ولقد قضى البهائي - فيما يبدو - وهو يتحسر على ما أصاب العلم الديني وأهله من خمول، وما داخله من شوائب وهنات، وما اختلط به من مفسد وموبقات، يائساً من صلاح حاله واستقامة طريقه.

وهو عبر عن ذلك في الكتاب الذي بين أيدينا خير تعبير حين افترض: «أن الجهل شاع باسم العلم، وكثرت الدعاوى، وحلّ الترف وطلب الدنيا مكان الزهد والقناعة، حتى عند رجال الدين أصحاب المكانة والمنزلة، وشاع التنافس والتباغض والتحاسد والرياء والمداهنة والكذب في مثل هذا المناخ». وفي سياق هذه الحياة المضطربة في أوضاعها المشوشة في رؤاها، كتب البهائي كتابه: (التدين والنفاق)، ليكون وثيقة للتاريخ وشاهداً على الحال التي يمكن لاجتماع بشري أن يبلغها في انحطاطه وتدهور قيمه وانحلال مبادئه وسوء اختياراته، في الدين والسياسة والثقافة، وثيقة لم تبلغ حد تأسيس رؤية واضحة لمخرج يركن إليه، ولسبيل نجاة يمكن ترسمه والسير عليه.

## ثالثاً: نقد السلطة والمجتمع والممارسة الدينية من خلال كتاب:

### «التدين والنفاق»

#### ١. في الشكل:

##### أ. تكوين الكتاب، شكله وأسلوبه

كتاب التدين والنفاق، كتاب حوار يجري على لسان القط والفأر، وهو شكل من أشكال الأدب راج منذ أزمان بعيدة، وعرفه الأدب الهندي القديم، ثم الأدب الفارسي كذلك، يتوسل فيه منشؤه التلميح، على لسان الحيوانات، إلى مفاصد المجتمع والسلطة، وإلى آفات الثقافة والتدين، أعني لمالا يستطيع التعامل معه بنقد صريح أو باعتراض ظاهر، ولقد لجأ إلى مثله مصاحون لم تكن تسمح لهم الظروف بإبداء رأي حر فيما كان لهم فيه رأي من شؤون الاجتماع، وعرف التراث الفارسي المتأخر مثله- ونصنا هذا موضوع بالفارسية كما هو الحال مع ابن المقفع في كليله ودمنة- المتأثر بالتراث الهندي، أو المنحول عليه، أو المقتبس منه الذي ضمنه صاحبه الكثير من الحكم والمواعظ والأمثال والحكايات على لسان الحيوانات، قاصداً منها ترويح فكرة أو توهين رأي أو تسخيف سلوك أو اعتقاد أو الدعوة إلى قيمة.

فنصنا إذن يندرج في أدب الوعظ في معناه العام الشامل، أو في المواعظ على نحو أدق، أو في كتب الحكم والأمثال، لكنه ليس وعظاً مباشراً على كل حال، فلا هو يقرر الحكمة أو القيمة في وضوح وجلاء، ولا هو يسترسل في بيان طبيعتها وآثارها، ولا هو يستعمل طريقة متناسقة بينة صريحة في بيان منافعها وفوائدها وما يجنى منها أو يترتب عليها فيما يتصل بالإنسان والمجتمع، ولا هو يقدم موقفه النقدي بأسلوب مباشر وقاطع، بل هو يقرر كل ذلك بأسلوب حوارى يتوسل التلميح والإشارة والرمز ويوحى إلى ما يريده من طرف خفي، لا يقع معناه إلا لمن يتأمله فيما وراء الحكاية أو المثل أو القصة أو الحكمة أو الموعظة، وهو حوار كذلك يوارب ويجانب ويسير على الحواف

## نقد السلطة، المجتمع والممارسة الدينية عند الشيخ البهائي

والهوامش الضيقة، تطلباً للسلامة ورغبة في الأمن على الذات وتضليل المتربصين، إذ يستعمل الحكايات المشيرة والحوادث الملعزة المعبرة، التي تومئ من طرف خفي إلى معنى أو فكرة أو أمثلة أو قصد، من غير أن يثير حفيظة من يقصدهم، أو يشير إليه من قريب أو بعيد. ثم هو كتاب سهل يسير، يتوجه للعامة وللخاصة، ظاهره الإمتاع والتسلية، بلغة عفوية لا تكلف فيها ولا غموض، ولا صعوبة تكتنفها ولا تعقيد. فهل كان يروم المؤلف إيصال رسالة من خلال لغة كهذه إلى أكبر نسبة من القراء لغرض في نفسه يتجاوز النصيحة والنقد معاً؟ أعني هل كان يروم هدفاً إصلاحياً؟ هذا شيء مستبعد هنا.. فالكتاب ليس كتاباً إصلاحياً بالمعنى الشامل للكلمة، ولا هو يؤسس لرؤية أو يؤصل لطريقة شاملة ولموقف، ولا يبرز رسالة محددة المعالم تأخذ حلقاتها بعضها في سياق بعض، تتضمن تعاليم صاحبها ورؤاه وفلسفته في السياسة والمجتمع والدين والإنسان، وهذا شيء سنوضحه بعد قليل.

ما أراه أن الكتاب إعلان موقف، ولده إحساس بانهيار القيم وزوال المبادئ... وشيوع البدع والخرافات والأساطير المؤسسة باسم الدين وانطلاقاً منه، وترهل العقول وتكاسلها وركونها إلى جهل مقيم. وبانقياد أعمى للإرادات نحو الرؤى والشعوذات والأحلام الفارغة، ولأجل ذلك يحسن تصنيف الكتاب في سياق موعظة بليغة، وموقف يحث على الاعتبار والتأمل، وصرخة تلفت إلى مخاطر الخلل والوهن في سياق اجتماع بشري محدد يخشى عليه أن يتهاوى لتهاولي قيم الإنسان فيه ولتشوه تعاليم الدين في سياقه، من خلال الممارسة السلبية لمضامينه والفهم المشوه لأبعاده ومقاصده، وتشير إلى المزالق التي يقود إليها استبداد السلطة وفساد حالها ومجانبتها مقاصد العدل وتجاوزها حدود الكرامة البشرية. والمؤلف في سياق ذلك، يركز على معاني محددة عامة، يكرر حولها مواقفه وما يتصل بها من حكم وأمثال وحكايات وقصص، تدرج في عمومها في سياق الوعظ والتوجيه.

## د. خنجر حمية

- من ذلك نقده لعلماء الرسوم المقلدين، الذين لا يميزون بين الرأي والاجتهاد، والمتعبدین بظاهر الأحكام من غير نفاذ إلى باطنها، أو الذين يتمسكون بطقوس جوفاء لا قيمة لها ولا مغزى تكشف عنه، يكررونها بالعادة والتقليد، كما هو الحال مع المتصوفة الذين لا يجيدون من التصوف إلا حلقات الرقص والدوران والذكر الذي لا يجاوز اللسان.

- ومنها الدعوة إلى الزهد في الدنيا والتحذير من الإقبال على ملذاتها وما تدعونا إليه، إقبالاً لا حدود له، واندفاعاً لا ضوابط تقيد أو تردع عنه.

- الترغيب في العمل للأخرة وتوفير الزاد لها، والاستعداد لتقرير الميل إليها.

- ومنها نقد تعلق العوام بالأساطير والخرافات، واندفاعهم وراء القيل والقال، من غير تدبر أو تفكير أو روية فهم وتأمل عقل.

- ومنها نقد المتظاهرين بالورع والتقوى لمآرب أو أغراض أو أهداف عابرة وآنية، والذين يضعون الأحاديث ويزورون الشرائع من أجل مصالحهم وأهوائهم.

- ومنها نقد السلطة ومؤسساتها والمحيطين بها، من رجال بلاط يتقربون إلى الحكام بالخدعة والمكر، ويزينون لهم سوء أفعالهم وفساد ظلمهم وسوء حالهم، ليبقى نفوذهم وسلطانهم، ولتدوم النعمة عليهم والجاه الذي به يرفلون، فيقدمون مصالحهم على كلمة حق ينصحون بها سلطاناً أو يردونه بها عن جورهم. ومن قضاة يجافون الحق والحقيقة في قولهم وفعلهم، ويحكمون بأهوائهم حفاظاً على مكانتهم وتأكيداً للعز الذي ساقه القدر إليهم من غير موهبة يملكونها أو استعداد يتمتعون به أو منزلة يستحقونها، واستغلالاً للناس، وسلباً لأموالهم، وخداعاً للعامة منهم.

ولم يكن نقد البهائي للوعاظ الذين يتسربلون بسرابيل الورع في الظاهر، وهم أبعد الخلق عنه أقل من نقده لكل أولئك، فهم يقولون بأفواههم ما لا تصدقه أيديهم، أو

تؤمن به قلوبهم، وهم مصداق بارز لقوله تعالى: ﴿لَمْ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>. مثل هذا المقاصد سنفحصها هنا بشيء من التفصيل، مبينين أسسها والفكرة التي تقوم عليها، في فكر البهائي وثقافته ورؤيته القيمية.

ب. بنية الكتاب المعرفية والمفهومية:

يكشف النص الذي بين أيدينا عن بنية معرفية ومفهومية محددة، كانت توجه آراء المؤلف وقصصه وحكاياته وتفرضها، فهو في موقفه من السلطة يبرز مفهوماً خاصاً لها بما هي محققة للعدالة وآلة لتأكيد الحق ووسيلة لتوفير الأمن والكرامة، ينزع رجالها إلى خدمة المجتمع وتوفير رفاهيته وأسباب رقيه وتقدمه، ويسعون جهد طاقتهم في سبيل رفعتهم، يحافظون على ثروة الأمة وخيراتها، ويوازنون بين مصالح السلطان ومصالح الرعية من غير ميل أو جور أو استئثار. وسلطة، لا ترى السلطة إلا سطوة وقوة واستئثاراً بالثروة والنفوذ على حساب الرعية المهمشة والمستبعدة هي بنظره سلطة غير مشروعة.

وهو يرى كذلك الدين توازناً بين الظاهر والباطن، بين الشريعة فيما تعلن عنه وبين مقاصدها السامية وأبعادها القصية، ويعتقد بضرورة أن يكون الدين ميدان تأمل العقل الحر المجرد عن الهوى، الطامح إلى الفهم والباحث عن الحق، لأنه لا حياة له إلا بذلك.

والبهائي وهو يؤسس ذلك غمز من قناه علماء الرسوم المقلدين الذين لا يملكون قدرة الإجتهد في الدين ولا رغبة ذلك، ولا يوفرون لهذا السبيل أدواته ووسائله ولا يدركون معناه ولا منافعه.

وهو إذ يرمق مجتمعه من طرف خفي، يرى أن المجتمع ينبغي أن ينهض على العلم والمعرفة الحرة، لا على الخرافة والسحر، وأن استقامة حياة الناس إنما تكون بالركون

(١) سورة الصف الآية: ٢.

## د. خنجر حمية

إلى العمل والفعل، وإلى ما يقود إليه العقل، لا إلى حكايات الأسلاف، أو ما استقرت عليه الحياة من شعوذة مذمومة وتخيل بغيض. ومثل هذه البنية المعرفية كان يمكن لمفكر كالبهائي، أن يدفع بها إلى نهاياتها، وأن يؤسس عليها رؤية شاملة متماسكة ومستوعبة، لكنه لم يفعل ذلك، واكتفى بالإعلان عنها شذران في صميم خطاب وعظي، يكتفي بتقريرها من غير تأصيل، ويطمح إلى إبرازها من غير تبرير نظري في نسق معرفي عقلي محكم.

### ٢. في المضامين والمقاصد (على سبيل التفصيل)

#### أ. فساد السلطان وآفاته

كان البهائي يدرك ما كانت تعاني منه السلطة في زمنه من فساد مقيم، فضلاً عن الخلل الذي كان يصيب أصل مشروعيتها، فهو رأى بعينيه المآثم التي اقترفها الصفيون بحق شعوبهم، والفساد الذي كان يخترق قصورهم ويعشعش فيها، والموبقات التي كانت ترتكب تحت مظلة من التبرير الديني- المذهبي، والتجاوز الذي بلغ أقصى مداه في حق مبادئ العدالة والإستقامة، لا فرق في ذلك بين الحكام ومعاونيهم وزبائنتهم ورجال بلاطهم وقادة جيشهم وقضاتهم المعينين لتحقيق مآربهم وترسيخ مشروعية حكمهم.

والبهائي (بعلمه الواسع الغزير وذهنه الوقاد) كان يعلم جيداً أي نوع من الفساد يجر مثل هذا النمط من السلطان، وهو كان يدرك بحكم اطلاعه على تجربة الإسلام في السياسة والحكم، منذ نشوئه إلى وقته، وعلى تجربة الممالك التي كانت على مقربة منه، كيف يشرّع نقص المشروعية في السلطة السياسية الباب على القلاقل والصراعات، وكيف يدفع السلطان إلى التعويض عنه، عبر ممارسات إخضاع وهيمنة وقهر وقمع، لسد أبواب الاعتراض أو الإحتجاج احتكاماً إلى القوة المادية، ولمنع أية رغبة في التغيير أو الإنتهاض به أو السعي إليه. وعبر انتهاك منظم للحرية، وللإرادات الحرة وللعقول باسم الحفاظ على السلطة، وتأمين وحدتها. وكيف ينتهي المجتمع إثر

## نقد السلطة، المجتمع والممارسة الدينية عند الشيخ البهائي

ذلك إلى الكسل أو ما يشبهه، لتتهاوى كل أحلام الرغبة في أن يكون لها حياة أفضل. وهو كان يعرف بوضوح لا لبس فيه كيف يمكن لفساد الممارسة السياسية في دوائر السلطة من أعلاها إلى أدناها، أن يقود إلى فساد القيم وتهافت الأخلاق في الاجتماع برمته، وإلى تفشي الرذيلة وانحلال الفضيلة، وإلى زهد الناس بالعمل والمبادرة ما دام يشك في قدرتهما على إحداث تغيير.

لكن الملفت أن نقد السلطة عند البهائي (في هذا الكتاب) يتخذ أسلوب الموعظة الحسنة، وطريق الرفق واللين والمهادنة، من غير تنديد صريح أو اتهام واضح أو قسوة مندفعة، بخلاف ما سوف نراه عند مهاجمته للفقهاء أو الوعاظ أو القضاة أو الصوفية. ولعل ذلك كان منه رغبة في تجنب إشعال أي موقف ضده من سلطة قريبته طويلاً وأحسنت إليه وخدمها في مجمل تجربتها، على الرغم من مظاهر فسادها التي لم تكن لتخفى على رجل مثله، أو ملامح استبدادها الذي عمّ حتى علمه القريب والبعيد، أو نقص عدالتها الذي عايشه وعائنه في أحياء الفقراء التي كان يتردد عليها معزياً قاطنيتها مسلياً إياهم مطلعاً على سوء أحوالهم، فيما ترويه لنا كتب تاريخ العهد الصفوي. فهل كان البهائي يداري الحكام الصفويين خوفاً منهم على نفسه، وميلاً منه إلى السلامة أو ركوناً إلى الدعة والتكاسل في مسار التغيير والإصلاح الذي كان يرى ضرورته؟ أو لأنه كان يرى - كما كان يرى كثيرون - أن في السكوت على مظالم الصفويين مصلحة أكبر من مصلحة أن يصدع بالحق في وجههم، أو يعارض في العلن سياساتهم ويعترض عليها ويعرض بها ويدعو إلى تغييرها. قد يكون شيء من ذلك هو الصحيح، وقد تكون كلها وراء مثل هذه الليونة في الموقف تجاههم، فلعله لم يكن يرى في نفسه قدرة على إحداث أي تغيير في ظل مناخ عام لا يسمح به، خصوصاً أن الشيخ البهائي كان يدرك بدقة أنه لم يكن ينتمي إلى السياق العام لمنظومة السلطة في الدولة الصفوية فيما يشكل الجوهر منها، فهو مهاجر كما والده من قبل، كان ينظر إليهم كمنافسين غرباء على الرياسة الدينية والسلطان، وبالتالي لم يكن يتوفر لهم

## د. خنجر حمية

من الأدوات ما يشكل أرضية راسخة لدعوة شاملة للتغيير، ولعله كان يرى من جانب آخر أن قصد نشر التشيع وترويجه أسمى من قصد الاعتراض على سلطان في سياسة يمارسها أو سطوة بيديها أو إدارة فاسدة ينهض بها أو استبداد موقف يعلن عنه.

### ب. العلماء القشريون وشيوع البدع

ولقد كان نقد البهائي لرجال الدين أكثر حدة وقساوة من نقده للسياسيين والحكام، لأنه أدرك بوضوح ما ولده العصر في سياق أحداثه من رجال دين منتفعين مُرتزقين يتسربلون سراويل التقوى، ويلبسون لباس أهل العلم ويتزينون بزيه، ولا يملكون من العلم إلا القشور، ومن الزهد والورع إلا مظاهر خاوية وأشكال براقاة لا تتطوي على قيمة ولا تقوم على مضمون... ولقد كان يحرك البهائي نحو هذا النمط من النقد العنيف سبب وراء ما كان يحمله هؤلاء من ادعاء خادع ومن زيف، طبع حياة جماعة كبيرة من رجال الدين في عصره. وهو التنافس البغيض على المكاسب والرياسات والمصالح، يتوسلون إليها مظاهر التقديس الدينية والمناصب الشرعية والكرامات المدعاة والحيل والشعوذات، وهي أمور راحت تطغى وتشيع في البيئة الصفوية كما تنتشر النار في الهشيم، في ظل مناخ من الترهل الديني في العلم والممارسة، وفي ظل انعدام الموازين التي بها يميز الصالح عن الطالح، والعالم عن الجاهل المدعي، والزاهد عن المتزهد لغرض دنيوي ومأرب يبتغى، وفي ظل فقدان الجهة التي تملك زمام إدارة هذا الشأن استناداً إلى معايير العلم والورع الحقيقيين، وسلطة ذلك.

ومثل هذا الموقف من أنصاف المتعلمين أو علماء الرسوم، الواقفين على حدود المظاهر، المتاجرين بالدين، المتزلفين إلى السلطان، المغررين بالعامية، الجاهلين بجوهر الحقيقة الدينية وبمقاصد الدين ومعانيه وأهدافه، الخالية قلوبهم من العرفان، الطامعين في المناصب، يتوسلون إليها مظاهر الزهد الخادعة، وعلامات التقوى الموهمة المضللة، يكرره البهائي في كثير من كتبه. ففي شعره الفارسي مثلاً ينعى على أنصاف المتعلمين وقوفهم على الظاهر وإعراضهم عن جوهر الإسلام فيقول: «الذين

قلَّ علمهم وختل قلوبهم من العرفان، والذين يدعون ما لا يعرفون، ويستغلون مناصبهم من أجل مآربهم الخاصة»<sup>(١)</sup>

وفي كتاب التدين والنفاق، يرى البهائي أن العالم الحقيقي هو الذي يجمع إلى علمه الزهد والورع والتقوى، وأن من لا حظ له من الزهد لا ينفعه علم. يقول الفأر للقط مثلاً الذي يتظاهر بالعلم في حوار معين: «إن الزهد من خصائص المتدينين، وأنا لا أرى ذلك منك»<sup>(٢)</sup>.

ويقول في الكشكول: «فسد الزمان وأهله، وتصدر للتدريس من قل علمه، وكثر جهله»<sup>(٣)</sup>

وهو في نص موحٍ كذلك، في التدين والنفاق بلسان القط والفأر يبين كيف يستغل العلماء معاونيهم في سبيل مآربهم الضيقة، ومصالحهم العابرة، ومقاصدهم الخاصة، فيقول على لسان القط الذي يفكر في طريقة يسيطر بها على الفأر ويستغله - والقط هنا مثال العالم المستغل لعلمه، المتظاهر بالمعرفة -: «سأسيطر عليه وأخذه بالحجة مستنداً إلى الأدلة الشرعية، وإن لم يكن هذا ممكناً فسأورد أقوال المتصوفة وأقبض عليه...»<sup>(٤)</sup>.

وأسوأ من هذا كله بنظر البهائي، العالم الذي لا يعمل بعلمه، ويقول ما لا يفعل، ويبطن ما لا يظهر. وهو يقرر ذلك على لسان الفأر، حينما يكثر القطُّ من الوعظ وادعاء الشك والزهد والقناعة والاكتفاء بالوحدة واتخاذ الصبر مذهباً، فيقول: «أنت طالب علم، ولكن لم لا تعمل بما تقول؟، لم تقولون ما لا تعملون»<sup>(٥)</sup>.

(١) كليات آثار وأشعار بهائي، تج سعيد نفيسي، طهران، ١٩٨٢م. (نان وحلوى)، ص ١٢٢-١٥٦.

(٢) وفي كتاب التدين والنفاق ص ٤٥.

(٣) كشكول البهائي (ص ٢٦ الأعمى، بيروت ١٩٨٣م، ج ١، ص ٢٠٨).

(٤) (التدين والنفاق، ص ٤٧).

(٥) «(التدين والنفاق، ص ٥١).

## د. خنجر حمية

. وكما ينتقد البهائي هؤلاء لسوء سلوكهم وفساد طويتهم، ولاستغلالهم الدنى للدين، ولادعائهم الأجوف للزهد والقناعة وسعة العلم، فهو ينتقد كذلك رواة الحديث الذين - جهلاً منهم وقلة دراية - يروون ما لا يقبله عقل ولا يدعمه نص موثوق من كتاب أو سنة، ويتزيدون في الرواية اعتقاداً منهم أنهم يحسنون صنعاً، يقول البهائي على لسان الفأر مخاطباً القط: «إن الأحاديث التي تذكرها مروية فعلاً، ولكنها غير مقبولة عقلاً». ويروي القط، المدعي للعلم، روايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترغب الفأر في الكرم وحسن الضيافة، ثم يزيد عليها بما يكفل له إقتناع الفأر بإعطائه ما يحتاجه وينسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك، مع أنها تنضح كذباً أو مبالغة<sup>(١)</sup>.

ويسخر البهائي من الإخباريين وعلماء الرسول لشدة جهلهم وبساطة عقولهم، ولأنهم عاجزون عن أن يميزوا الصالح من الطالح، والصحيح من الكاذب من الأخبار، والعلم من الجهل، ولأنهم يخلطون فيما يروون بين المتعارضات، ويجمعون الأحاديث المتناقضة في مكان واحد، من غير روية عقل ولا تبصر فهم ولا دراية علم. فحينما يروي الفأر مثلاً حديثاً في فضل مشورة النساء يعارضه القط بحديث يناقض رأيه، ثم يروي كل منهما قصة مختلفة موضوعة تؤيد مذهبه، تشيع بين العامة، وتتساق وراءها أذهان الجهال، الذين يؤمنون بالخوارق والمعجزات والسحر. يقول الفأر: «إذا قلت إنني استخرت القرآن لن يصدقني - يقصد القط - وإذا قلت استشرت العلماء، سيقول: لا قيمة للاستخارة بغير القرآن، وسيقول: من أين جئت بالعلماء، لذلك سأقول له: إنه قد ورد في الحديث»<sup>(٢)</sup>.

والعالم الظاهري، المتمسك بظواهر النصوص، يشبهه في سوئه العلماء المغرورون المتكبرون على الناس، المتكلمون للمكانة والمهابة والتبجيل، والذين يطمحون إلى

(١) (التدين والنفاق، ص ٨٤).

(٢) (التدين والنفاق، ص ١١٧، وص ٨٤).

انقياد الناس لهم وخضوعهم بين أيديهم، والذين امتلأت نفوسهم بالغرور والكبر. ويعبر البهائي عن طبيعة هؤلاء ورغباتهم على لسان القط فيقول: «إن من لا يحب طالب العلم لا دين له ولا إيمان، وكل من رفض العلماء رفض الأئمة والرسول، ورفض أوامر الله، والكتب المنزلة والملائكة والأحكام والثواب والعقاب.»<sup>(١)</sup>.

وهو ينتقد العلم الناقص الذي يفاخر به أصحابه على لسان القط فيقول: «أيها الفأر يجب أن تعاني الكثير من التعب والألم في خدمة علماء الدين لتعرف مسألة عقلية واحدة وتتعلمها لكي لا يعدك الناس من الجهلة، قليلي الإدراك، لأن الذين أصبحوا علماء تبعوا كثيراً، قبل الوصول إلى الطريق الصحيح، ويتابع معلقاً: «إن بعض مدعي العلم ما إن يحفظوا حديثاً أو آية حتى يلجأوا إلى الجدل والبحث العقيم في السوق والمدرسة والمسجد، وهذا الأسلوب غير مستساغ لدى العلماء الحقيقيين»<sup>(٢)</sup>.

### ج. الطرق الصوفية، وفساد القيم الإيجابية للدين

وفساد الممارسة الدينية، لا تقتصر على فساد العلم الديني وأهله، بل تتجاوزته إلى الممارسة الشكلية للطقوس والعبادات، وإلى استغلال مظاهر دينية من أجل تشويه عقول العامة وإفساد طويته وتعطيل قدراتهم وطاقاتهم وترويج الخرافة والسحر بينهم. وهذا إنما يتحقق مثلاً في مظاهر التقديس الفارغ للأشخاص والرموز، ونشر ثقافة الرقى والتعاويذ والرجم بالغيب والبحث عن الغيبات والمستور وادعاء علم الرؤية والسماع. ومثل هذه الممارسة تجسدت خير تجسيد (حسب البهائي) في التصوف الكاذب الذي يتوسل الزهد الشكلي ومظاهر الورع المضلل والفتنة، طريقاً إلى قلوب الناس وعقولهم، وإلى ترسيخ سلطان روجي مزيف على الإرادات، يدعي النطق باسم المقدس والحكم استناداً إليه والزعامة نيابة عنه. ومثل هذه

(١) (التدين والنفاق، ص ٨٢).

(٢) (التدين والنفاق، ص ٨٩ و ص ١٢٢).

## د. خنجر حمية

المظاهر عاينها البهائي بنفسه وعاش تجاربها في محيطه القريب، في طرائق صوفية راسخة ومنتفذة، بعضها قام عليه سلطان الصوفيون أنفسهم، كالتقليد باش أو أصحاب القبعات الحمراء، الذين انقلبوا، بعد تزايد نفوذهم، إلى طائفة تسعى وراء مكانتها وتطمح إلى إرضاء أهوائها ومصالحها، تتوسل في سبيل ذلك أسوأ الأساليب وأحط الطرق، وهؤلاء لا يأتي الخطر منهم (حسب البهائي) من سوء ما هم عليه من مسلك أو رأي أو ممارسة فحسب، بل كذلك من تعلق العامة بهم وجريهم خلفهم، وانصياعهم في إثر رغائبهم وتقديسهم لأشخاصهم. ولقد جرّ نفوذ الصوفية في زمن الصوفيون إلى صراعات دموية، لم يقدر لها أن تنتهي إلا على ويلات لا توصف، وعلى فتن أخذت في طريقها الفقهاء والمحدثين، الدراويش والزهاد والعباد، الفقهاء والمحدثين، وجذبت إليها آلاف المحتالين والدجالين والمشعوذين والمستهترين، ووقع فيها الفلاسفة، إشراقيين ومشائيين، والعلماء، مجتهدين وأخباريين، وشاعت التهم بالكفر والنفاق والفسق.. وانتشر العمل بالتجيم والسحر، والأخذ بالأساطير والأوهام.

لقد ترك نفوذ المتصوفة (إذن) آثاره على غير صعيد، في الثقافة والسياسة، الدين والمجتمع، العلم والفلسفة... إلخ، وولد مناخاً لم يكن يمكن لسلطة ناشئة أن تكون بمنأى عنه، فضلاً عن أن تكون قادرة على إيقافه أو التحكم به.

ولقد راجت في مثل هذا المناخ المضطرب البدع والشيع، وشاع الدجل وانتشر الدجالون، وتحلق حولهم أتباع مندفعون غرائزيون، روعوا العامة وأشاعوا فيها الخوف والرعب. حصل ذلك في إيران نفسها، وفيما جاورها من بلدان أو أصقاع كانت على صلة وثيقة بأحداثها، كما حصل في الأناضول أيام السلطان سليم العثماني، حينما أظهر الجلاييون بدعتهم، وانتقلوا إلى إيران زمن الشاه عباس بعد مقتل زعيمهم. أو كالنقطوية، بدعة محمد نامي، الذي سكن أحد مساجد قزوین زمن طهماسب، وأطال لحيته متظاهراً بالتقى والدين، واشتهر أمره، والتف حوله الناس. وهي بدعة قضى

## نقد السلطة، المجتمع والممارسة الدينية عند الشيخ البهائي

عليها طهماسب واختفت زمناً، ثم عادت إلى الظهور زمن الشاه عباس، مما اضطره للقضاء عليها بلا رحمة والقبض على رؤسائها.

والسلطة الصوفية نفسها ادعت نسباً صوفياً وفاخرت به، ونشرته في العامة، ورسخته في أذهانهم، واستندت في حكمها إليه، وارتقت من خلاله إلى حدود رفيعة من القداسة والمهابة، مما جعل العامة تعامل ملوكها معاملة المعصومين، وتتصاع لإرادتهم بلا تردد أو تشكيك، وتتسب إليهم الكرامات والمعجز، كشفاء المرضى وعلم الغيب وأن دعاءهم مستجاب وأنهم يفتحون الأبواب الموصدة. حصل ذلك مع الشاه عباس الذي عرف بالبطش والشدّة والقسوة حتى على أقرب المقربين إليه. ونسب الكثيرون الخوارق إلى جده طهماسب، وقبله إسماعيل مؤسس الدولة الصوفية. فلقت رفعت العامة هؤلاء إلى رتبة القديسين المالكين لمصير البشر القادرين على التصرف بالأقدار العالمين بالغيب. استناداً إلى نزعة صوفية راحت تتفشى وتطفى على العقول فتعطلها، وعلى الفكر فتشلّه، تنشر ثقافة التواكل والعجز والتسليم، وترسخ قيم الخوارق والشعوذات والكرامات، مقصية العلم إلى الهوامش، مغيبة العقل، معطلة الطاقات والإرادات، ساجنة الإبداع في إفسار لافكك منه، ممجدة الجهل والدعوات المزيفة الفارغة والرؤيويات والنبوءات والأحلام.

ولقد كان البهائي يدرك إلى أي مدى يخلخل هذا النمط من الثقافة الدينية جوهر ما يقوم عليه الدين من مبادئ وقيم، ويدرك كذلك المفاصد التي تولدها مثل هذه الظواهر الخطيرة في حياة البشر، وإلى أي درك من الإنحطاط والتخلف والجهل يمكن أن تقودها. ولأجل ذلك كان نقده للتصوف، أو لظاهرة التصوف الشكلي، عنيفاً، لا فرق بين الظاهرة وبين آثارها وممارساتها التي ولدتها في سياق نشوئها وترسيخ وجودها واكتمالها.

ولقد أشار البهائي في طرف خفي، إلى التأثير المدمر لما تروجه الصوفية من أخلاق زائفة وعلم مدعى وزهد مصطنع وتقفى يخفي وراءه رغبة عارمة في الجاه والمال

## د. خنجر حمية

والسلطان، ويتخذ من الدين ذريعة لدنيا، والتقوى وسيلة لجشع، والزهد آلة لاكتناز الثروة، فهؤلاء بنظره: «يدعون الزهد والتقوى من أجل العز والجاه، ويعتمدون المكر والخديعة والحيلة لتسخير العوام، وإغواء السلطان، ويلبسون لباس الدرواويش، ويتظاهرون أنهم من أهل السلوك، ولكن التقوى الحقيقية ليست بما يلبس الإنسان، وإنما بما يعتقد، ولا يصل الساعي إلى الحق إلا إذا كان ظاهره كباطنه.»

وهو يعرض بهم في كتاب التدين والنفاق، بلسان القط فيقول: «أيها الفأر، إن من يعد نفسه من أهل الحقيقة يجب أن يبتعد عن دنس الدنيا، ومنازع النفس الأمارة والهوى، لأن أنفاس الدنيا.. إلخ»<sup>(١)</sup>.

ويعرض كذلك بمظاهر التصوف الشكلية على لسان الفأر فيقول: «أنا ماهر في التصوف إلى درجة عالية، فإذا استطاع شخص أن يدور دورة واحدة، فأنا أستطيع أن أدور ثلاثين أو أربعين دورة» فيجيبه القط متهماً: «ألا تعلم عن التصوف سوى الدروان؟ إن القفز والدوران والسماع والكذب ليس من العقل والكرامة»<sup>(٢)</sup>.

والبهائي يصف إقبال هؤلاء على الدنيا ولوعهم بها على لسان الفأر فيقول: «أنا أيضاً من أهل التصوف، وهذه الفرقة لا تقتصر على أكل (نعمة الله)... وهم في أثناء الإعتكاف والسلوك لا يأكلون سوى الخبز والشعير والخل، وأحياناً لا يأكلون شيئاً، أما إذا كانوا في ضيافة، فإنهم يأكلون إلى الحد الذي تبقى فيه بطونهم ملأى إلى اليوم التالي»<sup>(٣)</sup>.

وهو ينتقد ادعاءاتهم المعاجز والكرامات فيقول على لسان القط: «إن ما ذكرته أيها الفأر من كرامات المتصوفة، محض خرافة، وأن الناس الذين يؤمنون بهذه

(١) (التدين والنفاق، ص ٧٨).

(٢) (م.ن، ص ٧٩ و ٩٦).

(٣) (م.ن، ص ٨٠).

الخرافات جهلة ولا عقل لهم»<sup>(١)</sup>. «وهم يمارسون ديناً خاصاً قائماً على الشعوذة، ويقولون كلاماً لا يؤيده عقل ولا نقل، وإنما هو مبني على التقليد وهوى النفس وخداع الشيطان»<sup>(٢)</sup>. «وهم إنما يحدث لهم ذلك من أثر الشراب والترياق الذي يشعر الجاهل بسببه بجذبة يشمئز منها العلماء العقلاء، ومثل أولئك المجذوبين كمثّل رجل في بحر عميق بعيد القرار، وهو بلا يدين أو رجلين، ولا يعرف السباحة... وأدعياء التصوف أولئك، ألقوا أنفسهم في بحر الفكر العميق والخيال البعيد، دون أن يستعينوا بسفينة الشريعة، أو قارب الحقيقة، وبدون ملاح العلم، والربان المرشد، وهو يجهلون السباحة، فوقعوا فريسة تمساح الشيطان، في دوامة بحر البطلان...»<sup>(٣)</sup>. والبهائي إذا كان ينتقد المتصوفة بهذه القسوة للأفات التي تجلبها دعوتهم، فهو ينتقد بنفس الدرجة من يجري في إثرهم ويتبع خطواتهم من مريدهم، الذين يصفهم بالحمق لتصديقهم دعاوى شيوخهم، واعتبارهم كلام مرشدهم أعظم من كلام عيسى عليه السلام، وأن دعاءه مستجاب.. إلخ. وهؤلاء ما إن يصدقوا ذلك من مشايخهم حتى يدخلوا في طريقهم ويبتلوا بشطحاتهم وأكاذيبهم وخرافاتهم، ويصبحوا أسرى الظن والوهم. والأحمق الجاهل الأعمى قليل الذوق والإحساس، كما هو حال هؤلاء المريدين، لن تجلوا الحقائق الإلهية صداً عقولهم وشعورهم، وهم لا يحصلون مما يمارسون سوى الهم والغم والنحول.. إلخ.

ولا ينبغي استناداً إلى مثل هذا الموقف الشديد القسوة من التصوف أن نفهم رفض البهائي للتصوف في جملته، فلقد كان هو نفسه صوفياً بمعنى ما، إذا فهمنا التصوف نمطاً في العيش يغلب عليه الزهد والورع والتقوى وتجنب الانغماس في ملاذ العيش وأطايبه، إذ البهائي كان على شيء من ذلك معتد به في تجربة حياته، أو إذا ما فهمنا

(١) (م.ن، ص ٨١-٨٢ وص ١٣٣ و١٣٦).

(٢) (م.ن، ص ١٤١).

(٣) (م.ن، ص ١٤٨-١٤٩).

## د. خنجر حمية

التصوف رؤية قلبية تمتلئ بها النفس بجلال الوجود الإلهي وجماله، كما كان الحال مع متصوفة كبار كان البهائي يجللهم ويقدر تجربتهم ويستشهد بها، ولقد كان البهائي نفسه على شيء من ذلك قل أو أكثر، نطقت به أشعاره العرفانية الوجدانية العميقة، سواء منها الفارسي والعربي. ما كان ينتقده إذاً هو التصوف الشكلي، أو ما كان ينتشر ويروج باسم التصوف من طرق شعوذة وطقوس شكلية، راحت تترسخ منذ زمن في بيئة المسلمين مترافقة مع خواء وانحدار في القيم الأخلاقية لا سابقة لهما، ومع انهيار لمكانة العقل ودوره ولقيمة المعرفة، ومع اختلال في الممارسة السياسية وتشوه في المعارف الدينية والمعتقدات... ما أعنيه باختصار هو أن البهائي كان يقصد الطرق والشعوذات، ودعاوى الكرامات والرؤى والأحلام والخوارق والعلم بالمغيبات وما شابه ذلك، مما كان له أبرز الأثر في مسار التجربة التاريخية للمسلمين وفي مسار حضارتهم.

### د- الوعظ والطريق الوسط (على سبيل الخاتمة)

كل شيء إذن - كان يشي في عصر البهائي بالتطرف، تطرف في الدين، وتطرف في السياسة، وتطرف في الزهد، وتطرف في الطقوس، وتطرف في الجشع واندفاع في الغرائز. ولم يكن البهائي يجد مخرجاً من ذلك إلا باتباع الوسطية والإعتدال طريقاً يقلل من أخطار الانحراف والتزمت والتفوق والغلو، فراح يدعو إليها بلغة الواعظ الذي يدرك عمق الأزمة، لكنه لا يملك حلولها الواقعية. والوعظ موقف شعور أكثر مما هو موقف عقل، وموقف تأوه وإحساس مأزوم يشي بالعجز والإحباط أكثر مما هو إرادة شجاعة للتغيير، مع وضوح رؤية وثقة موقف. والبهائي يعلن عن الوسطية وطبيعتها من خلال تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام، فيقول: «إن جماعة لا هم لهم سوى الدنيا وجمع المال والمنازل.. وجماعة انصرفوا إلى العمل من أجل الآخرة، ونفضوا أيديهم من الدنيا، وهم ليل - نهار يتأسفون على سوء أحوالهم، ولا يفكرون إلى في الحياة الثانية، وجدوا الخلاص في الإبتعاد عن الناس، وفي الإعتكاف في زوايا النسيان، والإنسان الذي يختار العزلة، ويقفل على نفسه الأبواب محروم ويأئس من جميع

## نقد السلطة، المجتمع والممارسة الدينية عند الشيخ البهائي

---

الكمالات، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير الأمور أوسطها»<sup>(١)</sup>. فهل كانت تهيدة البهائي تلك تهيدة يأس من تغيير الحال؟ وهل قدر لها أن تجد صدى في عالم مضطرب مندفع نحو انهياره (كما كان حاله زمن الصفويين) المحتوم على غير صعيد؟ وهل كان يمكن له، عبر هذا الصوت الخافت المعترض من طرف خفي على أوضاع عصره، أن يقول واثقاً: «الله إني قد بلغت».

---

(١) (التدين والتفاف، ص ١١١-١١٣).

# العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني

## د.علي نور الدين<sup>(1)</sup>

### عراقة التواصل بين لبنان وإيران:

بَلَّغَ الْعُلَى بِكَمَالِهِ كَشَفَ الدُّجَى بِجَمَالِهِ  
حَسُنْتَ جَمِيعُ خِصَالِهِ صَلُّوا عَلَيْهِ وَآلِهِ

هذان البيتان، اللذان تغلغلا في وجدان الفكر العربي، منذ أكثر من سبعة قرون... هما للشاعر الفارسي الكبير سعدي الشيرازي (ت سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م)<sup>(٢)</sup>، وما هما في حقيقة الأمر، سوى حلقة من حلقات التواصل الكثيرة، التي جمعت بين إيران والعرب على وجه العموم... وبين إيران ولبنان على وجه الخصوص.

وهذه العلاقة بين لبنان وإيران وخلافاً لما قد يتوهمه البعض هي علاقة موعلة في أعماق الزمن، وبالأخص، بعد أن جمعتهما الجغرافيا في زمن داريوش الأول (٥٢٢ -

(١) أستاذ في الجامعة اللبنانية.

(٢) - شيخ شيراز سعدي: «كُلستان» ص: ٢٩ تصحيح متن وشرح لغات: حسين استادولي، چاپخانه شفق،

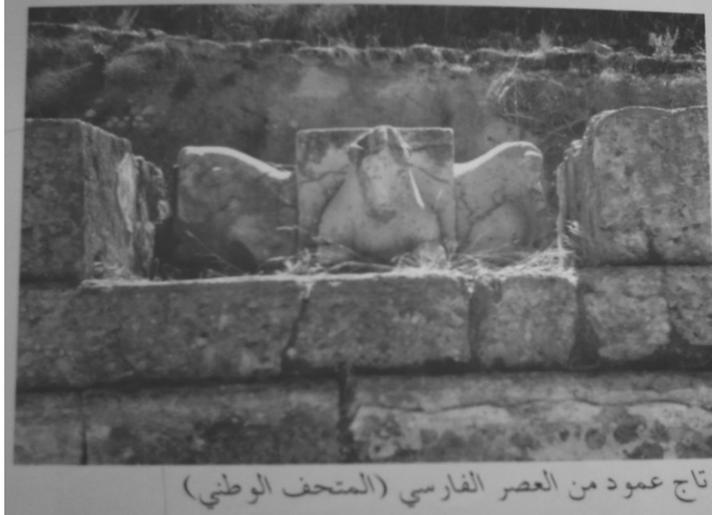
تهران، ١٣٧٦ هـ.ش.



## أدلة أثرية:

ولعل الآثار المكتشفة في المناطق، والمدن اللبنانية المختلفة... والتي تعود إلى الحقبة الفارسية الإخمينية (٣٣٥-٥٣٨ ق.م.) هي خير دليل على ما ذهبنا إليه، وذلك، كما في:

صيدا: فقد لعبت صيدا (على سبيل المثال) إلى جانب صور، دوراً بارزاً في أيام الدولة الفارسية... سيما أنها كانت تمتدُّ الفرس أيضاً، بالمراكب والبحارة. لِفرض سيادتهم على الحوض الشرقي للبحر المتوسط، على حساب المصريين والإغريق. فما كان من الفرس، إلا أن ردّوا الجميل إلى صيدا، وأقاموا فيها للحاكم، قصرًا على طراز القصور الملكية الفارسية، التي أنشأها داريوش الأول في عاصمته «پرسپوليس»<sup>(١)</sup> (أنظر الصورتين رقم ١ و٢)، وكما أنشأوا فيها محمية طبيعية ذاع صيتها، كانت تعجّ بالحيوانات الغريبة.



صورة رقم ١ من معبد اشمون (صيدا)

(١) - تقع «پرسپوليس» على بعد ٥٧ كلم إلى الشرق من شيراز، وما تزال آثارها الفخمة، تشهد بعظمة تلك الامبرطورية. أنظر حولها: «پرسپوليس، پایتختِ هخامنش» انتشارات فرهنکسرای میردشتی، تهران، ١٣٨٦ هـ.ش.



من أطلال قصر داريوس في برسبوليس

### صورة رقم ٢

وما يؤكد على مكانة سيدها المميزة، في الإمبراطورية الفارسية، آنذاك (فضلاً عن النصوص التاريخية) تلك الآثار المهمة التي تعود إلى تلك الحقبة... والتي لا تتوقف عن الظهور في العديد من أحياء سيدها، ومنها على سبيل المثال: النواويس «المقببة» التي اكتشفت سنة ٢٠٠٤ في مغارة مدفنية في «حي الدكرمان» (أنظر الصورة رقم ٣)، كذلك، الرقيم المسمارية، التي اكتشفت منذ سنتين تقريباً، في «حضرة الفُريير»، قرب «البوابة الفوقا»، والتي يعود تاريخها إلى تلك الفترة أيضاً.



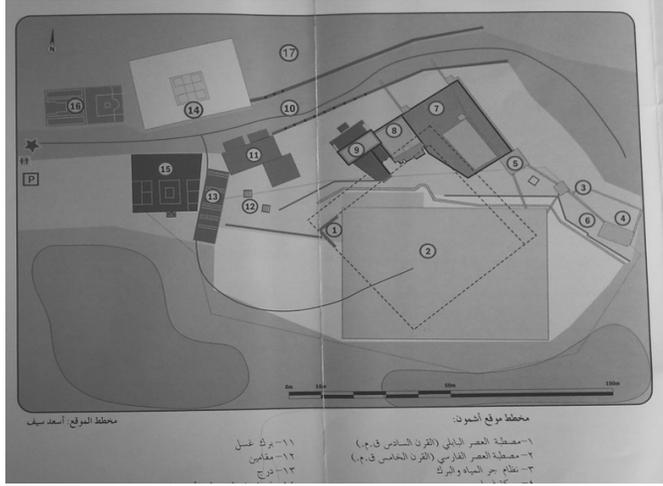
صورة رقم ٣ (نواويس حي الدكرمان - صيدا)

ولعل الشاهد الأهم في هذه المدينة، يقع في «معبد أشمون»، الذي بُني في أثناء تلك الحقبة المشرقة من تاريخ صيدا، حيث ما زالت مصطبة العصر الفارسي، تُعتبر من أهم وأكبر الأقسام المتبقية حتى اليوم، في أطلال ذلك المعبد... (أنظر الصورة رقم ٤ ومخطط المعبد «منشورات وزارة السياحة»).



صورة رقم ٤ (معبد اشمون)

## العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني



جبيل: وما ينطبق على صيدا، يسرى مثله على مدينة جبيل أيضاً... حيث عثر في حفريات المدينة على بقايا تعود إلى الحقبة الفارسية. بيد أن أبرز هذه البقايا على الإطلاق، هي القلعة الفارسية، التي ما تزال جدرانها الضخمة، منتصبة إلى جانب السور القديم للمدينة. مما يشير إلى الدور الخطير الذي لعبته جبيل، على خارطة النظام الدفاعي الفارسي، على الحوض الشرقي للبحر المتوسط. (أنظر صورة المخطط الأثري لقلعة جبيل).



غابة الهرمل: ليست الآثار المكتشفة في المدن الداخلية اللبنانية، كبعلبك والهرمل وغيرهما... والتي تعود إلى الحقبة الفارسية أيضاً، لا تقل أهمية عن مثيلاتها في مدن الساحل اللبناني... غير أن ما أود التركيز عليه هنا، هو غابة الأرز والصنوبر، وغيرهما من الأشجار الضخمة، التي كانت تغطي الجبال المحيطة بالهرمل، فكما تباهى الملوك الآشوريون والبابليون في سجلاتهم التاريخية، أو في نقوشهم الصخرية في محيط هذه المدينة (وخصوصاً في برّيسا وأكروم)... من أنهم جلبوا إلى آشور وبابل، جذوع الأرز والصنوبر المقطوع من الغابات اللبنانية... كذلك تباهى الملوك الفُرس... حيث أن أجزاء كبيرة من القصور الملكية التي بناها داريوش الأول في عاصمته الجديدة «پرسپوليس»... هي من خشب الأرز والصنوبر الذي حمل من هذه الغابة اللبنانية: بل لقد حول الملوك الفُرس هذه الغابة إلى «محمية ملك الملوك»، حيث تركت العهدة والعناية بها، للمسؤولين الملكيين فقط. ولا يستبعد المؤرخون، أن يكون تجرؤ المدن الفينيقية (وقد أتحدت في فيدرالية في طرابلس) على تأمين الخشب لبناء أسطولها البحري، من «محمية ملك الملوك»... قد أدى إلى اهتزاز التفاهم الضمني، الذي كان قائماً بين الفرس والفينيقيين. ومن ثم إلى ثورة هذه المدن الفينيقية ضدهم، سنة ٣٥١ ق.م. الأمر الذي انتهى بإحراق صيدا وتدميرها، لأخذها المبادرة في إشعال هذه الثورة.

### التواجد البشري الفارسي:

قبل الفتح العربي: وكما استمرت الآثار الفارسية في التواجد فوق أرض لبنان منذ القرن السادس قبل الميلاد وحتى اليوم... كذلك، فإن العنصر البشري الفارسي لم ينقطع عن التواجد بين ظهرانينا منذ ذلك الحين وحتى عصرنا هذا (٢٠١٢م). ويذكر التاريخ، أنه حتى بعد الحملة التي قادها الإسكندر المقدوني (٣٢٣ ق.م.) ضد الامبراطورية الفارسية في الشرق (سنة ٣٣١ ق.م) والتي انتهت بالقضاء على

## العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني

هذه الإمبرطورية وإحراق عاصمتها « پرسپولیس » ( سنة ۳۳۰ ق.م.)<sup>(١)</sup> إستمر الوجود الفارسي مكثفاً في لبنان.

كما يتحدث التاريخ، عن معارك كثيرة جرت في الربع الأول من القرن السابع الميلادي، بين الفرس والبيزنطيين في السواحل اللبنانية، بعد أن كان الفرس قد عززوا تواجدهم في بلادنا في فترات سابقة، خلال حكم الدولة الساسانية ( ۲۲۴ - ۶۵۱ م) ... وإلى قبيل الفتح العربي ( أي حتى سنة ۶۲۸ ميلادية )<sup>(٢)</sup>.

بعد الفتح العربي: إستمر التواجد البشري الفارسي في بلادنا خلال الفتح العربي للبنان، وتشير كتب التاريخ، إلى أن القائد العام للجيش العربي الإسلامي أبا عبيدة بن الجراح، عندما فتح بعلبك سنة ۱۴ هـ / ۶۳۵ م... قد أعطى الأمان لأهل هذه المدينة «رُومها وفرسها وعربها»<sup>(٣)</sup>.

ومع توسع الفتوحات في بلاد الشام، وخروج كثير من سكانها الروم مع الجيش البيزنطي... خلت الثغور اللبنانية ممن يدافع عنها، الأمر الذي دفع بمعاوية بن أبي سفيان، إلى استقدام جماعات من الفرس، وإسكانهم في مدن الساحل، وغيرها من الأماكن التي خلت من سكانها الأصليين<sup>(٤)</sup>.

ولم ينقطع هذا التواجد الفارسي على منطقتنا لأسباب كثيرة ومتنوعة... وبالأخص، أن بلاد فارس، قد أضحت من أهم الولايات في الدولة العربية، في العصرين الأموي والعباسي، وبات العنصر الفارسي من أهم العناصر الفاعلة فيها، والمدافع عن بلاد

(١) - أنظر: د. سامي سعيد أحمد، رضا جواد الهاشمي: «تاريخ الشرق الأدنى القديم، إيران والأناضول» ص

۱۲۹ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، لا تاريخ.

(٢) - كان الفتح العربي للمناطق اللبنانية بين سنتي ۶۲۳ - ۶۳۶ م بقيادة ابي عبيدة الجراح.. أنظر: محمد علي مكي: «لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني». ص ۱۲ - ۲۹، دار النهار، بيروت، ۲۰۰۶ م.

(٣) - البلاذري: «فتوح البلدان» ۱۲۶، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ۱۹۵۹ م. أنظر: «لبنان من الفتح العربي» ۲۴ م.س.

(٤) - أنظر: «لبنان من الفتح العربي» ۲۲ م.س.

المسلمين ومصالحهم. وفي هذا الإطار يذكر أحد المؤرخين البيزنطيين (الروم) المعاصرين للامبرطور البيزنطي جان (يوحنا) رمسيس والمعروف عند المؤرخين العرب باسم «ابن الشمشقيق» (ت. سنة ٩٧٦م)، أن هذا الأخير، عند هجومه على الساحل اللبناني سنة ٩٧٥ م «كانت أمامه الجماعات الإسلامية والأرمنية والفارسية...»<sup>(١)</sup>.

كذلك، فإن المماليك الذين حكموا مصر وبلاد الشام (ومنها لبنان) رَدْحاً طويلاً من الزمن (١٢٥٤-١٥١٦م) ... كان أغلبهم من الأتراك والأذربيجانيين والمغول والفرس. أضف إلى هذا، أن هؤلاء المماليك، ومن قبلهم الأيوبيون الذين كانوا يحكمون بلادنا... استنجدوا خلال صراعاتهم مع الصليبيين، بالقبائل الكردية والتركمانية والإيرانية المحاربة. فلا عجب بعد هذا، إذا ما رأينا الشاعر الفارسي الكبير، سعدي الشيرازي، يسقط أسيراً في أيدي الصليبيين، وهو يدافع عن مدينة طرابلس اللبنانية<sup>(٢)</sup>.

أما في القرون الأخيرة، فقد كان للوجود الفارسي في لبنان أسبابه المتنوعة، وعلى كل المستويات، وفي مختلف المجالات... لذلك، ليس من الغرابة، أن نلاحظ اليوم، وجود كثير من أسماء العائلات اللبنانية العريقة... من أصول إيرانية، مثل: العجمي، الإيراني، الأصفهاني، الشيرازي، القزويني، الهمذاني، الميرزا، الآغا، وأغابي، همدر، زنكر، حمادة، عسيران، لواساني، سمسارزاده وغيرها... كما لا يخفى أن عدداً لا بأس به من الإيرانيين، يقيمون في لبنان الآن، بسبب مصاهرتهم لعائلات لبنانية... أو بسبب أعمالهم التجارية، أو بسبب الدراسة.. أو غير ذلك.

(١) - ن.م. ٩١.

(٢) - د. أحمد لواساني: «الروابط العربية الإيرانية»، مجلة «الرصد» عدد ٦٠ ص ٦٨ - ٩١، المستشارية الثقافية الإيرانية، بيروت، ١٩٩٦م.

## تنوع العلاقات التاريخية بين لبنان وإيران:

الواقع، إن العلاقات التاريخية التي وثقت عُرَى التواصل بين البلدين، أو التي ما زالت تربطهما... هي علاقات متنوعة، تختلف في قوتها أو ضعفها، في ديمومتها أو انقطاعها... بين عصر وعصر.. تبعاً لطبيعتها والظروف المحيطة بها، أو المؤثرة فيها. ومن أهم هذه العلاقات:

**العلاقات السياسية:** لم تكن العلاقة السياسية بين إيران ولبنان قبل الفتح العربي واضحة المعالم، لأن لبنان لم يكن في يوم من الأيام دولة مستقلة، بل هو على الدوام، جزء من هذه الامبرطورية أو تلك، أو خاضع لوصاية دولة ما، لذلك، فإن علاقاته السياسية مع الآخرين، كانت تحكمها علاقة السيد بالمسود.

أما بعد الفتح العربي وانتشار الإسلام، فقد تبدل الوضع تماماً، لأن كليهما (لبنان وإيران) بات جزءاً من الدولة العربية الناشئة، وبالتالي صار تنقل الأفراد بين هذا الجزء وذلك.. هو تنقل المواطنين داخل الدولة الواحدة.

وإستمر الواقع كذلك، إلى أن بدأت الدولة العباسية في التفكك في أواسط القرن الثالث الهجري، فراحت تظهر في إيران دويلات فارسية مستقلة، كالدولة السامانية ثم الغزنوية ثم السلجوقية... حتى جاء المغول في منتصف القرن السابع الهجري، ليجتاحوا منطقة الشرق الأوسط بأسرها.

ولكن مع تفكك دولة التيموريين (نسبة إلى تيمورلنك ت. ١٤٠٥م) في أوائل القرن العاشر الهجري، راحت تقوم مكانها من جديد دويلات فارسية متعددة... منها الدولة الصفوية (نسبة إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي)، حيث استطاع أحد أحفاد الشيخ المذكور. والذي عُرف فيما بعد باسم الشاه اسماعيل الصفوي، الذي اعتنق المذهب الإمامي الإثني عشر. أن يؤسس مع أتباعه دولة جديدة قوية، استطاعت بسط نفوذها تدريجياً على إيران، حيث عُرفت باسم الدولة الصفوية. وقد امتد حكمها من سنة

٩٠٦هـ / ١٥٠٠م إلى سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م... متخذة من أصفهان عاصمة لها.. مع هذه الدولة الصفوية، عرف لبنان- الذي بقي ينتقل من احتلال إلى احتلال، ومن وصاية إلى أخرى- نوعاً من العلاقات السياسية غير المباشرة... وذلك، من خلال أحد أبنائه العاملين، الشيخ محمد بن علي خاتون (من بلدة جويبا شرقي صور) الذي وبعد أن تولى منصب «الصدارة العظمى» في سنة ١٠٢٨هـ / ١٦٢٨م، في مملكة حيدر آباد في الهند، في عهد السلطان عبد الله، ابن السلطان محمد قطب شاه السابع... تولى السفارة بين السلطان عبد الله المذكور، وبين الشاه عباس الصفوي (ت. ١٠٢٨هـ / ١٦٢٩م) أشهر ملوك الصفوية وأهمهم؛ ولا يزال رسم الشيخ خاتون محفوظاً في المتحف البريطاني حتى اليوم<sup>(١)</sup>.

أما في عهد الدولة القاجارية (التي أسسها محمد خان قاجار سنة ١٧٩٦م) واستمر حكمها حتى قيام الدولة البهلوية (سنة ١٩٢٥م)، فلم تكن بيروت لتخلو من قناصل لهذه الدولة. وفي هذا المجال، يذكر الرحالة الإيراني «فرهاد ميرزا» في كتابه «سفرنامه فرهاد ميرزا»، أنه عندما زار بيروت عام ١٨٧٦م (زمن الشاه ناصر الدين) استقبله في المرفأ «اسكندر بك، قنصل دولة إيران العلية، وهو ابن الياس بك». وفي كتابه: «سفرنامه حاجي بيرزاده»، يذكر الرحالة بيرزاده، أن قنصل إيران في بيروت سنة ١٨٨٧، كان اسمه حسن خان ابن الحاجي محمد خان<sup>(٢)</sup>.

كذلك، فقد قامت علاقات سياسية مباشرة بين هذه الدولة و«جبل عامل»، وخصوصاً بعد ثورة الزعيم العاملي حمد البك المحمود (ت. سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م) سنة ١٨٤٠هـ على المصريين، وتمكنه من إعادة البلاد إلى السلطة العثمانية، حيث

(١) - «مجلة العرفان» المجلد ٢٨ ص ٢٢٦، أنظر. محمد كاظم مكي. «الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل» ص ٢٧، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٢.

(٢) - كان شاه إيران في ذلك الوقت هو السلطان القاجاري ناصر الدين شاه الذي دام حكمه حتى سنة ١٢١٢ هـ. ١٨٩٦ م أنظر حسن پيرنيا وعباس اقبال اشتياني: «تاريخ إيران، از آغاز تا انقراض قاجاريه» ص ٨١٠. نشر معيار علم، ١٣٨٩ هـ ش. كذا أنظر: طوني الحاج «لبنان في مرآة رحالة إيرانيين» ص. ١٢٩ و١٥١. منشورات لوسان، بيروت ٢٠٠٩ م.

## العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني

أهدته الدولة العثمانية «سيفاً مرصعاً قبضته بالجواهر، باسم الحضرة السلطانية وفوّضت إليه حكومة جبل عامل.. كما أهداه شاه إيران شالاً من الكشمير الثمين، وطائراً من البيزة»<sup>(١)</sup>.

وفي العام ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م عيّن شاه إيران المذكور (ناصر الدين شاه) أحد وجهاء صيدا، حسين إبراهيم عسيران، شهبندراً (قنصلاً) لإيران في صيدا، ومنحه مع عائلته الجنسية الإيرانية. وبعد وفاة حسين عسيران، وضعت الدولة العثمانية يدها على أملاكه بحجة أنها أملاك للأجانب، الذين لا يحق لهم التملك في السلطنة، فتوجه ابنه علي إلى الأستانة لاستعادة أملاك والده المصادرة، وقد أسعفه الحظ، أنه بلغ الأستانة، وقد قدم إليها شاه إيران، فالتقاه فيها، وأنعم عليه، وعيّنه مكان أبيه قنصلاً لإيران في صيدا.. وتوسط له عند السلطان العثماني عبد الحميد، لاستصدار «فرمان» يعيد له أملاكهم المصادرة. فاستجاب السلطان عبد الحميد لذلك، مع منح علي عسيران لقب «أفندم» (الأفندي).

وبعد وفاة القنصل علي، عيّن ابنه عبد الله (والد الرئيس عادل عسيران ت. ١٩٩٨م) قنصلاً لإيران في صيدا أيضاً<sup>(٢)</sup>.

### في العصر الحديث:

ثم عادت العلاقات السياسية لتنمو من جديد بين إيران ولبنان، بعد تأسيس الدولة البهلوية سنة ١٩٢٥م<sup>(٣)</sup> على يدي الشاه رضا بهلوي (ت. ١٩٤٤م) ثم مع نجله الشاه محمد رضا بهلوي (ت. ١٩٨٠م). حيث افتتحت أول قنصلية عامة لإيران في بيروت، في أيلول عام ١٩٤٢م. وبعد استقلال لبنان بثلاث سنوات، أي في سنة ١٩٤٦م، رفع

(١) - محمد جابر آل صفا: «تاريخ جبل عامل» ص ١٥٦. دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨١م.

(٢) - كان قنصل آل عسيران يتنقلون ما بين صيدا، وقرية «المنطرة». شرقي وادي الحجير. في جبل عامل.

(٣) - أنظر: دوروثيا كرافولسكي «العرب وإيران» ص ٢٦٢. دار المنتخب العربي، توزيع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩٣م.

مستوى التمثيل الدبلوماسي بين البلدين إلى مستوى «وزير مفوض» ثم إلى مستوى سفير عام سنة ١٩٥٨... في الوقت الذي كانت فيه إيران، قد ارتبطت بلبنان، بعلاقات متينة، منذ خمسينيات القرن الماضي (القرن العشرين).. وهي الفترة التي شهدت بروز المد العربي الناصري (نسبة إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر، ت. ١٩٧٠م) مع محاولة تأسيس جبهة معارضة له، متمثلة بـ «حلف بغداد» الذي كان يضم إلى الأميركيين (الولايات المتحدة الأميركية) كلاً من رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد (ت. ١٩٥٨م) وشاه إيران محمد رضا بهلوي، والرئيس اللبناني كميل نمر شمعون (ت. ١٩٨٧م).

لهذا، توطدت العلاقات في تلك الفترة بين إيران ولبنان، حيث حصلت حركة دبلوماسية كثيفة، لا سيما من جانب طهران باتجاه بيروت... أدت إلى قيام تعاون اقتصادي وثقافي بينهما... إلى جانب التعاون السياسي والمخابراتي.. إذ كان للمخابرات الإيرانية «السافاك»<sup>(١)</sup> وجود مكثف في لبنان والعراق، للتنسيق مع سلطات البلدين، للحد من المد الناصري، ومطاردة المعارضين للشاه.

غير أنه بعد ثورة العام ١٩٥٨م في لبنان، ومجيء اللواء فؤاد شهاب (ت. ١٩٧٣م) إلى الحكم، أصيبت العلاقات بين البلدين، بحالة من الركود.. لأن الرئيس فؤاد شهاب كان حريصاً على سياسة متوازنة مع العرب.. وعلى سياسة تطبيع عادية مع باقي دول الشرق الأوسط.

هذا الأمر، شجع فئة كبيرة من المعارضين لحكم شاه إيران للجوء إلى لبنان، حيث احتضنهم الإمام السيد موسى الصدر، والذي نسق معهم: سواء من حيث

(١) - «السافاك»، بالفارسية: «ساواك» وهي اختصار: «سازمان امنيت واطلاعات كشور» (منظمة الاستخبارات والأمن الوطني). تم تأسيس جهاز السافاك في إيران بمساعدة وكالة المخابرات الاميركية (C.I.A) عام ١٩٥٧م. وكانت مهمته قمع المعارضين لشاه إيران واستهدافهم في الداخل والخارج.

## العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني

نشاطاتهم ضد الشاه، أو من حيث النهوض بطائفة المستضعفين في لبنان، من خلال تأسيس «حركة المحرومين»، وبالأخص جناحها العسكري «أفواج المقاومة اللبنانية» (أمل). حيث كان الرجل الثاني فيها، بعد الإمام الصدر، الدكتور الشهيد مصطفى شمران<sup>(١)</sup>.

غير أن هذه الفترة، شهدت قطع العلاقات الدبلوماسية بين لبنان وإيران، على خلفية عدم تسليم لبنان، أول مدير للسافاك، الجنرال تيمور بختيار (قُتل في باريس سنة ١٩٩١م) سنة ١٩٦٩م إلى حكومة الشاه؛ ولم تستأنف هذه العلاقات بصورة كاملة إلا في عام ١٩٧١م بعد وساطة قام بها الرئيس كميل شمعون، حيث عُيّن من «خارج الملاك»، الأستاذ خليل الخليل، سفيراً للبنان في طهران، وذلك في عهد الرئيس سليمان فرنجية (ت ١٩٩٢م).

### بعد الثورة الإسلامية في إيران (بداية العصر الخميني):

ومع نجاح الثورة الإيرانية بقيادة الإمام السيد روح الله الخميني (١٩٢٠ - ١٩٨٩م) في إطاحة نظام الشاه محمد رضا بهلوي في شباط ١٩٧٩م، دخلت إيران عصراً جديداً وبكل المقاييس.. ألا وهو العصر الخميني، حيث أخذت العلاقات السياسية اللبنانية الإيرانية تتطور بشكل متسارع...

(١) - هو أول وزير دفاع إيراني، بعد نجاح الثورة الإيرانية في إطاحة الشاه محمد بهلوي في ١١ شباط (فبراير) عام ١٩٧٩م... وقائد الحرس الثوري الإيراني، وعضو في البرلمان الإيراني عن منطقة طهران. وكان شمران قبل قيام الثورة الإسلامية في إيران. أول مسؤول تنظيمي مركزي، في حركة «أمل» في لبنان. استشهد في ٢١ حزيران (يونيو) سنة ١٩٨١م. خلال الحرب العراقية الإيرانية (٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠ - ٨ آب (أوت) ١٩٨٨م). أنظر مجلة «الرصد» العدد ٥٨ ص ١٢٠ المستشارية الثقافية الإيرانية، بيروت، ١٩٩٦م. ومجلة «إيران الثقافي» العدد ٥ ص ٤٤، المركز الثقافي الإيراني، بيروت، ٢٠٠٩م.

وقد شكل عام ١٩٨٢ م، محطة مفصلية في تمتين هذه العلاقات.. من خلال لعب الإمام الخميني دوراً محورياً في تأسيس «حزب الله» اللبناني<sup>(١)</sup>، لمقاومة الإحتلال الاسرائيلي لأرض لبنان، بعد اجتياح عام ١٩٨٢ م<sup>(٢)</sup>. ولم تكتفِ إيران بذلك، بل عمدت إلى إرسال وحدات من «الحرس الثوري» الإيراني إلى سهل البقاع (شرقي لبنان)، لتدريب عناصر «حزب الله»، الأمر الذي لم يُرق لبعض الأطراف اللبنانية، فعمد مسلحون تابعون «لحزب القوات اللبنانية» اليميني المتطرف، إلى خطف أربعة دبلوماسيين إيرانيين<sup>(٣)</sup>، مما أدى إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مجدداً بين البلدين في هذا العام (١٩٨٢ م)، لتستأنف بعد سنة ونصف، في شهر كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٨٣ م<sup>(٤)</sup>. ومنذ ذلك الوقت، يتم اعتماد السفراء في كلا البلدين

(١) - أنظر موسوعة «حزب الله... من المنشأ الى المقاومة (١٣ مجلداً)»، المجلد الأول، ص ١٧ - ١٩، المركز العربي للمعلومات، الطبعة الدولية، بيروت، ٢٠٠٦.

(٢) - اجتاحت القوات الاسرائيلية لبنان في ٦ حزيران (يونيو) سنة ١٩٨٢ م ووصلت إلى العاصمة بيروت، بعد أن احتلت البقاع الغربي وقسماً كبيراً من جبل لبنان... غير أنه بفضل ضربات المقاومة، راحت إسرائيل تتسحب تدريجياً من المناطق التي دخلتها، حتى تم دحرها من معظم الأراضي اللبنانية في ٢٥ أيار (مايو) سنة ٢٠٠٠ م. فيما بقيت مزارع شبعا، وتلال كفرشوبا. وبعض المناطق الصغيرة على طول الحدود مع فلسطين المحتلة، تحت الإحتلال الإسرائيلي.

(٣) - من هذه الزيارات: زيارة الرئيس محمد خاتمي سنة ٢٠٠٢ م، حيث كان أول رئيس إيراني يزور لبنان، منذ انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية سنة ١٩٧٩ م. ثم الزيارة المدوية للرئيس الحالي لإيران، الدكتور محمود احمدي نجاد (نژاد)، الذي جاء إلى لبنان في منتصف تشرين الأول (أكتوبر) عام ٢٠١٠ م... والتي زار خلالها الجنوب اللبناني، حيث ألقى خطابه الشهير، في مدينة «بنت جبيل» الحدودية. وبالمقابل: فضلاً عن زيارات الوزراء والمسؤولين اللبنانيين المتعددة لإيران، زار رئيس الوزراء اللبناني (السابق) سعد الدين رفيق الحريري طهران، في أوائل عام ٢٠١١ م.

(٤) - برز في العام ١٩٨٢ م ملف الدبلوماسيين الإيرانيين الأربعة: سيد محسن موسوي، احمد مُتوسليان، كاظم اخوان وتقي رستكار مقدم... الذين اختطفهم «القوات اللبنانية» على حاجز جسر المدفون» على الطريق الساحلي بين طرابلس وجونيه، وهم في طريقهم من دمشق إلى بيروت. نظراً لإقفال طريق البقاع بيروت، نتيجة للإجتياح الإسرائيلي في ذلك العام. وما زال هذا الملف حتى اليوم من دون حل.

## العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني

بشكل دوري وطبيعي<sup>(١)</sup>. كما أن هذه العلاقات، منذ ذلك الوقت أيضاً (١٩٨٣م)، تزداد متانة ورسوخاً: ذلك أن إيران، باتت أكثر حرصاً من أي وقت مضى، على السير في تنمية العلاقات بين البلدين بطريقة سليمة وموضوعية، وتتحرك من خلال القنوات الدبلوماسية والرسمية الأخرى، آخذةً بالحسبان مصلحة البلدين، ومتفهمة بعمق، خصوصية النظام السياسي للبنان... وطبيعة النسيج التاريخي والإنساني والديني والاجتماعي والثقافي... المميز للمجتمع اللبناني.

وبالفعل، فقد شهدت السنوات العشر الأخيرة، سلسلةً من الزيارات الرسمية الرفيعة المستوى، المتبادلة<sup>(٢)</sup>، أدت إلى توقيع إتفاقيات وبروتوكولات عديدة، في المجالات المختلفة.

إلى جانب العلاقات الثنائية «الداخلية»... فقد اتسمت الفترة الأخيرة، بمواقف سياسية إيرانية، واضحة وصريحة، مؤيدة وداعمة للبنان في المحافل الدولية، وفي مختلف المجالات... خصوصاً في مواجهة العدوان الإسرائيلي المستمر عليه، أمّا لبنان بدوره، فقد نأى بنفسه عن تأييد أي موقف دولي قد يسيء إلى إيران، برغم الضغوطات الدولية القوية التي كانت تمارس عليه لثنيه عن موقفه.

(١) - منذ نجاح الثورة الإسلامية في إيران، في الإطاحة بالشاه محمد رضا بهلوي سنة ١٩٧٩م وتحويل نظام الحكم إلى جمهوري اعتمدت الجمهورية الإسلامية الإيرانية لها في لبنان، السفراء الإيرانيون أصحاب السعادة، (على التوالي): الشيخ موسى فخر روحاني، أحمد دستملشيان، همايون علي زاده، محمد علي سبحاني، مسعود إدريسي، محمد رضا رؤوف شيباني، والسفير الحالي (٢٠١٢م) الدكتور غضنفر ركن آبادي.

أما السفراء اللبنانيون في الجمهورية الإسلامية، فهم على التوالي، أصحاب السعادة: فؤاد الترك (مخضرم بين عهد الشاه وقيام الجمهورية)، جعفر معاوي، جودت نور الدين، منير تلحوق، عدنان منصور، زين الموسوي، الذي انتهت مهمته في طهران سنة ٢٠١٠م، ومنذ ذلك الوقت يدير السفارة اللبنانية هناك، قائم بالأعمال هو السيد علي الحبحاب، بانتظار إجراء التشكيلات الدبلوماسية المتأزمة في وزارة الخارجية اللبنانية منذ حين... ليطم بالتالي تعيين سفير لبناني أصيل في إيران.

(٢) - من مقابلة (٢٠١٢-٣-١٥) مع شقيقي الأكبر، السفير جودت نور الدين، الذي كان سفيراً للبنان في طهران لأربع سنوات ونصف السنة، بدءاً من العام ١٩٩٠م... سفيراً فوق العادة مطلق الصلاحية.

**العلاقات الاقتصادية:** إرتبط لبنان وإيران بعلاقات اقتصادية متنوعة منذ العصر الإخميني وحتى اليوم... غير أن مستوى هذه العلاقات كان يتقلب... ارتفاعاً أو هبوطاً، تبعاً لـ«مزاج» الحالة السياسية التي كانت تقوم بينهما:

فقد مر معنا، أن القصور الملكية في العاصمة الجديدة للامبرطورية الإخمينية «پرسپوليس».. والتي أمرَ بتأسيسها داريوش الأول... إنما بُنيت أقسام كبيرة منها، بخشب الصنوبر والأرز المجلوب من لبنان.

كذلك، فإن المرفأى اللبنانية (وبالأخص مرفأى صيدا وصور) كانت مراكز لإنشاء سفن الأسطول الفارسي في البحر المتوسط... سواء من حيث توفير الخبرة الفنية، أو توفير المواد الأولية. هذا فضلاً عن تبادل السلع التجارية المعتادة، التي كان يتم التعامل فيها بين البلدين في العصور المختلفة.

أما في العصر الحديث، فقد ارتبط لبنان مع إيران، بعلاقات اقتصادية متنوعة، وخصوصاً من خلال التجارة، حيث أن السجاد الإيراني (العجمي) والزعفران والكافيار والأحجار الكريمة، هي علامات تجارية فارقة ومميّزة، للمنتوجات الإيرانية، في نظر اللبنانيين.

وبالرغم من أن العلاقات الاقتصادية بين لبنان والدولة البهلوية، كانت جيدة إلى حد ما، إلا ان هذه العلاقات لم تشهد تطوراً نوعياً، إلا منذ عقدين تقريباً، بُعيد الزيارة التي قام بها فارس بويز، (وزير الخارجية اللبناني إلى طهران)، في أوائل سنة ١٩٩١م، حيث تم الإعلان عن تأليف اللجنة الاقتصادية المشتركة بين البلدين التي عقدت أول إجتماعاتها عام ١٩٩٧م: إذ منذ ذلك التاريخ، وقع البلدان إتفاقيات اقتصادية عديدة، تناولت قطاعات مختلفة، تتعلق بالنقل البري والتجارة البحرية والجمارك والنقل الجوي... فضلاً عن إتفاقيات تجارية، ومذكرة تفاهم زراعي، ومذكرة تفاهم للتعاون العلمي والتربوي والتقني والبحثي، وإتفاقية تعاون سياحي، وإتفاقية مالية وإعتمادية، وتعاونيات... إلى غيرها من الإتفاقيات.

## العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني

إلى جانب هذا، فقد هبّت إيران بعد الحرب الهمجية التي شنتها إسرائيل على لبنان في تموز (يوليو) عام ٢٠٠٦م، إلى مساعده في إعادة بناء ما دمرته الحرب، وأنشأت في سبيل ذلك «الهيئة الإيرانية للمساعدة في إعادة إعمار لبنان»، حيث قامت هذه الهيئة بإعادة إعمار العديد من المساجد، وشق وتعبيد طرق حيوية، بمواصفات عالية، كذلك فقد أنشأت الحدائق والمنتزهات والمساحات الخضراء، في مختلف المناطق اللبنانية... هذا فضلاً عن تقديم المولدات الكهربائية لإنارة القرى، وإنشاء أعمدة الإنارة التي تستمد الطاقة من الشمس... إلى غير هذا من المساعدات العينية، التي تساعد اللبنانيين على الصمود في أرضهم، ومواجهة أي عدوان صهيوني محتمل. وعلى الرغم من توجيهات كبار المسؤولين الإيرانيين الذين أعربوا للمسؤولين اللبنانيين في أكثر من مناسبة، عن استعدادهم لإعطاء لبنان وضعاً مميزاً وأفضلية، لجهة تزويده بكل ما يريده، لإعادة إنشاء البنية التحتية فيه، وتطويرها<sup>(١)</sup>... فإن هذه العروض، لم تلق تجاوباً كافياً من الجانب اللبناني، ولوفي حده الأدنى: إذ ما زالت غالبية الإتفاقيات الموقعة بين البلدين، عبارة عن نصوص، لم تشهد مضامينها بعد حيز التنفيذ المطلوب... أو أن ما طُبّق منها هزيل، ولا يرتقي إلى مستوى العلاقات السياسية الجيدة التي تربط البلدين: وإلا، فكيف نفسر، أن حجم التبادل التجاري السنوي، بين لبنان وإيران ورغم المعارض الدائمة أو السنوية الثابتة أو المتقلبة بين المناطق اللبنانية... للمنتوجات الإيرانية على اختلاف أنواعها لا يتجاوز المائة مليون دولار أمريكي... فيما هو بين إيران ومختلف دول الجوار يتخطى مليارات الدولارات. أو كيف نفسر أيضاً، أن عدد الزوار الإيرانيين إلى العراق، يتجاوز سنوياً ثلاثة ملايين زائر، وإلى الإمارات العربية المتحدة المليونين، وإلى تركيا المليون، وإلى سوريا

(١) - كان آخر هذه العروض، نهار البارحة، الجمعة في ٣٠ آذار (مارس) ٢٠١٢، عندما سلم نائب وزير الخارجية الإيراني، السيد حسين أمير عبد اللهيان، خلال زيارته الرسمية إلى لبنان، رئيس الجمهورية ميشال سليمان، رسالة من نظيره الإيراني الدكتور محمود أحمدني نجاد «تؤكد دعم إيران الدائم للبنان، في شتى المجالات، وعلى كل المستويات» (صحيفة السفير، العدد ١٢١٤٨، نهار السبت ٢١ آذار ٢٠١٢م).

النصف مليون.. فيما الزوار الإيرانيون إلى لبنان لا يتجاوزون سنوياً الخمسين ألفاً؟ إن هذا الأمر، يطرح أكثر من تساؤل، حول مدى الإستعداد، أو الرغبة الصادقة، لدى الجانب اللبناني، في تطبيق الإتفاقيات المعقودة بين البلدين، نصاً وروحاً...! وكأن هناك في لبنان، مَنْ لا يريد أن ترتقي العلاقات الإقتصادية بين البلدين إلى المستوى المطلوب... ولا أن تحقق قفزات نوعية، يستفيد منها الجانب اللبناني... قبل الجانب الإيراني، وخصوصاً أن هناك عروضاً إيرانية غير مشروطة، وتسهيلات عديدة قدمت إلى لبنان للنهوض باقتصاده في مجالات مختلفة منها: بناء السدود، والجسور، ومحطات الكهرباء والطاقة والمياه ومزارع الأسماك، وغيرها من المشاريع الحيوية... فضلاً عن عروض أخرى، من شأنها تزويد لبنان بما يحتاج إليه من معدات متنوعة، لقطاعاته الزراعية والصناعية والعسكرية والبيئية، وغيرها<sup>(١)</sup>.

السياحة: وإذا انتقلنا إلى فرع إقتصادي آخر... ألا وهو السياحة، نرى أن لبنان وإيران، قد أنعم الله عليهما بطبيعة ساحرة، ومناخ جميل... فضلاً عن أنهما يزخران بآثار مميزة، تروي حكايات مجد تليد، وحضارات عظيمة، سادت ثم بادت... الأمر الذي جعلهما قبلة للسائحين. فلا غرو بعد هذا، إذا ما رأينا أن الحركة السياحية، إنما كانت ناشطة بين البلدين، منذ أقدم العصور... وحتى أيامنا هذه.. وما كُتِب الرحالة من كلا الطرفين، التي تصف البلد الآخر: بشراً وشجراً وأثراً على مر العصور... إلا شاهد على ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) - أنظر: عدنان منصور (وزير الخارجية اللبنانية، الحالي): «لبنان وإيران: ثمانية وستون عاماً من العلاقات الدبلوماسية» صحيفة «الآخبار» اللبنانية صفحة «رأي» العدد ١٢٤٢، الأربعاء ١٢ تشرين الأول (أكتوبر عام ٢٠١٠).

(٢) - أنظر على سبيل المثال:

رحلة «سفرنامه» ناصر خسرو» سنة ١٠٥٤م. رحلة «رضا قلي ميرزا» سنة ١٨٧٤م.  
رحلة «فرهاد ميرزا» سنة ١٨٧٥م. رحلة «الميرزا محمد فراهاني» سنة ١٨٨٤م.  
رحلة «حاجي پير زاده» سنة ١٨٨٧م. رحلة «مكة» سنة ١٩٠٣م.  
رحلة «مذكرات الدكتورة غنى» سنة ١٩٤٧م. رحلة «لبنان في مرآة رحالة إيرانيين» في المقابل: أنظر: حسن الامين: «من بلد الى بلد»، كذلك انظر: طوني الحاج: «لبنان في مرآة رحالة إيرانيين».

## العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني

ومن نافل القول هنا، إن اللبنانيين بوجه عام، وأبناء «جبل عامل» على وجه الخصوص، قد أسهموا بشكل لافت، في ترسيخ مكانة إيران، على الخارطة السياحية العالمية... من خلال إبداعاتهم العمرانية، التي حملت توقيعاتهم، بصورة مباشرة أو غير مباشرة:

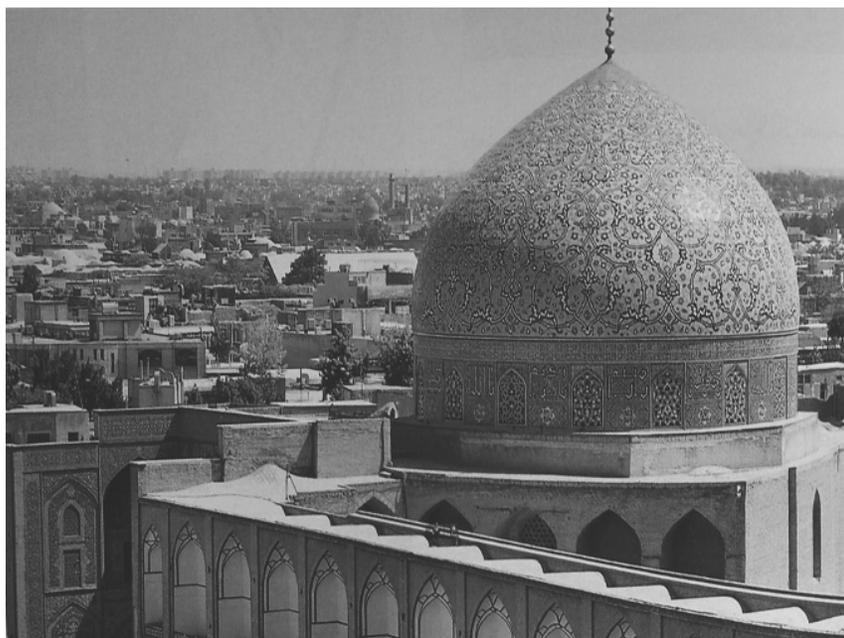
فإذا كانت أشهر لوحة عالمية (الجوكندا أو الموناليزا) تحمل توقيع المبدع الإيطالي ليوناردو دافنشي (ت ١٥١٩م) ... وإذا كان أشهر تمثال عالمي (تمثال النبي داود) يحمل توقيع مواطنه ومعاصره مايكل أنجلو (ت ١٥٦٤م) .. فإن التحفة الهندسية المتمثلة بمسجد «إمام» أو «مسجد شاه» في أصفهان... إنما تحمل توقيع المبدع بهاء الدين العاملي (ت ١٦٢٠م)<sup>(١)</sup>. كذلك، فإن مسجد الشيخ لطف الله في المدينة عينها، إنما يحمل اسم وتوقيع لطف الله الميمني العاملي (١٦٢٢م)<sup>(٢)</sup>... معاً، الأمر الذي أضفى مصداقية على مقولة سكان أصفهان، بأن «أصفهان نيم جهان» (أصفهان نصف الدنيا)، لما غدت تعبق به هذه المدينة الساحرة، من أريج الحضارة والجمال.

(١) - الشيخ بهاء الدين العاملي، هو أسطورة علمية ورياضية وفقهية وأدبية، في الوجدان الإيراني، وهو الذي وضع تصميم «مسجد شاه» في العام ١٠١١ هـ بقبته الرائعة وبوابته ومحرابه المنحرفين.. ومكبر الصوت التلقائي فيه، بحيث يستطيع الواقف في نقطة معينة في وسطه، أن يسمع صدى صوته يتردد سبع مرات في أرجاء المسجد. كما ينسبون إليه تصميم «الساعة الشمسية» الموجودة في صحن المسجد. فضلاً عن منجزات علمية كثيرة أخرى. أنظر دلال عباس: «بهاء الدين العاملي أديباً وفقهياً وعالمياً» دار الحوار، بيروت، ١٩٩٥م (توزيع دار الجديد).

(٢) ٢٧ - استدعى الشاه عباس الصفوي الشيخ لطف الله عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد العالي الميمني (نسبة إلى بلدة «ميس الجبل» في جبل عامل) من قزوين إلى أصفهان في العام ١٠١١ هـ/١٦٠١م، وأمر أن تبنى له مدرسة ومسجد يحملان اسمه، حيث تم بناؤهما في العام ١٠٢٢ هـ/١٦١٨م. وجاء تحفة فنية رائعة. أنظر: محسن الامين «أعيان الشيعة» ج.٩، ص ٢٨ دار التعارف، بيروت لا. ت.



مسجد «شاه» (إمام اصفهان)



مسجد الشيخ لطف الله الميسي أصفهان

## العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني

أما في عصرنا هذا: فالى جانب السياحة الإفرادية، هناك رحلات سياحية جماعية، برية وجوية، تنظمها شركات متخصصة، فضلاً عن مكاتب سياحية رسمية، أو خاصة، تروج للسياحة في هذا البلد أو ذلك.

ومما زاد في حركة السياحة التقليدية: كزيارة الآثار أو الأماكن والمدن الجميلة، أو المتاحف والقصور، أو المقاصف والمتنزهات... تلك السياحة المتميزة، المعروفة بالسياحة الدينية، والمتمثلة بزيارة العتبات المقدسة في كل من لبنان إيران ودول الجوار... وهي سياحة ناشطة في كل فصول السنة.

ومع كل هذا، فإن حركة السياحة بين البلدين، ما تزال حركة خجولة... مقارنةً مع السياحة بين إيران ودول الجوار، وكما أشرنا إلى ذلك من قبل.

**العلاقات الفكرية:** يُعتبر التفاعل الفكري بين الشعوب، من أرقى أنواع العلاقات البشرية التي تجمع بين الإنسان وأخيه الإنسان، بعيداً عن أي فرض أو إكراه... كما هي الحال في العلاقات الأخرى: لذا، هي علاقات تفاعلية صادقة، راسخة، عابرة للأجيال والحدود... لأنها تقوم على التأثر والتأثير، من خلال الإعجاب المتبادل.

ومن هذا المنطلق، تفاعل الشعبان اللبناني والإيراني على مر العصور، تلاهماً فكرياً متميزاً: فلسفة وديناً وأدباً ولغة؛ الأمر الذي تمخّضت عنه حضارة رائدة، رفدت البشرية على مر العصور، بكل عوامل الرقي والتطور والتقدم، في مجالات الحياة المختلفة.

ونحن، إذا أمعنا النظر في العلاقات التي كانت تربط بين الملوك الإخمينيين، والمدن الفينيقية، فإننا لا نراها قائمة على التعاون العسكري فقط... بل على إعجاب هؤلاء الملوك الفرس، بالثروة الفكرية، التي كانت تمثلها عظمة ملوك هذه المدن وثقافة أهلها، وحسن إبداعاتهم وتقدم علومهم؛ لذا، كان الإخمينيون يولّون المدن الفينيقية إهتماماً خاصاً، من خلال النهوض بها في جميع مرافق الحياة، لدورها الفاعل في مجريات أحداث الإمبرطورية.

ورغم أفول العصر الإخميني، بمجيء الإسكندر المقدوني إلى بلادنا سنة ٣٣٠ ق.م... فإن هذا التفاعل الفكري بين الفرس وسكان هذه البلاد، لم يعدم وسيلة للبقاء، بصورة أو بأخرى. ولعل خير شاهد على إستدامة هذا التفاعل... هذه الألفاظ الفارسية التي كانت تتسرب بإستمرار إلى لهجاتنا المحلية... مع بقاء العنصر الفارسي، كأحد مكونات المجتمع المحلي.

ومع الفتح العربي الإسلامي لبلاد فارس، ودخول الإيرانيين في دين الله أفواجا، وانكبابهم على وضع المؤلفات في شتى أصناف المعرفة، باللسان العربي... باتت الألفاظ الفارسية (المعربة أو غير المعربة) جزءاً لا يتجزأ من لهجاتنا الفصحى أو العامية على حد سواء. الأمر الذي دفع كثيراً من العلماء إلى وضع التصانيف الخاصة بذلك<sup>(١)</sup>.

ولم يكن لبنان بمعزل عن هذا الإجتياح اللغوي المتجدد، لذا، أصبحت الألفاظ الفارسية في لغتنا المحكية في هذه الأيام، تقدر بالآلاف<sup>(٢)</sup>.  
وبما أن التفاعل الفكري لا يسلك اتجاهاً واحداً، فقد أجمع علماء اللغات، على أن اللغة العربية، تمثل في أكثر من ستين في المائة من المعجم الفارسي أيضاً.

(١) - أول من صنف في المعرب، هو سيبويه (ت ١٨٠ هـ) حيث عقد له باباً في «الكتاب» بعنوان: «هذا باب ما أعرب من الأعجمية» ثم:

- «التذيل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل» للبيهقي (ت ٨٢٠ هـ).

- «المعرب في ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي» للجواليقي (ت ٥٤٠ هـ).

- «المهذب في ما وقع من القرآن من المعرب» لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

- «رسالة في تحقيق الكلمة الأعجمية»، لأحمد بن باشا زاده (ت ٩٤٠ هـ).

- «رسالة في التعريب» للمنشي (محمد بن بدر الرومي الصاروخاني) (ت ١٠٠١ هـ).

- «شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل» للخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ).

- «معجم الألفاظ الفارسية المعربة» لأدي شير (ت ١٩١٤ م).

(٢) - انظر في هذا المجال كتابنا: «الألفاظ الفارسية في عامية جبل عامل» (تحت الطبع).

## العلاقات الفكرية في عصر الدولة الصفوية:

إذا كانت العلاقات الفكرية بين لبنان والفرس، إبان العصور الإسلامية الأولى، هي العلاقات التي تسود عادة من خلال تفاعل المكونات المجتمعية في الدولة الواحدة... ككل... فإن هذه العلاقات قد سلكت أيام الدولة الصفوية طريقاً مستقيماً ومباشراً مع لبنان... وخصوصاً مع «جبل عامل» حتى باتت هذه «الحقبة الصفوية» (١٥٠١ - ١٧٨٥ م) هي الحقبة الذهبية لهذا التفاعل الفكري بين البلدين... على امتداد تاريخه الطويل، نظراً للإسهام الفعال، لعلماء جبل عامل في تشكيل فكر الدولة الصفوية وعقيدتها<sup>(١)</sup>...

(١) يأتي في طليعة هؤلاء العلماء، المحقق الثاني، علي بن عبد العالي الكركي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٢ م) شيخ الإسلام في عهد الشاه الصفوي طهماسب الأول (ت ١٥٧٦ م) الذي استدعاه إلى إيران لتعزيز شرعية حكمه... فوضع المحقق الكركي الأسس الأولى لنظرية «ولاية الفقيه» وأوكل للشاه طهماسب حكم البلاد نيابة عنه، باعتبار أن المحقق الكركي، هو نائب الإمام المهدي الذي يحق له الملك والحكم. ومن هؤلاء العلماء أيضاً، الشيخ بهاء الدين العاملي (أو كما يعرف اليوم في إيران بالشيخ البهائي) (ت ١٠٢١ هـ/ ١٦٢٠ م)، الذي شغل منصب شيخ الإسلام، في أصفهان في زمن الشاه عباس (أعظم ملوك الدولة الصفوية). وقد أسهم الشيخ البهائي في ازدهار الحركة الفكرية في الدولة الصفوية، من خلال مؤلفاته القيمة، باللغتين العربية والفارسية، مثل «الكشكول» و «المخلاة» و «النعيم»، وكتابه في الرياضيات «خلاصة الحساب» الذي ترجم إلى معظم اللغات الأوروبية، وبقي معتمداً لدرس الرياضيات والحساب في إيران، حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، ثم كتابه «الصمدية في النحو» الذي ظل إلى زمن قريب معتمداً لدرس النحو في مدارس إيران، ثم كتابه في الفقه الميسر «جامع عباسي» (بالفارسية) - أكثر كتاب فقهي تداولاً في إيران والهند - هذا فضلاً عن مؤلفات أخرى... أو أنه كان شاعراً باللغتين أيضاً... ناهيك عن مئات التلامذة الذين تتلمذوا على يديه... حيث حسب البهائي، أن يكون الفيلسوف العرفاني صدر الدين الشيرازي (الملا صدرا، ت. ١٠٥١ هـ/ ١٦٤٠ م) واحداً منهم. إلى جانب مآثره الهندسية والفيزيائية، التي ما تزال مدينة أصفهان شاهدة عليها حتى اليوم. ولا ننسى الفقيه والمؤرخ الحر العاملي (محمد بن الحسين ت: ١١٠٤ هـ / ١٦٩٥ م) الذي استقر وتوفي في طوس (قرب مشهد) بعد أن كان قاضي القضاة وشيخ الإسلام فيها، زمن الشاه سليمان الصفوي (آخر شاه صفوي ت ١٦٩٦ م)، بعد أن خلف مصنفات كثيرة، منها كتابه القيم: «آمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل».

إلى جانب هؤلاء علماء آخرون، أثروا في نواحي الحياة المختلفة في إيران، ورسّخوا من خلال مؤلفاتهم ومآثرهم، محبةً خاصةً لجبل عامل في نفوس الإيرانيين، الذين زادت أعدادهم الوافدة إلى «جبل عامل» للتعرف إلى موطن هؤلاء الكبار.

أنظر: «دلال عباس»: دور العلماء العاملين في بناء الدولة الصفوية، مجلة «الدراسات الأدبية» العدد (٢٧ - ٢٨) ص ٢٤٤ - ٢٦٥. قسم اللغة الفارسية، الجامعة اللبنانية ٢٠٠١ م. كذلك أنظر: علي مروة: «التشيع بين جبل عامل وإيران»، دار رياض الرئيس، بيروت.

وهي العقيدة ذاتها التي تقوم عليها «الجمهورية الإسلامية الإيرانية» في أيامنا هذه. وقبيل انهيار الدولة الصفوية... ومع تصاعد قوة الخلافات بين الصفويين والعثمانيين، وانتقال هذا العداء إلى «جبل عامل».. سيما في عهد الوالي العثماني على عكا، أحمد باشا الجزائر، الذي سلب «جبل عامل» استقلاله بعد معركة «يارون» (قرب بنت جبيل) سنة ١١٩٥هـ/١٧٨٠م... حيث اكتسحت جيوشه البلاد وصادرت المكتبات الحافلة بأنواع الكتب القيّمة، والمخطوطات النفيسة، كمكتبات: آل خاتون، وآل الصغير، وآل الامين، وآل نور الدين، وآل شرف الدين، وآل فضل الله، وآل الحر، وآل نعمة، وآل يحيى، وآل السبلي، وآل ابراهيم، وآل الزين، وغيرهم من بيوتات العلم والوجاهة... لتنتقل إلى عكا وقوداً لأفرانها. إلى جانب تخريب البلاد وقتل العباد<sup>(١)</sup>.

وأمام هذا الظلم المادي والنفسي والجسدي، من قبل العثمانيين وأتباعهم... أثر الكثير من أبناء هذه العائلات، وغيرهم من أبناء «جبل عامل»، الهجرة إلى أماكن أخرى يحتمون بها. فوجدوا ضالّتهم في إيران (وخصوصاً في أصفهان) يتنفسون فيها الصعداء، وينصرفون للتأليف، تعويضاً عن تراثهم الفكري، الذي أحرقه هولاء عكا... فصنّفوا أعداداً كبيرة، من أمهات الكتب، التي ما زالت تدرّس في الحوزات والجامعات الدينية حتى اليوم.

وإلى هذا التأثير المهم لعلماء «جبل عامل» في مجرى الحياة الفكرية الإيرانية، يشير الشهيد الشيخ مرتضى مطهري (ت ١٩٧٩ م) في كتابه «الإسلام وإيران»، فيقول: «إن لعلماء جبل عامل دوراً مهماً في الخطوط العامة للدولة الصفوية الشيعية: فالصفويون كانوا صوفية، ولو لم يعتدل خط الصوفية، الصوفي الدرويشي، بسيرة فقهية عميقة، من قبل علماء جبل عامل، ولو لم تتأسس على أيديهم حوزة فقهية

(١) أنظر: «تاريخ جبل عامل» ص ١٥ م.س.

عميقة في إيران، لكان خط الصوفية الصوفي، ينتهي إلى ما انتهى إليه العلويون في الشام أو تركيا. وكان لهذا العامل أثر كبير في صيانة السيرة العامة، للدولة والأمة الإيرانية من تلك التحريفات في الصوفية، وتعديل نفس العرفان والتصوف الشيعي.

إن لفهاء جبل عامل، بتأسيسهم الحوزة الفقهية في أصفهان، حقاً كبيراً على ذمة الأمة الإيرانية<sup>(١)</sup>.

وهكذا اندمجت عائلات لبنانية كثيرة (والعالمية منها بشكل خاص) في المجتمع الإيراني، حتى فقدت هويتها، وأضاعت أصولها العربية. غير أن هذا لم يمنع، أن ترى عائلات أخرى، قد حرصت على التمسك بجذورها... فبرزت أسماءها بين العوائل الإيرانية، مدموغة بـ«العالمي»، أو بـ«الجبل العالمي»؛ وهو ما يظهر في «طهران» و«مشهد»... وبالأخص في «أصفهان»، حيث ما زالت هذه العائلات تحتفظ بمواقعها الاجتماعية والفكرية المرموقة<sup>(٢)</sup>.

وفي المقابل، كان الإيرانيون يفتخرون إلى «جبل عامل» بين الفينة والفينة: إما طلباً للعلم... أو للسكن فيه أيضاً. ومن هؤلاء:

ناصر بن ابراهيم البويهني (ت ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م) الذي أخذ العلم في مدرسة «عيناثا» (قرب بنت جبيل)، فكان عالماً فقيهاً، وأصولياً متعمقاً... إلى جانب معرفة رياضية واسعة، وشاعرية عاطفية رقيقة.

ومنهم، المحقق الأصولي عبد الله التستري (ت ١٠٢١هـ / ١٦١٢م) صاحب

---

(١) «الإسلام وإيران» ص ٢٥٢. ترجمة محمد هادي اليوسفي، دار التعارف، بيروت ١٤٠٠ هـ. وأنظر في هذا المجال: «محمد كاظم مكي»: «الحركة الفكرية والادبية في جبل عامل» ص ٢٦ وما بعدها. م. س ومحسن الأمين: «خطط جبل عامل» ص ٦٢ مطبعة الإنصاف، بيروت ١٩٦١ م.

(٢) - من أبناء تلك العائلات (على سبيل المثال لا الحصر): الدكتور باقر العالمي، وزير العدل الإيراني الأسبق، والمخرج السينمائي رسول صدر العالمي، والرئيس الأسبق لكلية الطب في جامعة طهران الدكتور بيرييز الجبل عامل، ثم الدكتور علي صدر العالمي، الذي أشرف على علاج الإمام الخميني، وغيرهم.

المصنفات الفقهية الضخمة، الذي حضر إلى مدرسة «عيناثا» أيضاً، واستجاز من نعمة الله بن خاتون العاملي... كما درس على ولده الشيخ أحمد<sup>(١)</sup>.

### العلاقات الفكرية في العصر الحديث:

انحدرت العلاقات الفكرية بين إيران ولبنان بعد العصر الصفوي، إلى مستويات متدنية نوعاً ما، ولم تستعدّ زخمها إلا بعد استقلال لبنان سنة ١٩٤٣م... لتبلغ هذه العلاقات ذروتها، بعد قيام الجمهورية الإسلامية في إيران سنة ١٩٧٩م. وقد تجلت هذه العلاقات، في عدة أمور، منها:

١ - اللغة الفارسية في لبنان:<sup>(٢)</sup>

عملاً بقول الإمام علي عليه السلام:<sup>(٣)</sup>

بَقَدْرِ لُغَاتِ الْمَرْءِ يَكْتُرُ عِلْمُهُ      وَتِلْكَ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ أَعْوَانُ  
فَبَادِرْ إِلَى حِفْظِ اللُّغَاتِ مُسَارِعاً      فَكُلُّ لِسَانٍ فِي الْحَقِيقَةِ إِنْسَانٌ

عمد اللبنانيون إلى تعلم اللغة الفارسية، والكتابة بها، إلى جانب العربية، منذ زمن بعيد... وعلى سبيل المثال لا الحصر... فإن السيد عباس بن علي بن نور الدين (ت ١١٧٩ هـ) صاحب كتاب «نزهة الجليس» له أشعار بالفارسية والعربية، مع أنه لم

(١) أنظر: «خطط جبل عامل» من ٥٨ م.س / «تاريخ جبل عامل» ص ٢٧٠ م.س. ومما يجدر ذكره هنا، أنه توجد في بلدة «شقرا» العاملية (مسقط رأس السيد محسن الأمين صاحب «أعيان الشيعة») في حي غربي بركة البلدة، شجرة زيتون معمرة، محيط جذعها عدة أمتار، حيث يطلق عليها أبناء البلدة - وبالتالي أباً عن جد - اسم «زيتونة الفارسي». كما يروي الأستاذ محمد كامل شعيب، المعروف بالأستاذ العاملي (ت ١٩٨٠ م)، أنه كان يوجد في منزل والده، في بلدة «الشرقية» (غربي النبطية)، مكتبة كبيرة، مودعة، لعالم إيراني، يدعى «الكاشاني». أنظر: زينب فواز: «حسن العواقب»، مقدمة المحققة فوزية فواز، ص ١٢ منشورات «المجلس الثقافي للبنان الجنوبي»، بيروت ١٩٨٤ م.

(٢) أنظر في هذا المجال: «علي يوسف نور الدين»: أضواء على تعليم اللغة الفارسية في لبنان»، مجلة «إيران الثقافي» العدد ٢، بيروت ٢٠٠٧ م.

(٣) وينسب هذا البيت أيضاً، إلى صفى الدين (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م).

## العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني

يزر إيران<sup>(١)</sup> قط؛ كذلك، كان الشيخ أحمد عارف الزين (ت ١٩٦٠م) صاحب مجلة «العرفان»، يتقن الفارسية أيضاً، إلى جانب عدة لغات أخرى... وهكذا لم يقتصر تعلم اللغة الفارسية على اللبنانيين الذين رحلوا إلى إيران، أو أقاموا فيها فقط... بل كانت مطلباً أساسياً، من مستلزمات التكامل الثقافي والتحصيل العلمي عندهم.

غير أن الفارسية، لم تأخذ طريقها إلى الإنتشار في لبنان، في العصر الحديث، بشكل منتظم... إلا عبر مؤسسات التعليم في هذا البلد، وخصوصاً الجامعات: انطلاقاً من كلية الآداب في الجامعة اللبنانية في بيروت، بعد تأسيس «كرسي اللغة الفارسية» فيها سنة ١٩٥٦م، نتيجة لمعاهدة ثقافية بين «الجامعة اللبنانية» و«جامعة طهران»، التي أوفدت الأستاذ الدكتور محمد محمدي ليشرف على هذا التأسيس... وليكون بالتالي، أول أستاذ للغة الفارسية في الجامعة اللبنانية. وقد جرى احتفال رسمي بهذه المناسبة، حضره شاه إيران محمد رضا بهلوي وزوجته الإمبرطورية ثريا... إلى جانب كبار المسؤولين اللبنانيين، تأكيداً على الدور المرجو من هذا المنبر.

ولم يلبث الدكتور أحمد لواساني، أن انضم إلى الدكتور محمدي في تدريس اللغة الفارسية منذ سنة ١٩٥٨م، لتتخرج على أيديهما، أول دفعة من طلاب اللغة الفارسية، في كلية الآداب.

ومنذ ذلك الوقت، تشهد كلية الآداب في الجامعة اللبنانية، في بيروت، وبفروعها في المحافظات (١٩٧٥م) إقبالاً لا بأس به، على تعلم اللغة الفارسية، حيث يقوم أساتذة لبنانيون (منهم صاحب هذا البحث) بتدريس هذه اللغة... واضعين الكتب المتخصصة، لتسهيل ذلك.

وفي عام ٢٠١٠م، تم تطوير الإتفاقية بين «الجامعة اللبنانية» و«جامعة طهران»، ليتحول الأمر، من تدريس «لغة» فقط، إلى تأسيس قسم للغة الفارسية وآدابها، يمنح

(١) أنظر: حسن الأمين: «جبل عامل السيف والقلم» ص ٦٦٥، دار الأمير، بيروت ٢٠٠٣م.

الطالب في نهاية دراسته «إجازة» جامعية في ذلك.  
فضلاً عن الجامعة اللبنانية، تدرّس اللغة الفارسية في كلِّ من: «الجامعة الأمريكية»  
في بيروت، وفي جامعة القديس يوسف (اليسوعية)، وفي «جامعة الروح القدس»  
(الكسليك)، وفي الجامعة الإسلامية في لبنان.  
إلى جانب هذه الجامعات، تقوم «المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية  
الإيرانية» في بيروت، بإجراء دورات مستمرة، وعلى عدة مستويات لتدريس الفارسية،  
وتخريج مدرسين لها، في عدد من المدارس الخاصة، التي باتت الفارسية إحدى اللغات  
المقررة في مناهجها التعليمية، كمدارس جمعية «الإمام المهدي» مثلاً.

## الترجمات:

ومن مظاهر العلاقات الفكرية المتينة، التي تربط لبنان وإيران... هذه الترجمات  
المتنوعة والمتبادلة، في مجالات الأدب والفلسفة والسياسة والدين، وغيرها... التي  
يقوم بها المترجمون اللبنانيون والإيرانيون، على حد سواء، في محاولة لزيادة التقارب  
واللحمة بين الشعبين... من خلال هذا الإشعاع الفكري المتبادل.  
ومن اللبنانيين الذين أسهموا في هذا المجال، على سبيل المثال:  
وديع البستاني، الذي ترجم سنة ١٩١٢ ربايعيات الخيام (عن الإنكليزية). د. فيكتور  
الكك، الذي ترجم مجموعة كبيرة من الأشعار والمقالات، د. دلّال عباس التي ترجمت  
عدة أجزاء من «دائرة معارف العالم الإسلامي»<sup>(١)</sup>. وكتاب «قبض وبسط» للكاتب  
الإيراني عبد الكريم سرّوش، وكتاب «القط والفأر» للشيخ البهائي، وكتاب «حياتي»  
للرئيس الإيراني الأسبق هاشمي رفسنجاني. ومن المترجمين كذلك، عمر شلبي الذي

(١) من عوامل التقارب الفكري بين إيران ولبنان، أن الحفل الذي أقيم لإطلاق المجلدين الأول والثاني من  
«دائرة معارف العالم الإسلامي»، باللغة العربية، قد جرى في بيروت (نهاية سنة ٢٠٠٩م) أنظر: «إيران  
الثقافي» العدد ٦ ص ٧٠، بيروت.

## العلاقات اللبنانية الإيرانية من العصر الإخميني... إلى العصر الخميني

ترجم «ديوان حافظ» إلى العربية شعراً. ولا ننسى هنا الإمام السيد موسى الصدر، الذي نقل إلى العربية إحدى روائع الأدب الفارسي الحديث، وهي رواية «النادمون» للروائية سيمين دانشور.

أما من الجانب الإيراني، فإن الشاعر المترجم الإيراني د. موسى بيدح، قد قام بنشاط واسع في هذا المجال، ومن خلال ترجماته إلى الفارسية لعدة أعمال شعرية لبنانية. ولعل من آخر الأعمال المترجمة إلى الفارسية. هي مجموعة الدكتور علي حجازي القصصية «وفاء الزيتون»، والتي قام بترجمتها موسى عربي وعلي اراش بور. على أن أهم الأعمال الفكرية اللبنانية المترجمة إلى الفارسية، والأكثر رواجاً في إيران، هو كتاب جورج جرداق «الإمام علي صوت العدالة الانسانية».

### المجلات:

تعتبر المجلات، معلماً بارزاً من معالم التواصل الفكري بين الشعوب: سواء من حيث التعريف بهذا البلد أو ذلك.. وتسليط الضوء على مجريات الحياة فيه... أو من خلال تلاقح الأقلام المتعددة المشارب التي تسهم في الكتابة فيها. ولعل مجلة «العرفان» التي أسسها الشيخ أحمد عارف الزين في مدينة «صيدا»، في شباط (فبراير) سنة ١٩٠٩م، هي خير دليل على ذلك<sup>(١)</sup>... وهو ما كان يتجلى من خلال الإستقبالات الرسمية والشعبية الحارة، التي كان يحظى بها صاحب العرفان خلال زيارته المتكررة إلى إيران.. أو حتى من خلال الإحتفال التأبيني المهيب العظيم، الذي أقيم للشيخ الزين في مدينة «مشهد» عقب وفاته فيها، خلال زيارته للروضة المقدسة أواخر سنة ١٩٦٠.

(١) أنظر: علي يوسف نور الدين: «الشيخ أحمد عارف الزين ومجلته العرفان: قرن في العطاء والتنوير»، أعمال «مؤتمر ثقافة التنوير في الوطن العربي»، جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا، نيسان (أبريل) عمان، الأردن، ٢٠١٠.

ومن الشواهد على ذلك أيضاً، مجلة «الدراسات الأدبية في الثقافتين العربية والفارسية وتفاعلهما»، التي تصدر عن قسم اللغة الفارسية وآدابها. في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية في بيروت، ويرأس تحريرها الآن الدكتور فيكتور الكك (أول لبناني نال شهادة الدكتوراة في «الأدب الفارسي» من جامعة طهران سنة ١٩٦٣م) ... وكذلك مجلة «شيراز»، التي تصدر في «طهران» باللغة العربية، عن مركز «الضن والفكر الإسلامي» منذ ربيع ٢٠٠٤م، وهي مجلة رصينة تختص بترجمة عيون الأدب الفارسي إلى العربية؛ وهذا ما يكرسه الشاعر الذي تحملها على غلافها: «نافذة على الأدب الإيراني»... حيث يرأس تحريرها الكاتب والشاعر المترجم المعروف موسى بيدج، الذي كرس حتى الآن، خمسة وعشرين عاماً من حياته لمد جسور الحوار بين ضفتي الإبداعات الأدبية الفارسية والعربية، وخاصة الشعرية.

ويعاون الدكتور بيدج في إصدار هذه المجلة، لجنة متمرسة من المترجمين، هم: جمال كاظم وحيدر نجف وسمير ارشدي وصادق خورشيا، فضلاً عن المدير الفني للمجلة الأستاذ باسم الرسام.

وقد وعت «المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية» في بيروت، منذ تأسيسها بعد قيام الثورة... أهمية الدور المناط بالمجلات، في تمتين الأواصر الثقافية بين لبنان وإيران.. فعمدت إلى إصدار مجلة «الراصد»، التي حملت بعد فترة اسم: «الرصد الثقافي»، للقيام بهذه المهمة. ثم بدأ «المركز الثقافي الإيراني في بيروت» (التابع للمستشارية)، منذ شباط (فبراير) ٢٠٠٧م، بإصدار مجلة «إيران الثقافي»، وهي (فصلية تعنى بشؤون الثقافة والفن والتراث) بإشراف المدير التنفيذي، الأستاذ محمد سعد. هذا فضلاً عن عدة مجلات أخرى، في كلا البلدين، تسهم بمستويات مختلفة في هذا المجال (التواصل الفكري).

## المؤتمرات والندوات الفكرية:

ومن الأمور المهمة في حقل التواصل الثقافي بين لبنان وإيران... هذه المؤتمرات والندوات الفكرية، التي تعقد في لبنان أو في إيران... أو حتى في دول الجوار... ويشارك فيها باحثون من كلا البلدين.. مما يسمح لهم بالتواصل الفكري والنقاش المباشر، ومن دون الحاجة إلى وسيط؛ وقد كان لصاحب هذا البحث، شرف المشاركة في أغلب هذه اللقاءات الفكرية، سواء في لبنان أو إيران أو سوريا أو غيرها. ومن هذه اللقاءات: الندوة التي نظمتها «المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية» في بيروت، في الرابع من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٢ م، في قاعة «وست هول» في الجامعة الأميركية في بيروت، تحت عنوان: «دور اللغة الفارسية وأدبها في التفاعل الحضاري» حيث شارك في هذه الندوة أساتذة اللغة الفارسية في فروع كلية الآداب في الجامعة اللبنانية، الدكاترة: أحمد لواساني، عبد الله الخالدي، طلال مجذوب، طوني الحاج، أغناطيوس الصيصي، وعلي يوسف نور الدين<sup>(١)</sup>.

ومن المؤتمرات المهمة في هذا المجال، «المؤتمر الدولي العربي الفارسي للأدب المقارن» الذي انعقد في قصر الأونيسكو في بيروت في ١١ و ١٢ أيار (مايو) ٢٠١٠ م (بتنسيق بين الجامعة اللبنانية، وجامعة فردوسي (مشهد)، «والمستشارية الثقافية» في بيروت) حيث شارك فيه أكثر من ست وأربعين باحثاً وباحثة من مختلف الجامعات الإيرانية... وثلاثة عشر باحثاً من الجامعة اللبنانية والجامعات العربية (سوريا، الأردن، مصر).

(١) أنظر: مجلة «الرصد الثقافي» العدد ٢٧ ص ٣٥، «المستشارية الثقافية» بيروت، كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ م. وقد حضر هذه الندوة فضلاً عن عدد من المسؤولين اللبنانيين... كل من: معاون وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي للشؤون الدولية في الجمهورية الإسلامية، علي جنتي، ومعاون رئيس «جامعة طهران» لشؤون الدراسات والبحوث، تقي خان، ومعاون رئيس «جامعة طهران» للشؤون الإدارية والمالية، شمس الدين وهابي، والمستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية في لبنان وسوريا (في ذلك الوقت) الشيخ محمد شربعتي.

هذا، فضلاً عن الندوات الكثيرة التي تقيمها المستشارية الثقافية في بيروت، تكريماً لهذا المفكر أو ذاك، أو احتفالاً بمناسبة صدور كتاب ما، يخدم العلاقة الطيبة بين البلدين.

إلى جانب هذا، تلك المؤتمرات المتنقلة، التي يعقد قسم منها في إيران، ليعقد قسمها الثاني في لبنان... على غرار «المؤتمر الدولي في فكر الشهيدين» (بيروت ٢٠٠٣ أيار ٢٠١١) الذي نظّمته «جمعية الإمام الصادق لإحياء التراث العلمائي» (بيروت)، و«المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية» (قم) و«المجتمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية» (إيران): حيث انعقد القسم الأول منه في مدينة «قم» الإيرانية في العام ٢٠١٠، كذلك مؤتمر حول «الإمام عبد الحسين شرف الدين» الذي انعقد القسم الأول منه في آذار (مارس) ٢٠٠٥م، في مدينة قم... ثم القسم الثاني منه، في أواخر السنة عينها، في بيروت.

### تبادل الوفود:

ومن العوامل التي أسهمت في تعزيز العلاقة الفكرية بين البلدين بعد الثورة، تبادل الزيارات الفكرية: سواء على مستوى الجماعات، أو على مستوى الأفراد.. حيث لا تخلو مناسبة فكرية إيرانية، كالمعرض الدولي للكتاب في طهران، أو احتفالات الثورة الإيرانية... إلا ويكون لبنان حاضراً فيها، من خلال عدد من رجال الفكر... وكذلك زيارة العديد من المحاضرين الإيرانيين إلى لبنان.

وفي هذا المجال، لا بد من الحديث عن الأعداد الكبيرة من الطلاب من كلا البلدين، الذين يتابعون دراساتهم في البلد الآخر، حتى أنه تشكلت في لبنان جمعية باسم «جمعية المتخرجين من المعاهد والجامعات الإيرانية»، للتأكيد على عمق العلاقة بين إيران ولبنان.

وما دمنا في مجال الحديث عن التبادل الفكري... تجدر الإشارة هنا أيضاً، إلى المشاركة المتبادلة، في معارض الكتب الدولية، التي تقام سنوياً في كل من بيروت

وطهران، حيث نشهد في كلا المعرضين، مشاركة لدور النشر من كلا الطرفين، في معرض الطرف الآخر، وخصوصاً المشاركة المكثفة لدور النشر اللبنانية في معرض طهران الدولي للكتاب.

### وسائل الإعلام المرئي والمسموع:

أدى التقدم السريع في وسائل الاتصالات، إلى ظهور نوع جديد من التواصل بين اللبنانيين والإيرانيين، وبالأخص، من خلال إنشاء عدة فروع لمحطات التلفزة الإيرانية في بيروت، مثل «قناة العالم» أو «قناة الكوثر» أو غيرها... هذا فضلاً عن الموظفين اللبنانيين، الذين يعلمون في هذه المحطات التلفزيونية، سواء في بيروت أو في طهران ويكونون على تماس مع زملائهم الإيرانيين. كذلك، فإن برامج هذه المحطات الفضائية، كثيراً ما جمعت «على الهواء»، العديد من المفكرين اللبنانيين والإيرانيين معاً، الأمر الذي جعل المشهد الثقافي في كلا البلدين، في متناول الطرف الآخر مباشرة.

أضف إلى ذلك: الإنتاج السينمائي أو التلفزيوني المشترك، أو تبادل الأفلام والمسلسلات التلفزيونية، أو تبادل الممثلين، أو الفرق المسرحية، أو المعارض الفنية (نحت، رسم، خط...)... بين لبنان وإيران... كل هذا، يُضفي على العلاقات الفكرية والروحية بين البلدين.. بُعداً وجدانياً خاصاً. ويجعل كل طرفٍ أكثر معايشة وفهماً لقضايا الطرف الآخر.

ومن الملاحظ هنا، أن النشاطات الفكرية الإيرانية المتعددة في لبنان، هي كبيرة جداً، مقارنة بالنشاطات التي يقوم بها لبنان في إيران... وما ذلك، إلا لضعف الإمكانيات المادية، وعدم وجود خطة واضحة، لتحرك خارجياً، في هذا المجال، عند الطرف اللبناني... خلافاً لما هي عليه الحال، عند الإيرانيين.

أن العلاقة بين لبنان وإيران، هي علاقة راسخة، رسوخ حضارتيهما في أعماق

الزمن؛ ومهما اعترى هذه العلاقة من فتور في بعض الأوقات (مع تقلب المزاج السياسي عند البعض)، فإن كلا منهما، ليعترفُ بفضل الآخر عليه... قديماً وحاضراً. وخيرُ شاهد على هذا، هذه الأبيات للأستاذ في كلية الآداب في جامعة مشهد، الشاعر غلام حسين نقيد، مرحباً عبرها بوفد علماء لبنان، الذي زار مشهد سنة ١٩٦٠ قائلاً: (١)

أهلاً وسهلاً بأضيافِ ذوي شرفٍ      من أرضِ لبنانٍ قد زاروا خراسانا  
طُوبَى وبُشْرَى لزوَارِ الرُّضَا فَلَقَدْ      نَالُوا بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ رِضْوَانَا  
يا زائري أرضِ طوسٍ مرحباً بِكُمْ      زُرْتُمْ هُنَاكَ أَحِبَاءً وَإِخْوَانَا  
إِنَّ كَانَ مَخْتَلِفاً فِي الْقَوْلِ مَنْطِقُنَا      إِنَّا لَمُتَّحِدٌ قَلْباً وَوَجْدَانَا  
الدِّينُ وَالْفَقْهُ وَالْآدَابُ تَجْمَعُنَا      إِنْ كَانَ مَفْتَرِقاً فِي الْأَرْضِ مِثْوَانَا  
مِنْكُمْ أَخَذْنَا قَدِيماً فَفَقَهُ مَذْهَبِنَا      كُنْتُمْ لَنَا فِي طَرِيقِ الْخَيْرِ أَعْوَانَا  
فَضْلُ الشَّهِيدِ وَعِلْمُ الْعَامِلِيِّ كَفَى      لِفِخْرِكُمْ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ بَرَّهَانَا  
وَالْعَامِلِيُّ، بِهِاءُ الدِّينِ عَالِمُكُمْ      قَدْ فَاقَ كُلَّ الْوَرَى عِلْماً وَعِرْفَانَا  
فَلْتَبَقْ فِينَا عَهْدُ الْوَدِّ ثَابِتَةً      وَيَحْفَظِ اللَّهُ إِيْراناً وَلِبْنانَا

\*\*\*

(١) مجلة «العرفان» ص ٦١٧، بيروت صيف ١٩٦٢ م.



## الشيخ البهائي والعهد الصفوي

### د- مصطفى بزي<sup>(1)</sup>

يرتبط تاريخ الشيخ البهائي، هجرة وتعلماً، وتعليماً، وبراعةً في كثير من العلوم ارتباطاً مباشراً بإيران بشكل عام، وبالدولة الصفوية بشكل خاص، ومن هنا، يجدر بنا الحديث بداية عن الدولة الصفوية، لتكون مقدمة أو منطلقاً لنا، للغوص في بحر الشيخ البهائي، الذي يبدو أنه لم يكن محدوداً، أو يستطاع خوض غماره بسهولة، وهذا ما ستدل عليه سيرة هذا العبقرى الفذّ، وأعماله ومؤلفاته وغير ذلك.

**الدولة الصفوية:** قبل الدولة الصفوية كانت البلاد الإيرانية منقسمة دويلات متعددة، ولما جاءت الدولة الصفوية وحدت البلاد تحت سيطرتها، وبدأ حكمها في أوائل القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، واستمر أكثر من قرنين من الزمان، وقد عاش الشيخ البهائي في كنفها.

أول ملوك هذه الدولة هو الشيخ إسماعيل ابن الشيخ حيدر، المولود سنة ٨٩٢ هـ الموافق لسنة ١٤٨٧ م، وحكم اثنين وعشرين سنة، من عام ٩٠٧ هـ الموافق لسنة ١٥٠١ م، حتى وفاته في عام ٩٣٠ هـ الموافق لسنة ١٥٢٣ م، وهو إسماعيل بن حيدر بن صدر

(١) أستاذ في الجامعة اللبنانية.

الدين بن صفى الدين. واحتل هذا الملك أذر بيجان سنة ٩٠٧ هـ سنة ١٥٠٢ م، ودخل عاصمتها تبريز<sup>(١)</sup>، وأعلنها عاصمة له، وتوج نفسه ملكاً على بلاد فارس، وسمى نفسه : « أبو المظفر شاه إسماعيل الهادي التوالي»، وأعلن المذهب الشيعي مذهباً رسمياً وإجبارياً لدولته، وفرضه على أتباعه وسكانها، وعلى سكان الولايات التي فتحها بعد ذلك، وخلال فترة معينة أصبحت الدولة تمتد من نهر جيحون (في آسيا السوفياتية) إلى الخليج، ومن الفرات إلى أفغانستان<sup>(٢)</sup>.

العائلة الصفوية إعتبرت نفسها حامية للمذهب الشيعي، وبما أن الصفويين أرادوا إضفاء شيء من القدسية على دولتهم، فإنهم إدّعوا أنهم سادة، يعودون بنسبهم إلى أهل البيت، وينحدرون تحديداً من سلالة حمزة ابن الإمام موسى الكاظم، المتوفي سنة ١٨٣ هـ الموافق لسنة ٧٩٩ م، لكن برأي البعض فإن هذا الأمر يحتاج إلى تدقيق<sup>(٣)</sup>. ولذلك فإن الشاه إسماعيل الأول كان يعتبر نفسه سيّداً، ويفتخر بهذا النسب، وسمى نفسه بـ «إسماعيل بن حيدر الحسيني» وأنه من آل علي عليه السلام. إن ما كان يميز أوضاع إيران المذهبية، قبل بدء سلطنة الشاه إسماعيل، قلة عدد الشيعة، الذين كانوا متفرقين في نواحي عدة من إيران مثل: قم، كاشان، الري، مازندران، سبزاور وغيرها<sup>(٤)</sup>، ومن المعروف أن (قم) احتضنت قبر المعصومة، أخت الإمام علي الرضا، وإبنة الإمام موسى الكاظم عليه السلام. هذا وقرّر الشاه إسماعيل أن يضرب على أحد وجهي السكّة (العملة المتداولة) عبارة «الشاه عبد الولاية» كما سمي نفسه، وعلى الوجه الآخر: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله محاطة بأسماء الأئمة الأحد عشر الآخرين»<sup>(٥)</sup>.

(١) حول مدينة تبريز راجع: ياقوت الحموي: «معجم البلدان» ج ٢ ص ٢.

(٢) دلال عباس: «بهاء الدين العاملي، أدبياً وفقهياً وعالمياً» ط ١، دار الحوراء، سنة ١٩٩٥.

(٣) (م.ن) ص ٣٣.

(٤) حول هذه المدن، راجع ياقوت الحموي: «المرجع السابق» ج ٤ ص ٣٩٧.

(٥) كارل بروكلمان: «تاريخ الشعوب الإسلامية» ط ٥، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين -

بيروت سنة ١٩٧٩ م ص ٤٩٧.

هكذا نمت قوة الشاه إسماعيل، وهكذا تحقق حلم الفرس في وجود سلطان شيعي، ومن ثم امتزجت عقيدتهم الدينية المذهبية بالروح القومية، وظل الشاه يقوى ويوسع نفوذه ويزيد من أملاكه، حتى انضمت إليه مجموعة من القبائل التركية، يطلق عليها اسم «قرل باش»، وكلها شيعية، ثم استولى على بغداد والموصل وديار بكر، وفي سنوات قليلة ضم إليه كل امبراطورية الشاه»<sup>(١)</sup>

ثم ذهب بنفسه إلى العراق، متفقداً حاجاً إلى العتبات المقدسة الدينية الشيعية، فشق قناة للمياه إلى النجف، وعمر مرقد الأئمة الشيعية، وهنا أصبح على تماس مع الدولة العثمانية في الأناضول والبلقان، والدولة المملوكية في الشام والحجاز، ولا شك أن تأسيس دولة قوية، مهمة، ذات نظام ومؤسسات، وتدين بالمذهب الشيعي، أدى إلى ردود فعل متباينة في ظل تعصب مذهبي متبادل، وهذا أدى إلى صراع، كان يقوى ويخف، خاصة مع الجيران الأتراك والأفغان.

### الصراع مع الدولة العثمانية:

السلطان سليم العثماني ابن السلطان با يزيد (الذي حكم بين سنتي ٩١٨ هـ سنة ١٥١٢ م وسنة ٩٤٦ هـ - ١٥٢٠ م)، استغل الوضع، وخاصة المذهبي، وما رافقه من ممارسات معينة، فاعتبر أن «الشيعية خارجين عن الإسلام، وتجب مقاتلتهم ومحاربتهم وقتلهم، لذلك أمر بقتل كل من كان معروفاً بالتشيع داخل بلاده، من سن سبع سنوات إلى سبعين سنة»<sup>(٢)</sup>، ومعظم مؤرخي الأتراك يؤكدون أن عدد القتلى وصل إلى ٤٠ ألف إنسان، ويقول المؤرخون هؤلاء، أن هذه الحادثة هي من أفجع الأعمال التي لبست رداءً مذهبياً.

(١) راجع: دلال عباس: «المرجع السابق».

(٢) ستانلي بول: «طبقات سلاطين الإسلام» ترجمة مكي طاهر الكعبي، دار المنشورات البصري - بغداد -

سنة ١٢٨٨ هـ - سنة ١٩٦٨ م، ص ٥٢٨.

ثم هياً السلطان سليم جيشاً قوياً لمحاربة الشاه إسماعيل، وجرت معارك بين الطرفين، «انتهت بهزيمة الشاه في ٢ رجب سنة ٩٢٠ هـ ٢٣ آب سنة ١٥١٤ م، وتقدم السلطان نحو العاصمة تبريز، واستولى على خزائن الشاه، وأرسلها إلى القسطنطينية»<sup>(١)</sup>

### تخلص العثمانيين من المماليك:

بعد هذا الانتصار الذي حققه السلطان سليم على الصفويين، فإنه قرر أن يقضي على دولة المماليك، فأحرز في معركة «مرج دابق» نصراً حاسماً على قانصوه الغوري، وذلك في ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ هـ، ٢٤ آب سنة ١٥١٦ م، ومرج دابق هي مكان قريب من مدينة حلب، وبعد ذلك بأقل من سنة، دخل السلطان القاهرة بعد أن انتصر على طومان باي في معركة «الريديانية».

### دخول جبل عامل تحت الحكم العثماني:

بعد معركة مرج دابق، دخلت سورية تحت حكم السلطان سليم<sup>(٢)</sup>، وتبعاً لذلك دخل جبل عامل ضمن هذه السلطنة، باعتباره جزءاً من بلاد الشام، ووقع هذا الحدث على جبل عامل بثقله، فأصاب من الشر أكثر مما أصاب بلاد الشام الأخرى، لأن أهله كانوا بنظر العثمانيين متهمين بميولهم إلى الدولة الصفوية، عدوة العثمانيين<sup>(٣)</sup>.

ويتفق معظم المؤرخين، وتبياناً للحقيقة، أن التشيع في جبل عامل قديم، وأسبق بكثير من التشيع في إيران، وهو يمتد حتى خلافة عثمان بن عفان، وتحديداً إلى عهد

(١) بروكلمان: «المرجع السابق» ص ٤٦٦.

(٢) محمد كرد علي: «خطط الشام» ج ٢ ص ٢٣٥ وما بعد.

(٣) حول ذلك راجع: محمد تقي آل فقيه: «جبل عامل في التاريخ» دار الأضواء، بيروت سنة ١٩٨٦ ص ٣٧. ومحسن الأمين: «خطط جبل عامل» ط ١، الدار العالمية للطباعة والنشر، سنة ١٤٠٢ هـ ومحسن الأمين: «أعيان الشيعة» الجزء الأول ص ٢٥ و ص ١٩٩.

الصحابي الجليل أبي ذرّ الغفاري، الذي نفاه عثمان إلى الشام، ليكون هناك تحت عين الوالي معاوية بن أبي سفيان، الذي حاول إغراء أبي ذرّ، لكنّه لم يستطع، فنفاه إلى جبل عامل، وذلك في سنة ٢٤ هـ سنة ٦٤٤ م<sup>(١)</sup>، هذا وقد ذكر الحر العاملي «أنّه لم يسبق أهل جبل عامل إلى التشيع، إلا جماعة محصورون من أهل المدينة»<sup>(٢)</sup>.

ما بعد الشاه إسماعيل الصفوي، الشاه طهماسب:

توفي الشاه إسماعيل سنة ٩٣١ هـ - سنة ١٥٢٤ م، وجاء بعده ابنه «طهماسب» الذي حكم، وهو ابن عشر سنوات، وامتد حكمه اثنتين وخمسين سنة. يعتبر هذا الشاه من أهم قادة الدولة الصفوية، لكن لا ندري لماذا اعتبره بروكلمان «أنّه الممتدين الوحيد بين ملوك الدولة الصفوية»<sup>(٣)</sup>.

المهم أن هذا الشاه كان يجلّ العلماء ويحترمهم، وذكر المؤرخون كثيراً من القصص عن شدة تعظيمه للعلماء<sup>(٤)</sup>، وهو كان لا يألو جهداً في تشجيع العلماء الأعلام، وترغيبهم في الذهاب إلى إيران والعيش فيها، وقد بدأت الدولة في عهده بإجتذاب المتكلمين رويداً رويداً في النجف، أو من جبل عامل، لينهضوا بمهمة نشر المذهب الشيعي وتطبيقه، وأطلق الشاه طهماسب يد رجال الدين في شؤون المملكة، ويقال أن هذا الشاه تأثر بشخصية الشيخ الكركي علي بن عبد العالي (المحقق الثاني)<sup>(٥)</sup>، المولود سنة ٨٧٠ هـ سنة ١٤٦٠ م، والمتوفي سنة ٩٤٠ هـ - سنة ١٥٢٣ م.

في عهد هذا الشاه، هاجر بالفعل عدد من علماء النجف وكرك نوح وجبل عامل إلى إيران، ولا شك أن الإضطهاد الديني للشيعة كان أحد الأسباب الرئيسية لهذه الهجرات.

(١) راجع: محمد كرد علي: «خطط الشام» ج ٦ ص ٢٥٢.

(٢) محمد بن الحسن الحرّ العاملي: «أمل الأمل» ج ١، تحقيق أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس، بغداد، بدون تاريخ ص ١٣.

(٣) بروكلمان: «المرجع السابق» ص ٥٠٠.

(٤) محسن الأمين: «أعيان الشيعة» ج ٣ ص ٨٢.

(٥) بروكلمان: «المرجع السابق» ص ٥٠١.

هنا نتوقف عند مسألة مهمة تتعلق بالشيخ البهائي، وهي أنه في عهد الشاه المذكور، كان الشيخ حسين ابن عبد الصمد، والد الشيخ البهائي من جملة الذين هاجروا إلى إيران.

### بروز الشيخ البهائي:

مولده ونسبه: ولد «الشيخ بهاء الدين العاملي»، المعروف بـ «الشيخ البهائي» يوم الأربعاء في السابع عشر من ذي الحجة سنة ٩٥٣ هـ سنة ١٥٤٦ م. وهناك أكثر من رواية حول موضوع مكان ولادته، لكن أقربها إلى الصحة، أنه ولد في بعلبك، وكثيرون الذين أشاروا إلى ذلك، ويورد الشيخ جعفر المهاجر رواية شفوية، ما تزال حية متداولة حتى اليوم في بعلبك، تقول أن الشيخ البهائي ولد في قرية «إيعات»، التي تقع شمالي غربي بعلبك، على بعد خمسة كيلومترات منها، وقرية إيعات كانت في ذلك الحين مسكناً لعائلة كبيرة، تنسب إلى «همدان»، القبيلة التي ربما يعود إليها الفضل في نشر التشيع الإمامي في لبنان، ولعل الشيخ حسين بن عبد الصمد، أثر السكن هناك بين أقاربه، حيث ولد ابنه بهاء الدين»<sup>(١)</sup>

ويبدو أن والد البهائي الشيخ حسين هاجر إلى إيران في أيام الشاه طهماسب، بعد شهادة شيخه الثاني، وهناك من يقول أن الهجرة تمت في حياة الشهيد الثاني<sup>(٢)</sup>. ويقال أن الشيخ حسين، وقبل أن يذهب إلى إيران، زار البحرين، وأقام فيها، ودرّس في مدرستها العامرة، وكانت كنيته «أبو الفضائل»، وربما لكثرة الفضائل التي كان يتمتع ويتصف بها.

نشير أن بهاء الدين العاملي هاجر مع والده إلى بلاد العجم، وسكن بدايةً في قزوین، ثم إنتقل منها إلى أكثر من مدينة.

(١) الشيخ جعفر المهاجر: «بهاء الدين العاملي» مجلة الثقافة الإسلامية، العدد ٥، دمشق، سنة ١٤٠٦ هـ سنة ١٩٨٦ م ص ١٥٣.

(٢) دلال عباس: «المرجع السابق» ص ١٠٢ و ص ١٠٤.

## لماذا كانت الهجرة إلى إيران؟

ربما يسأل البعض عن السبب الذي جعل العاملين يتوجهون إلى إيران، وهل كانت هناك هجرة عاملية قبل العهد الصفوي، ولماذا زادت وتيرة الهجرة في هذا العهد؟ إن بعض المؤرخين يؤكدون أن العلاقات بين جبل عامل وإيران هي قبل الدولة الصفوية، وتحديدًا «منذ القرن السابع الهجري، حيث استقدم الإيلخانيون (وهم من المغول) عددًا من علماء الشيعة من خارج إيران، وذلك لنشر المذهب الشيعي والردّ على المخالفين، بينهم عدد من العاملين، الذين ساعدوا على تركيز التشيع في إيران في تلك الحقبة»<sup>(١)</sup>.

كما يذكر المؤرخون، أن علاقات قامت أيضاً في القرن الثامن الهجري، بين أمراء تولوا الحكم بعد زوال حكم جماعة من المغول، وبين علماء جبل عامل، وأن أحد أمرائهم علي بن المؤيد، حاول أن يستقدم الشهيد الأول إلى خراسان لنشر العقيدة<sup>(٢)</sup>، لكن كما هو معروف، فإن الشهيد الأول اعتذر بلباقة، وأرسل للأمير «اللمعة الدمشقية».

إذن العاملين، وتحديدًا العلماء، هاجروا إلى إيران قبل حكم الصفويين، لكن هذه الهجرة قوية، واشتدت وتيرتها بعد حكم هؤلاء، الذين شجعوا التشيع، بل تبوّهوا، وشجعوا الشيعة للذهاب إلى إيران، فاستجاب هؤلاء، رغبةً منهم في الهجرة إلى بيئة حاضنة، يتابعون فيها دراساتهم، ويدرسون، وكذلك هرباً من الظلم العثماني، الذي كان يلاحق الشيعة، وقد اشتدت هذه الهجرة قبيل وبعد استشهاد الشهيد الثاني.

وحول هذا الموضوع، يذكر السيد حسن الصدر، «أنه لما جرى في تلك البلاد (جبل عامل) من القضاء المحتوم على المبرور الشهيد الثاني رحمه الله، تضعفت البلاد العاملية، واضطرب أهلها، وشملهم الخوف والتقية، خرج الشيخ علي بن أحمد بن

(١) نقلاً عن «نفس المرجع» ص ٦٢.

(٢) محمد جابر آل صفا: «صفحات من تاريخ جبل عامل» العرفان م ٢٧ ج ٦ ص ٤٢٦، وأيضاً: محسن الأمين:

«أعيان الشيعة» ج ١٠ ص ٦٠.

أبي جامع مع أولاده وعياله خائفاً، يترقب، حتى وصل كربلاء فأقام بها... وكان السيد محمد ابن أبي الحسن العاملي أيضاً قد جاء من البلاد وسكن بكربلاء»<sup>(١)</sup>، كما أننا نقرأ الدعوة إلى الهجرة صريحة في أدب ذلك العصر، وبخاصة في شعر الشيخ حسن بن زين الدين العاملي، ابن الشهيد الثاني. والمصادر الأساسية تشير إلى «أن عدد العاملين في العصر الصفوي كان كبيراً جداً»<sup>(٢)</sup>.

لا شك، وكل المؤرخين يؤكدون، أنه كان لهؤلاء العلماء أثر كبير في الدولة وفي هذا الصدد يقول الشيخ مرتضى مطهري: «أن لعلماء جبل عامل دوراً مهماً في الخطوط العامة للدولة الصفوية الشيعية، فالصفويون كانوا صوفية، ولو لم يكن يعتدل خط الصوفية الصوفي بسيرة فقهية عميقة من قبل علماء جبل عامل، ولو لم تتأسس على أيديهم حوزة فقهية عميقة في إيران، لكان خط الصوفية الصوفي ينتهي إلى ما انتهى إليه العلويون في الشام أو تركيا»، ويضيف الشيخ قائلاً: «إن لفقاء جبل عامل، بتأسيسهم الحوزة الفقهية في أصفهان، حقاً كبيراً على ذمة الأمة الإيرانية»<sup>(٣)</sup>.

في خضم هذه الهجرة العاملة الكثيفة إلى بلاد العجم، كانت هجرة الشيخ البهائي مع والده الشيخ حسين، ويرجح أن يكون هاجر إلى إيران سنة ٩٦٠ هـ سنة ١٥٥٣ م.

### دراسة الشيخ البهائي:

درس أولاً: على والده الشيخ حسين، الذي كان له الأثر الكبير عليه، حيث كان المعلم والموجه والمثال المحتذى، وكان الشيخ البهائي يقول عن والده دائماً: «والدي وأستاذي ومن إليه، ومن إليه في العلوم استنادي»<sup>(٤)</sup>.

(١) حسن الصدر: «تكملة أمل الآمل» تحقيق أحمد الحسيني، دار الأضواء، بيروت سنة ١٤٠٧ هـ سنة ١٩٨٦ م.

(٢) نقلاً عن دلال عباس: «المرجع السابق» ص ٦٧.

(٣) نقلاً عن «نفس المرجع» ص ٦٨.

(٤) (م.ن) ص ٨٨.

ونشير أن الشيخ حسين الوالد، كان «من مشايخ جبل عامل العظام، وكان فاضلاً، عالماً، جليلاً، أصولياً، متكلماً، فقيهاً، محدثاً، شاعراً، ماهراً في صنعه اللغز، وله الألباز المشهورة، التي خاطب بها ولده البهائي»<sup>(١)</sup>، كما كان الشيخ حسين مشاركاً ومساهمياً في تصحيح كتب الحديث والرجال، لأنّه كان يقابلها معه، وفي تحصيل مقدمات الإجتهد وكسب الكمال، لأنّه كان يقرأ على الشهيد الثاني، وقد رحل معه إلى مصر للدرس سنة ٩٤٢ هـ - سنة ١٥٣٦ م، وأخذ معه عن كبار علمائها.

لم يكن الوالد هو الأستاذ الوحيد للشيخ البهائي، فقد درس هذا الأخير على جملة من العلماء الكبار، وذلك في كل الأماكن التي انتقل إليها، وقد أتيح له أن يدرس على يد جهازة العلماء في قزوین عاصمة إيران، ودار العلم في ذلك الوقت، ومن أساتذته هناك:

عبد الله شهاب الدين حسين اليزدي، الشهير بالملا عبد الله وهو من أساتذة المنطق والحكمة، والحكيم عماد الدين محمود أشهر أطباء إيران في عصره، والطبيب الخاص للشاه طهماسب، وأخذ عنه البهائي الطب، وعلي المذهب المدرسي أخذ عنه الرياضة، أي علم الجبر غالباً، وملاً فضل القاضي أو القايني المدرّس، وأخذ عنه الرياضة والكلام والفلسفة، والمير مرتضى، وأحمد النهي الكيلاني، وقرأ عليه الرياضيات والحكمة.

كذلك تعلم الشيخ البهائي على أيدي أساتذة خارج إيران، في معظم الحواضر الإسلامية التي زارها، مثل حلب حيث درس على الشيخ عمر العُرضي، كما يروي عن الشيخ محمد بن محمد بن أبي اللطف المقدسي الشافعي...»<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد بن الحسن الحرّ العاملي: «أمل الآمل... المرجع السابق» ج ١ ص ٧٥، ومحسن الأمين: «أعيان الشيعة» ج ٦ ص ٥٦.

(٢) حول دراسته وأساتذته راجع: دلال عباس: «المرجع السابق» ص ٢١٧ - ٢٢٨.

## تقلّده أول منصب :

قبل سنة ٩٨٣ هـ - سنة ١٥٧٥ م، كان الشيخ حسين يقيم في مدينة هرات، وكان الشيخ البهائي مع والده، وفي ذلك العام بالذات، غادر الوالد المدينة متوجهاً إلى قزوين لملاقة الشاه طهمااسب هناك، وطلب الرخصة منه، له ولوالده البهائي، بالحج إلى بيت الله الحرام، وهو يضمّر في نفسه أمراً، فأذن الشاه له، ولم يأذن لولده البهائي، وأمره أن يقوم مقام أبيه في (هرات)<sup>(١)</sup>، وكان هذا أول منصب رسمي يتولاه البهائي. يتساءل البعض عن السبب الذي جعل الشيخ حسين يترك إيران، وقد لاقى هناك كل اهتمام واحترام، ويعيدون ذلك إلى أسباب عديدة أهمها:

- ما لاحظته من مظاهر البذخ والترف ورغد العيش والراحة التي يعيش في خضمها العلماء في إيران، بعكس حالة علماء جبل عامل، الذين كانوا يعيشون حياة زهد وقناعة وكّد وجدّ، ولا خدم لهم، وهم يقومون بأعمالهم بأيديهم.
- التعصب المذهبي الذي لاحظته، وهو الذي كان يسعى إلى التقريب بين المذاهب، كأستاذه الشهيد الثاني<sup>(٢)</sup>.

ويذكر أن الشيخ حسين لاحظ أن العثمانيين كانوا في مكة، وهم يتعرضون للشيعة ضغطاً وتهديداً، فلم يجد مكاناً آمناً له، إلا البحرين، حيث إنتقل إلى هناك، وخلال وجوده في هذا البلد، «كانت له مع ولده البهائي كتابات، وحاول إقناعه باللاحاق به إلى البحرين»<sup>(٣)</sup> لكن المصادر لم تذكر أن البهائي غادر هرات وإلتحق بأبيه، وحتى لو تمّ ذلك فإن الوالد توفي في ٨ ربيع الأول سنة ٩٨٤ هـ سنة ١٥٧٦ م، ودفن بالمصلى من هجر<sup>(٤)</sup>.

(١) محسن الأمين: «المرجع السابق» ص ٥٩.

(٢) محسن الأمين: «أعيان الشيعة» ج ٩ ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٣) محسن الأمين: «أعيان الشيعة» ج ١ ص ٤٠٤.

(٤) محسن الأمين: ج ٩ ص ٢٤٠.

### مغادرة الشيخ البهائي إلى قزوین:

بعد وفاة الشاه طهماسب، في نفس العام الذي توفي فيه والد الشيخ البهائي، الشيخ حسين، تحرّر الشيخ البهائي من ضغط البقاء في هرات، حيث كان مشغولاً هناك بالإفاضة والتدريس، وعاد إلى قزوین سنة ٩٨٤ هـ، وكان وضع الأمن مختلاً، فتفرغ للكتابة والتدريس.

### تراجع في وضع الشيعة في إيران:

توفي الشياه طهماسب بعد حكم دام أكثر من نصف قرن، وكانت وفاته سنة ٩٨٤ هـ - سنة ١٥٧٦ م، وتولى ابنه حيدر السلطنة من بعده، لكن هذا الأخير قُتل بعد بضعة ساعات من وفاة أبيه وتسلمه الحكم، فدُفنا معاً. ولا شك أن مؤامرة ما كانت وراء مقتل حيدر، ويبدو ذلك من خلال ما حصل بعد ذلك.

تولى السلطنة الابن الثاني لطهماسب «إسماعيل الثاني» الذي كان مسجوناً من قبل والده، فلما توفي الوالد أخرج هذا من السجن، ويبدو أن جماعة إسماعيل هم وراء مقتل حيدر، والتخلص منه، وبعد تولي إسماعيل السلطنة ثأر من كل من حوله، فتخلص من إخوته الآخرين، وأبناء إخوته ومن يساعدهم، ولم ينج من القتل إلا أخوه الضرير وابن أخيه. الملفت للنظر، أن حكم إسماعيل الثاني كان سيئاً بالنسبة للشيعة، حيث أظهر الشاه كرهاً للمذهب الشيعي.

لم يستمر هذا الشاه في الحكم طويلاً، ويبدو أنه كان يسير بعكس التيار الجارف القوي في الدولة، فبعد تسعة عشر شهراً من توليه الحكم، تمّ اغتياله.

لم يبق من البيت الصفوي إلا الأخ الضرير «محمد خدا بنده» (خدا بنده تعني عبد الله، أي محمد عبد الله)، وكان هذا الضرير حاكماً على فارس من قبل أبيه طهماسب

وأخيه إسماعيل، لكن الرجل كان ضعيفاً، واستغل هذا الأمر من قبل العثمانيين، وكذلك من بعض النساء، اللواتي أخذن دوراً لهن على حساب «خدا»، وتبعاً لذلك حصل خلاف بين أخت خدا بنده من جهة، وزوجته وتدعى «مهد عليا» من جهة أخرى، وهذه الأخيرة هي والدة الشاه عباس الكبير (الذي كان عهده عهد الشيخ البهائي بحق).  
الخلاف بين النساء انتهى بقتل الأخت، بينما فرضت الزوجة سلطتها وجبروتها على كل رجال الدولة، وهي التي مهدت لسلطة ابنها الشاه عباس.

### البهائي في قزوين:

في قزوين عاش الشيخ البهائي أزمة الصراع حول السلطة بين الأمراء الصفويين أنفسهم، وتحدث في أكثر من مناسبة، وبصورة واضحة عن إختلال الوضع واضطراب حبل الأمن، ويتضح مما تحدث به أنه كان مكسور الجناح، وأن آماله خابت، وفقد المجد الذي كان له ولأبيه زمن الشاه طهماسب، وأن أولئك الذين كانوا في سدة الحكم، لم يكونوا يعرفون قيمته، ولا يميزون بينه وبين من هم دونه قيمة «وأكثر من ذلك فإنه أنف أن يحتمل المقام في دار الهوان، بعد أن فقد مكانته العلمية والاجتماعية، وبعد أن فسد الزمان وأهله، وتصدّر للتدريس من قلّ علمه، وكثر جهله، فانحطت رتبة العلم وأصحابه، واندرست مراسمه بين طلابه»<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الشيخ البهائي عاش فترة تفكير صعبة، فهو من جهة يرى وضعاً صعباً لا يمكن الإنسجام معه، وهو لا يستطيع التغيير، وهو يتذكر وصايا والده له، ومنها «إن كنت لا تريد الدنيا ولا الآخرة فابق في إيران»<sup>(٢)</sup>، وقول الرسول ﷺ: «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة»<sup>(٣)</sup>.

(١) (م.ن) ص ٢٤٨ والشيخ البهائي: «الكشكول» ج ١، طبعة الأعلمي طبعة ٦، بيروت سنة ١٤٠٢ هـ سنة ١٩٨٢

م، ص ١٨٤ و ص ٢٠٨.

(٢) محسن الأمين: «أعيان الشيعة» ج ٦ ص ٦٠.

(٣) الشيخ البهائي «المرجع السابق» ص ٢٤٥.

### هجرته المعاكسة:

وقرر الشيخ البهائي أخيراً أن يترك، وكانت رحلة الحج، ثم كانت فترة تنقل إلى أكثر من مكان، ويقال أنه ساح ثلاثين سنة في المشرق، فزار مصر والقدس ودمشق وحلب وتبريز وأصفهان والحجاز وكرك نوح وبعليك، وغيرها. من الواضح، وحسب ما يذكر المؤرخون والمحدثون والعارفون بخفايا الشيخ، أنه لم تفرّه مباحج الدنيا ومغرياتها، والمناصب الدنيوية التي جربها، لكنه لم يستمر فيها، وكان همّه أن يكون لديه حرية تفكر، ومن هنا فإن الرحلات التي قام بها فتحت أمامه آفاقاً واسعة، فازداد إطلاعاً ومعرفة وثقافة وعلماً، لكن الملفت للنظر أن الشيخ البهائي لم يترك آثاراً مكتوبة عن رحلاته، وفي هذا الصدد يقول السيد محسن الأمين: «مما يؤسف، أن البهائي لم يدون أخباره في سياحته التي استغرقت ثلاثين سنة في بلاد الروم والشام وغيرها، مع ما كان عليه من الفضل والمعرفة، وطول صحبته الملوك والأمراء والعلماء، ولا شك أنه إتفق له في سياحته هذه أمور غريبة، وأشياء كثيرة، لو دونت لكات من نفايس الكتب»<sup>(١)</sup>.

هناك ملاحظة، يشير إليها بعض من تتبعوا سيرة الشيخ البهائي وتحركاته، فيقال أن «بهاء الدين العاملي كان أمامه فرصة (في طريقه من القدس إلى دمشق) لزيارة وطن آبائه وأجداده، وأننا سنستغرب حقاً إذا لم يُفد منها، وهو الذي لم يحاول أبداً أن يكتم حنينه وشوقه إليه، بل وتصويره وكأنه جنته المفقودة التي خرج منها»<sup>(٢)</sup>، ويذكر في هذا الصدد، أن الطريق الرئيسية في ذلك الزمان كانت تمر عبر جبل عامل: القدس (بانياس، تبنين مع وادي التيم، دمشق)، وهي الطريق التي سلكها، هي أو بعضها ابن جبير في الإتجاه المعاكس قبل أربعة قرون تقريباً... والحقيقة أننا لم نعثر في شعر بهاء الدين، ولا في نثره، بالعربية أو الفارسية، ذكراً لجبل عامل إلا مرة واحدة، عندما لام والده على أنه أخرجه منه صغيراً»<sup>(٣)</sup>.

(١) محسن الأمين: «أعيان الشيعة» ج ٩ ص ٢٣٩.

(٢) الشيخ جعفر المهاجر: «المرجع السابق» عدد ٢١ ص ١٧٥.

(٣) محسن الأمين: «الأعيان» ج ٨ ص ١٧ والشيخ البهائي: «المرجع السابق» ج ١ ص ٢١٢، وروضات الجنات ج ٧ ص ٧٦.

إن عدم ذكر الشيخ البهائي لجبل عامل أكثر من مرة واحدة، يشير، أو يدلّ على أنّه عندما هاجر مع والده كان صغير السن، وأنّه لم يعلق في ذهنه عن بلاده ووطنه إلا الشيء القليل جداً. وهنا نلاحظ أن معظم العلماء الآخرين الذين هاجروا إلى النجف بشكل خاص، وإلى إيران ظلوا على تواصل مع جبل عامل، وبرز ذلك من خلال مؤلفاتهم وشعرهم وكتاباتهم وزياراتهم...

ينقل عن البعض، أن «الشيخ البهائي زار بعلبك، ونزل في منزل قريب من مجرى النهر الذي يشقّ وسط البلدة، لكن يبدو أن هذه الزيارة لم تطل، وكان مروره بها عرضياً، لكن مما يقال، أنّه أجاز السيد علي بن علوان الحسيني العاملي البعلبكي (وهو جدّ العائلة المعروفة بآل مرتضى)<sup>(١)</sup>.

عودته إلى إيران وعلاقته بالشاه عباس:

عاد الشيخ البهائي إلى إيران، ويبدو أنّه كان في شوق للعودة إلى هناك، لما يختزنه في صدره وقلبه من حب وذكريات، وهو يعبر عن ذلك بشعر فيه كثير من الحنين والشوق، وكذلك بالنسبة لأصفهان وقزوین والعراق وعتباتها المقدسة.

وهنا تبدأ علاقته بالشاه عباس، الذي ولد غرة رمضان سنة ٩٧٨ هـ، الأحد ٧ ك ٢ سنة ١٥٧١ م في منطقة خراسان، والذي يعتبر بحق أشهر ملوك الدولة الصفوية.

حكم الشاه عباس من سنة ٩٩٥ هـ سنة ١٥٨٧ م حتى سنة ١٠٢٨ هـ - سنة ١٦٢٩ م. إن أول إشارة تجمع بين الشيخ البهائي والشاه عباس (الذي تسلم السلطة سنة ٩٩٦ هـ سنة ١٥٧٨ م) هي «السنة التي قرّر فيها الشاه نقل العاصمة من قزوین إلى أصفهان... في أواخر هذه السنة توجه الشاه عباس إلى المشهد المقدس الرضوي، وأمر بوقف نسخة من القرآن الكريم بخط كوفي على المكتبة الرضوية، وكتب

(١) الشيخ جعفر المهاجر: «المرجع السابق» ص ١٧٩ / راجع ميخائيل ألوف البعلبكي: «تاريخ بعلبك» المطبعة الأدبية، سنة ١٩٢٦، ص ١٢٦.

الشيخ البهائي صورة الوقف بخطه»<sup>(١)</sup>.

وأخر سنة ١٠٠٨ هـ - سنة ١٦٠٠ م، زار الشاه عباس المشهد الرضوي ماشياً على قدميه، وقطع المسافة في ٢٨ يوماً، وكان معه جماعة، قيل أن الشيخ البهائي واحد منهم<sup>(٢)</sup>. ويؤكد الأمر تلميذه السيد حسين الكركي، الذي كان برفقة الشيخ البهائي.

وبعد عودته والشاه من المشهد إلى أصفهان، تولى الشيخ البهائي منصب شيخ الإسلام، وتم ذلك سنة ١٠٠٨ هـ - سنة ١٦٠٠ م، وبعد هذا التاريخ، كل الدلائل تشير إلى أن الشيخ كان يرافق الشاه باستمرار، وفي الظروف كافة.

وفي سنة ١٠١٣ هـ سنة ١٦٠٤ م كان الشيخ برفقة الشاه في أصفهان، حيث عقد لهذا الأخير عقد الزواج المؤقت على أخت حاكم كرجستان، وتدعى تهمورس خان الكرجي. وكان الزواج مؤقتاً، لأنه ما كان بإمكان الشاه أن يضيفها إلى زوجاته، وبينهن أربع أميرات (عقد رسمي) وفي حريمه ٤٠٠ جارية<sup>(٣)</sup>.

وبين سنة ١٠١٦ هـ وسنة ١٠١٨ هـ، رافق الشيخ الشاه في أكثر من زيارة، خاصة إلى مشهد وأصفهان.

زواجه:

لم يذكر أحد من المؤرخين اسم زوجته، لكن ذكروا أنها كانت ابنة الشيخ زين الدين علي، المعروف بـ «منشار العاملي»، وهو من المعاصرين للشاه طهمااسب، تولى مشيخة الإسلام بعد أستاذه المحقق الثاني الكركي، وهو الذي طلب الشيخ حسين بن عبد الصمد إلى إيران، وزوج ابنته من الشيخ البهائي، ولما توفي انتقلت مشيخة الإسلام إلى صهره البهائي<sup>(٤)</sup>.

(١) الشيخ البهائي: «المرجع السابق» ص ٧٥ - ٧٦ مقدمة الكشكول.

(٢) محسن الأمين: «أعيان الشيعة» ج ٩ ص ٢٣٩ وحسن الصدر: «المرجع السابق» ص ٢٤٤.

(٣) راجع: دلال عباس: «المرجع السابق» ص ١٤٩.

(٤) مرتضى مطهرى: «الإسلام وإيران» تعريف محمد هادي اليوسفي، دار التعارف للمطبوعات، دار التبليغ،

سنة ١٤٠٠ هـ ص ٢٧٠ - ٢٧١.

ويذكر أن «الزوجة كانت وحيدة أبويها، وأنها قرأت على والدها، وكانت تدرس الفقه والحديث للنساء، وقيل أنها ورثت أربعة آلاف مجلد، كان أبوها قد أحضر أكثرها من الهند، وكانت هذه الكتب من جملة الكتب التي وقضها البهائي، ولما توفي ضاع أكثر تلك الكتب»<sup>(١)</sup>.

ذريته:

لم يذكر المترجمون للبهائي أن له ذرية، وقد اعتمد السيد محسن الأمين على هذه الأقوال «ليؤكد لنا» أن سياحته كانت ثلاثين سنة، وأنه لو كان له أولاد وعائلة، لا تطاوعه نفسه على فراقهم كل هذه المدة<sup>(٢)</sup>، لكن في مكان آخر، يقول البعض أن «البهائي لم يخلف ولداً ذكراً، وكان له بنت، وكان أحفاد إبنته موجودين في عصر صاحب الرياض»<sup>(٣)</sup>، وذلك في القرن الثاني عشر للهجرة، الثامن عشر الميلادي.

من جهة ثانية، يذكر الأديب المعاصر سعيد نفيسي أن «السيد محمد باقر ألفت الأصفهاني»، المعروف، كتب إليه «أن عائلتين من أعقاب الشيخ البهائي تعيشان الآن (أي سنة ١٣٦١ هـ - سنة ١٩٨٢ م) في أصفهان، وأن أحد شيوخ أصفهان المعمّرين، يؤكد معرفته بمنزل البهائي في تلك المحلّة، وهناك في محلّة «أحمد آباد» في أصفهان عائلة تدّعي نسبتها إلى الشيخ البهائي، وفي طهران عائلة أخرى تدّعي ذلك»<sup>(٤)</sup>.

بيته الذي عاش فيه:

إضافة إلى البيت الذي كان يسكنه في المشهد، والذي يقال أنه دفن فيه، فإنه سكن

(١) ميرزا حسن الطبرسي: «مستدرك الوسائل» تحقيق آغا بزرك الطهراني ج ٢، دار المكتبة العلمية، النجف

الأشرف، رمضان سنة ١٣٨٢ هـ ص ٤٢٠.

(٢) محسن الأمين: «الأعيان» ج ٩ ص ٢٤٢.

(٣) الأصفهاني: «رياض العلماء وحياض الفضلاء» ج ٥ تحقيق أحمد الحسيني، قم، إيران، لا تاريخ، ص ٩٤.

(٤) دلال عباس: «المرجع السابق» ص ١٥٧.

في منزل في قزوین، وسكن في منزل في هرات، وكان له منزلان في أصفهان، أحدهما قصر قدمه له الشاه عباس، كانت تملكه عمه الشاه، ابنة طهماسب<sup>(١)</sup>.

علومه:

يجمع المؤرخون والباحثون الذين تناولوا الشيخ البهائي، أنه « كان يعرف، وله معرفة بكل شيء: الفقه، الحكمة، العلوم الرياضية، الهندسة، الحديث، الجفر، وهو شاعر، وله معرفة في العجائب والطلسمات والسحر، وتروى عنه معجزات وخوارق، تجعله في عداد الشخصيات الأسطورية، وكان البهائي مدركاً قيمة نفسه، عارفاً مدى شهرته في حياته».

وقال تلميذه الكركي: أنه «كان متفرداً بمعرفة بعض العلوم، الذي لم يحم حوله أحد في زمانه، ولا قبله، على ما أظن، من علماء الخاصة والعامة»، كما أن تلميذه المجلسي الأول يشير إلى «أن له معرفة بالجفر»، وهو «لم يكن فقيهاً عادياً، وإنما كان نابغة عصره، متعدد المعارف»<sup>(٢)</sup> بدوره السيد محسن الأمين، فإنه أورد بعض الحكايات عن الشيخ البهائي<sup>(٣)</sup>.

إضافة إلى ذلك، فإن البهائي كان مفسراً، وله إمام بالطب، واستطاع الإمام بجمع معارف عصره، من هندية وفارسية وإسلامية وعربية.

تدريسه:

يذكر الباحثون أن البهائي درس في بداية الأمر في هرات، وذلك سنة ٩٨٣ هـ - سنة ١٥٧٥ م، وكان عمره في ذلك الوقت ثلاثين سنة، ثم درس في قزوین، وبعدها في أصفهان، وفي كل الأمكنة التي ذهب إليها. وتذكر كتب التراجم أسماء عدد لا يستهان به من العلماء، ومن طلبة العلم الذين وفدوا على إيران، فنزلوا بضيافة بهاء

(١) (م.ن): ص ١٥٩.

(٢) نقلاً عن نفس المرجع ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣) أنظر: محسن الأمين «الأعيان» ج ٩ ص ٢٤١.

الدين العاملي، وكأن منزله «دار العلم» التي اتخذها الشريف الرضي لطلبة العلم، وكان ينفق عليها من ماله»<sup>(١)</sup>، وتحفل عدة كتب بأسماء تلاميذه، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ حسين الحر العاملي المشغري (وهو حفيد الشهيد الثاني، جدّه لأّمّه)، كمال الدين شاه مير الحسيني، كما يذكر أن ضيافته في منزله العلمي، لم تقتصر على طلاب العلم الوافدين من جبل عامل، بل عمّت طلاباً من هذا الجبل وغيره.

كان الشيخ البهائي يدرّس أيضاً في المدارس العامة، وفي الأماكن التي كان يذهب إليها، فأينما كان يحط، كانت «مدرسة» تقام. هذا واستمر في التدريس إلى آخر حياته، كما أن زوجته استمرت بتدريس النساء فترة بعد موت زوجها.

ويقال أنه الشيخ البهائي كان يصطحب طلابه معه في أسفاره، داخل إيران وخارجها.

### إختراعاته:

الشيخ البهائي شخصية فذة، رفيعة، نادرة الصفات، مكانته العلمية كبيرة، متبحّر في جميع نواحي وميادين المعرفة، وله إختراعات عديدة.

قيل عن الشيخ البهائي أنه أستطاع أن يحطم الذرّة، وأن يسيطر على طاقتها، وأن يستخدمها في الحاجات، وصنع «شمعة» أوقدها في أتون حمام بأصفهان، وكانت تكفي لتدفئة حمام بكامله مدة طويلة، دون أن تتغير الشمعة. ولا تزال آثار هذا الحمام قائمة الآن في أصفهان، ويسمى «حمام أصفهان» أو «حمام شيخ بهائي»، ويقع بين المسجد الجامع والسوق القديم، قرب المحلة المعروفة بـ «درب الإمام».

وكان الشيخ البهائي قد قال: «إذا ما هُدم الجدار الذي يمنع دخول الهواء إلى

(١) حول تلاميذه وتدريسه راجع: دلال عباس: «المرجع السابق» ص ٢٢٠.

الشمعة، فإنَّها ستنطفئ» وهكذا كان... انطفأت الشمعة بعد هدم الجدار، وذهب معها سرّها.

كما ينسب إليه أيضاً صنع «ساعة شمسية» دوّامة الحركة، دون أي حاجة لمن يحركها، وتركيب «مسحوق أبيض» يستخدم في الدهان.

وينسب إليه المؤرخون، تصميم أكثر المباني التي تمّ بناؤها في زمن الشاه عباس، وهندستها، مثل «مسجد شاه» في أصفهان.

وينسب إليه أيضاً تصميم قناة «نجف أباد» في أصفهان، وهي من أكبر قنوات إيران، وكذلك عمارة المشهد العلوي في النجف.

ويذكر أنه كان رئيس الهيئة التي شكلت في أصفهان، زمن الشاه عباس، لتوزيع مياه «زاينده رود» على أصفهان والقرى المجاورة<sup>(١)</sup>.

شعره:

كان الشيخ البهائي شاعراً مكثرأً، وله ديوان، وشعره ديني وإيماني، ومدح صاحب الزمان، وفي الزهد والموعظة، والوصف، والمديح، والشكوى والحنين، وفي النقد الاجتماعي، والرتاء والغزل والخمريات والألغاز والأحادي، وللقصة مجال في شعر البهائي العربي. وله شعر كثير بالفارسية، تناول ميادين متعددة، ومع أنه كتب بالعربية والفارسية فإنه لم يصبه ما أصاب الشعراء من ذوي اللسانين، الذين لم يستطيعوا الإجابة بكلتا اللغتين، فكان ما قاله بالفارسية، بمستوى ما قاله بالعربية، وربما أرقى من حيث فنون القول، وعرض المعاني، وأن بعض النقاد فضّل شعره الفارسي، كقول الخفاجي: «وشعره باللسانين مهذب محرر، وبالفارسية أحسن وأكثر»<sup>(٢)</sup>.

(١) حول موضوع الشمعة راجع: «نفس المرجع» ص ٢٠٢ ومحسن الأمين: «الأعيان» ج ٩ ص ٢٤٠.

(٢) حول شعره راجع: «نفس المرجع» من ص ٢٥١ حتى ص ٤٩٥.

ننقل عنه فقط أبياتاً قالها في زيارته للعراق، حيث عرّج إلى مشهد الإمامين العسكريين عليهما السلام في سرّ من رأى (سامراء)، ولما أشرف على المدينة أنشأ هذه الأبيات: (١)

أسرع السير أيها الحادي إن قلبي إلى الحمى صادي  
وإذا ما رأيت عن كتب مشهدي العسكري والهادي  
فالثم الأرض خاضعاً فلقد نلت والله خير إسعاد  
وإذا ما حلت بناديهم ياسقاه الإله من نادي  
فاغضض الطرف خاضعاً ولها وأخلع النعل إنه الوادي  
والبيت الأخير فيه إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (٢).

#### مؤلفاته:

ألف الشيخ البهائي في جميع الميادين، وترك آثاراً عديدة في الفكر والعلم والرياضيات، وله مؤلفات عديدة، وهي تدل بشكل واضح على ثقافته العالية، ذات الأبعاد الإنسانية، وفكره المتوقد المتثور أبعد عن التعصب، وقد عاشر مختلف طبقات الشعب، وعاین الواقع، وتعرّف إلى دقائق النفوس البشرية.

إن آثاره في الرياضيات والفلك بشكل خاص، ظلت «زمناً طويلاً» مرجعاً لكثير من علماء الشرق، كما أنها كانت منبعاً يستقي منه طلاب المدارس والجامعات، ومن أشهر مؤلفاته العلمية: («الهلالية»، و«كتاب تشريح الأفلاك»، و«الرسالة الإسطرلابية»، و«كتاب خلاصة الحساب») (٣).

(١) الشيخ البهائي: «الكشكول» طبعة الأعلمي ج ١ ص ٢٢.

(٢) سورة طه الآية: ١٢.

(٣) حسن الأمين: «ثورة إيران» ملحق النهار، ٢٠ نيسان سنة ١٩٧٩.

وبحث الشيخ البهائي في علم الذرة، إذ تناول في كتابه: «الجواهر الفريد» بعض النظريات التي تقول بتجزئة الذرة، قبل ظهور النظرية الذرية في الكيمياء، على يد العالم الإنكليزي «جون دالتون» سنة ١٨٠٨، بأكثر من قرنين<sup>(١)</sup>.

من مؤلفاته: مخطوطة، وهي عبارة عن خمس رسائل بإسم: «الإثني عشرية» في الفقه، وهناك رسائل مطبوعة له في الفقه والفلسفة، أهمها «أوزان شرعي»، «المعروفة بالعربية باسم»، «التحفة».

ويقال أن مؤلفاته تربو على الستين، ويقول آخرون أنها مئة، ومن أهمها: أرجوزته «الزاهرة» نظمها في قزوين عن ذكرياته في هرات، «خلاصة الحساب» الذي قدمه للأمير السلطان حمزة ميرزا ولي عهد السلطان، كتاب «الأربعين»، «الأحاديث»، «الفوائد الصمدية في النحو»، «ليالي تبريز (شعر)»، «الحبل المتين»، «مفتاح الفلاح»، «الطهارة»، «جامع عباس (كتاب فقهي)»، «توضيح المقاصد»، «سلافة العصر»، «الحدائق الفديّة»، «من لا يحضره الفقيه»، «الكشكول»، لغز الزبدة أو إعجاز الألفاظ ( جمع فيه الحساب، الفلك، الهندسة، التاريخ، الهيئة، النجوم، الكلام، والفقه) وقد وضعه لإمتحان أفكار الأذكياء من فحول العلماء.

«عين الحياة»، «العروة الوثقى»، «الحبل المتين في أحكام الدين»، «زبدة الأصول»، وله عدة كتب في الأدعية، والأدب والنحو والأدب الفارسي، وأهمها المثنويات الشعرية. وهناك رسائل عديدة منسوبة إليه أهمها: المخلاة، مسائل شرعية، وله حكم وأقوال مأثورة<sup>(٢)</sup>.

وفاته:

إن القول بوفاته سنة ١٠٣٠ هـ - سنة ١٦٢٢ م هو التاريخ المعتمد لدى معظم المشايخ، والباحثين في تاريخ هذا الشيخ المميز، لكن بالرغم من ذلك، فهناك اختلاف بين

(١) ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) دلال عباس: «المرجع السابق» ص ٢٥٧ وما بعدها.

بعض المؤرخين حول سنة وفاته، وهذا الإختلاف ناتج عن تقدير البعض للسنين التي عاشها، لكن الأكثر شيوعاً هو أنه عاش ٧٧ سنة، أي من سنة ٩٥٣ هـ حتى سنة ١٠٣٠ هـ. المهم أنه توفي في مدينة أصفهان، ونقل إلى المشهد الرضوي، حيث دفن هناك، في بيته، قرب الحضرة الرضوية<sup>(١)</sup>.

قيل الكثير الكثير عنه في حياته، وبعد وفاته، يكفي أن ننقل عن معاصره النجم الفلكي، محمد قاسم بن المظفر، وصاحب الشاه عباس في السفر والحضر، في كتابه «التنبهات» ما حرفيته: «كان الشيخ بهاء الدين العاملي رحمه الله، أفضل علماء ذلك الزمان وأكملهم»<sup>(٢)</sup>.

وقيل فيه شعراً، نقلاً عن السيد نعمة الله الجزائري:

بدر العراقيين خبا ضوؤه      ونيّر الشام وشمس الحجاز  
أردت تاريخاً فلم أهد له فألهمت قل: «الشيخ فان»  
وقد رثاه تلميذه الشيخ إبراهيم بن فخر الدين العاملي البازوري بأبيات يقول فيها:<sup>(٣)</sup>  
شيخ الإمام بهاء الدين لا برحت      سحائب العفوينيشيها له الباري  
مولى به اتضحت سبل الهدى وغدا      لفقده الدين في ثوب من القار  
والمجد أقسم لا تبدو نواجذه      حزناً، وشقّ عليه فضل أطمار  
جلّ الذي اختار في طوس له حدثاً      في ظلّ حام حماها نجل أطهار  
الثامن الضامن الجنّات أجمعها      يوم القيامة من جود لزوار.

(١) محسن الأمين: «الأعيان» ج ٩ ص ٢٣٤.

(٢) دلال عباس: «المرجع السابق» ص ١٦٢.

(٣) محسن الأمين: «الأعيان: الجزء ٢، ص ١٠٧، ومحمد بن الحسن الحرّ العاملي: «أل الأمل» ج ١ ص ٢٥.

## الفصل السادس:

# التصوّف والعرفان والفلسفة عند الشيخ البهائي



### الأبحاث:

- الفكر الفلسفي عند الشيخ البهائي: د. هادي فضل الله.
- البهائي والتدين الزائف: د. أحمد راسم النفيس.
- العرفان في تراث البهائي: السيد هادي خسروشاهي.
- البهائي القلق في صورة العالم وصورة زمانه: د. سمير سليمان.
- الظاهر والباطن في الإسلام بمنظار البهائي: د. دلال عباس.
- التصوّف والعرفان عند الشيخ البهائي مقارنة أولية: د. حبيب فياض.



## الفكر الفلسفي عند الشيخ البهائي (1)

### د. هادي فضل الله (2)

كان البهائي مطلعاً على الفلسفة ومتبصراً بمسائلها ومتأثراً ببعض أعلامها لاسيما أفلاطون وأرسطو في الفلسفة اليونانية، والفارابي وابن سينا والغزالي والطوسي وابن عربي في الفلسفة الإسلامية. امتزجت الفلسفة عنده بعلم كثيرة، وبخاصة علوم الفقه والتصوّف والعرفان، فظهرت فلسفته ذات طابع فقهي عرفاني عقلي.

(١) هو محمد بن حسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن الحسين بن صالح الحارثي الهمداني العاملي الجبعي، غلب اللقب على التسمية، فلقب بالشيخ البهائي وبيهاء الدين العاملي. فهو بهاء الدين لما يمتاز به من علم وافر وغريز، وهو الحارثي الهمداني نسبة إلى الحارث صاحب أمير المؤمنين علي (ع)، وهو العاملي نسبة إلى جبل عامل الذي ينتسب إليه، وهو الجبعي نسبة إلى قرية جبع شرقي صيدا التي ينتسب إليها والده وجدّه. للتوسع حول حياة البهائي راجع:

أ- محسن الأمين، أعيان الشيعة، حققه وأخرجه ولده حسن الأمين بيروت مطبعة الإنصاف ج: ٤٤ (١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م) ص: ٢١٦-٢٥٨.

ب- مهدي فضل الله من أعلام الفكر الفلسفي الإسلامي ط: ١ بيروت الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص: ٩٥-١٨١.

ج- دلال عباس، بهاء الدين العاملي أدبياً وفقهياً وعالمياً، ط١ بيروت دار المؤرخ العربي ١٤٢١هـ / ٢٠١٠م.

(٢) أستاذ في الجامعة اللبنانية - كلية الآداب.

حاول البهائي أن يسمو بالفلسفة ليجعلها كاملةً كمال الدين ذاته، فرأى أنها لا تبلغ تلك المرتبة إلا إذا اتفقت قضاياها مع الدين. من هنا ذهب إلى أن «الفلسفة هي التشبه بالله تعالى، ومن لم يكمل إنسانيته بالعلم، ولم يترقَّ عن سائر المكونات بالرتبة، لم يستحق أن يفوض إليه أمرها وتدبيرها ويجعل في يده التصرف فيها»<sup>(١)</sup>. وهذا ما نحا إليه الجرجاني عندما رأى أن الفلسفة هي «التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية»<sup>(٢)</sup> وكذلك ابن سينا الذي عرف الفلسفة بـ «أنها الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه»<sup>(٣)</sup> لذا فعندما يتكلم البهائي عن علاقة الفلسفة بالدين، فهو لا يعدو علاقة العقل بالشرع أو الفلسفة بالله. يعرف البهائي الفلسفة معتمداً التعريف الشائع لها فيقول: «معناها محبة الحكمة وفيلسوف أصله فيلاسوف أي حب الحكمة»<sup>(٤)</sup>.

وإذا شئنا بشكل عام، الوقوف على حقيقة الفكر الفلسفي عند الشيخ البهائي، فما علينا إلا نعرض لآرائه في المعرفة والوجود والأخلاق، وما يندرج تحت هذه المقولات الثلاث من تفاصيل، فنكون بذلك قد عرضنا لفلسفة الرجل النظرية والعلمية في آن.

### أولاً: المعرفة

ذهب البهائي إلى أن الإنسان متى استطاع أن يتحرر من جميع ألوان المادة، ويتخلص من كل ما له صلة بها، حتى الخيال، فإنه يصبح في مأمن من الخطأ والزلل، لأنه يصبح في علاقة وثيقة بالعوالم القدسية وتقبل فيوضاتها. فالبهائي يرى أن تحرر النفس من

(١) البهائي كشكول البهائي، ط ١ بيروت لن نذكر الجزء في خلال اعتمادنا على هذا المصدر لأننا لم نجد ضرورة لذلك فالكتاب مرقم بالتسلسل من بدايته وحتى نهايته، وليس بحسب أجزائه الثلاثة.

(٢) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت دار الكتاب اللبناني ج: ٢، ١٩٧٩م، ص: ١٦٠.

(٣) (م.ن).

(٤) البهائي الكشكول ص: ٤٣٦.

كل ما يمتُّ إلى الحسِّ بصلة، وانشغالها بالله فقط، يؤهلها لتقبل الفيض عن الغيبيات.

أ- مراتب المعرفة: قسّم البهائي المعارف الإنسانية إلى ثلاث مراتب هي:

١- معرفة حسّية: وهي أدنى مراتب المعرفة الإنسانية، وهي معرفة عوام الناس الذين يقتصرون في معارفهم على الحواس الخمس.

٢- معرفة عقلية: وهي المرتبة الوسطى في سلسلة المعارف الإنسانية، وهي معرفة ذوي البصيرة والفهم، الذين يحاولون معرفة الكون وما يحيط بهم بواسطة عقولهم. ويقسّم البهائي المعرفة العقلية قسمين: - معرفة عقلية فطرية: موجودة في العقل كوجود الشجرة في النواة. - معرفة عقلية مكتسبة: يستفيدها الإنسان بواسطة الخبرة والتعلم. فالعقل على حد قول البهائي: «عقلان غريزي ومستفاد»، والعقل المستفاد أو المكتسب ضربان «أحدهما التجارب الدنيوية والمعارف المكتسبة والثاني العلوم الأخروية والمعارف الإلهية»<sup>(١)</sup>.

٣- معرفة إشراقية: وهي معرفة الكون وأسراره، معرفة حقيقية صادقة، وتأتي في أعلى مراتب المعرفة الإنسانية وأكملها. وهذه المعرفة خاصة بالمتصوفة وأهل البصيرة الباطنة التي تأتي بالفيض عن العوالم القدسية العالية مباشرة إلى النفس، إذ «المعرفة حال تحدث عن شهود والعالم من أطلعه الله على ذلك لا عن شهود بل عن يقين»<sup>(٢)</sup>.

هكذا قسّم البهائي المعرفة لثلاثة أقسام، ورأى أن لكلٍ منها وسائلها الخاصة، وأن الترقى من مرتبة إلى مرتبة أعلى إنما يكون عن طريق الجهد المبذول من الشخص ذاته، متأثراً بذلك بالغزالي الذي قسّم الناس لثلاث طوائف:

(١) - البهائي الكشكول ص: ٩٧٧ لقد ذهب ديكارت أبو الفلسفة العقلية في الفكر الحديث إلى أن العقل أعدل الأشياء توزعاً بين الناس لأنه هبة من الله وعموماً فإن مقولة: العقل عقلان، مأثورة عن الإمام علي (ع) إذ رأى أن العقل عقلان مطبوعٌ ومسموعٌ.

(٢) البهائي الكشكول ص: ٦٦٥.

### العوام والخواص والأخص<sup>(١)</sup> :

إلى ذلك، فإن البهائي كان قد تكلم عن هبة من الله عزوجل إلى بعض الناس، تلك الهبة سمّاها «نفحات من الأنس» تشدّهم من انشغالهم بعالم الحسّ، وتنبههم من غفلتهم عن عالم السماء، ويدركون قبح انغماسهم في مهاوي المادة ومنزلقاتها. فيعدّلون إلى سلوك الرشاد ويأسفون على ما هم عليه من أحوال، فتحصل لهم ما يسمّيه البهائي «جذبةً إلهية». أو يعودون إلى الإرتماء في حياتهم المادية إن لم يتعظوا ويأسفوا<sup>(٢)</sup>. وهذا ما كان قصده الغزالي عندما قال: «إذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر، وانكشف له سرّ الملكوت... وتلاّأت فيه حقائق الأمور الإلهية»<sup>(٣)</sup>. هكذا تدرّج فكر البهائي في مراتب المعرفة من الإحساس إلى العلم إلى المعرفة الإشرافية مرفوعاً بقوة جوّانية وجدلٍ صاعدٍ، تماماً كما تدرج الفكر عند أفلاطون في مراتب المعرفة من الإحساس إلى الظن إلى العلم إلى التعقل المحض مدفوعاً بقوة جوّانية وجدلٍ صاعدٍ، وكلاهما طلب العلم الكامل الذي يكفي النفس ويصلح أساساً للغير<sup>(٤)</sup>. ينقل الشيخ البهائي عن أفلاطون قوله «ربما خلوت بنفسي كثيراً عند الرياضيات وتأمّلت أحوال الموجودات المجردة عن الماديات، وخلعت بدني جانباً وصرت كأني بلا بدنٍ عريٍّ عن الملابس الطبيعية، فأكون داخلاً في ذاتي لا أتعمل غيرها ولا أنظر فيما عداها، وخارجاً عن سائر الأشياء، فحينئذٍ أرى في نفسي من الحسن والبهاء والسناء والضياء والمحاسن الغريبة العجيبة الأنيقة ما أبقى منه متعجباً حيران باهتاً، فأعلم أنني جزءٌ من أجزاء العالم الأعلى الروحاني الكريم الشريف، وأني ذو حياةٍ فعّالةٍ. ثم ترقّيت بذهني من ذلك العالم

(١) البهائي الكشكول ص: ٤٤١ يقسم الغزالي الناس إلى خواص وعوام وأهل جدل ويمتدح الخواص ويعتبر

نفسه من ضمنهم، وينتقد العوام ويضعهم في الدرك الأسفل تفكيراً وسلوكاً كما يكره الجدل وأهله.

(٢) البهائي الكشكول ص: ١٤٩.

(٣) الغزالي مختصر إحياء علوم الدين، تحقيق وتعليق شعبان محمد إسماعيل، مصر مكتبة نصير ص١٢.

(٤) يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ط ٦ لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٧٦م ص: ٦٩-٧٢.

إلى العوالم الإلهية والحضرة الربوبية، فصرت كأني موضوعٌ فيها معلقٌ بها، فأكون فوق العوالم العقلية النورية. فأرى كأني واقفٌ في ذلك الموقف الشريف، وأرى هناك من البهاء والنور ما لا تقدر الألسن على وصفه، ولا الأسماع على قبول نعته، فإذا استغرقتني ذلك الشأن، وغلبني ذلك النور والبهاء ولم أقوَ على احتمالها، هبطت من هناك إلى عالم الفكرة، فحينئذٍ حجبت الفكرة عني ذلك النور فأبقى متعجباً أني كيف انحدرت من ذلك العالم! وعجبت كيف رأيت نفسي ممتلئةً نوراً! وهي مع البدن كهيتها فعندها تذكرت قول مطريوس<sup>(١)</sup> حيث أمرنا بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريف، والإرتقاء إلى العلم العقلي<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان البهائي قد ركز على العلم كما رأينا، وأعلى من شأن العقل ورفعته عالياً، فهو قد ألح على إقران العلم بالعمل، إنسجاماً منه مع تعاليم الدين الإسلامي التي تؤكد أن العلم أساسٌ والعمل بناءٌ، والأساس بلا بناء باطل<sup>(٣)</sup>.

«فالعلم والعمل كالصورة والمادة» ووجود الصورة بدون المادة متعذرٌ وبقاء المادة بدون الصورة ممتنعٌ، كذلك حصول العلم بغير عملٍ ضائعٌ، ووجود العمل بلا علم محالٌ، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام «العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل»<sup>(٤)</sup>. غير أن البهائي وإن كان قدر العقل عالياً، كما ذكرنا، فإن الإنسان يبقى في نظره عاجزاً عن معرفة كنه الحقيقة الإلهية. فهو يؤكد أن معرفة الإنسان لله عز وجل معرفةٌ تامةٌ بواسطة العقل هي من الأمور المستحيلة. وكل من يدعي التوصل إلى كنه الحقيقة الربانية فهو متخيلٌ واهمٌ، لأن الأمر أجل وأرفع وأعلى من أن يحيط به عقل بشرٍ. وهو يعتمد في مقولته هذه على الآية القرآنية الكريمة

(١) قيل إن مطريوس هو ابن فيلفوس بن مطريوس، وقيل هو ابن مصرم بن هرمس، والبهائي لم يذكر عنه شيئاً.

(٢) البهائي الكشكول ص: ٤٤٧.

(٣) البهائي الكشكول ص: ٧٢٠.

(٤) (م.ن) ص: ٧٠٧.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup> كما يعتد برأي ابن عربي الذي يقول: «من المحال على الواقف بمرتبة العقل أن يسكن أو يستريح، ولا سيما في معرفة الله تعالى. فمالك يا أخي... لا تدخل طريق الرياضيات والمكاشفات والمجاهدات والخلوات التي شرعها رسول الله»<sup>(٢)</sup>.

ب - طبيعة المعرفة: ذهب البهائي إلى أن عملية الإنطباع التي تحصل للإنسان بعد المشاهدة والتجربة لا تأتي كاملة ودقيقة فالإنطباع قد يزيد أو ينقص بمقدار الشيء المشاهد أو حجمه من هنا، فإن الإستدلال الذي يركز من جراء انطباعاتنا عن العالم الحسي أو أفكارنا التي نتخيلها هو إستدلال مرفوض، لأن المعرفة التامة والإدراكات الصحيحة إنما تكون بالرؤية المباشرة والمعينة المباشرة وليس بالتفكر والإستدلال من صور خيالية أو انطباعات ناقصة يرى البهائي «أن الصور الخيالية لا تكون موجودة في الأذهان لا متناع انطباع الكبير في الصغير، ولا في الأعيان وإلا لراها كل سليم الحس، وليست عدماً محضاً وإلا لما كانت متصورة، ولا متميزاً بعضها عن بعض، ولا محكوماً عليها بأحكام مختلفة... فبالضرورة تكون موجودة في صقع وهو عالم يسمى بالعالم المثالي والخيالي متوسط بين عالمي العقل والحس لكونه بالرتبة فوق عالم الحس ودون عالم العقل لأنه أكثر تجريداً من الحس وأقل تجريداً من العقل، وفيه جميع الأشكال والصور والمقادير والأجسام وما يتعلق بها من الحركات والسكنات والأوضاع والهيئات وغير ذلك قائمة بذاتها معلقة لا في مكان ومحل<sup>(٣)</sup>. ويسوق البهائي لذلك مثل انعكاس صورة الشيء في المرآة، إذ إن انطباع صورة الشيء كما هو في المرآة أمر مستحيل، فالإنعكاس نسبي يختلف باختلاف موقع الصورة من المرآة، فضلاً عن اختلاف موقع المشاهد لتلك الصورة.

(١) سورة طه الآية: ١١٠.

(٢) البهائي الكشكول مصدر سابق ص: ٥٨٠ - ٥٨١.

(٣) البهائي الكشكول ص: ٥٥٨ - ٥٥٩.

والبهائي عندما يؤكد استحالة التوصل إلى المعرفة الحقيقية، إنما يريد أن يدلّ على أن العالم الحسيّ ليس هو إلا انعكاساً للعالم المثالي، وبالتالي فإن معرفة العالم المثالي عن طريق العالم الحسي، هي معرفة ناقصة تماماً كما هي معرفتنا للأشياء عن طريق المرآة التي تعكس صور الأشياء دون أن تظهرها على حقيقتها وبالتالي فلن نراها نحن على حقيقتها.

واختصار القول فإن البهائي يرى أن المعرفة الحقيقية هي المعرفة الإشرافية التي تتأتى عن قبول النفس الإنسانية فيض العوالم العلوية، بصرف النظر عن الحواس والإنطباعات الحسية. وعليه، فإن نظرة البهائي إلى الماهيات وحقائقها نظرة خاصة، فهو يرى تغيّراً بين ما يبدو عليه الشيء في الخارج وبين حقيقة هذا الشيء بالفعل والأصل، دون أن يؤثر ذلك في طبيعته كنه الشيء وحقيقته. وهذه النظرة تقرّبه من أفلاطون الذي رأى إلى أن النفس تؤمن بعالم معقول هو مثال العالم المحسوس وأصله. فالإنسان بالذات والعدالة بالذات والجمال بالذات وغيرها.

هي مبادئ أو مُثُل، والمثال هو الشيء بالذات والجسم شبح للمثال، فالنار المحسوسة لانسميها ناراً، بل شيءٌ شبيه بالنار بالذات. والمُثُل هي الموضوع الحقيقي للعلم. وهذه المُثُل وفق أفلاطون نستكشفها في النفس بالتفكير، إذ إن النفس كانت قد «اكتسبتها في حياة سابقة على الحياة الراهنة»<sup>(١)</sup>، عندما كانت في صحبة الآلهة قبل أن تتصل بالبدن. فأفلاطون يقلل من دور الحواس في حياة الإنسان ومعرفته، لا بل يحتقر الحسّ والجسم. فالوجود الحقيقي هو المُثُل التي تتكشف للنفس في الفكر. والفكر يكون في أحسن حاله عندما ينطوي الذهن على ذاته ولا يعكّر صفوه شيءٌ من المسموع أو المرئي. وعندما تتصرف النفس عن البدن ولا تعود لديها رغبةٌ جسديةٌ بل تصبو إلى الوجود الحق<sup>(٢)</sup>.

(١) يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية مرجع مذكور ص: ٧٤.

(٢) للإطلاع الأوسع على نظرية المعرفة عند أفلاطون، فضلاً عن المرجع السابق، أنظر مصطفى غالب، في

سبيل موسوعة فلسفية، بيروت، منشورات دار مكتبة الهلال ١٩٧٩، م ص: ٢٣-٤٥.

## ثانياً: الوجود:

إن نظرية البهائي في الوجود مماثلةً لنظريته في المعرفة، بمعنى أنها تصعد من المحسوس إلى المعقول، وتخضع الأول للثاني.

ولإبراز مواقف البهائي في الوجود لابد من الكلام على الله والعالم والنفس.

١- الله: لا يتكبد البهائي كثيراً عناءاً للتدليل على وجود الله فهو يعتمد في ذلك على البداهة، فيذهب إلى أن «التصديق بوجود الله من الأمور البديهية.. لا بل إن التصديق بوجوده تعالى من أجلى البديهيات»<sup>(١)</sup>.

ولما كانت البداهة نوعاً من المعرفة المباشرة لا يحتاج إلى زمن، كما ليس فيه تفكير، كمعرفة الكل أكبر من الجزء، فإن البرهان على هذا النوع من المعرفة أمرٌ مستحيلٌ. لكن هل رأى البهائي أن البداهة كالمعرفة الحدسية؟ لا تعتقد ذلك، لأن البداهة هي «الوضوح التام الذي تتصف به المعرفة عند حصولها في الذهن ابتداءً... هي المعرفة الحاصلة ابتداءً في النفس لا بسبب الفكر والبديهي هو الذي لا يتوقف حصوله في الذهن على نظرٍ وكسب... وهو بهذا المعنى مرادفٌ للضروري. ولكن قد يراد بالبديهي ما لا يحتاج العقل في التصديق به إلى شيء أصلاً، فيكون أخص من الضروري لعدم شموله التصور»<sup>(٢)</sup>.

فالبداهة معرفةٌ محض فطريةٌ لا تحتاج إلى زمنٍ ولا تفكيرٍ، على حين أن المعرفة الحدسية هي سرعة الانتقال من المعلوم إلى المجهول، وهذا يتم في زمنٍ معيّنٍ حتى ولو كان قصيراً<sup>(٣)</sup>.

(١) مهدي فضل الله من أعلام الفكر الفلسفي الإسلامي ص: ١٣٦-١٣٧

(٢) جميل صليبا المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني دار الكتاب المصري بيروت ج: ١، ١٩٧٨ م ص: ٢٠٠.

(٣) مهدي فضل الله ديكارات ومنهجه ط٢ بيروت دار الطليعة ١٩٩٦ م ص: ١٠٤-١٠٥.

إذا الله موجود، وهو واحد لا إله غيره، إستناداً إلى القرآن الكريم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(١)</sup>. يقول البهائي: «التوحيد يخالف الثنوية (الذين) قالوا بوجود إلهين واجبي الوجود، أحدهما فاعل الخير والآخر فاعل الشر. فبعضهم جعل فاعل الخير النور، وفاعل الشر الظلمة وهم المانوية»<sup>(٢)</sup>. هكذا اعتبر البهائي أن وجود الله حقيقة كبرى لا لبس فيها، فهي تضرب جذورها في أعماق النفس الإنسانية، وتمتد بفروعها في أنحاء الفضاء الواسع، كما أكد أن تصور كنه الذات الإلهية، أو ما يقرب من الكنه أمرٌ مستحيل. وإذا كان البهائي قد اعتد بالبداية دليلاً على وجود الله، فهو لم ينكر أدلة الفلاسفة والمتكلمين على وجود الله ووحدانيته، وإنما على عكس ذلك يمكننا أن نلتمس تلك الأدلة مبنوثة في ثنايا كلامه على الله وعلمه وصفاته. فأراء البهائي تتسجم دائماً مع آراء الحكماء والمليين، من هنا نراه يتكلم، على سبيل المثال لا الحصر، على دليل النظام، انطلاقاً من كلامه على ما وهبه الله للإنسان من قوى باطنة أو ظاهرة وكيف رُكّب الإنسان من عناصر كثيرة رُتبت ونُظمت بشكلٍ دقيقٍ وعجيبٍ تؤدي به إلى الحكم بوجود واجب الوجود الذي أوجد هذا التأليف الدقيق والتنظيم العجيب، كما يحتم عليه شكره<sup>(٣)</sup>. يقول البهائي: «إن من نظر بعين عقله إلى ما وهب له من القوى والحواس الباطنة والظاهرة، وتأمل بنور فطرته فيما رُكّب في بدنه من دقائق الحكم الباهرة، وصرف بصر بصيرته نحو ما هو مغمورٌ فيه من أنواع النعماء وأصناف الآلاء التي لا يُحصر مقدارها ولا يقدر على انحصارها، فإن عقله يحكم حكماً لازماً بأن الله الذي أنعم عليه بتلك النعم العظيمة والمنن الجسيمة حقيقٌ بأن يشكر»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الإخلاص.

(٢) البهائي الكشكول ص ٦٨٧.

(٣) البهائي الكشكول ص: ٥٧٥.

(٤) (م.ن) ص: ١٥٤

وكما أثبت البهائي وجود الله بالبداهة، فهو فقد أثبت أن علمه تعالى «حضورى لا يتصف بالمضى والإستقبال كعلمنا»<sup>(١)</sup>. يقول البهائي: «المليون والحكماء متفقون على أن علمه تعالى محيطٌ بجميع المعلومات كليتها وجزئيتها، وليس بارتسام صورة متساوية للمعلوم، بل هو حضور الأشياء بأنفسها حاضرةً منكشفةً لديه جل وعلا»<sup>(٢)</sup>. والكلام على علم الباري يقودنا إلى الكلام على القضاء والقدر. فالقضاء «هو وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ إجمالاً، والقدر تفصيل ذلك الإجمال بإيجاد المواد الخارجية واحداً بعد واحد في وقت تعلق العلم الأزلي به»<sup>(٣)</sup>. أما صفات الله فهي قديمة، وقدمها يعود إلى قدم الله بالذات، لأنها عين الذات إذ إنها لو كانت غير الذات، لكانت إما قديمة وإما حادثة، فإن كانت قديمةً لزم تعدد القديم، وهذا محال. وإن كانت حادثةً للزم خلو الذات الإلهية منها، لأنها ليست محلاً للحوادث، وافتقرت إلى العلم والقدرة وأصبحت ناقصة بذاتها وكاملة بغيرها، وهذا لا يجوز لأن صفات الله ليست مغايرة لذاته بل هي عين ذاته «وكل ما هو صفة لله تعالى فهو قديم»<sup>(٤)</sup>. وقد ذهب الحكماء إلى أن مشيئة الله «الفعل الذي هو الفيض والوجود لازمة لذاته، كلزوم العلم وسائر الصفات الكمالية، فيستحيل الانفكاك بينهما، فهو قد شاء وفعل في الأزل»<sup>(٥)</sup>.

فصفات الله عين ذاته، ولا يمكن أن تكون مغايرة لذاته أبداً. يقول البهائي: «معنى كون صفاته تعالى عين ذاته، أنه يترتب على ذاته الأحدية من حيث ما يترتب على ذات مع صفة، مثلاً ذاتك ليست كافية في انكشاف الأشياء عليك بل تحتاج في ذلك إلى صفة العلم التي تقوم بك بخلاف ذاته تعالى فإنه لا يحتاج في انكشاف الأشياء إلى

(١) (م.ن) ص: ٧٤

(٢) (م.ن) ص: ٨٠٣

(٣) (م.ن) ص: ٧٢٠

(٤) البهائي الكشكول ص: ٢٧٣.

(٥) (م.ن) ص: ٦٨٤.

صفة تقوم به، بل المفهومات كلها لأجل ذاته منكشفة عليه، فذاته بهذا الإعتبار حقيقة العلم وكذا الحال في القدرة، ومرجع هذا إلى نفي الصفات مع حصول نتائجها، وهو المشار إليه في نهج البلاغة بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وتمايم توحيد نفي الصفات عنه»<sup>(١)</sup>. هكذا ذهب البهائي إلى القول بالعينية، أي عينية الذات والصفات، وردّ كلام القائلين بغير ذلك<sup>(٢)</sup> معتمداً على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والمفاهيم الإسلامية العامة.

٢- العالم: في كلامه على العالم الخارجي، ينزع البهائي نزعة صوفية، فيقول بوحدة الوجود متمثلاً قول الشاعر<sup>(٣)</sup>:

إن الوجود وإن تعدد ظاهراً وحياتكم ما فيها إلا أنتم  
أنتم حقيقة كل موجود بدا ووجود هذي الكائنات توهم.  
رأى البهائي أن الحقيقة، وإن بدت متكررة بتكثر الموجودات، فهي واحدة، فما نراه من جواهر في الوجود ليست جواهر مفردة قائمة بذاتها متميزة عن الموجود الذي هو الجوهر الأوحد. فالوجود، أي الله لازم للوجود، فهو واجب الوجود، ووجوبه مستمد من ذاته. «فالواجب هو الوجود المطلق المعرّي عن التقييد بغيره والإنضمام إليه»<sup>(٤)</sup>. وعليه، فإن الوجود ممكن، ويحتاج في وجوده إلى غيره، أي للجوهر الأوحد، واجب الوجود بذاته. فالجواهر هي التي في الوجود ليست إلا أجزاء من حلقة متصلة بالموجود بالذات. «وليس معنى كونها موجودة إلا أن لها نسبة مخصوصة إلى حضرة الوجود القائم بذاته»<sup>(٥)</sup>. وتلك النسبة على وجوه مختلفة وأنحاء متعددة يتعدّد معرفة ماهيتها.

(١) نفسه ص: ٨٣٩.

(٢) (م.ن) ص: ٧٤-٢٠٨-٢٠٩-٤٩٧-٤٩٩-٧٢٠-٨٠٣.

(٣) البهائي كشكول ص: ٣٨.

(٤) (م.ن) ص: ٦٤٠.

(٥) (م.ن).

وعن وجود الإنسان يؤكد البهائي أنه إذا لم ينضم إليه الوجود بوجه ما لم يكن موجوداً، وإذا لم يلحظ العقل انضمام الوجود إليه فلا يمكنه الحكم بوجوده. فالمفهوم المغاير للوجود يحتاج في وجوده إلى غيره، ولذا فهو ممكن الوجود. وممكن الوجود بغيره يحتاج في وجوده إلى الوجود العام «فكل مفهوم مغاير للوجود كالإنسان مثلاً فإنه ما لم ينضم إليه الوجود بوجه من الوجوه... وما لم يلاحظ العقل انضمام الوجود إليه لم يكن له الحكم بكونه موجوداً. فكل مفهوم مغاير للوجود فهو في كونه موجوداً في نفس الأمر محتاج إلى غيره الذي هو الوجود، وكلما هو محتاج في كونه موجوداً إلى غيره فهو ممكن، إذا لا معنى للممكن إلا ما يحتاج في كونه موجوداً إلى غيره ولو كان ذلك الغير وجوده»<sup>(١)</sup>.

إلى ذلك فإن البهائي كان قد ميز بين اللفظ الكلي والجزئي كمدخل إلى التفريق بين عالم الحسّ وعالم المثال. فالألفاظ الكلية ليس لها ما يقابلها في الواقع المحسوس، كلفظ إنسان أو حيوان أو كتاب، الذي لا يعني إنساناً أو حيواناً أو كتاباً بذاته. من هنا فإن دلالات الألفاظ الكلية فارغة بعيدة عن الحقيقة، ولا نصيب لها إلا في ذهن أو خيال من يتلفظ بها، لأنها ألفاظ قاصرة عن التعبير الحقيقي لماهية الأشياء. فالبهائي آمن بوجود مستقل لكل من الكليات والجزئيات وعالم الحس والمثال على حد سواء<sup>(٢)</sup>.

لكن هذا لا يعني أن البهائي يفصل بين الجوهر والعرض والنسبي والمطلق في الأشياء أو الموجودات. فهو يقول بوحدة الماهية. فالجوهر الفرد لا يقبل التمييز فيه بين صفات جوهرية وأخرى عرضية أو صورة ومادة. فمدلول الإنسان يفيد أن من صلب خصائصه العقل والكلام والمشى دون تمييز بين صفات الجوهرية والعرضية. فالقول بأن المشى من صفات الإنسان العارضة قول فاسد، لأنها صفة من صفاته، وتلك الصفات بمجملها تكوّن الإنسان الذي لا يكون إنساناً بدونها.

(١) (م.ن) ص: ٦٣٩.

(٢) مهدي فضل الله، من أعلام الفكر الفلسفي الإسلامي ص: ١٣٧.

إن ما يريد البهائي إن يدل عليه هو: كما أن الصفات الإنسانية بمجملها لا توجد خارج الإنسان، فكذلك العالم الخارجي لا يمكن أن نفهمه إلا بالنسبة إلى الله. فكل وجود غير وجود الخالق عز وجل إنما يستند إلى وجود الله ذاته ليكون له معنى. وعليه فكل الموجودات والمخلوقات والأشياء إنما تدور في فلك الله تعالى.

وكما يوجد فرق بين الكائن بالقوة والموجود بالفعل، فهناك فرق بين الله كونه خارج الوجود، رغم انتساب الوجود إليه، وبين الوجود ذاته. فالموجود أي الله غير الوجود. فالوجود يحتاج إلى الموجود أما الموجود فهو جوهر لا يحتاج إلى غيره في معنى وجوده هو موجود في الوجود فوجوده تجسد في الوجود ولا يحتاج لوجوده لغير ذاته. فهو عقل وعقل ومعقول. ويورد البهائي حول قدم العالم وحدوثه رأي الحكماء والمتكلمين، فيقول: «الحكماء عندهم، إن وجود العالم على هذا النظام خير محض، فإيجاده كمال تام، والواجب جلّ وعلا هو المبدأ الفيض، والجواد والمطلق، فلا ينفك ذاته عن هذا الخير المحض والكمال التام، لأن انعكاسها عنه نقص، وهو منزّه عن النقايس، وهذا هو الذي دعاهم إلى القول بقدم العالم. والمتكلمون يقولون إنه يصح منه إيجاد العالم وتركه، وليس الإيجاد لازماً لذاته وهذا معنى القدرة والإختيار عند المتكلمين، وأما كونه تعالى قادراً بمعنى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، فهو متفق عليه بين الحكماء والمتكلمين ولا نزاع فيه بين العقلاء، إلا أن الحكماء ذهبوا إلى أن مشيئة الفعل الذي هو الفيض والجود لازمة لذاته، كلزوم العلم وسائر الصفات الكمالية، فيستحيل الإنفكاك بينهما، فهو قد شاء وفعل في الأزل، فمقدم الشرطية الأولى واجب صدقه، ومقدم الثانية ممتنع الصدق، وكلتا الشرطيتين صادقتان في حقه تعالى، ولما أثبت المتكلمون حدوث العالم، ظهر أنه تعالى لم يشأ إيجاده في الأزل، وأنه يصح منه إيجاده وعدمه وليس الإنفكاك مستحيلاً وأما أن ذاته تعالى لازمة للكمال فممنوع، ولكن كون كمالها هو هذا الكمال المخصوص دائماً بحيث لا يقوم مقامه غيره ممنوع، إذ الإنفراد بالوجود كما في الحديث (كان الله ولم يكن معه

شيء) كما قال أيضاً: وعالم الأرواح أشرف بكثير من عالم الأشباح، إلا أن الحكمة اقتضت إيجاد هذا العالم الجسماني برهة ما بسرٍ خفي لا يهتدي أكثر العقول إليه، ولا ينسلق أكثر الأفهام للإطلاع عليه، إلا من فتح الله سبحانه عن بصيرته وأضاءت مشكاة الهداية في سيرته وذلك قليل بل أقل من القليل»<sup>(١)</sup>.

وذهب البهائي إلى أن العوالم الكلية إثنان هما: عالم الخلق وعالم الأمر مستنداً في ذلك على الآية الكريمة ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. «وقد خلق الإنسان جامعاً بين هذين العالمين فجسده أنموذج من عالم الخلق، وروحه من عالم الأمر، قال الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾<sup>(٣)</sup>، ولقد كانت روحه سابحة في بحر الحقيقة قبل وجود سائر الموجودات وحاملها العناية الأزلية، قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾<sup>(٤)</sup>، ثم أودعت هذه الروح في الجسد لتكسب بعض الكمالات، وتحصل بعض الاستعدادات التي لا تحصل بدون ذلك، ثم تسير إلى أصلها، وتسبح في منشئها، وتعود إلى بحر الحقيقة، وقد حصل لها استعداد قبول الفيوض الجلالية والجمالية، واستعدت للإشراق بالأنوار والبوارق السرمدية»<sup>(٥)</sup>.

أما في نظر أهل العرفان، فإن العوالم أربعة هي، على حد قول البهائي: عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الغيب وعالم الشهادة... أما عالم الجبروت: فهو ما يعبر به عن الذات المقدسة... وأما عالم الملكوت: فهو ما يعبر به عن صفاته تعالى... أما عالم الغيب: فهو ما كان من المخلوقات غائباً عن إحساسنا، وعالم الشهادة: ما كان منها محسوساً لنا»<sup>(٦)</sup>.

(١) البهائي الكشكول ص: ٦٨٤-٦٨٥.

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٤.

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٤) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٥) البهائي الكشكول مصدر مذكور ص: ٧٥٩.

(٦) (م.ن) ص: ٩١٩.

### ثالثاً: النفس:

إن نزعة البهائي في النفس الإنسانية نزعة محض صوفية، فمذهبه فيها، بلا ريب ولا شك، هو مذهب أهل الصوفيّة. فهي في نظرة ربانية روحانية علاقتها مع الجسم علاقة تدير وقيادة.

أ- حقيقة النفس: يذهب البهائي إلى أن النفس وإن استطاعت أن تحصل بعض الكمالات في حياتها الأرضية، فلأنها قد حازت في حياتها السابقة استعداداً لقبول الفيوضات العلوية أو الإشراقات الربانية، فعادت إلى أصلها ونشأتها، حيث الحقيقة التي كانت قد عاشتها قبل إيداعها في الجسد. كانت «الأرواح الإنسانية قبل ظهورها في الأبدان ظاهرة في عالم المثال، بصور مناسبة لها وهي مشهورة فيها لأرباب الشهود، وجميع أرباب المكاشفة أكثر ما يكاشفون به من الأمور الغيبية تكون في هذا العالم، وفيه تتجسد الأعمال والأفعال الإنسانية الحسنة والقبيحة، كل بما يناسبه... وأول ما ينفخ للإنسان عند غيبته عن هذا العالم الجسماني هو هذا العالم المثالي، وفيه يشاهد أحوال العباد بحسب صفاء الباطن، وقوة الإستعداد<sup>(١)</sup>.

فتحصيل الكمالات متيسر للإنسان إذا في كل وقت، فعلى الإنسان ألا يتعاس في تحقيق ذلك. يقول البهائي في حثه للإنسان على تحقيق الكمالات، إن الكلام المرموز للحكماء: أن زمن الربيع لا يُعدم من العالم، معناه أن تحصيل الكمالات ميسر في كل وقت سواء كان وقت الشباب أو وقت الكهولة أو وقت الشيخوخة، فلا ينبغي التقاعد عن اكتساب الفضائل في وقت من الأوقات وما أحسن ما قال ومن قال:<sup>(٢)</sup>

هذا زمن الربيع عالج كبدي يا صاح فلا تخل من الراح يدي  
البلبل يتلو ويقول انتبهوا العمر مضى وما مضى لم يعد

(١) البهائي الكشكول مصدر مذكور ص: ٨٨١.

(٢) (م.ن) ص ١٦٤.

وبما أن الله قد خص الإنسان، دون غيره من المخلوقات، فجعله خليفةً له في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(١)</sup>، وحباه بكراماته وألطافه، فعليه أي الإنسان أن يتخلق بالأخلاق الإلهية ويتشبه بأجمل الصفات التي يريدها الله للإنسان ليستحق الخلافة، لأن الحكيم لا يستخلف إلا من يتصف بالحكمة، والعالم لا يستخلف الجاهل. ولهذا يقول النبي محمد ﷺ «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>. ويعدد البهائي مذاهب الفلاسفة المختلفة حول حقيقة النفس أو ماهيتها، فيذكر أربعة عشر مذهباً هي:

- ١- المذهب المادي الذي لا يرى أثراً للنفس في الإنسان الذي يتمظهر بجسمه فقط.
- ٢- المذهب الذي ينظر إلى النفس والقلب كمرادفين ويجعل القلب مستقراً للنفس.
- ٣- المذهب الذي يرادف بين النفس والدماغ ويعتبر الدماغ مركزاً لها.
- ٤- المذهب الذي يعتبرها جزءاً لا يتجزأ من القلب.
- ٥- المذهب الذي يعتبرها متولدة من المنى.
- ٦- المذهب الذي يعتبرها سمة أو مزاجاً.
- ٧- المذهب الذي يعتبرها روحاً أو جسماً حيوانياً لطيفاً له وجود في الجسم.
- ٨- المذهب الذي يعرف النفس بأنها الماء.
- ٩- المذهب الذي يعتبرها مزيجاً من نار وحرارة غريزية.
- ١٠- المذهب الذي يرى أن النفس هي ولا شيء آخر.
- ١١- المذهب الذي يعتبرها الواجب المتعالي الذي لا يمكن معرفته.
- ١٢- المذهب الذي يرى تركيبها من الماء والهواء والنار والتراب.
- ١٣- المذهب الذي يعتبرها صورة البدن التي تحلّ فيه.
- ١٤- المذهب الذي يرى النفس جرمًا روحانياً مجرداً عن المادة وعوارضها، لها مع البدن علاقة تدبير وتصرف، وهذا مذهب الحكماء الإلهيين وأكابر الصوفيّة

(١) سورة البقرة الآية ٢٠.

(٢) البهائي الكشكول مصدر سابق ص: ٧٠٦.

## د. هادي فضل الله

والمتكلمين والإشراقيين. وهو الذي أشارت إليه الكتب السماوية، وانطوت عليه الأنبياء النبوية وقادت إليه الإمارات الحدسية والمكاشفات الذوقية. وهو مذهب الرازي والطوسي والغزالي والبهائي وغيرهم<sup>(١)</sup>.

ويؤكد البهائي أن النفس وإن كانت مغايرة للبدن، فإن إدراكها لا ينفك عن إدراك البدن، لشدة تعلقها واتصالها بالبدن «كما إذا تصوّرنا زيدا فأنا نتصور بدنه أيضاً»<sup>(٢)</sup>.

ب- أنواع النفس الإنسانية: إذا كان الإنسان محباً للملذات ميالاً للشهوات والرغبات الدنيئة كانت نفسه وضعية سافلة وغاياتها خسيصة، وكانت منبعاً لنشر الرذيلة والأخلاق الفاسدة، وسميت عندئذ بالنفس الأمارة بالسوء أو النفس البهيمية. وإذا كان الإنسان حكيماً صابراً مطمئناً وأخلاقه فاضلة، وكان مطيعاً لله في كل أوامره ونواهيه، وإذا كان يعتمد على العقل في تدبير شؤونه وكانت إرادته قوية في لجم شهواته وملذاته، فتكون نفسه هنية راضية وسميت بالنفس المطمئنة. وإذا كان المرء متقلباً بين الخير والشر وميالاً إلى الخير أكثر منه إلى الشر وإلى طاعة الله أكثر منه إلى معصيته، بحيث أنه يحاسب نفسه على كل تصرف سوء اتصفت نفسه بقوة الردع والمراقبة وسميت بالنفس اللوامة. هكذا ميّز البهائي بين ثلاثة أنواع من النفس الإنسانية: النفس الأمارة بالسوء أو البهيمية، والنفس المطمئنة والنفس اللوامة<sup>(٣)</sup>. إلى ذلك تكلم البهائي عن أفعال النفس، فشبه النفس في البدن كالوالي في بلد. فإذا اعتمد الوالي على وزيره في تدبير أمور بلده كان ناجحاً تماماً كالنفس التي تعتمد على العقل في تدبير أمورها. يقول البهائي «مثل نفس الإنسان كمثل والٍ في بلده، وقواه وجوارحه أعوانه،

(١) البهائي الكشكول ص: ٨٧٤ - ٨٧٥.

(٢) (م.ن) ص: ٨٧٩.

(٣) البهائي الكشكول ص: ٨٥٠ - ٨٥١.

والعقل له وزير ناصح الشهوة فيه كعبد جالب للمسرّة، والعبد المذكور خبيث مكارّ يتمثل للوالي بصورة الناصح وفي نصحه دبيب العقرب، ويعارض الوزير في تدبيره، ولا يغفل ساعة معارضته ومنازعته، وكما أن الوالي في مملكته متى استشار وزيره دون هذا العبد الخبيث، وجعل الوزير مسلطاً على هذا العبد حتى يكون العبد مسوساً لا سائساً، ومدبراً لا مدبّراً استقام أمر بلده كذا النفس متى استقامت بالعقل في التدبير وسلطته على الشهوة استقام أمرها وإلا فسد، والأمر ما حذرنا الله سبحانه من اتباع الهوى، فقال جل من قائل: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾<sup>(٢)</sup> وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾<sup>(٣)</sup> وغير ذلك من الآيات<sup>(٤)</sup>.

ج- مصير النفس: لم يقتصر خلاف الفلاسفة حول حقيقة النفس فحسب، وإنما تعداه إلى مصيرها فما هو موقف البهائي من المعاد؟ ذهب البهائي إلى القول بالمعاد الجسماني والروحاني معاً وهو قول الغزالي وكل من أثبت النفس الناطقة المجردة كما قول أكثر أهل الصوفية. وعليه فإن البهائي خالف مقالة الذين يقولون بالمعاد الجسماني فقط، لأن «المعاد الجسماني هو تأليف أجزاء البدن وجمعها بعد تفرقها وخلع صورها، بناءً على أن الجسم لا يعدم بالكلية، أو هو بإحداث الجسم مرّة أخرى متى كتم العدم بناءً على أنه لا يعدم بالكلية، كل من الشقين محتمل، والمتكلمون لم يجزموا بشيء منها نفيًا ولا إثباتاً<sup>(٥)</sup>. وكذلك خالف البهائي الطبيعيين الذين لم يثبت عندهم لا المعاد الجسماني ولا المعاد الروحاني<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة ص الآية ٢٦.

(٢) سورة الجاثية الآية: ٢٣.

(٣) سورة النازعات الآية: ٤٠-٤١.

(٤) البهائي الكشكول ص: ٩١٧.

(٥) البهائي الكشكول ص: ٨٣٩.

(٦) (م.ن) ص: ٤٣٢.

لقد أراد البهائي وكل الذين قالوا بالمعاد الروحاني والجسماني معاً أن يجمعوا بين الفلسفة والدين، أو بين الحكمة والشريعة. فالعقل قد دلّ «على أن سعادة الأرواح بمعرفة الله ومحبهه، وأن سعادة الأجسام في إدراك المحسوسات، والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة الدنيا غير ممكن لأن الإنسان مع استغراقه في تجلي أنوار عالم الغيب لا يمكنه الإلتفات إلى شيء من اللذات الجسمانية، ومع استغراقه في استيفاء هذه اللذات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذات الروحانية... فالأرواح البشرية ضعيفة في هذا العالم فإذا فارقت بالموت واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت، فإذا أعيدت إلى الأبدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الأمرين»<sup>(١)</sup>.

ولا نفهم من مقولة البهائي بعودة النفس إلى البدن مرة ثانية أنه يؤمن بالإستنساخ. فالبهائي يرفض الإستنساخ رفضاً باتاً.

فهو بعد أن يذكر قصيدة ابن سينا في النفس:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنّع  
يقول إذا كان تعلق النفس بالبدن «لأمر غير تحصيل الكمال فهي حكمة خفية على الأذهان، وإن كان لتحصيل الكمال فلم ينقطع تعلقها به قبل حصول الكمال، فإن أكثر النفوس تفارق أبدانها من دون تحصيل كمال ولا تتعلق ببدن آخر لبطلان التناسخ»<sup>(٢)</sup>.

هنا نلاحظ خلافاً واضحاً بين البهائي وأفلاطون، فأفلاطون يقول: «إذا مات الإنسان انتقل روحه أو مبدأ الحياة منه إلى كائنات عضوية أخرى أرقى منه أو أخط حسب ما استحقته في تجسّداتها السابقة... فإذا ما تطهرت الروح في خلال الحيوانات

(١) (م.ن) ص: ٨٢٨-٨٢٩.

(٢) (م.ن): ٤٣٢-٤٣٣.

المختلفة من جميع آثامها، تحررت من التجسد وصعدت إلى الفردوس تتمتع فيه بالسعادة السرمدية»<sup>(١)</sup>. ومايلفت النظر بالفعل وتجدر الإشارة إليه، هو أن البهائي كشف أن المعاد في رأي ابن سينا إنما يكون بالجسم والروح وليس كما ذهب الغزالي الذي نسب إلى الشيخ الرئيس القول بنفي المعاد الجسماني مع أن الشيخ في آخر الشفاء والنجاة قال بحشر الأجساد»<sup>(٢)</sup>.

هذا ويعود البهائي فيؤكد رأي ابن سينا في المعاد وأنه قال بالمعاد الجسماني والروحاني معاً، لكنه أي الشيخ الرئيس يرغب في السعادة النفسية أكثر من السعادة البدنية. ينقل البهائي عن ابن سينا قوله في الشفاء أن «المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى اثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذي للبدن عند البعث وخيرات البدن وشروبه معلوم لا يحتاج أن يعلم، وقد بسطت بالشرعية الحقّة التي أتانا بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني، وقد صدقه النبوة وهو السعادة والشقاوة التابعتان للأنفس، وإن كانت الأوهام تقصر عن تصوّرها الآن لما توضحه من العلل، والحكماء الإلهيون رغبتهم في إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم في إصابة هذه السعادة البدنية»<sup>(٣)</sup>.

### رابعاً الأخلاق:

اهتم البهائي بالأخلاق العملية وأطلق الحديث عنها كونها مجموعة من المثل والقيم الإنسانية لا يخرج عن أطرها العامة إلا الشاذون عن طبيعة الإنسان وشريعته. وأي إنسان

(١) ول ديورانت قصة الحضارة ط: ٢ القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م مجلد ٧ - ٨ ج: ٧ ص: ٤٨٠.

(٢) البهائي الكشكول ص: ٨٤٢.

(٣) (م.ن) ص: ٦٠٩.

لا يريد أن يحيا ويعيش حياة مستقرة، متحرراً من الظلم والعبودية والإستغلال، وأن تكون علاقته مع الآخرين علاقة حب وإخلاص ووفاء وصدافة، كما نلمس منه في ثنايا مؤلفاته ورسائله أنه لم يهمل الأخلاق النظرية فهو يكرر باستمرار، كثيراً من مصطلحاتها كالإلزام والمسؤولية والجزاء والنية والجهد ويعتبرها منطلقاً أساسياً لتحقيق الأخلاق العملية. فعلم الأخلاق يتوخى إصلاح الفرد والجماعة. وقطب الرحى في هذا العلم هو سلوك الإنسان. فالأخلاق كلها سلوكٌ وعملٌ. لقد اعتبر البهائي أن علم الأخلاق من العلوم الضرورية، التي يحتاجها الإنسان لفهم بعض العلوم الأكثر صعوبة وتعقيداً، فذهب إلى أن بعض العلوم كالمنطق على سبيل المثال لا الحصر، لا تقرأ إلا بعد «تهذيب الأخلاق وتقويم الفكر ببعض العلوم الرياضية من الهندسة والحساب»<sup>(١)</sup>.

والأخلاق الفاضلة في نظر البهائي، هي نتيجة للعلوم الصحيحة المكتسبة. من هنا رأى أن علاج الأخلاق السيئة إنما يكون بواسطة الإيمان والعلم والمعرفة ولا شيء غير ذلك. وكلّ الذين «لم تتهذب أخلاقهم... انخرطوا في سلك الجهال»<sup>(٢)</sup>. فالغيبة، كسلوكٍ سيءٍ مصدرها الجهل وعلاجها يكون بالعلم والإيمان فضلاً عن أن العبادة تساعد على التخلص منها. من هنا يحث البهائي الإنسان على الإستفادة من عمره ويدعوه للإقلاع عن الغيبة، ويوصيه بالألا يذكر أحداً بما يكره أن ينسب إليه أو يوصف به لأنه ينال من سمعته ويحطّ من قدره. يقول البهائي «أيها الغافل قد شاب رأسك وبردت أنفاسك، وأنت في القيل والقال، النزاع أو الجدل، فاحبس لسانك عن بسط الكلام فيهما»<sup>(٣)</sup>.

وعموماً فإن الإبتعاد عن الفواحش بشكلٍ عام والتخلي عن أخلاق السوء إنما تكون بالإرادة والعزم والتصميم والإيمان وإخلاص النية، ولذا ينصح البهائي الإنسان بأن يكون قوي العزيمة ثابت النية سليم القصد، كي لا يقع في الفاحشة. يقول البهائي

(١) البهائي الكشكول ص: ٥٧١ - ٥٧٢.

(٢) نفسه ص: ٥٧٢.

(٣) (م-ن): ١٧٩.

«يا مسكين عزمك ضعيف، ونيتك متزلزلة، وقصدك مشوب، ولهذا لا يرتفع عليك الباب، ولا يرتفع عنك الحجاب، ولو صححت عزيמתك وأثبت نيتك وأخلصت قصدك لانفتح لك الباب من غير مفتاح كما انفتح ليوסף عليه السلام لما صمم العزم وأخلص النية في الخلاص من الوقوع في الفاحشة وجد في الهرب من زليخا»<sup>(١)</sup>.

هكذا تكلم البهائي عن أخلاق لا مجال لفصلها عن الدين إذ إن موضوعهما واحد ألا وهو تربية النفس الإنسانية، بما فيه سلوك الإنسان وأفعاله الصادرة عنه بإرادة مباشرة. فكما أن الدين يأخذ طريقه السليم إلى الإنسان بواسطة جهاد الإنسان وتربيته لنفسه كذلك علم الأخلاق فهو الذي يتعهد ببيان صحة الروح وسلامتها. والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق، فبالأخلاق الحسنة يستقيم عمل الإنسان. والإنسان الذي يتمتع بالخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة هو إنسان منسجم مع دينه وعقله ويعمل مخلصاً للدين والمجتمع. فالضمير الأخلاقي كالضمير الديني يضبط النفس عن الهوى، ولا شك في أن ذوي الأخلاق الحسنة يعودون دائماً إلى الدين والضمير. فالدين رأس الأخلاق من دون شك، وكأن البهائي، ككل فلاسفة الإسلام ومفكره، يساوي بين الإيمان والأخلاق. فالإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان، وكذلك الأخلاق علم وعمل، قول وفعل إيمان. فعلم الأخلاق مجموعة من المبادئ المعيارية التي أن يجب أن يجري السلوك الإنساني على مقتضاها. فالغاية من علم الأخلاق صون الإنسان عن الخطأ في السلوك بحيث يكون مستقيماً في قصده وفعله وغرضه، بعيداً عن الهوى، بهدف خلق مجتمع يسود فيه العدل والسلام والتعاون وبالتالي السير به نحو الأكمل والأفضل.

لكن ما هي طبيعة الأخلاق هل هي موروثه ثابتة أم مكتسبة متغيرة، وما هو موقع البهائي من الفلاسفة في نظرهم إلى طبيعة الأخلاق؟

(١) البهائي الكشكول ص: ١٧٨.

يذهب البهائي مذهب الغزالي والطوسي فيقول بإمكان تغيير الأخلاق، فلو كانت لاتقبل التغيير، على رأيه، لبطلت الوصايا والمواعظ والإرشادات ولأصبحت الشرائع لا لزوم لوجودها ولما قال النبي «حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ». يقول الشيخ البهائي «اختلفوا في أن الإنسان، هل يمكن تغيير خلقه أم لا؟

فالغزالي في الإحياء، والمحقق الطوسي في الأخلاق على الأول، ويعضده قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

ولما كانت الأخلاق تقبل التغيير فهي قد تتغير نحو الأسوأ كما قد تتغير نحو الأحسن. فتغير الأخلاق من الحسن إلى القبح، إنما يكون لأسباب عارضة تجعل اللين خشونة. تلك الأسباب يستقرؤها البهائي ويرتبطها في سبعة هي الولاية والعزل والغنى والفقر والههم والمرض والههم<sup>(٢)</sup>.

كما تتغير الأخلاق نحو الأسوأ لأسباب جوهرية منها قسوة القلب، ذلك أن «غفلة القلب عن الحق من أعظم العيوب وأكبر الذنوب ولو كانت أنا من الآفات ولمحة من اللمحات حتى أن أهل القلوب عدوا الغافل في آن الغفلة من جملة الكفار»<sup>(٣)</sup>.

أما تغيير الأخلاق نحو الأحسن والأفضل، فالتربية الصحيحة هي التي تتكفل ذلك. هذا فضلاً عن معايشرة أهل الخير والتقوى والتي تلعب دوراً كبيراً في تحسين أخلاق الإنسان كما أن العكس صحيح<sup>(٤)</sup>.

ومن المزايا التي تؤدي إلى تحسين الأخلاق يورد البهائي الإعتزال عن الناس خوفاً من اكتساب «الصفات الذميمة من قرناء السوء»<sup>(٥)</sup>. ومحاسبة النفس يومياً في أشياء

(١) البهائي الكشكول ص: ٦٦٠.

(٢) البهائي الكشكول ص: ٥٤٥-٥٤٦.

(٣) (م.ن) ص: ١٧٨.

(٤) بمعنى أن معايشرة أهل السوء والشر تلعب دوراً كبيراً في تقبيح الإنسان وعلى الإنسان ألا يستحسن القبح لكي لا يكون شريكاً فيه ص: ٧٢٥.

(٥) البهائي الكشكول ص: ٥٧٤.

ثلاثة ذكرها أفلاطون هي: أن تتأمل هل صدر منك في ذلك اليوم خطأ أم لا، وأن تتظر هل اكتسبت فيه خيراً أم لا، وهل فات منك بتقصير عملٌ أم لا»<sup>(١)</sup>.

والإعتراف بالعيوب ونقد الذات «فمن عاب نفسه فقد زكّاه»<sup>(٢)</sup>.

كما يرى أن كثرة الإحتمال هو عامل أساسي من عوامل التعقل والفضيلة<sup>(٣)</sup>. كما

يورد من المزايا «أن لا تفعل سراً ما تستحي منه علانية»<sup>(٤)</sup>.

كما يذكر عدم الاعتزاز بالدنيا والإغترار بها، ويعتبره من أهم المزايا التي تؤدي إلى تحسين الأخلاق كما ذهب أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة<sup>(٥)</sup>، وكما قال النبي محمد صلى الله عليه وآله «إن هذه الدار دار التواء لدار استواء... وقد قضى الله خرابها لا تواصلوها وقد أراد منكم اجتنابها»<sup>(٦)</sup>.

كما يذكر أن «من أفضل الأعمال أن تقتنع بالقوت، وتلزم السكوت وتصبر على

الأذية، وتندم على الخطيئة» كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام<sup>(٧)</sup>.

ويذكر التحلي بالصدق والإبتعاد عن الكذب فهما من أحسن الصفات الفاضلة في

الإنسان<sup>(٨)</sup>.

ولا ينسى اعتدال الطباع «فمن اعتدل طباعه صفي مزاجه، ومن صفا مزاجه قوي

أثر النفس فيه، ومن قوي أثر النفس فيه، سما إلى ما يرتقيه ومن سما إلى ما

يرتقيه فقد تخلّق بالأخلاق النفسانية فقد صار موجوداً بما هو إنسان»<sup>(٩)</sup>.

(١) (م.ن) ص: ٧٥٢.

(٢) (م.ن) ص: ٩٦.

(٣) البهائي الكشكول (م.ن) ص: ٥٥٨.

(٤) (م.ن) ص: ٧٢٠.

(٥) (م.ن) ص: ٧٧٦-٧٧٧.

(٦) (م.ن) ص: ٥٩٠.

(٧) (م.ن) ص: ٧٧٣.

(٨) (م.ن) ص: ٨٣٠.

(٩) (م.ن) ص: ٩١٦.

ويرى البهائي مع بعض العارفين أن مكارم الأخلاق والخصال قد جمعت «في أربع: قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام والإعتزال عن الأنام»<sup>(١)</sup>. هذا ويتكلم البهائي على تحصيل السعادة في الدنيا والآخرة فيذهب إلى أن سعادة النفس تكون بالحكمة والعفة والشجاعة<sup>(٢)</sup>. كما وتحصل لكل «من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها»<sup>(٣)</sup>، وأن السعادة الأبدية لا تكون إلا في خزانة الربوبية<sup>(٤)</sup>. وعموماً فإن الإنسان ومنازله، على حد رأي البهائي ستّة، وقد قطع منها ثلاثة وبقي ثلاثة<sup>(٥)</sup>.

وخلاصة القول، فإن الغاية من الأخلاق عند البهائي، هي الإبتعاد عن الخطأ، بحيث يكون سلوك الإنسان سليماً في قصده وغرضه، وهذا ما يؤدي إلى إصلاح الفرد والمجتمع، وذلك أمرٌ طبيعي لأن مصدر الأخلاق هو القرآن والسنة. من هنا لم تبقَ آراء البهائي في الأخلاق نظرية مجردة، وإنما ركّز مفكرنا على مرحلة السلوك العملي، التي اعتبرها أسمى غايات الأخلاق.

واختصار الكلام، فإن الشيخ البهائي هو من أبرز علماء الدين المسلمين الذين عاشوا حياتهم مؤثرين ومتأثرين ببيئتهم، متفاعلين وفاعلين فيها، حتى برزت مواقفه في مختلف المجالات الفقهية والاجتماعية والأدبية والفلسفية والصوفية والعرفانية والهندسية والفلكية، تتمحور بمجملها حول جوهر الدين الذي فهمه على حقيقته، فراح يطبّق تعاليمه ويعلي من مبادئه بسلوكه العملي ومنهجيته العلمية مواصلاً بذلك تاريخ الفكر الإسلامي الصحيح إزاء الإنحراف الديني والإستبداد السياسي والطغيان الإجتماعي، الأمر الذي يجعلنا نخلّد ذكراه باستمرار، بهدوء ومن غير جذب، مع ذكرى

(١) (م.ن) ص: ٩٣٦.

(٢) البهائي الكشكول ص: ٧٨٧

(٣) (م.ن) ص: ٦٩٩.

(٤) (م.ن) ص: ٧٧٣.

(٥) نفسه ص: ٩٧٨.

أولئك العظام الذين اقترنت أسماؤهم على مرّ التاريخ بالتطور العلمي والدفاع عن المظلومين ومحاربة التقاليد الجائرة والنظم المنحرفة.

لقد احتل الشيخ البهائي بفضل عبقريته الفذة مكانة بارزة في دنيا الفكر والعالم والمعرفة فبقي رائداً من رواد الفكر على أنواعه، وحلقة اتصال في فكرنا المعاصر لن يخبونوره أو يتضاءل أثره، شأنه في ذلك شأن العباقر الكبار، الذين يتلأل التاريخ نوراً بذكراهم الفكرية العطرة، ولا يزال حتى يومنا «أكثر مؤرخي العلوم في العالم يعترفون بغزارة علم بهاء الدين النظري والتطبيقي»<sup>(١)</sup> ويقرون بإسهامات نتاجه العلمي الضخم في «النهضة الأوروبية العلمية الحديثة»<sup>(٢)</sup>.

تلك كانت مناحي البهائي الفلسفية بشكل عام منذ ولادته سنة ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م وحتى وفاته سنة ١٠٣٠هـ / ١٦٢٣م.

فرحمة الله تعالى على شيخنا البهائي، وعلى أمثاله من علمائنا الذين قضوا بعد أن أغنوا الحياة فكراً وعلماً ومعرفة ونهجاً وسلوكاً، وثبتنا الله على خطاهم، خطى الحق والتقوى والصلاح.

(١) غازي أبو شقرا مجلة الصفر مقالة رياضيات بهاء الدين العاملي ١٩٨٧م تشرين الثاني العدد ١٩ ص: ٦٨.

(٢) دلال عباس بهاء الدين العاملي أديباً وفقهياً وعالمياً مرجع مذكور ص: ٦١٨.

## الشيخ البهائي والتدين الزائف

### د. أحمد راسم النفيس<sup>(1)</sup>

#### الإنسان كائنٌ عاقلٌ والعقل هبة من الله تعالى...

والإنسان دوماً بين خيارين إما أن يستخدم هذه المنحة الإلهية وصولاً للكمالات، أو أن يستخدمها كأداة للتحايل والخداع ليحصل على رغباته من اللذات والشهوات الزائلة فيكون (مَمَّنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَلَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَشَمَّرَ مِنْ تَوْبِهِ وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ).

لا يقتصر هذا النوع من البشر على صنف واحد من التدين تصوفاً أو تشيعاً أو تسنناً، بل هو نموذجاً قابلاً للتكرار تجده أينما سرت أو ارتحلت.

إنهم بلاءٌ على أي منهج التصقوا به لأنهم ييغونها عوجاً ويصدون عن سبيل الله عز وجل ويحسبون أنهم مهتدون (أوحى الله إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ): «لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريرين، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم».

(1) باحث ومفكر من (مصر).

إنهم قطاع طرق مموهون لا يسهل اكتشافهم، ولا إلقاء القبض عليهم وإرسالهم إلى حيث يستحقون، وهي مهمة يتعين القيام بها وتنظيف الساحة منهم أولاً بأول، بدلاً من تركهم ليستفحل خطرهم وتترسخ جذورهم وتصبح مهمة كشفهم والتخلص منهم ضرباً من المستحيلات.

إنهم أيضاً قطاع طرق متطورون يستخدمون أساليب متنوعة لسوق الناس نحو التيه والضياع لذا تراهم يضعون علامات إرشاد كاذبة ومضللة على الطريق ضمناً لئلا يسلك الناس على صراط الله المستقيم أو يبقى سيرهم في دائرة مفرغة يقطعون آلاف الأميال، ويكدون ويتعبون وتتورم أقدامهم من السير، قبل أن يعودوا إلى نفس النقطة التي انطلقوا منها، والمهم لدى هؤلاء الأدعياء هو آداب السير وليس الوصول إلى أي هدف أو تحقيق أي غاية.

إنهم إما منافقون يتعلقون بظواهر وقشور الدين كي يتمكنوا من ضرب الإسلام من داخله، أو مرتزقة يطلبون الدنيا بعمل الآخرة، فكان أن وجدوا ضالتهم في جمهور أغلبه جهلة بسطاء (هَمَجٌ رَعَاغٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ).

وسواء كانوا منافقين مجرمين يتقصدون تخريب الدين عمداً مع سبق الإصرار والترصد، أو مرتزقة يبحثون عن لقمة العيش ولا يهمهم كم أخرجوا أو أفسدوا (كالفئران) فالنتيجة في الحالتين واحدة.

لو تركت مهمة حمل الدين للمخلصين المتجردين (الأقلون عدداً، والأعظمون قدراً، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُوَدِّعُوهَا نُظْرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْبَقِيَّةِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِ أَرْوَاحِهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى، أُولَئِكَ خَلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالِدُعَاةُ إِلَى دِينِهِ، آه آه شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ!) لما وصل حال الأمة إلى هذا الدرك. الواجب الملقى على عاتق العلماء الربانيين هو

فضح هؤلاء المرتزقة وإخراجهم من جحورهم لتظهر (الأرض من هذا الشخص المعكوس، والجسم المركوس، وحتى تخرج المدرة من بين حب الصيد)، أو دفعهم لتصحيح سلوكهم وتوجيه طاقاتهم نحو ما ينفع الناس، ويمكث في الأرض وهو ما يفضله العقلاء حفظاً لطاقات الأمة من التبدد والضياع.

إنها مهمة يصعب القيام بها إذ أن التصدي لجماعة الفئران يعد من وجهة نظر المتدينين البسطاء الذين لا (يتعلقون من الإسلام إلا باسمه ولا يعرفون من الإيمان إلا رسمة)، هجوماً على الدين ورموزه وعلى الفور، تكثر التأوهات وتعلو الصيحات دفاعاً عن حق جماعة الفئران في مواصلة القضم والهضم والتخريب واعتبارهم جماعة من المضطهدين المستضعفين، رغم عظم قدرتهم على التخريب وهم يزعمون أنهم مظلومون يستكثر الكبار عليهم حق القضم من أجل العيش (الذي هو من حقوق الإنسان!) رغم ضآلة حجمهم وضعف بنيتهم الجسدية!!.

مساكين حقاً هم جماعة الفئران الذين لم يشبعوا حتى هذه اللحظة من القضم ولا زالوا يصرون على مواصلة دورهم التخريبي بعد أن أتقنوا فن الزخرفة والزر كشة وادعاء الكرامات.

إنهم من وصفهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ومَنَّهُم مَن يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَلَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ مَن شَخَّصَهُ وَقَارَبَ مَن خَطَّوهُ وَشَمَّرَ مَن ثَوَّبَهُ وَزَخَّرَفَ مَن نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ).

وكما أسلفنا فإن التصدي لهؤلاء وفضح زيفهم مهمة صعبة لا يقدر على القيام بها إلا أولو العزم من العلماء الريانيين الذين لا يخافون في الله لومة لائم من أمثال: شيخنا البهائي وتلميذه الإمام الخميني قدس الله أنفسهم الزكية.

## القط والفأر والشيخ البهائي:

في كتاب (القط والفأر)<sup>(١)</sup>، صاغ الشيخ البهائي محاوره بين القط والفأر تكشف عما يعتدل في نفسيهما من أفكار.

يقول الشيخ البهائي (أيها الأعراء لا تظنوا أن حوار القط والفأر بلا جدوى. الفأر هي نفسكم الأمانة بالسوء التي تريد أن تتخلص بالحيلة والخداع من سلطة العقل، وأن تقسد صاحبها باقتدائها بالشیطان وبعد ذلك تسخر بالعقل وتهزأ منه وتضع عليه نعمة الاختيار الصحيح.

أيها الأصدقاء: كان القط بما يملك من صولة وشوكة قد سيطر على الفأر ووضعه في تصرفه، ولكنه بعدما سمع من الفأر حديث الشواء والحلوى، لان وتراخى وقد أعمى الطمع بصيرته فخُدع وأفلت الفأر من يده، وأنت إن لم تقلت عنانك وتسلمه إلى النفس الأمانة، فلن تتأخر في نيل مطلبك. والمغزى من هذه الحكاية أن في كل لفظة عدة وجوه من النصيحة، وفي كل حال تعلم نصيحة من قصة القط والفأر لتصل إلى حقيقة النفس الشهوانية، ولتدرك حقيقة الدنيا الفانية وأوضاعها المتردية، ستسمع أيضاً من القط والفأر في كل باب أخباراً، وسترى مباحثات ومجالات كثيرة عن تصوف القط والفأر، وفي النتيجة أخاف أن لا يتوصل ذوو الطباع الناقصة والعقول القاصرة إلى المعاني التي تحتاج كمال الإدراك والاستعداد ويضيع تعب الفقير سدى).

وتحت عنوان (نقد المتصوفة) تقول صاحبة المقدمة: يتساءل قارئ قصة القط والفأر؛ لماذا ينتقد الشيخ البهائي المتصوفة بهذه الحدة وهو الذي ينكر على الفقهاء بعدهم عن الزهد والتصوف حين قال: (من تفقه ولم يتصوف فقد ترندق)، ونحن نعرف أن الشيخ لم يكن رافضاً للتصوف!؟ لنفهم موقف الشيخ من أدياء التصوف لا بد من العودة لدراسة ظروف العصر....

(١) القط والفأر. الشيخ بهاء الدين العاملي. ترجمة وتقديم دلال عباس (رياض الريس لندن- بيروت) الطبعة الأولى. ١٩٩٦.

## د. أحمد راسم النفيس

عاش الشيخ البهائي في محيط كل ما فيه يدعو للتطرف، حيث يعيش الحكماء والفقهاء والمحدثون والدرأويش والزهاد والعباد والمتصوفة إلى جانب المحتالين والمشعوذين والمستهترين وبين الجميع قطيعة كاملة وعداء مستحکم، كما انقسم الفلاسفة إلى مشائين وإشراقيين، والفقهاء إلى مجتهدين وإخباريين والمتصوفة إلى قزلباش ونعمة اللهيين وحيدريين ومشعوذين وكل فرقة حاربت الأخرى قولاً وفعلاً وكل فرقة اتهمت الأخرى بالفسق أو الكفر أو النفاق هذا بالإضافة للإيمان بالتنجيم والخرافات والأوهام والسحر.

ينتقد الشيخ البهائي المريدين الحمقى الذين يصدقون ادعاءات المشايخ، ويقولون أن كلام المرشد ليس أقل قيمة من كلام عيسى وأن دعاءه مستجاب إلى آخر هذه التخرصات. ثم يقول: (ما إن يصدق أحد الناس أقوال أدياء التصوف ويدخل في سلكهم حتى يبتلئ بشطحاتهم وأكاذيبهم وخرافاتهم ويصبح أسير الظن والوهم لأن من المعلوم أن الأحمق الجاهل الأعمى قليل الذوق والإحساس، لن تجلو الأسرار الإلهية صدأ عقله وشعوره فإن كثيراً من الأشخاص يحيون الليالي في السهر والإعتكاف ولا يحصلون أكثر من الهم والغم والنحول والإصفرار ومع ذلك لا يعدون من أهل الله وذلك لأنهم غافلون منذ البدء عن حقيقة التصوف، واعتقادهم لا يخلو من الخداع وحب الدنيا، أما الآخرون الذين لا يعرفون سر الوجود فيستطيعون حين يجعلون قائدهم الحقيقي ومرشدهم الأول الإخلاص لله تعالى والتقوى وصحة المعتقد الوصول إلى أعتاب الحقيقة، إن المعرفة النظرية بأصول التصوف لا تكفي... ما هي فائدة معرفتك أموراً عن التصوف إن لم تصل أنت إلى مرتبة الكمال والوصول وتتكشف أمامك الحجب).

عندما نقرأ محاوره القط والفأر (الفقيه والمتصوف) نلاحظ أن القط يتحدث في البدء (متفهِقاً) ثم يتغير حاله بعد ذلك ليصبح فقيهاً عاقلاً يدرك حقائق الأمور ومآلاتها.

في البدء.....

قال الفأر: أيها القط منازل الصوفية أقرب إلى الله من منازل العلماء.

قال القط: لم؟ اشرح لنفهم.

قال الفأر: مراتب الفقر والسلوك والتعلق بين أهل الله وخلق الله سبع مراتب، المرتبة الأرفع هي مرتبة الصوفية. أولاً: العلماء، ثانياً: الصالحون، ثالثاً: أهل السلوك، رابعاً: أهل العرفان خامساً: الخائفون سادساً: أهل الصدق سابعاً: أهل العشق. لقد صار معلوماً لديكم أن مرتبة العشق للمتصوفة ورتبة العقل للعلماء وأينما فرش العقل بساطه هدمه العشق وخربه دون عناء.

طريق العالم بعيدة وطريق الصوفية هي الأقرب إلى الله.

سأل القط: أيها الفأر أتعرف شيئاً عن أوصافهم وأخبارهم وآثارهم وأساليبهم؟

أخبرنا لعلنا نحصل مهارة في هذا الباب.

قال الفأر: ليس من السهل توضيح أسرارهم ذلك لأن سلوكهم ورياضتهم وتواضعهم

وصبرهم يفوق الحد والوصف.

من جملة ذلك أن الحسين بن منصور كان حلاجاً، وبسبب حلمه وتستره على هفوة

امرأة عجوز توصل إلى المرتبة التي تعرف وقال: أنا الحق.

كما أن أحد عظماء الصوفية في بغداد استطاع لكثرة تهجده وسلوكه أن يصل إلى

مرتبة عالية في القرب والوصال دفعته أن يقول: (ما في الجبة سوى الله) ومن شدة

الألم والتعب ومن كثرة الرياضة والعبادة قال: (سبحاني ما أعظم شأني) ولم يصل

إلى هذه المرتبة إلا بالعبادة المحضة.

القط فقيهاً.....

ثم يوضح الشيخ البهائي على لسان القط بعد أن صار عاقلاً: حماقة الثعلب مقطوع

الذنب هي ذاتها حماقة أدياء التصوف الذين أضلوا الناس، وادعوا الكشف والكرامات

زوراً وبهتاناً، ولم يسمع أحد منهم طيلة حياته كلمة صدق واحدة، فبدون الخجل

والتواضع وخشية الله لا مكان للكشف أو الكرامات، هم لا يقصدون من ادعاءاتهم الكاذبة سوى ملء بطونهم على نفقة الهمج الرعاع.

يحكى أن شيخاً من أدياء الصوفية كان مع جماعة من مريديه متوجهاً إلى إحدى القرى، وفي الطريق رأى رجلاً خارجاً من بستان وهو يحمل على رأسه سلة فقال الشيخ: إن الفرصة مؤاتية لإظهار الكرامات، وبما أن معظم أهل القرية يدعون (رئيس حسين) ور (ئيس عز الدين) و (خالوقاسم) فإن لهذا الرجل صاحب السلة أحد هذه الأسماء وفي سلته فاكهة حتماً، فإذا تحقق الأمر ستظهر لك كرامات عجيبة وسيكون طعامك على العامة الجهال، وستكسب شهرة عظيمة وتوجه نحو الرجل وقال: يا رئيس عز الدين، يا رئيس حسين، يا خالوقاسم شهريار، ولما سمع الرجل النداء التفت وراءه دون أن يشعر، فرأى الشيخ ومريديه ولما اقترب منهم قال له الشيخ:

أحضر سلة الفاكهة التي تحمل لتذوق ما فيها.

تقدم الرجل وقال: أيها الشيخ إسمي (العم عيد) وما في سلتي ليس فاكهة.

قال الشيخ في نفسه: هذا الرجل كاذب فلولم يكن هذا اسمه لما أجب، لكنه يبخل علينا بفاكهته أو أنه يتصور أنني بلا كرامات. لذا قال: أيها الرجل لقد أخبرت أن ما في السلة من نصيبي أنا واتباعي، وأنت تكذب وتدعي أن اسمك عيد، وتكر وجود الفاكهة في سلتك كذباً وبخلاً.

أقسم الرجل وقال: عجباً أيها الشيخ والله لو كان في هذه السلة فاكهة لأعطيها لكم دون تردد.

قال الشيخ: أيها الرجل ضع هذه السلة أرضاً لنرى بأنفسنا ما فيها...

امتنع الرجل عن وضع السلة على الأرض لأن ما فيها يسبب لك إحراجاً.

فقال الشيخ بكل تصميم وعزم: ألهمت أن السلة من نصيبنا، فلا تشك أيها الرجل

بقولنا وضع السلة!!

وجد الرجل أن لا مفر فوضع السلة على الأرض وكانت مليئة بروت الدواب الجاف

جمعه الرجل من البستان ليأخذه إلى بيته.  
رأى الشيخ الروث لكنه لم يتراجع عن موقفه أمام مريديه لذلك قال لهم أيها الأبناء  
ليشرع كل من تلال في قلبه نور العشق بالأكل فيعلم ما فيه من لذة.  
بدأ المريرون بأكل الروث وهم يمتدحون طعاماً لم يعرفوا له مثيلاً في حياتهم واحد  
يقول: إنها رائحة المسك تعطر المشام، وآخر يقول: لو كان للعنبر مثل هذه الرائحة لما  
استبدل بمائة مثقال ذهباً وثالث يقول: لم أذوق في حياتي حلوى لها مثل هذا الطعم.  
وفي كل حال هم أقل من الكلاب يأكلون الروث ويمتدحونه. قال الشيخ في نفسه: كل  
من تذوق من هذا ولم يفسد إيمانه بي، سيصفو باطنه حتماً وسيقوى على تحمل الجوع  
والعطش.

### التصوف بين النقد والرفض:

النقد الشديد الذي وجهه الشيخ البهائي لأدعياء التصوف ليس رفضاً بأي حال  
لمبدأ التصوف والعرفان والإنقطاع إلى الله وعبادته، ولكنه نقد موجه لإدعاءات البعض  
بأنه بلغ مراتب الكمال وصار من أقطاب الدين وعمد اليقين واستحق مرتبة قيادة الأمة  
وانتزع الحق في توجيهها إلى حيث يريد، اعتماداً على إدعاء هذا النوع من الكرامات  
من أمثال ذلك: الشيخ العارف صاحبة كرامة (التلذذ بأكل روث البهائم)!!.

النقد الذي وجهه الشيخ البهائي للتصوف ليس دعوة لترك طريق مجاهدة النفس  
وتهذيبها، ولا دعوة لترك الانقطاع إلى الله وإلصاق الدين علماء من العلوم الجامدة لا  
يختلف عن الفيزياء والكيمياء، بل هو دعوة للتصحيح والتمسك بالحقائق خاصة وأن  
(أفضل الزهد إخفاء الزهد) ولا يمكن أن يكون الزهد تسكعاً وتسولاً وادعاءً لمعرفة  
ما في السلة أو الزعم بأن ما في الحبة إلا الله.

وبدلاً من انقطاع هؤلاء لنيل العلم والمعرفة والتفقه في الدين ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ

فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١﴾<sup>(١)</sup>  
والسعي إلى الترقى عبر نيل كمالات العلم والمعرفة ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ  
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup> نرى هؤلاء يتكئون على ادعاء  
الكرامات والخزعبلات لجمع الناس حولهم وسوقهم إلى حيث يريدون.

### الشيخ البهائي والتصوف

في كتابه (الكشكول) يرسم الشيخ معالم التصوف العقلاني الذي يتعين على عالم  
الدين الزاهد أن يتحلى به ولذا يورد رضوان الله بقلمه الروايات التالية:  
رؤي الجنيد بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: طارت تلك  
الإشارات وطاحت تلك العبارات، وغابت تلك العلوم، واندرست تلك الرسوم، وما نفعنا  
الإركيعات كنا نركعها في السحر، قال الخواص: المحبة محو الإرادات واحترق جميع  
الصفات والحاجات.

في الكافي في باب المعيشة في باب عمل السلطان عن أبي عبد الله رضي الله  
عنه في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾<sup>(٣)</sup> قال: هو  
الرجل يأتي السلطان فيحب بقاءه إلى أن يدخل يده إلى كيسه فيعطيه. في آخر المجلس  
السادس والسبعين من أمالي ابن بابويه: كتب هارون الرشيد إلى أبي الحسن موسى بن  
جعفر رضي الله عنه عظمي وأوجز، قال: فكتب إليه: «ما من شيء تراه عينك إلا وفيه  
موعظة». سئل الشيخ أبو سعيد عن التصوف، فقال: استعمال الوقت بما هو أولى به.  
وقال بعضهم: هو الانقلاع عن العلائق والانقطاع إلى رب الخلائق في أواخر باب الإرادة  
من الكافي عن محمد بن سنان، قال: سألته عن الإسم ما هو؟ فقال: صفة لموصوف.

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢.

(٢) سورة المجادلة الآية ١١.

(٣) سورة هود الآية ١١٣.

التوبة تهدم الحوبة، الفقر يخرس الفطن عن حجته، الكامل من عدت هفواته، المرض حبس البدن، والههم حبس الروح، المفروح به هو المحزون عليه، الفرار في وقته ظفر، أقرب رأيك إلى الصواب أبعدا عن هواك.

فقد روينا عن سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يجاء بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناته في كفة وسيئاته في كفة فترجح السيئات فتجيء بطاقة فتقع في كفة الحسنات فترجح بها فيقول: يا رب ما هذه البطاقة فما من عمل عملته في ليلي ونهاري إلا استقبلت به فيقول عز وجل: هذا ما قيل فيك وأنت منه بريء فهذا الحديث النبوي قد أوجب بمنطوقه على أن أشكر ما أدبته من النعم إلي فأكثر الله خيرك وأجزل ميرك، مع أنني لو فرضت أنك شافهتني بالسفاهة والبهتان وواجهتني بالوقاحة والعدوان، ولم تزل مصراً على إشاعة شناعتك ليلاً ونهاراً ومقيماً على سوء صناعتك سراً وجهاراً ما كنت أقابلك إلا بالصفح والصفح ولا أعاملك إلا بالمودة والوفا فإن ذلك من حسن العادات وأتم السعادات وإن بقية مدة الحياة أعز من أن تصرف في غير تدارك ما فات وتتمة هذا العمر القصير لا تسع مؤاخذاً أحد على التقصير، ولله در من قال، فلقد أحسن في المقال.

على أنني لو صرفت العنان إلى مجازاة أهل العدوان ومكافات ذوي الشنتان لوجدت إلى تدميرهم سبيلاً رحيباً وإلى أفنائهم طريقاً قريباً كما قلت في سالف الزمان.

مصاحب الملك محسود بين الأنام من الخاص والعام، لكنه في الحقيقة مرحوم، لما يرد عليه من الهموم الخفية التي لا يطلع الناس عليها ولا تصل أنظارهم إليها، ولذلك قال الحكماء صاحب السلطان كراكب الأسد، بينما هو فرسه إذ هو فريسته فلا تكن مغروراً من جليس الملك وأنيسه بما تشاهد من ظاهر حاله وانظر بعين الباطن إلى توزع باله، وسوء ماله وتقلب أحواله.

أيها الطالب الراغب إنني أكلمك على قدر عقلك وعرفانك لأن شأن الأسرار المكنونة فوق مرتبتك، فلا تطمع في أن أكشف لك الأمر المكتوم وأن أسقيك من الرحيق المختوم

إذ لا طاقة لك على شرب ذلك، ولا قدرة لأمثالك على سلوك تلك المسالك. ثم إذا ترقيت عن مرتبة العوام، وصرت قريباً من درجة أولي البصائر والأفهام، فأنا أسقيك من شراب أصحاب مرتبة الوسطى ولا أتركك محروماً من هذه الأخطاء، فكن قانعاً بما في الخباب من ذلك الشراب، ولا تكن طامعاً بما في الأباريق والأكواب.

قد تهب من عالم القدس نفحة من نفحات الأنس على قلوب أصحاب العلايق الدنية والعوائق الدنيوية فتتعطر بذلك مشام أرواحهم، ويجري روح الحقيقة في رميم أشباحهم، فيدركون قبح الإنغماس في الأدناس الجسمانية ويذعنون بخساسة الانتكاس في مهاوي القيود الهولانية فيميلون إلى سلوك مسالك الرشاد وينتبهون من نومة الغفلة عن المبدء والمعاد، لكن هذا التنبه سريع الزوال وحي الاضمحلال، فيا ليته يبقى إلى حصول جذبة إلهية تميظ عنهم أدناس عالم الزور وتطهرهم من أرجاس دار الغرور ثم أنهم عند زوال تلك النفحة القدسية وانقضاء هاتيك النسمة الأنسية يعودون إلى الانتكاس في تلك الأدناس، فيتأسفون على ذلك الحال الرفيع المنال، وينادي لسان حالهم بهذا المقال إن كانوا من أصحاب الكمال.

لو لم يأت والدي قدس الله روحه من بلاد العرب إلى ديار العجم، ولم يختلط بالملوك لكنت من أتقى الناس وأعبدهم وأزهدهم، لكنه طاب ثراه أخرجني من تلك البلاد وأقام في هذه الديار فاختلط بأهل الدنيا واكتسبت أخلاقهم الردية واتصفت بصفاتهم الدنية. ثم لم يحصل لي في الاختلاط بأهل الدنيا إلا القيل والقال والنزاع والجدال، وآل الأمر إلى أن تصدى لمعارضتي كل جاهر وجسّر على مباراتي كل خامل.

إن ذرات الكيانات تتصحك ليلاً ونهاراً بأفصح لسان، وتعظك سراً وجهاراً بأبلغ بيان، لكن لا يفهم نصائحها الغبي البليد، ولا يعقل مواعظها إلا من ألقى السمع وهو شهيد.

إلى كم تكون في طلب اللذات الفانية الدنيوية؟ وأنت معرض عما يثمر السعادات

الباقية الأخروية فإن كنت من أرباب المعقول، فاقنع من الدنيا كل يوم بخبزين، واكتف منها كل سنة بثوبين لئلا تسقط من البين وتجيء يوم القيامة بخفي حنين. إذا أغارت جنود الضعف على مملكة القوي بالعزلة عن الخلق والإنزواء فاسأل الرب التوفيق ولا تبال إذا عدم الرفيق الشفيق.

من أعرض عن مطالعة العلوم الدينية، وصرف أوقاته في إفادة الفنون الفلسفية، فعن قريب لسان حاله يقول عند شروع شمس عمره في الأفول. العزلة عن الخلق هي الطيق الأقوم الأسد كما ورد في الحديث: فر من الخلق فرارك من الأسد فطوبى لمن لا يعرفونه بشيء من الفضائل والمزايا، لأنه سالم عن الآلام والرزايا، فالفرار الفرار عنهم، والبدار البدار؛ إلى الخلاص منهم، وبهذا يظهر أن الاشتهار بالفضائل من جملة الآفات، وأن خمول الاسم من المحافات، فاحبس نفسك في زاوية العزلة فإن عزلة المرء عزله، وقد قلت في ذلك، وإن كنت غير هالك في تلك المسالك.

إذا رأيت العالم يلزم السلطان فاعلم أنه لص وإياك أن تخدع بما يقال: إنه يرد مظلمة أو يدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس اتخذها فجار العلماء سلماً. قال بعض الحكماء: إذا أوتيت علماً فلا تطفئ نور العلم بمظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم، وعن النبي ﷺ: أنه قال خيانة الرجل في العلم أشد من خيانتة في المال. ذكر عند مولانا جعفر بن محمد الصادق قول النبي ﷺ النظر إلى وجه العالم عبادة، فقال: هو العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرك بالآخرة، ومن كان على خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة، عن النبي ﷺ أنه قال: العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوه وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم، وعن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه: تعلموا العلم وتعملوا له السكينة والحلم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم، وعن عيسى ﷺ أنه قال: مثل العالم السوء مثل صخرة وقعت في فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء ليخلص إلى الزرع. من الكلام المرموز للحكماء: إن زمن الربيع لا يعدم من العالم، معناه: إن تحصيل الكمالات ميسر في كل وقت سواء كان وقت الشباب أو وقت الكهولة أو وقت الشيخوخة،

فلا ينبغي التقاعد عن اكتساب الفضائل في وقت من الأوقات. انتهى النقل.  
نلاحظ في كلمات الشيخ تأسفاً وتألماً من اضطراره للقرب من السلطان (لولم يأت  
والدي قدس الله روحه من بلاد العرب إلى ديار العجم، ولم يختلط بالملوك لكنت من  
أتقى الناس وأعبدهم وأزهدهم، لكنه طاب ثراه أخرجني من تلك البلاد وأقام في هذه  
الديار فاختلطت بأهل الدنيا واكتسبت أخلاقهم الردية واتصفت بصفاتهم الدنية)،  
وهي كلمات تكشف عن طبيعة نفسه اللوامة التي تتشد الكمال وتأبى الدخول في  
منافسة على الدنيا مع أهل الدنيا. لم يكن الشيخ إذاً راضياً على اضطراره (لمخالطة  
الملوك) وشتان بين من سعى للدخول في خدمة هؤلاء سعياً وبين من وجد نفسه في  
حالة اضطرار وظل زاهداً فيما وضع بين يديه من قدرة وإمكانات سخرها لخدمة دين  
الله وجعل منه وسيلة لتعليم الناس معالم الحق.

ولأن الزهد الحقيقي بين كلمتين من كتاب الله ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا  
تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ يمكننا أن ندرك كيف كان الشيخ  
زاهداً في هذه الدنيا، ولكنه زهد الواجد لا زهد الفاقد المتحسر على ضياع فرص  
الاستمتاع بهذه الدنيا وزخارفها الزائلة.

### الإمام الخميني وتربية العلماء: الجهاد الأكبر

تمر القرون ويأتي إلى هذه الدنيا عالم عارف مجاهد كبير هو آية الله العظمى  
السيد روح الله الخميني ليقف مخاطباً ومريباً جموع العلماء وطلاب العلم موجهاً إليهم  
رسالة، هي امتدادٌ لخطاب الشيخ البهائي الداعي للتحرر من سلطة الشهوات والتزام  
طريق العقل والتحكم في شهوات الذات، ليصبح المرء عالماً ربانياً يؤدي وظيفته في  
تغيير العالم وتوجيهه نحو الكمالات.

يقول الإمام الخميني في كتاب (الجهاد الأكبر):

أنتم الذين تدرسون اليوم في هذه المراكز العلمية وتتطلعون لتتسلموا غداً زمام  
قيادة المجتمع وهدايته، لا تتصوروا أن كل واجبكم أن تحفظوا حفنة من المصطلحات

بل تقع على عاتقكم مسؤوليات أخرى أيضاً، ينبغي لكم أن تبينوا أنفسكم وتربوها في هذه الحوزات بحيث إذا ما ذهبتم إلى مدينة أو قرية وفقتم في هداية أهلها وتهذيبهم. يؤمل منكم عند مغادرتكم الحوزات العلمية أن تكونوا قد هذبتم أنفسكم وبنيتموها بنحو تتمكنون من بناء الإنسان وتربيته وفقاً لأحكام الإسلام وتعاليمه وقيمه الأخلاقية، ولكن إذا ما عجزتم لا سمح الله عن إصلاح أنفسكم خلال مراحل الدراسة ولم تكتسبوا الكمالات المعنوية والأخلاقية، فإنكم أيما ذهبتم ستضلون الناس والعياذ بالله وتسيئون إلى الإسلام وعلماء الدين.

إن مسئوليتكم جسيمة للغاية، وواجباتكم غير واجبات عامة الناس فكم من الأمور مباحة لعامة الناس إلا أنها لا تجوز لكم، وربما تكون محرمة عليكم فالناس لا تتوقع منكم أداء الكثير من الأمور المباحة، فكيف إذا ما صدرت منكم لا سمح الله الأعمال القبيحة غير المشروعة، فإنها ستعطي صورة سيئة عن الإسلام وفئة علماء الدين. وهنا يكمن الداء فإذا شاهد الناس عملاً أو سلوكاً من أحدكم خلافاً لما يتوقعه منكم فإنهم سينحرفون عن الدين وابتعدون عن علماء الدين وليس عن ذلك الشخص، وليتهم ابتعدوا عن هذا الشخص وأساءوا الظن به وحسب.

إذا انحرف العالم فمن الممكن أن يضل أمة بأسرها ويجرها إلى الهاوية، وإذا كان العالم مهذباً يراعي الأخلاق والآداب الإسلامية فإنه يعمل على هداية المجتمع وتهذيبه.

إذا اتصف العالم بالإفساد والخبث فإنه سيجر المجتمع إلى الانحطاط والتعفن، غاية الأمر أن حاسة الشم في هذه الدنيا لا تشم رائحة تعفنه، ولكن في الآخرة تشم بيد أن الشخص العامي ليس باستطاعته أن يوجد هذا الفساد والتلوث في المجتمع الإسلامي.

الشخص العامي لا يمكنه أبداً أن يدعي الإمامة والمهدوية والنبوة والألوهية.  
العالم الفاسد هو الذي يجر العالم إلى الفساد: (إذا فسد العالم فسد العالم).

إن غالبية الذين تظاهروا بالتدين وتسببوا في انحراف كثيرين وإضلالهم كانوا من أهل العلم، فبعض هؤلاء درسوا في المراكز العلمية الدينية ومارسوا الرياضات النفسية، حتى أن أحد مؤسسي الفرق الضالة قد درس في حوزاتنا العلمية ولكن نظراً لأن دراسته لم تكن مقترنة بتهديب النفس وتزيكته لم يخط على الصراط المستقيم ولم يتمكن من إبعاد نفسه عن الرذائل فكانت عاقبته تلك الفضائح، فإذا لم يتخلص الإنسان من الخبائث فإن دراسته وتعلمه لا تجديه نفعاً بل تلحق به أضراراً أيضاً.

العلم عندما يكون في أرض غير صالحة سوف ينبت نباتاً خبيثاً ويصبح شجرة خبيثة وكلما تكدست تلك المفاهيم في القلب المظلم غير المهذب ازدادت الحجب أكثر فأكثر ذلك أن العلم في النفس التي لم تتهذب يكون حجاباً مظلماً (العلم هو الحجاب الأكبر)، ومن هنا يكون شر العالم الفاسد للإسلام هو أخطر وأعظم من كل الشرور.

العلم نور إلا أنه في القلب المظلم والقلب الفاسد يجعل الظلمة أكثر عتمة، كما أن العلم يقرب الإنسان من الله تعالى إلا أنه في النفس الطالبة للدنيا يبعث على الإبتعاد أكثر عن محضر ذي الجلال وعلم التوحيد أيضاً، إذا لم يكن خالصاً لله فإنه يتحول إلى حجب ظلام لأنه انشغال بما سوى الله ولو أن شخصاً حفظ القرآن الكريم بالقراءات الأربع عشر لغير وجه الله تعالى وتلاها فإنه لن يجني سوى الحجاب والإبتعاد عن الحق تعالى. اغتتموا الفرصة وجدوا واجتهدوا قبل المشيب فإذا لم تحظوا باهتمام الناس وتوجههم فقد تتوافر لكم الفرصة لأن تفعلوا شيئاً لأنفسكم فلا قدر الله تعالى أن يهتم المجتمع بشخص ما قبل أن يتمكن ذلك الشخص من تربية نفسه ويصبح ذا نفوذ ومنزلة بين الناس فعندها سيضيع نفسه ويخسرها فابنوا أنفسكم، اصلحوها قبل أن يفلت من أيديكم الزمام، تحلوا بالأخلاق الفاضلة وتخلصوا من الأخلاق الذميمة وليكن الإخلاص رائدكم في درسكم وبحثكم كي يقربكم من الله تعالى. فإذا لم تتوفر النية الخالصة في الأعمال فسوف يبتعد الإنسان من عرش الربوبية.



# العرفان في تراث البهائي

## السيد هادي خسروشاهي<sup>(1)</sup>

يدرك من يطالع السير والسلوك العرفاني في الإسلام، ويقف على المقاصد الحقيقية لهذا الفرع من العلوم والمعارف الإسلامية أنّ العرفان له جذور تاريخية ضرب بأعماق ظهور هذا الدين الحنيف في الجزيرة العربية، وأنّ نشوءه وظهوره لم يكن بعيداً عن تعاليم وتربية أئمة أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعشق العبادة وإظهار الخنوع لربّ هذا الوجود سبحانه وتعالى، وسُبل معرفته الحقيقية التي قد شغلت فكر المسلمين على طول الزمن.

إنّ طُرق كشف الحقيقة تعدّ الخطوة الأولى في العرفان، وأنّ السالك لا يمكن أن يخوض هذا البحر المتلاطم الأمواج إن لم تتضح له هذه المسألة بصورة جليّة، ويجيب عن هذا السؤال: هل للإنسان الممكن الوجود إمكانية كشف الحقائق في هذا الوجود أم لا؟

وقد كان اهتمام المتكلمين المسلمين ليس بأقلّ من اهتمام الفلاسفة في هذا المجال، لكنّه كان على نحو متين، بعيداً عن السفسطة واللغو الجارف. بينما كانت

---

(١) باحث ومفكر في إيران.

دسائس الملحدين والجدليين الماديّين منصبة على أنّ البحث عمّا وراء المادة هو بحث لاصلة له بالحياة، بل وليس من عداد الموضوعات المفيدة للإنسان في جميع مراحل عمره المختلفة، بدعوى أنّ الحديث عن ذلك، وعن موجودات عليا مجردة عن المادة وأحكامها، لا ينعف في الحياة ولو جاء القائل بها بألف دليل<sup>(١)</sup>.

### ضرورة سلوك العرفان:

وقد عرف أهل القلوب وذوو البصيرة أنّ كلام الجدليين هذا غير ضائر، وأنّ للدين وأهله وعلماؤه دوراً بالغاً، و أثراً عظيماً في تكامل المعرفة عند الإنسان، وأنّه ضمان للأخلاق وخير دعامة لها، كما أنّه خير ضمان لتنزيل القوانين الصالحة في الواقع رغم متقلبات الأحوال، على أساس قاعدة «دفع الضرر المحتمل» وليس الضرر الوارد فحسب، من خلال الاعتقاد بوجود عوامل روحية تحفّز الإنسان نحو البحث عن الأمور الخارجة عن إطار المادّة والمادّيات، وتركز فيه الحيطة والحذر عن سلوك طرق فيها أضرار محتملة على نفسه أو أهله ومحيطه الذي يعيش فيه، أو فيها أضرار تعود بالفساد على دينه وعقيدته، وماله وعرضه.

لذا وجد العرفاء لزاماً عليهم البحث عن السبل التي تضمن لسالكها الصلاح والخير وعدم الضرر بنفسه أو عياله وأهله، ومنها سبل البحث عن المعنويات والروحيات، والتفكير في العالم العلوي بقدر ما تمكنه مقدرته على البحث في هذا المجال، وما يحصلوا عليه من معارف بمعونة العقل المفكّر يمكنهم من الوقوف على المقال الصحيح، ودفع الضرر المحتمل والمظنون التي تورثه المقالات الفاسدة. هذا إضافة إلى أنّ العقل يستقلّ بلزوم شكر المنعم، فكيف بالمنعم الأعظم جلّ وعلا الذي أنعم علينا بالنعم الكثيرة التي لا تُعدّ ولا تُحصى، وبقينا أنّ الشكر لا يتحقق إلاّ بمعرفته، واستمداد المعونة منه سبحانه على كشف حقيقة الوجود ومتعلقاته.

(١) . انظر مقال الدكتور قراملكى والدكتور مصطفى زين «معرفة الله في التراث العقلي الإسلامي» مجلة نصوص معاصرة، العدد ١٠ السنة الثالثة عام ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م، بيروت، صفحہ ٢٦٩ وما بعدها.

وبناءً على ذلك فإنه بدلالة الأوجه الثلاث: تعاليم الدين للإنسان، ولزوم دفع الضرر المحتمل عقلاً، ووجوب شكر المنعم الخالق، تتبين الضرورة في سلوك العرفان لتحصيل ما استقلّ الوجدان والعقل السليم بتحصيله، إضافةً إلى النقل في ذلك. جاء في الحديث: «إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وأنّ المملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم».<sup>(١)</sup>

### طرق كشف الحقيقة:

فقد ذكر العرفاء وأهل البصيرة الثاقبة أنّ طرق كشف الحقيقة التي يمكن للإنسان أن يسلكها ويبلغ مرامه بها عديدة، لكنّ المعتبر منها ثلاثة:

١. **الطريق العقلي:** بمعنى التزام المقدمات البديهية أو المبنية على البديهيات، فكونه سبحانه غنياً غير محتاج إلى أحد أو إلى شيء، بعد ما ثبت بالعقل غناه، فإنه يمكن أن يكون مبدأ لإثبات كثير من الصفحات الجلالية، إذ كلّ وصف استلزم خلافاً في غناه ونقصاً له، انتفى عنه، ولزم سلبه عن ذاته. وعليه يثبت - مثلاً - سرمديته، ونفي الشريك، ونفي الزائد، والمثل والضدّ والتحيز والحلول والاتحاد والجهة...<sup>(٢)</sup>

٢. **طريق تهذيب النفس والكشف:** إنّ الظواهر الدينية والحجج العقلية، والإدراك المعنوي، لايتأتى إلا من الإخلاص في العبادة.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(٣)</sup> أي أنّ عبادته سبحانه تؤدي إلى اليقين. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> أي أنّ إحدى لوازم اليقين مشاهدة ملكوت السموات العليا والأرض.

(١) . بحار الأنوار للمجلسي، ج ٦٦، الباب ٢٤، أنّ الإيمان مستقرّ ومستودع... ص ٢٩٢، تفسير الآلوسي، ج ٧، ص ٢٥٨.

(٢) . الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني، ص ٩١، الفصل الثالث في الأسماء والصفات...

(٣) . سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٤) . سورة الانعام، الآية: ٧٥.

إذن تهذيب النفس، والإخلاص في العبودية، تعدّ إحدى طرق استيعاب المعارف الإلهية، والكشف عن حقائق الوجود، فإنّ الحقائق لا تتكشف، والمشاهدة الباطنية لها لا تتمّ، إلاّ بالإخلاص العبادي، وتهذيب النفس تهذيباً كاملاً، إذ الإنكشاف علم لدنيّ يقذفه الله سبحانه في قلب عبده العابد المخلص، وهو الذي يكشفه له، بعد أن يمنحه الموهبة الإلهية في تلقّي ما ينكشف له تحت رعاية الله الحقّ سبحانه بصورة من الصور.

٣. طريق الأوامر والنواهي الدينية أو الإرشادات المولوية: فإنّ الإلتزام بالتعاليم الدينية، والتمسك بالموازن الشرعية تتيح للإنسان سلوك طريق الصواب، والحذر من مسالك الهوى والإشتباه، وهو معلّم به.

### علّة ظهور السلوك العرفاني في الإسلام:

بإمكاننا أن نذكر عدّة عوامل ساعدت على ظهور العرفان في تاريخ الإسلام، وحفّز علماءه على سلوكه، نشير الى أبرزها:

١. أنّ تعاليم الدين الإسلامي ممتزجة بالشوق والمحبة الباطنية والإنحياز إلى

أعلى المعنويات والتدبّر في الروحيات وما وراء الطبيعة. وهو بذاته يسوق الإنسان

المسلم باتجاه العرفان وتذوّق معارفه.

٢. نفوذ وسريان التعاليم الروحية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وعلى رأسهم

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣. الإستبداد والظلم الذي لحق بالمسلمين من قبل حكومات مارست شتى أنواع

الظلم بحقّ الناس، فتسبّب باعراض العديد من الناس عن الأمور السياسية

والدنيوية، والتوجّه إلى الأمور المعنوية والروحية.

٤. وجود العرفاء الصالحين الذين نفحوا معارفهم الإعتقادية والعملية من حقائق

صحيحة في الناس، وحثّوا على ممارستها والإلتزام بها في حياتهم اليومية،

بعيداً عن الخزعبلات والسفسطة التي لا طائل منها.  
وهؤلاء العرفاء السالكون لم يهدفوا إلى كسب الآثار الغريبة للنفس، الخارجة عن دائرة الأسباب المادية والعادية، بل هم من شغلهم معرفة النفس وتهذيبها لغرض معرفة الخالق وشكره.

### الشيخ البهائي والعرفان:

لقد كان للشيخ بهاء الدين ميل إلى العرفان، وسلوك مسلك العرفاء في حياته ومواقفه اليومية، كما كان هو ديدن والده أيضاً، الذي كانت له رغبة في مدح العرفاء ومشايخ الصوفية، ونقل كلماتهم وحواراتهم وخلجات نفوسهم، فقد كتب في رسالته المسماة بالعقد الطهماسبي، في موعظته للشاه طهماسب الصفوي يقول: «ولهذا كان بعض الملوك والأكابر من أهل الدنيا إذا علت همّتهم وكثر علمهم بالله عزوجل، ولحظتهم العناية الربانية، تركوا الدنيا بالكلية وتعلّقوا بالله... فإنهم لكمال رشدهم لا يرضون أن يشغلوا قلوبهم بغير الله لحظة عين...».

ولعلّ هذا يفسّر ميل شيخنا البهائي إلى العرفان ورغبته في مدح العرفاء، بعدما دفع والده فيه هذا الميل والرغبة من نعومة أظفاره.

يذكر صاحب رياض العلماء: أنّ والده وأهله قد دخلوا إيران وكان عمر الشيخ عندئذٍ حوالي سبع سنين، وتوجّه أبوه إلى الحج وزار المدينة المنورة، ورجع من طريق البحرين وتوطّنها، فكتب إلى ولده الشيخ البهائي مامعناه: «إن كنت تريد الدنيا فإذهب إلى الهند، وإن كنت تريد الآخرة فإذهب إلى البحرين»...

وهذا الميل إلى العرفان والتصوّف الصحيح لا منقصة فيه، وهو كما كان عليه جماعة من علمائنا كالشيخ أحمد بن فهد الحلّي قدس سرّه وغيره. أمّا التصوّف الباطل فينزه عنه أمثاله، إذ لم يكونوا من أهل السفسطة وكسب العيش عن هذا الطريق. وأمّا مدح مشايخ الصوفية ونقل كلمات بعضهم، فلا شكّ أنّه كان لهم فيه غرض صحيح

كأن يفيد الوعظ والرشاد، وأن من مدحوه كان غالباً على طريقة مستقيمة، وكان محض الزهد في الدنيا، والإعراض من زخرفها، وكفى فخراً ما جرى على أيديهم من المنافع العامة، والهداية والإرشاد.

ويتجلى اهتمام الشيخ بهاء الدين بالعرفان وأهله ما أورده في بعض مؤلفاته من ذكر ومدح وتجليل وتعظيم العرفاء ومشايخ الصوفية، ككتابه «الكشكول» الذي طبع مراراً وتكراراً في إيران ومصر، الذي يعدّ من أروع الكتب وأكثرها فائدة ما وأجمعها لفنون المعرفة، وقد اشتهر اشتهاً كبيراً في الأوساط العلمية والأدبية في العالم العربي والإسلامي.

فقد جمع فيه الشيخ من الشوارد العلمية والفوائد الثقافية، والنوادر الأدبية التي لا تخلو من فائدة، ما يغني عن كتب كثيرة في هذا الباب، وهو مجموعة قيّمة تشتمل على بحوث فلسفية وعرفانية وصوفية، كما تشتمل على مسائل مبسّطة من علم المناظر والرؤية القلبية، إضافة إلى تناوله فيه تفسير كثير من آيات القرآن بنزعة عرفانية.

يتمثّل البهائي في كتابه هذا بروحه الصوفية، واتجاهه العرفاني، وتبرز فيه هذه الخصائص بروزاً جلياً، من خلال كثرة نقله حكايات وكلمات الصوفية، وأشعارهم وأدبهم ومواقفهم وما إلى ذلك ممّا يتعلّق بهذا الموضوع.

كما برز فيه البهائي أدبياً دقيق الملاحظة للأشياء، وشاعراً له في الشعر الملكة القويّة والرقيقة، وهو ينحو في شعره وجهة عرفانية، وعليه مسحة فلسفية ظاهرة<sup>(١)</sup>.

وكتابه الآخر «شرح أربعين حديثاً» المطبوع أيضاً في إيران، فيه تحقيق وفوائد جمّة تنفع طلاب العلم والثقافة الدينية، كما أنّه يعرض مذاق الشيخ البهائي في العرفان بصورة جلية. وكان وإن أشارت المراجع إلى تسميته شيخاً للإسلام زاهداً عرفانياً، بعيداً عن الإهتمامات الساسية والدينيوية، مستغرقاً وقته بالتحصيل العلمي والبحث والكتابة، إضافةً إلى تهذيب النفس من علقات الدنيا وزخرفها، يقول الحرّ العاملي

(١) . انظر فلاسفة الشيعة، الشيخ عبدالله نعمة، ص ٤٤٦ وما بعدها، دارالفكر اللبناني.

فى وصفه: «رغب فى الفقر والسياسة، فترك تلك المناصب، ومال إلى ما هو لحاله مناسب»<sup>(١)</sup>.

ونجد فى مؤلفاته كلاماً وعبارات تشير إلى فلسفته العلمية هذه، وإلى زهده ورغبته فى مسلك العرفاء. فقد ذكر فى كشكوله جملة كبيرة من المأثورات التى تعرب عن نظرتة إلى الحالة السياسية الجارية آنذاك، ووجود العلماء ودورهم فيها: ومن كلامهم: «إذا رأيت العالم يلازم السلطان فاعلم أنه لصّ، وإياك أن تخدع بما يقال إنه يرد مظلمةً أو يدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس، اتّخذها فخاً، والعلماء سلماً»<sup>(٢)</sup>. وفى معرض ذكره لحديث الصادق عليه السلام عن جدّه المصطفى عليه السلام قوله: «النظر إلى وجه العالم عبادة» قال: «هو العالم الذى إذا نظرت إليه ذكرت الآخرة، ومن كان على خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة»<sup>(٣)</sup>.

ويحكى عن بعض الصوفية: لوقيل: أى شيء أعجب عندك؟ قلت: قلب عرف الله عز وجل ثم عصاه!

فالشيخ البهائي لا يرى العرفان مجرد تهذيب للنفس وترويض للقلب ليشرق، وإنما يشتمل على تطبيقات عملية، وتنظير للعقل والوعي، بهدف كسب المعرفة الإلهية. ذلك أنّ الإنسان أشبه بمرآة لأوصاف الله تعالى، وعلى هذا النسق يفسّر الحديث المأثور «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

ومعرفة الله عند البهائيّين يعنى الإطلاع على نوعته وصفاته الجلالية بقدر الطاقة البشرية<sup>(٤)</sup>، أمّا حقيقة ذاته جلّ جلاله فهى غير قابلة للمعرفة.

يقول: «وأمّا الإطلاع على حقيقة الذات المقدسة، فمما لا مطعم فيه للملائكة

(١) . أمل الأمل، ج ١، ص ١٥٨.

(٢) . الكشكول، ج، ص.

(٣) . (م.ن).

(٤) . الأربعون حديثاً، ص ٢٠، ج ٢.

المقربين والأنبياء والمرسلين، فضلاً عن غيرهم، وكفى في ذلك قول سيد البشر: «ما عرفناك حق معرفتك» وفي الحديث: «إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار...» فلا تلتفت إلى من يزعم أنه قد وصل إلى كنه الحقيقة المقدسة، بل إحتُ التراب في فيه، فقد ضلّ وغوى، وكذب وافترى، فإنّ الأمر أرفع وأظهر من أن يتلوّث بخواطر البشر»<sup>(١)</sup>.

بل قد صرّح بذلك قائلاً: «إنّ ذاته تعالى من حيث هي، غير معقول للبشر»<sup>(٢)</sup>. ويتصوّر الشيخ البهائي تحقّق معرفة الأوصاف على قدر البشر، في مرحلتين: أوّلاهما: تأمّل الإنسان نفسه، ومعرفة الأوصاف التي يأنس بها ويألفها. والأخرى: سلب النقص الصادر من كون الإنسان محدوداً، فعندما يدرك الإنسان أنّه عالم، والعالمة للإنسان بسبب أنّها من أوصافه الناقصة، فاذا سلب النقص منها أمكن عندئذ وصف الباري عزوجل بها<sup>(٣)</sup>. ويرى أنّ العقل والفكر ليسا منتهى الأمل والسبل، بل المشاهدة بعيون القلب، والتعرّض لنفحات الجود وفيض الوجود الواجب، يمكن أن يساهما أيضاً في كسب المعرفة، ويحرض العقل على الإبداع والإبتكار والعطاء الواعي. وبناءً عليه «ينبغي للعاقل أن يتعرّض لنفحات الجود، ولا يبغى ما سواها في تقييد نظره وكسبه»<sup>(٤)</sup>. وعلى أساس هذا التعرّض اختلفت تلك المعرفة التي يمكن أن تصل إلى أفهام البشر، ومنه قسّم الشيخ البهائي المعرفة بالله تعالى إلى مراتب، فقال: «إنّ تلك المعرفة التي يمكن أن يصل إليها أفهام البشر لها مراتب متخالفة، ودرج متفاوتة»<sup>(٥)</sup>.

(١) . الأربعون حديثاً، ص ٢١.

(٢) . العروة الوثقى، ص ٢٧.

(٣) . الأربعون حديثاً، ص ٢٠، ج ٢.

(٤) . الكشكول، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٥) . الأربعون حديثاً، ص ٢١.

وإذا كانت هذه الأفكار العرفانية قد طُرحت منذ عقود مديدة خلت، وعُدَّت ابتكارات للشيخ البهائي، فإنَّ في تاريخنا المعاصر القريب قد ظهرت شخصيات أبدت أفكاراً وابتكارات لاتقلُّ إشراقاً ونضجاً وأهميةً عمّا طُرحت من قبل، ولعلَّ من أبرزها الإمام الخميني قَدْ سَمِعَ اللهُ مِنْهُ.

### الإمام الخميني والعرفان:

لهذه الشخصية ابتكارات مشرقة في المجالات العلمية والمعرفية، وفي العرفان على وجه الخصوص، فقد استطاع بفكره الثاقب، وحسّه المرهف، ونظرته الدقيقة للأشياء أن يمنح العرفان صفة فلسفية، ويكسوه بها، فلم يقف على طبيعته العادية، ويرفض الخوض في أبعاده الفلسفية والكلامية؛ لما بين العرفان والفلسفة والكلام من ارتباطات وعلاقة وثيقة لا يمكن تفكيكها وفصلها من دون دليل.

فالعرفان كما يراه الإمام الخميني قَدْ سَمِعَ اللهُ مِنْهُ العرفان العملي، أي: الإهتمام بالسير والسلوك، بمعنى الحركة في منازل السير والسلوك، فحينما يدخل السالك إلى منزل اليقظة فلا يجب عليه التوقف والإكتفاء به، بل عليه بذل الجهد لينتقل إلى منزل آخر وهو التوبة، ثم إلى منزل التطهير، ثم إلى الذكر... وهكذا يجب على كلِّ سالك أن يسافر سفرًا روحانيًا، ويتحرك تحركًا باطنيًا في أربعة أسفار: من الخلق إلى الحق، ومن الحق إلى الحق، ومن الحق إلى الخلق بالحق، ومن الخلق إلى الخلق بالحق، فلا بد للسالك أن يسافر بها، وإلا لا يكون عارفاً.

كما أنَّه قَدْ سَمِعَ اللهُ مِنْهُ نقل العرفان من ساحة الشخص الواحد إلى ساحة المجتمع الكبير، بل وساحة الأمة، على أساس الفهم القرآني للواقع الاجتماعي، إذ إنَّ القرآن الكريم للأمة بما هي أمة، والمجتمع بما هو مجتمع، كما أن لكلِّ إنسان، بما هو إنسان شخصية تميّزه عن سائر البشر، و الأمة كذلك تمتلك شخصية تميّزها عن سائر الأمم.

فالقرآن يتحدّث عن هذا الموضوع في عدّة آيات، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ

عَمَلُهُمْ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ وقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> وقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ <sup>(٣)</sup> وغيرها، وعلى ضوء هذا الفهم عدّ الإمام الخميني أنّ للأمة شخصيةً وروحاً، وأنّ عليها أن تجدّ في السير والسلوك في الأسفار الأربعة، كما أنّ على الإنسان الجدّ في هذا السير والسلوك.

### العرفان وعلاقته بالتصوّف:

يرى الإمام الخميني قَدَسَ سَمُوهُ أنّ العرفان والتصوّف وإن كانا يهدفان إلى المعرفة الإلهية من خلال تهذيب النفس من الشوائب، إلا أنّهما يفترقان في الأساليب والطرق الربوبية والروحانية ومصادرها، إضافة إلى المسلكيات الخاصة لكلّ منهما. يقول الشهيد المطهري تلميذه: «عندما يراد الإشارة إلى أهل العرفان من الناحية الفكرية فإنّه يطلق عليهم اسم «العرفاء» وإذا كان المراد الإشارة إلى الناحية الاجتماعية فإنّهم يُعرفون باسم المتصوّفة»  
فالتصوّف يعني ممارسة الطقوس العبادية والرياضات القلبية، بهدف تطهير النفس ممّا علق بها، وترويض القلب على المحاسن المشرقة، إذن ينحصر بالتطبيقات العملية والرياضات الروحية، بعيداً عن التنظير العقلي، وتشذيب الوعي. أمّا العرفان فيُطلق على رحلة الإنسان أو الأمة لكسب المعرفة الإلهية عن طريق التنظير العقلي ومعطيات الوعي المهدّب من كلّ شوائب عالقة، وكلّ ذلك بهدف البحث عن الحقيقة، لا الخيال ولا الأوهام، ولو حقّ بالبحث المصاعب والمشاقّ.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٣) سورة الحج، الآية: ٦٧.

ولعلّ إلى هذا تشير هذه الحكاية المنقولة عن أحد العرفاء الذين خاضوا في البحث والكتابة، حتّى قيل له: إلى متى تكتب؟ فقال: لعلّ الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد<sup>(١)</sup>.  
ومنه ما يحكى عن آخر قوله نظماً:<sup>(٢)</sup>

بين أهل القلوب والحقّ حال هوسرّ يدقّ عنه المقال  
ما شخصت إلى علاهم طريق لا ولا في الحديث عنهم مجال  
احذر احذر أهل القلوب وسلّم أمرهم أنّهم فحول رجال  
شاهدوا الحقّ من سرايا نفوسهم جلّ عن كشفها الرفيع المنال  
إنّما العين بالحقيقة للعين تجلّت فما هناك خيال

### العلامة الطباطبائي في رحاب العرفان:

والشخصية الثانية التي لمعت في سماء العرفان في تاريخنا المعاصر القريب هي شخصية العلامة محمد حسين الطباطبائي، صاحب تفسير الميزان المعروف، حيث أودع فيه عصارة أفكاره الفلسفية والكلامية والعرفانية، وعرض من خلال هذا التفسير جلّ ابتكاراته في العرفان، ودفاعاته عن حريم المدرسة النابضة بالحياة؛ لأنّها تنبض بالبحث عن الحقيقة المشرقة، تدعو إلى تهذيب النفوس من العلائق، وكسب المعرفة الإلهية عن طريق الفيض الذي يفيض به عليه الوجود الواجب.

فيرى العلامة قَدَرَهُ أَنْ هذا الأمر بمجموعه أرفع وأسمى من أن يتلوّث بخواطر البشر، وخيالاتهم وأوهامهم المختلفة، وكلّما تصوّره العالم الراسخ فهو عن حريم الكبرياء بفراسخ، وأنّ أقصى ما وصل إليه الفكر العميق فهو غاية مبلغ من التدقيق، ولعلّ هذا ما يفسرّ قوله ﷺ في مناجاته: «ما عرفناك حقّ معرفتك».

(١) . الكشكول للبهائي، ج ١، ص ٢٥.

(٢) . كشكول: ج ١ ص: ١٢.

وأما رغبة الناس في تفسير كنه الجلالة، وتوصيفه تعالى عن طريق الحسّ، فإنّ للعلامة الطباطبائي تعليلاً خاصاً لا يخلو من مسحة عرفانية، ونزعة صوفية شامخة، يجدر ذكره في المقام، فيقول معللاً ذلك: «إنّ مزاولة الناس للحسّ والمحسوس مدى حياتهم، وانكبابهم على المادة، وإخلادهم إلى الأرض، قد عوّدهم ذلك على تمثيل كلّ ما يتعلّق بصورة الأمر الحسّ، حتّى فيما لا طريق للحسّ والخيال إلى حقيقته؛ مثل الكليات والحقائق المنزهة عن المادة...».

ثم يضيف قائلاً: «ويؤيّده أنّ الإنسان إنّما يصل إلى المعقولات والكليات من طريق الحسّ والإحساس والتخيّل، فهو أنيس الحسّ أكثر منه لغيره»<sup>(١)</sup>. ومن هنا قضت العادة للإنسان على معرفة كلّ شيء في الإطار المادّي، وأنّ تصوّر لربه صوراً خيالية على حسب ما يألفه من حسّه للأشياء المادية المحيطة به، وقلماً يتفق أن يتوجّه الإنسان إلى ساحة العزّة والكبرياء، وينهض لينفض غبار المادة عنه ومحاكاتها، والسفر إلى البحث عن الحقيقة المجردة من المادّة وتبعاتها، عن طريق تهذيب النفس، وترويض القلب وتخليته، ليستقبل الفيض والجود من الحقّ تبارك تعالى، ويأنس به، عن علم ودراية، واطمئنان كامل، من دون الوقوع في أسر التشبيه وعار التجسيم، ولا في فخّ التعطيل، تعطيل العقول عن ممارسة عملها، بناءً على أنّ الكشف والمشاهدة تكفي، ولا حاجة إلى طلب العلم، والتتظير العقلي بتاتاً، وهو ما يرفضه العرفاء الشامخون رفضاً كاملاً، ولا يقبله الحكماء الإلهيون، إذ فيه هدم لمروءة العرفان، وحجب للأفكار المتعالية، ولوث للخواطر السامية، والعرفاء عنه أبعد.

(١) . تفسير الميزان، ج ١٠، ص ٢٧٣ وما بعدها.

# البهائي القلق في صورة العالم وصورة زمانه

## الأستاذ الدكتور سمير سليمان<sup>(1)</sup>

بين عامي ١٥٤٦ و عام ١٦٢١/١٦٢٣ م، عاش البهائي.

فكيف كانت صورة العالم آنذاك؟ وما كانت عليه أحوال العالم الإسلامي تحديداً؟...  
هكذا ربما نفترض أنّ صورة البهائي... ستظهر بطريقة مقربة وبشكل أكثر وضوحاً...  
حضارياً على الأقلّ.

### في صورة العالم: أوروبا تحديداً

كأنّما أوروبا النهضة في آخر مخاض الولادة في الفترة التي عاش فيها البهائي وقد بدأت تتشكّل بنى الدولة الأمّة (État - Nation) البورجوازية على أنقاض دولة النبلاء الإقطاعية، وذلك بعدما اكتشفت أميركا واستحضرت أطنان الذهب المنهوبة وكنوز الحضارة الهندية العامرة منذ آلاف السنين إلى أوروبا مع خيرات أرض الهنود البكر فانهارت الأنساق الإقطاعية لتحلّ محلّها البورجوازية الرأسمالية. فالحروب الدينية

---

(١) أستاذ جامعي ورئيس تحرير الجامعة للعلوم Le Debat الصادرة في بيروت باللغة الفرنسية عن المركز اللبناني للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

بين الكاثوليك والبروتستنت (١٥٣٤-١٦٤٨ مع وقفات)، عشيتها أو أثناءها أو بُعَيْدَها أو على أطرافها تفجّرت عبقریات مؤسّسة كبرى لا يسمح هذا اللقاء العلمي بأكثر من التأشير إليها، وللمستمع أو للقارئ الإستنتاج الدائم. فقد عرّفت «المدينة الغربية» (المصطلح لأرنولد توينبي) بين عامي (١٥٣٦ و١٧٦٣ م)، إضافةً إلى الحروب الدينية تلك، ثورة عقلية وروحية أكبر من أي ثورة مرّ بها الإجتماع الغربي منذ أن ظهر بين أنقاض الإمبراطورية الرومانية<sup>(١)</sup> وترحيل العلوم والمعارف والآداب والفنون الإسلامية المشرقية والأندلسية ومحضلات تدامجها بأفكار الهند وفارس واليونان وإضافاتها وإبداعاتها الحضارية الخاصة إلى أوروبا، وبخاصة عبر منطقة جيوبوليتيكية وجيو ثقافية مؤاتية تمثّلت بالأندلس وأسبانيا والبرتغال الحاليتين القائمتين المهيمنتين على مضيق جبل طارق، المعبر الوحيد بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وحملات ونقّال الأتقال الحضارية والمآسي. معاً بين الشرق وأفريقيا من جهة، وبين أوروبا وما وراء المحيط من جهة أخرى.

فيما يأتي بعض الإشارات الحاملة لترميزات معبّرة عن تدفق العقلانية في شرايين الفكر والثقافة الغربيين، وهي الأصل في التأسيس لعصر التنوير الأوروبي وتفاعلاته النهضوية، ومن تلك الترميزات نذكر على سبيل المثال، لا الحصر من عاصر البهائيّ أو جايله أو عاصره من الإستنهاضيين الغربيين المؤسّسين.

الجدير ذكره في هذا السّياق أنّ (جوهان غوتمبرغ) كان قد وضع المطبعة في خدمة أوروبا ثمّ الإنسانية عام ١٤٤٠ م، أي قبل ولادة البهائي بما يقارب القرن، وانتشار الكتب المطبوعة في أوروبا كان قد بلغ مرحلة متقدمة.

وما جرى ترحيله من الفكر الإسلامي العربي أو الفكر المعرب من الأندلس كانت تأثيراته قد طالت مكّونات المدنية ومكّونات الأفكار الغربية. ولعلّ الضربة التي وجّهتها

(١) توينبي، أرنولد «تاريخ البشريّة» الجزء الثاني الأهلبيّة للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦ - ص.ص. /٢٢٤-٢٢٥.

البروتستانتية إلى سلطة البابوية وممارسات المجالس الكنسية الكاثوليكية وممارسات الإكليروس بقيادة مارتن لوثر، كانت من مؤسّسات التّمرد الأولى.

تعلّم لوثر العريية ليحلّ بالأفكار الإسلامية معضلات المسيحية، فجاءت البروتستانتية في بعض جوهرها الأساسي، على النموذج الإسلامي ومبادئه: وحدة الكتاب، حرّية التفسير وعقلنته، رفض التوسّط بين الله والإنسان، أولوية الإيمان القلبي على الشعائر الخارجية<sup>(١)</sup>... إلخ.

- بدأت حملة تحرير الغرب نفسه من أثقال الفكر اليوناني مع جان بودان (١٥٣٠ - ١٥٩٦م) ثم تابعها من بعده فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦م)، ورينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠م) قبل أن يربح التحديثيون الغربيون معركتهم الفاصلة مع الكنيسة في رؤى نقدية راديكالية وتغييرية وكيانية...

- جايل البهائي أيضاً غاليه (ت ١٦٣٣م)، وهويز (١٥٨٨ - ١٦٧٩م) الذي أسّس لنظرية جديدة في العقد الاجتماعي قائمة على مبادئ سيكولوجية<sup>(٢)</sup>. أمّا باسكال الذي جمع بين الإيمان الديني والعقلانية العلمية فقد ولد بعد وفاة البهائي (١٦٢١م) بعامين (١٦٢٣ - ١٦٦٢م)، وبعدها بأحد عشر عاماً ولد جون لوك رائد الدعوة إلى الحكومة المدنية عام (١٦٩٠م) وقد عاش بين عامي ١٦٣٢م و١٧٠٤م... إلخ.

بفعل هذه الإنتباهة التحريرية النقدية للفكر الغربي جرى تجاوز الجدل الديني الذي أفضى إلى المذابح بين الكاثوليك والبروتستانت (مثل مذبحه سان برتلمي في باريس عام ١٥٧٢م، وقد كان البهائي في ريعان الشباب)، واستُعِضَ عنه بالإهتمام بالعلوم العقلية والطبيعية والرياضيات «على أمل أن يزيد هذا في إفادة وتغيير العالم ونهوضه الاجتماعي، والعالم» عندهم آنذاك كان عالمهم عالم المسيحية الأوروبية.

(١) راجع كتابات حسن حنفي في الموضوع.

(٢) توينبي (م.ن.).

## البهائي القلق في صورة العالم وصورة زمانه

وتلك فكرة رُوِّج لها ليوناردو دي فينشي، ورعاها فرنسيس بيكون. وتوالى بعدهم سيل العلماء أمثال: الإنكليزي هارفي في الطّب، وبويل في الكيمياء، ونيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧م) الذي أحدث ثورة في علمي الفيزياء والفلك هدمت الكثير من موروثات العلوم الكلاسيكية.

أما في الفلسفة، فمنذ القرن السادس عشر كان قد بدأ نقد أفلاطون وأرسطو، وكان البهائي ما يزال حياً، فمفكرو أوروبا، وبخاصة مفكرو القرن السابع عشر، رأوا مراجعة التراث الفلسفي المنقول إليهم من الأساس ليبدأوا من جديد. فديكارت بمنهجه العقلاني النقدي ظلّ معلمة في الفلسفة الغربية إلى اليوم وكذلك جون لوك. وجرب اسبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧م) ولايبنتز (١٦٤٦ - ١٧١٦م) أن يقيما أسساً جديدة للميتافيزيقيا، وشقّ فيكو (١٦٦٨ - ١٧٤٤م) منهجاً جديداً في الغرب لدراسة علم المدنيّات المقارن... وذلك كلّه عاصره البهائي أو حدث بعد وفاته ببضع سنين. كما تفجّرت في الغرب عبقريات أدبية مثل: رابليه (١٤٩٤ - ١٥٥٣م) في عالم النثر، وشكسبير في الشّعْر (١٥٦٤ - ١٦١٦م) الذي ولد بعد البهائي ببضع سنين ومات بعده بسبع، وملتون (١٦٠٨ - ١٦٧٤م)، وكذلك حال الموسيقى مع باخ (١٦٨٥ - ١٧٥٠م) وهاندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩م)<sup>(١)</sup>. الغرب كلّه يخرج من جاهليّته وضعفه، إلى زمن التنوير والنهوض والاستقواء بالعلم والحديد والنّار.

في صورة العالم الإسلامي إبان حياة البهائي: ولد البهائي (١٥٤٦م) بعد السقوط المدوّي للأندلس (١٤٩٢م) بإثنين وخمسين عاماً. وبينما كانت الهجمة الإستعماريّة الممثلة بالحروب الصليبيّة كهجوم مضادّ أوّل على فتح الأندلس وتهديد مسيحيّة أوروبا تنحسر، إذ بها وبذات الإيديولوجيّة الدينيّة والمطامع الاستعماريّة تتجدّد في أوائل القرن السادس عشر، وبالتحديد عندما هيمن البرتغاليّون على الخليج الفارسي

(١) (م.ن.) ص/٢٢٧-٢٢٩.

بسيطرتهم على مضيق هرمز وعلى الشواطئ الغربية للهند، فتفرّدوا بالإمساك بالملاحة العالمية المؤدية إلى الهند، قبل أن يتمكن البريطانيون من إزاحتهم عنها. أمّا العالم الإسلامي على مدى حياة البهائي، وبعدما زالت من الوجود «الإمبراطورية الصغرى» الأندلسية، فكانت ثمّة ثلاث إمبراطوريات متعاصرة بنى إقطاعية وقبليّة تسيطر على العالم الإسلامي: العثمانية والصفوية والمغولية (في الهند). وبينما كانت الإمبراطورية العثمانية قد بلغت ذروة القوّة وراحت تنجح إلى الضعف والانحطاط، كانت الإمبراطورية الصفوية تحت حكم الشاه عباس الملقّب بالكبير (١٥٨٨ - ١٦٢٩م) [مات بعد البهائي بست سنوات]، تعيش ذروة قوّتها. لكنّ الإنقسام والتناحر بين الإمبراطوريتين العثمانية والصفوية بإيديولوجيا وعصبية طائفتين/مذهبيتين سنية وشيعية، أنهما الطرفين واستنزفاهما، وأورثا الأمة أسوأ الآثار والعواقب، وفتحا في جسدها جراحات لا تتدمل ومثيرات فتن لا يبدو أنها ذات مفاعيل وارتدادات قصيرة المدى.

في ظلّ السيطرة العثمانية والغزوات المغولية والتنازع والصراع بين الحكام المحليين، تراجعت الحركة الثقافية والفكرية وتجمّدت عقول النخب فبهتت الأفكار ودارت حول نفسها أو في المجال الخطأ، ووهنت المؤسسات العلمية والتعليمية، وتفشّى الجهل والأمية، وعمّت السلبية واللامبالاة، إلا استثناءات قليلة.

أمّا في ظلّ السلطة الصفوية فثمّة ظاهرتان:

فرض التشيع والترويج له وتقريب فقهاءه وتكريمهم وإعلاء شأنهم ونفوذهم، ولكن بنمط خاص تداخلت فيه مصالح السلطة ومقتضيات حمايتها بذرائع مشهودة<sup>(١)</sup>.

إطلاق الحرية للفكر الفلسفي العرفاني وللفكر الصوفي اللذين مثلاً الحبل المتين الذي لم ينقطع بين الفلسفة الإسلامية الكلاسيكية والفلسفة الإسلامية في طورها

(١) راجع في هذا السياق كتاب علي شريعتي - «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» - (الترجمة العربية) - دار

الأمير، بيروت، ٢٠٠٢.

الإيراني ممثلةً أولاً بمدرسة شيراز ورمزها السهروردي الإشرافي (١١٥٤ - ١١٩١م)، وبعده بالخواجة نصير الدين الطوسي، ثم بمدرسة جديدة في إصفهان في ظل الدولة الصفوية هي ما اصطلح على تسميته «بمدرسة أصفهان»، وكان الميرداماد أبرز فلاسفتها، بينما كان صدر الدين الشيرازي صدرَ فلاسفتها بعدما كان تتلمذ على الميرداماد والشيخ بهاء الدين العاملي.

في موقف سلبي شهير من السلطة الصفوية يرى علي شريعتي «أنه كما كانت الحركة الصفوية بحاجة إلى نوع من التشييع الإيراني لإعلان الحرب على الدولة العثمانية [غريمتها]، وكان العثمانيون بحاجة أيضاً إلى نوع من التسنن التركي لمواجهة الخطر الصفوي. وهكذا نجم عن الدين الإسلامي الواحد ديانتان مستقلتان متخاصمتان في حين أن المسيحية كانت تزدهر عبر حركة النهضة وتتسلح البورجوازية الجديدة بالعلم والتطور التقني لمواجهة الإسلام الذي كان يتصارع مع نفسه...»<sup>(١)</sup>. ولم تجم ديانتان بطبيعة الحال، لكنّ الصدام بين الإمبراطوريتين تطيّف وتمذهب بامتياز، أمّا العواقب فاستراتيجية بامتياز أيضاً. بيد أن الإسلام كان يتصارع مع نفسه حقاً، وبأمضى الأسلحة وأشدّها تخريباً لبنية الاجتماع الإسلامي ولمكوّنات وحدته.

صحيح أيضاً أنّ السلطة التي كانت تقمع الشيعة وتضطهدهم تاريخياً، باتت في ظلّ الحكم الصفوي أشدّ المتعصّبين لأهل البيت إلى درجة أن أحد أبرز شاهاتهم افتخر بكونه كلباً يحرس الروضة الرضويّة<sup>(٢)</sup>. وصحيح أيضاً أنّ الفقهاء ورجال الدين الشيعة الذين ذاقوا ويلات التنكيل مع السلطات ما قبل الصفوية، أضحو الآن يجالسون السلطان جنباً إلى جنب، «بل إن السلطان لا يرى لنفسه قدرة وسلطة إلاّ

(١) ثمة روايات كثيرة في هذا الصدد، ومدونات منشورة في الشبكة العنكبوتية، وهي في متناول الخاصة والعامّة.

(٢) (م.ن) - ص.ص. ٦٣-٦٢.

بمقدار ما يخوّله رجل الدين نيابة عن الإمام صاحب الزّمان<sup>(١)</sup>، ولكن شريطة أن يفضي الآخر أو الفقيه عن ممارسات الولاية، ولا يتعرّض للسلطان الصفوي، ولا يؤشر إلى مواقع الخلل والانحراف والمجازر البشعة التي قام بها الشاه عباس نفسه<sup>(٢)</sup>.

في التمهيد أعلاه، تريد هذه المداخلة التّأشير إلى ظاهرتين:

الأولى: قوامها أنّ استراتيجية الغرب في القرون الوسطى كانت بوجهتين: واحدة تتصرف إلى استنهاض الداخل من خلال التفتّل من رقابة الكنيسة والإكليروس وتحرير العقل المسيحي من قيود التخلف والبربريّة والأنساق الإقطاعيّة التاريخيّة، بينما تتصرف الثانية إلى الهجوم المضاد على خصمها الحضاري في عقر داره تارةً، وفي المجال الجيو سياسي الحيوي لوجوده وأمنه تارة أخرى.

لقد تصدّى الفكر والعلم في الغرب زمن البهائي للهموم الاجتماعيّة والواقعيّة لتلك المجتمعات، فقرباً بذلك بين التنظير والتطبيق.

الثانية: إنكفاء المسلمين إلى الداخل وانشغالهم بهمومهم وصراعاتهم وعصبياتهم وانقساماتهم، ما أبعدهم عن مشروعهم الحضاري الإنساني والتاريخي الذي كلّفوا وارتضوا الاضطلاع بمسؤوليّة حمله إلى التبشيريّة والتبشير به باعتباره مشروع الحياة الأصلاح للبشريّة.

في هذا المناخ من الطلاقية السياسيّة والرساليّة، أن لعدالة أن تستقيم ولحقّ أن يُتبع، وأن لأمن أي يستتبّ، وأن لاجتماع أن تثبت وحدته على سويّة؟ وأي ثقافة يمكن أن تنشأ في ظلّ هذا التردّي وصنّاعها أسرى أو ضحايا كلّ هذا الإضطراب، والحقائق مقطوعة الرأس، مضيعة الملامح أو مستلبة، أو منتهكة، والظلم متغلغل في جميع الأماكن والمجالات؟ وكيف لعالم أو متقف رسالي أن يتسوّى في مهيعه الفساد والانحراف والظلم والعبث بأقدس المقدسات والقيم والسيّاف السياسي يسدّ أمامه

(١) (م.ن.) - ص.٦٤/.

(٢) (م.ن.) - ص.١٤٩/.

سبل الخلاص؟ وكيف له أن يطمئن إلى اصطناع الحقائق المزوّرة ثم يفرض عليه أن يوقّع على عفتها وصحّتها، وتُرمى في وجهه كلّ أساليب الترغيب والترهيب؟ وكيف له وهو الرسالي أن يركن لسلطان جائر أو يضرب بسيفه؟

لقد اختار علماء العصر البهائي، بضغط كل هذه المعاناة الإرتفاع إلى الميتافيزيقا غالباً، لا إلى التصديّ لاستحقاقات التحدّيات الاجتماعيّة والحضاريّة والسياسيّة... وهذا فارق أساسي في ظواهر زمن البهائي والزمن الغربي الموازي.

### البهائي الإنسان العالم القلق من خلال شكوكه:

في كلّ هذا الخراب والاضطراب، كيف لفقهاء متبوّئ مشيخة الإسلام بما تمثله، في «مجتمع فاسد وزمان فاسد وأناس فاسدين وجهل عميم»<sup>(١)</sup> [العبارات للبهائي]، وليته أضاف إليها «وسلطان جائر، أيضاً، إلاّ أنّه ألمح إليه عشرات المرّات في الكشكول... كيف لهذا الحامي لشريعة الله والذّاب عنها والحاكم باسمها في ظلّ هذه الاعتلالات أن لا يتأثّم (أن لا يشعر بالذنب والإثم)، وكيف له أن لا يتوجّع ويتفجّع ويتندّم ويتحسّر وينقد ذاته بقسوة؟

العالم/ المثقف، تكويناً، مخلوق قلق لأنّه ينشد الحقّ والحقيقة، بل هو ناشدُ دوماً التأكّد من الحقيقة والحقّ... هو قلقُ التأكّد الباعث على الطمأنينة... طمأنينة العقل والقلب... فحتّى الأنبياء انتابهم هذا القلق النفسي والوجداني والمعرفي: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ ﴿٢﴾... وكأنّما الطمأنينة أرقى مراتب الإيمان.

صحيح أن لا مرضاة لإنسان عن نفسه قط، لكن منسوب عدم الرضا عن الذات عند البهائي كان مرتفعاً إلى درجة اتهام نفسه بالغفلة والتخبّط والتّيّه عن دينه وعبادة

(١) البهائي الكشكول - دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٨.

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٦٠.

هواه. لنسمعه يقول في أرجوزة له يتحدث فيها عن قلبه الدنيوي<sup>(١)</sup>:

... إنَّه في غفلة عن حاله خابط في قلبه مع قاله  
تايه في الغي قد ضل الطريق قط من سكر الهوى لا يستفيق  
عاكف دهرأ على أصناميه تنفر الكفار من إسلامه  
كم أنادي وهو لا يصغي التناد وا فؤادي، وا فؤادي، وا فؤاد  
يا بهائي اتخذ قلباً سواه فهو ما معبوده إلا هواه.  
ليس قائل هذه الأبيات رجلاً عادياً، أو شاعراً غاوياً، وإنما هو الفقيه وشيخ الإسلام  
والفيلسوف والعالم الرياضي والفيزيائي والكيميائي والمهندس الأعم في زمانه... وقوله  
هذا في نفسه وفعاله و«دنيويته» التي لا يخجل من البوح بغفلته فيها وهواه بها، مطية  
لعاذليه وحاسديه للطعن عليه وتجريمه وإدانته بحجة الاعتراف الصريح البائن. ولطالما  
كرّر البهائي هذا النوع من «الماسوشية» وجلد الذات في خطرات كثيرة من كشكوله، تارة  
صراحاً جهاراً، وطوراً تقيّة لنفسه يرمز لها أو يضمّنها شعراً أو روايات أو أقوال لسواه.  
في اعتراف من نمط الأرجوزة المنوّه بها، كتب البهائي في سانحة ثانية (نثرية هذه  
المرّة) أشار إليها باحثون كثير.

«لو لم يأت والدي قدس الله روحه من بلاد العرب إلى ديار العجم، ولم يختلط  
بالمملوك لكنت من أتقى الناس وأعبدهم وأزهدهم. لكنّه طاب ثراه أخرجني من  
تلك البلاد، وأقام في هذه الديار، فاختلطت بأهل الدنيا، واكتسبت أخلاقهم الرديّة،  
واتصفت بصفاتهم الدنيّة. ثمّ لم يحصل لي في الاختلاط بأهل الدنيا إلا القيل  
والقال والنزاع والجدال، وآل الأمر إلى أن تصدّي لمعارضتي كلّ جاهل، وجسّر على  
مباراتي كلّ خامل...»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكشكول - ص.ص. ١٥١/ - ١٥٢.

(٢) (م.ن.) - ص.ص. ١٤٩.

ليست هذه «نفثة مصدر» كما قال بعضهم أو ردة فعل عابرة، وبخاصة أنها تكررت في الكشكول مباشرة أو مداورة مراراً.

هذا قلق الإحساس بوحشة الغربية في «ديار العجم» [لاحظ المصطلح الذي استخدمه البهائي] اضطر إلى الاختلاط بملوكها على سيرة أبيه، وقد رأى في هذا الاختلاط ما أفقده أن يكون الأتقى والأعبد والأزهد بين الناس. ولما خالط «أهل الدنيا» ها هو يقتر ويعترف بأنه صار منهم «بأخلاقهم الرديّة وصفاتهم الدنيّة». وبالرغم من تنازله وتنزله إلى هذا الدرّك، فإنه لم يلق إلا النكران والتناول والمعارضة والجحود، فلا حفظ نفسه فيما كان فيه، ولا فاز بما وقع له وعليه!

هي مسيرة الندم والحزن الخفي وعدم الرضا عن الذات، وقد جاءت دفينة في قصائده الكثيرة في الكشكول وهو يتحدث فيها عن الهجران ونفاق الناس وجور الزمان والبعد عن الله، حتى عزّ عليه في عمره المديد أن يحظى ولو بصديق، فروى على لسان بعض الحكماء أنه سُئل: ما الصديق؟ فقال: «هو بعض أسماء العنقاء، وهو اسم على غير معنى، وحيوان غير موجود»<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى دونها البهائي على لسان المأمون عندما سمع أبا العتاهية يقول:

وإنّي لمحتاجٌ إلى ظلِّ صاحبٍ يروقُّ ويصفو إن كدّرتُ عليه  
أنه المأمون قال: «خذ منّي الخلافة، وأعطني مثل هذا الصاحب»<sup>(٢)</sup>.

ولطالما أكثر البهائي في كتابه من ذمّ الناس والجنوح إلى البعد عنهم، فروى على لسان صوفي سُئل: «ما صناعتكم؟» فقال: «حُسن الظنّ بالله، وسوء الظنّ بالناس». وعلى لسان دُعبلٍ إذ سُئل: «ما الوحشة عندك؟» [لاحظ نباهة السؤال]. فقال: «النظرُ إلى الناس»، ثم أنشد<sup>(٣)</sup>:

(١) الكشكول - (م. س.) - ص. ٨٦٩.

(٢) (م. ن.) - ص. ٦٨٥.

(٣) (م. ن.) - ص. ٤٥٦.

ما أكثر الناس، لا بل ما أقلهم الله يعلم أنني لم أقل فندا  
إنني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير، ولكن لا أرى أحدا.  
أما ذم السلطان والسلطة ومعاشرة أهلها ونقد فعالها وممارساتها فقلما خلت  
صفحات الكشكول من رواية أو أرجوزة أو قصيدة له أو لغيره في هذا الغرض، وكأنما  
هي رسائل متنوعة يرسلها في الإتجاهات كافة. ومنها سانحة يقول فيها وكأنما يُفصح  
عن هم تجربة شخصيَّة: «مُصاحب الملك محسودٌ بين الأنام من الخاص والعام، لكنّه  
في الحقيقة مرحومٌ، لما يردُّ عليه من الهموم الخفيَّة التي لا يُطلع الناس عليها،  
ولا تصلُّ أنظارهم إليها... فلا تكن مغروراً من جليس الملك وأنيسه بما تشاهد  
من ظاهر حاله، وانظر بعين الباطن إلى توزع باله وسوء قاله وتقلب أحواله...»<sup>(١)</sup>.  
في سانحة يقول البهائي: «إذا رأيت العالم يُلازم السلطان فاعلم أنه لصٌّ، وإياك  
أن تُخدع بما يُقال إنه يردُّ مظلَّمةً أو يدفع عن مظلوم. فإن هذه خدعة إبليس اتَّخذها  
فُجار العلماء سلماً...»<sup>(٢)</sup>.

يا لهذه القسوة التي يهشم فيها البهائي كلَّ أستار التقيَّة السياسيَّة موجَّهاً لطمتين:  
واحدةً إلى وجه السلطان نفسه، وأشدَّهما إلى وجه علماء السلاطين ونفاقهم، حتى  
تطايرت شظايا نقده في كلِّ اتجاه، ما يذكّر بالحملة الشعواء التي لطالما شنَّها الإمام  
الخميني قُدس سرُّه على أمثال هؤلاء الذين كان يسميهم فقهاء السلاطين وفقهاء أميركا.  
التناقض بين قناعاته وبين موقعه الرسمي دفع البهائي إلى نوع من «الهروب» من  
واقعه بالأسفار، وليس بلا معنى أن يقضي البهائي ثلاثين سنةً من عمره الممتدِّ إلى  
سبع وسبعين، مسافراً من بلدٍ إلى بلد، ومن صقعٍ إلى صقع، ففي الأمر مفارقة معبّرة.  
وما كان الترحال في زمانه يسيراً، بلا مخاطرٍ وأهوال. ولكن، هل استراح البهائيُّ

(١) الكشكول - (م. س.) - ص. ١٤٩.

(٢) (م. ن.) - ص. ١٦٤.

المتألم من قلقه ومن حزنه الدفين الذي لا يبدو أنه فارقه قط؟  
إنه القلق المُشرفُ والمُشرفُ الجميل المقيم أبداً في وجدان العالم الربّاني  
والمثقف الرّسالي الذي يحمله ويتحمّله كلّ منهما إلى آخر العمر ما دام كلا الحقّ  
والحقيقة السويين منتقّصين أو محرّفين أو موجوعين في هذا العالم، وما دام كلّ منّا/  
كلّ منكم معشر العلماء والمثقفين وحملّة مشاعل التنوير قد اختار درب هذه الجلجلة  
الأبدية المتسامية، جُلجلة القلق الذي ينشد الحقّ والحقيقة... يؤمن بهما إلى درجة  
الطمأنينة العزيزة حتى على الأنبياء أحياناً.

# الظاهر والباطن في الإسلام بمنظار الشيخ البهائي<sup>(1)</sup>

## أ.د. دلال عباس<sup>(2)</sup>

### جدلية العلاقة بين الفكر والممارسة:

إنّ الغاية من هذا البحث مقارنة أهم فكرة دعا إليها الشيخ البهائيّ في نتاجه الفكريّ والأدبيّ، وهي التوفيق بين الشريعة والحقيقة، أو بين الظاهر والباطن، أي بين الفكر الذي يحمله الإنسان وبين قدرته على ممارسة هذا الفكر عملياً.

- (١) - الشيخ البهائيّ: الكاتب الشاعر، الفقيه الفيلسوف المتصوّف، الرياضي المهندس، عاش في القرن السادس عشر الميلادي، العاشر الهجري، في حمأة الصراع بين الدولتين العثمانيّة والصفويّة. اسمه: محمد بن عز الدين الحسين بن عبد الصمد بن شمس الدين محمد بن علي بن الحسين بن محمد بن صالح العامليّ، الجبعيّ، الحارثيّ الهمدانيّ. كنيته: أبو الفضائل، ولقبه «البهائيّ» نسبة إلى بهاء الدين، وهو تخلص للشاعر على اصطلاح شعراء الفارسية. العامليّ نسبة إلى جبل عامل، والجبعيّ نسبة إلى قرية جبج التي تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة صيدا، والحارثيّ الهمدانيّ: لأن أسرته تنسب إلى الحارث بن عبد الله الأعرور الهمدانيّ، التابعيّ الشهير المتوفى سنة ٦٥هـ/٦٨٤م.
- كانت ولادته في بعلبك سنة ٩٥٢هـ/١٥٤٦ ووفاته في إيران سنة ١٠٣٠هـ/١٦٢٨. ومدفنه في مدينة مشهد قرب مرقد الإمام علي الرضا عليه السلام. هاجر مع أبيه الشيخ حسين بن عبد الصمد تلميذ الشهيد الثاني إلى إيران وهو في السابعة من عمره، وهناك عاش معظم حياته وارتبط اسمه باسم أشهر ملوكها «الشاه عباس الكبير»، وألف وأبدع فيها أهم مؤلفاته، وترك بصماته على كثير من معالمها العلميّة والفنيّة والحضاريّة.
- (٢) أستاذة الأدب والحضارة الإسلاميين واللغة الفارسية وأدائها في الجامعة اللبنانية/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مشرفة في قسم الدكتوراه على أطروحات الأدب المقارن: العربي الفارسي.

لذلك سنحاول النظر في هذا الأمر من منطلقين اثنين:

أولاً: الصراع الذي عاناه الشيخ في نفسه بين ما دعا إليه من عدم الركون إلى الحكام وبين تولّيه مشيخة الإسلام زمن الشاه عباس الكبير (٩٩٥هـ، ١٥٨٧م، ١٠٢٨هـ ١٦٢٨م).  
ثانياً: دعوته إلى التوفيق بين الظاهر والباطن في أدبه لا سيّما في مثنوياته<sup>(١)</sup> الفارسية.

١- إن مسألة تولي الشيخ البهائي «مشيخة الإسلام» لها ارتباط وثيق بشخصيته، لأن هذه المسألة أثارت جدلاً بين مدوّني أخباره، منهم من أغرق في الحديث عن أهميته في دولة الشاه عباس، وعدّ هذا الأمر دليلاً على مكانته، بينما حاول آخرون أن ينفوا عنه تهمة الإلتحاق بركاب الشاه عباس، كي لا يحملوه جزءاً من أوزار أفعال الشاه عباس اللاإسلامية.

الحقيقة أن البهائيّ تولّى مشيخة الإسلام مرّتين، المرّة الأولى في هرات لأقل من سنتين بعد أبيه في العام ٩٨٤هـ، والمرّة الثانية حوالى العام ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م، زمن الشاه عباس، وظل في هذا المنصب إلى أواخر حياته<sup>(٢)</sup>.

في هذا الإطار يجب ألا ننظر إلى الأمر من زاوية الإرتباط الشكليّ بين الحاكم والفقيه، ولا أن نضع الشيخ البهائيّ في مصاف الفقهاء الذين تحولوا في الدولتين العثمانيّة والصفويّة إلى مجرد موظّفين، ارتبطت مصالحهم بمصالح الحكام والسلاطين، فأضفوا بهذا الارتباط طابعاً دينياً على سلطة الحكام، بل على قبائحهم.

(١) - المثنوي: في المثنوي الذي يُستعمل لموضوعات مختلفة وخصوصاً للحكايات والقصص والأمثال، يجب أن يكون لكل مصرعين قافية واحدة، وأن تكون أبيات المنظومة الواحدة من وزن واحد. ومثنويات البهائيّ هي: «نان وحلوا» أي الخبز والحلوى و«شير شكر» أي الحليب والسكّر و«نان وپنير» أي الخبز والجبن... أما العنوان الطعميّ الذي يعطيه للمثنويات فإنّما يرمز إلى الدنيا ولذاتها الماديّة العابرة. وكل واحد من هذه المثنويات مؤلف من مجموعة من الفصول أو القصائد.

(٢) - راجع: سلافة العصر، ص ٢٩٠، وريحانة الألبا، ج ١، ص ٢٠٨، وخلاصة الأثر، ص ٤٤١. وبهاء الدين العامليّ أدبياً وفقهياً وعالمياً من ص ١٧٣ حتى الصفحة ٢٠٠.

إننا نستبعد أن يكون الشيخ البهائيّ الفقيه المسوّغ لأعمال الجور والعسف لسببين: أولهما: شخصية الشيخ العلمية، وثانيهما: أن الشاه عباس كان حريصاً على الإنفراد بالحكم، لذلك لم يعطِ رجال الدين فرصةً للتدخل في الشؤون السياسية، فقد قُتُن سلطتهم بعد أن كانت مطلقة في زمن جدّه طهماسب (٩٣٠هـ - ٩٨٤هـ الموافق ١٥٢٣ - ١٥٧٦م) وأبيه محمد خدابنده (٩٨٥ - ٩٩٥هـ الموافق ١٥٧٧ - ١٥٨٧م) فاقتصر دورهم على الأمور الشرعيّة، ولم يكن لهم دور في مسار الدولة، داخلياً وخارجياً<sup>(١)</sup>، أي عكس ما فعله جدّه طهماسب الذي أطلق يد رجال الدين في شؤون المملكة.

بعيداً من الأمور السياسيّة، كان الشاه عباس مجلّاً للعلماء محترماً لهم<sup>(٢)</sup>، وخصوصاً الشيخ البهائيّ الذي كانت له مكانته وشهرته العلمية قبل تولي عباس الحكم، ولم يجد الشاه القويّ، في سعيه لإيجاد دولة قويّة، أفضل من هذا الشيخ يسلمه زمام مشيخة الإسلام، ولقد كانت للشيخ سلطة معنويّة على الشاه هي سلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتفكير من الشر.

كان له من قوة شخصيته دافع لأن يجهر بقول الحق، وهو في منصبه وله دالة على الحاكم، فاستطاع أن يصلح الكثير من الأمور، التي ما كان يمكن أن تصلح، لو اعتزل هو كما اعتزل غيره، وقد استطاع أن يحفظ طموحه وعزّته بالله من أن تتكسر، أو تسقط في قبضة الجور، وما كان الاقتراب من الشاه، إلا لحفظ مصالح الناس، الذين كانوا يلجأون إليه، بدلاً من أن يعتزل الحياة العامة ويريح نفسه من عناء المجابهة، ويقول المؤرخون إن داره كانت ملجأ الأيتام والأرامل وطلاب العلم الوافدين إلى إيران من خارجها.. وهو يقوم بنفقتهم ورعايتهم<sup>(٣)</sup>.

(١) - راجع: نصر الله فلسفي: زندكاني شاه عباس اول، ج٢، ص ٣٩٢، ٣٩٥، وج٤، ص ٨٧ وإيران در زمان صفويه، ص....

(٢) - (م.ن)، وأعيان الشيعة، ج٨، ص ٨١.

(٣) - سلافة العصر، ص ٢٩١، وخلاصة الأثر، ج٢، ص ٤١٤.

ولم يتوان عن انتقاد الشاه في كثير من المواقف، في حدود ما رسمه لنفسه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ويذكر لنا المؤرخون عددًا من الحوادث التي تدلنا على موقف الشيخ البهائي الجريء والصريح من الشاه، على سبيل المثال: عندما قُتل صفي ميرزا ولي العهد بأمر من أبيه الشاه عباس ظلّت جثته مطروحة في الوحل، إلى أن أمر الشيخ البهائي أن تُرفع الجثة وتُغسل وتكفن ولاّم الشاه على فعلته لومًا جعله يشعر بالندم، ندماً رافقه طيلة حياته<sup>(١)</sup>.

ومعارضته للشاه عندما أقام عيد الأضواء في محرم الحرام<sup>(٢)</sup>؛ ويمكننا إضافة إلى هذه المواقف التي ذكرنا، أن نردّد الكثير من إيجابيات الشاه عباس الحاكم إلى تأثير الشيخ البهائي، بتأثيره أبطل الشاه عادة سبّ الخلفاء<sup>(٣)</sup>، هذه البدعة التي بدأت في عهد الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية واستمرت طيلة حكم الشاه طهماسب والشاه محمد خدابنده والد الشاه عباس.

وقد أورد المؤرخون قصة لها دلالتها تبين مسلك الشيخ البهائي وهو في أوج المنصب تقول القصة إنه «نُمي إلى الشاه عباس، أن شيخ الإسلام أي بهاء الدين نفسه، كثيرًا ما يجوس في أحياء الفقراء، ويدخل أكواخهم ويجالسهم، فاستحسن أن يلفته بلباقته إلى أن هذه الزيارات لا تتناسب ومكانة شيخ الإسلام فقال له يوماً: لقد سمعت أن أحد كبار العلماء يكون مع الفقراء والأراذل في أكواخهم وهذا أمر غير لائق، فأجابه الشيخ: هذا الأمر غير صحيح فأنا كثيرًا ما أكون في تلك الأماكن، ولم يحدث أن رأيتُ أحدًا من كبار العلماء هناك»<sup>(٤)</sup>.

هذا يعني أن البهائي سلك مسلكًا مختلفًا كل الاختلاف عن مسلك غيره من العلماء الذين

(١) - رندكاني شاه عباس أول، ج ١، ص ٢٩١.

(٢) - (م.ن)، (ج.ن)، ص ٢٩١. وعيد الأضواء: هو عيد اخترعه الشاه عباس يقيمه في أي وقت يشاء، حيث تضاء القناديل التي لا يحصيها العدد، ويدعو الشاه إلى هذا الاحتفال سفراء الدول الأجنبية والسياح والتجار.

(٣) - (م.ن)، ج ٥، ص ٥.

(٤) - التنكابني: قصص العلماء ص ١٨٤، وأعيان الشيعة، ج ٩، ص ٢٣٦، ومستدرک الوسائل ج ٣، ص ٤٤٠.

كانت لهم منزلةً كمنزلته أو أقل منها في إيران، ممّن بالغوا في مظاهر التعظيم لأنفسهم وكانوا لا يخرجون إلا في مواكب شبيهة بمواكب الملوك، ولعلّه بمسلكه هذا أثبت عملياً، أنّه لا يستسيغ مظاهر الترف التي كان العلماء من معاصريه ومعاصري أبيه في إيران يحيطون أنفسهم بها<sup>(١)</sup>، فكان تعليمه للشاه وللناس بسيرته ومسلكه خيراً من تعليمه لهم بلسانه.

أنموذج بديع للبساطة والعظمة، لحرية التفكير وحرية السلوك، من دون خضوع لمظاهر الوفاق المصطنع والكبرياء الزائفة، وهذا ما أكسبه حبّ الناس وتقديرهم في حياته وبعد مماته<sup>(٢)</sup>.

لقد أعطى الشيخ بمسلكه درساً للشاه الحاكم، فسار على خطاه، فكان يخرج إلى الأسواق والأحياء الشعبية للاطلاع على أوضاع الرعيّة، فيعمد إلى تخفيف الضرائب عن كواهلها ويجوس الأسواق متكرّراً، يشتري من الباعة ليتأكد من أنّهم لا يطفّفون المكايل، ولا يتلاعبون بالأسعار، ويلجأ إلى الشدّة والقسوة في محاسبة المرتشين والغشاشين، كما كان يتكرّر ويزور القرى البعيدة، يسأل الرعية عن ولاّتهم، فإن وجد أنّهم يسلكون مسلك الرشاد أبقاهم في مناصبهم وإلا عزلهم ونكّل بهم<sup>(٣)</sup>.

أراد الشيخ البهائيّ الحدّ من المظالم، فعاش صراعاً حاداً في نفسه بين الواقع الذي يعاينه وبين الموقف المثالي الذي كان يدعو إليه.

إنّ أدبه شعراً ونثراً يعطينا صورة واضحة عن ذلك الصراع الذي واجهه الشيخ في حياته، لأنّه لم يعيش في برجه العاجي، وإنما عاش بين الناس بمختلف طبقاتهم وطوائفهم ونحلهم، واستطاع أن يكون لنفسه من بين كلّ الآراء المتصارعة موقفاً ثابتاً، واحداً، خاصّاً به.

(١) - راجع أعيان الشيعة، ج٧، ص ١٤٥، ففيه ذكر لعلماء كبار كانوا يعيشون عيشة الملوك.

(٢) - لقد أثنى المؤرخون على أخلاقه وتواضعه، وإلى أنّ مختلف الفرقاء واتباع المذاهب المتباينة كانوا يحترمونه ويقدرونه؛ راجع: رياض العلماء، ج٥، ص ٨٨، وخلاصة الأثر، ج٣، ص ٤٤٠، ورحيانه الألبا، ج١، ص ٢٠٨، وسلافة العصر، ص ٢٩٠.

(٣) - زندكاني شاه عباس اول، ج٢، ص ٣٦٨ - ٣٧٠.

إنَّ لهجة الرفض والاحتجاج تظهر قوية لديه في كثير من المواقع في مواجهة السلطة، وقد ظلَّ الصراع محتدماً في نفسه بين ما تعلّمه من أبيه ورَبِّي عليه، وبين المواقف التي وجد نفسه مضطراً إلى أن يتخذها. يقول إنه تعلّم من أبيه هذا القول من أقوال القدماء:

«شَرُّ العلماءِ مَنْ لَازَمَ الملوكِ، وخَيْرُ الملوكِ مَنْ لَازَمَ العلماءِ»<sup>(١)</sup>. وقد أورد في الكشكول سوانح كثيرة يعبر فيها أنه نادم على حياته تلك ويرجو الخلاص منها: «أيها الغافل شابَ رأسك، وبردتَ أنفاسك، وأنت في القيل والقال، والنزاع والجدال، فاحبسُ لسانك عن بسط الكلام، في ما لا ينفعك يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

إذا لم يكن في أعماق نفسه راضياً عن علاقته بالشاه، لأنَّ الحكّام لا يكتفون من العالم بالعلم والصلاح، وإنما يريدون أن يشاركهم في ما هم فيه كائنًا ما كان، سواء أكان ذلك يتوافق وخطوط الإسلام أم يبتعد عنها، وهذا ما وصفه البهائي في إحدى سوانحه بقوله: «مصاحب الملك محسودٌ بين الأنام من الخاصّ والعام، لكنّه في الحقيقة مرحومٌ، لما يرد عليه من الهموم الخفية، التي لا يطّلع الناس عليها، ولا تصل أنظارهم إليها، ولذلك قال الحكماء: صاحب السلطان كراكب الأسد، بينما هو فرسه إذ هو فريسته، فلا تكن مغروراً من جليس الملك وأنيسه، بما تشاهد من ظاهر حاله، وانظر بعين الباطن إلى توزّع باله وسوء مآله، وتقلّب أحواله»<sup>(٣)</sup>.

مرارة نفسية يشعر بها مصاحب الملوك من العلماء، مع شعور دائم بالإثم للسكوت عمّا يرتكبه الحكام، مما هو مخالفٌ لأوامر الشرع ونواهييه.

وفي مكان آخر من الكشكول، يسمّي الأموال التي يحصلها من الحاكم: «الأموال الملعونة»: فهو بعد أن يروي حديث الإمام الصادق عليه السلام يقول: «اتقوا الله وموتوا

(١) - الكشكول، ط أعلمي، ج ١، ص ٢٣٠.

(٢) - (م.ن)، ج ٢، ص ٢٩.

(٣) - (م.ن)، ج ١، ص ٢١١.

أنفسكم بالورع، وقوة الثقة، والاستغناء بالله عن طلب الحوائج إلى صاحب سلطان، واعلم أن من خضع لصاحب سلطان، أو لمن يخالفه على دينه طالباً لما في يديه في دنياه، أخمله الله ومقتته عليه، ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه، فصار إليه شيء منه نزع الله منه البركة، ولم يؤجره على شيء من دنياه ينفعه في حج ولا عتق ولا بر...».

يقول البهائي: «لقد صدق رضي الله عنه، فإننا قد جربنا ذلك وجربه المجربون قبلنا، واتفقت الكلمة منا ومنهم على عدم البركة في تلك الأموال الملعونة، نسأل الله أن يرزقنا رزقاً حلالاً طيباً، يكفيننا ويكفنا عن مدها إلى هؤلاء وأمثالهم، إنه سميع الدعاء، لطيف لما يشاء»<sup>(١)</sup>. وينقل البهائي من تفسير «النيسابوري»<sup>(٢)</sup> عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> ما لفظه: كان أبو الفتح المنهي قد برع في الفقه، وتقدم عند العوام، وحصل له مال كثير، ودخل بغداد وفوض إليه التدريس بالنظامية<sup>(٤)</sup> وأدركه الموت بهمدان، فلما دنت وفاته قال لأصحابه: «اخرجوا فخرجوا»، فطفق يلطم وجهه ويقول: «يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله»، ويقول: يا أبا الفتح: «ضيعت العمر في طلب الدنيا، وتحصيل الجاه والمال، والتردد إلى أبواب السلاطين وينشد:

عجيبٌ لأهل العلم كيف تغافلوا يجرون ثوب الحرص عند المهالك  
يدورون حول الظالمين كأنهم يطوفون حول البيت وقت المناسك

(١) - الكشكول، ج ١، ص ٢٨٩.

(٢) - النيسابوري: نسبة إلى مدينة نيسابور في خراسان من مدن إيران التاريخية المعروفة بين طهران والمشهد الرضوي، وهو محمد بن حسين المعروف بنظام النيسابوري أو الأعرج، له مؤلفات في الرياضيات والأدب، وتفسيره من تفاسير الدرجة الأولى عند أهل السنة: فرهنك فارسي مج ٦، ص ٢٢٠، ص ٢٦٦٨، والإسلام وإيران.

(٣) - ج، ٢٢/س الزمر ٢٩/ي ٥٦.

(٤) - النظامية: نسبة إلى نظام الملك (٤٠٨هـ-١٠١٨م)، أبي علي الحسن بن علي بن إسحق الطوسي.

وظلَّ يردد الآية حتى مات... ويضيف البهائي: «نعوذ بالله من الموت على هذه الحالة ونسأله جلَّ شأنه، أن يمنَّ علينا بالتوفيق للخلاص من هذا الويال»<sup>(١)</sup>. هذا الدعاء الذي يسجِّله الشيخ البهائي يترجم الحالة النفسية التي رافقته في رحلة حياته، إذ لم يكن راضياً عن نفسه وكان يردد: «مَن شارك السلطان في عز الدنيا، شاركه في ذل الآخرة»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ قربه من الشاه، لم يكن كما يبدو من إشاراته مدعاة للرضى، بل كان سبباً لقلق وجداني تحركه جذوة إيمانه إلى درجة تدفعه إلى الندم على خروجه مع والده من بلاد الشام وجبل عامل إذ يقول: «لو لم يأت والدي من بلاد العرب إلى بلاد العجم، ولم يختلط بالملوك، لكنت من أتقى الناس، وأعبدهم، وأزهدهم، لكنه طاب ثراه أخرجني من تلك البلاد، وأقام في هذه الديار، فاختلطت بأهل الدنيا، واكتسبت أخلاقهم الرديئة، واتصفت بصفاتهم الدنيئة، ثم لم يحصل لي من الاختلاط بأهل الدنيا إلا القيل والقال، والنزاع والجدال، وآل الأمر إلى أن تصدَّى لمعارضتي كل جاهل، وجسر على مباراتي كل خامل»<sup>(٣)</sup>.

يقارن البهائي في هذه السانحة بين حالتين: بين حالته لو كان قد ظلَّ هو وأبوه في جبل عامل، إذًا لتفرَّغ كما كان يقدر للعلم والعبادة، ولكان عاش حياة زهد وقناعة كغيره من علماء جبل عامل، الذين عرف سيرتهم من أبيه وبين حالته في إيران: لقد وُجد من يحاول أن يغضَّ من قيمته، وأن يثير حوله الشكوك والأوهام والظنون، وحاول البعض من طريق الوشايات والتلميحات اللثيمة أن يُنزلوه من مستواه الرفيع إلى مستواهم القائم على الارتزاق والنميمة<sup>(٤)</sup>.

(١) - الكشكول، ج ١، ص ٦٣.

(٢) - الكشكول، ج ١، ص ١٣٥.

(٣) - (م.ن)، ج ١، ص ٢١٢.

(٤) - (م.ن)، ج ١، ص ٢١٠.

وفي نهاية كتابه «الحبل المتين» يتوسّل إلى الله سبحانه: «أن يجعل بقية العمر مقصورةً على الطاعات، وتدارك ما فات، مجنّبةً من التدنّس بأدناس السيئات، مصروفةً في اكتساب السعادات الحقيقية»<sup>(١)</sup>.

كان طبيعياً من عالم مثله أن تتعمّق محنته، فهو في قرارة نفسه غير راضٍ عن ارتباطه بالحاكم مع ما جرّ عليه ذلك الارتباط من قيل وقال، ونزاع وجدال، فكان ذلك من بواعث تنغيص حياته أحياناً فيلجأ إلى العزلة تنفيساً عن كربته: «العزلة عن الخلق هي الطريق الأقوم الأسد، كما ورد في الحديث: «فر من الخلق فرارك من الأسد»، فطوبى لمن لا يعرفونه بشيءٍ من الفضائل والمزايا، فالفرار عنهم والبدار البدار إلى الخلاص منهم، وبهذا يظهر أن الشهرة بالفضائل من جملة الآفات، وأن خمول الاسم أمان من المخافات. فاحبس نفسك في زاوية العزلة، فإن عزلة المرء عزله»<sup>(٢)</sup>.

ولكن العزلة لم تكن مستطاعة بالنسبة إليه، لذلك ظلّ هذا القول ضمن حدود الدعوة أو الأمنية التي لم تتحقق إلا لأوقات حدودية، لأنه آلى على نفسه أن يعايش الناس، ويسعى جاهداً إلى الإصلاح ما أمكنه ذلك، لذا فإنّ معايشة الناس، وتعرّفه أحوالهم، جعلتا ظنّه يسوءً بالنسبة إلى زمانه وأهل زمانه: «من طلب في هذا الزمان عالماً عاملاً بعلمه بقي بلا علم، ومن طلب طعاماً بلا شبهة بقي بلا طعام... ومن طلب صديقاً بغير عتب بقي بلا صديق»<sup>(٣)</sup>.

نضيف إلى سمو تفكيره، أنه لم يتعصّب لمذهب على مذهب، ولم يتحزّب لفريق من الفرقاء المتصارعين- في وقت كُثرت فيه المذاهب والبدع-، وإنما كان يعاشر أهل كل فرقة بالحسنى ويتدرج فيهم بأساليب الإصلاح، وهذا الأمر هو الذي حدا بكل فريق أن يعده منهم: فأعمل جهده في الجمع بين أنصار الشريعة وأنصار الطريقة، بين متزمتي

(١) - الحبل المتين، منشورات مكتبة بصيرتي، ص ٢٦٣.

(٢) - الكشكول، ج ١، ص ٢١٣.

(٣) - (ن.م)، ج ١، ص ٢٣٠.

الفقهاء وامتطرفي العرفاء... وعمل جاهداً على إصلاح ما فسد من الأخلاق والأوضاع العامة، وانتقد الجمود والتقليد، وشنَّ الحملة تلو الحملة في شعره ونثره، بالعربية والفارسية، على الفقهاء الجامدين القشريين وعلى أدياء التصوف، المرتزقين من الدجل والشعوذة والرياء... فكان من الطبيعي أن يوجَّه إليه المتضررون من نقده، أو الذين لم يفهموا دوافع أقواله وأفعاله بعض المطاعن والتهم، شأنه شأن العظماء والمفكرين، الذين يسمون بتفكيرهم على تفكير الناس، فتوجَّه إليهم الانتقادات<sup>(١)</sup>.

لقد أكثر الشيخ البهائي في كتاب «الكشكول» من إيراد الأحاديث التي تحثُّ على ترك الدنيا، والتي تنفر من صحبة الملوك أو السعي وراء المنصب، كقول يحيى بن معاذ: «أيها العلماء إنَّ قُصُورَكُمْ قَيْصَرِيَّةٌ وَبُيُوتُكُمْ كَسْرِيَّةٌ وَمَرَاكِبُكُمْ قَارُونِيَّةٌ وَأَوَانِيكُمْ فَرَعُونِيَّةٌ وَأَخْلَاقُكُمْ نَمْرُودِيَّةٌ وَمَوَائِدُكُمْ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنَاهِبُكُمْ سُلْطَانِيَّةٌ فَأَيْنَ الْمَحْمَدِيَّةُ؟»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: «إذا لم يكن العالم زاهداً في الدنيا فهو عقوبة لأهل زمانه».

وقوله: «إذا رأيت العالم يلازم السلطان فاعلم أنه لص، وإياك أن تُخدع بما يقال: إنَّه يردّ مظلمةً أو يدفع عن مظلوم، فإنَّ هذه خدعة إبليس اتَّخذها فُجَّارُ العلماء سُلماً»<sup>(٣)</sup>.

وذكر عند الصادق عليه السلام قول النبي ﷺ: «النظر إلى وجه العالم عبادة، فقال هو العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرت بالآخرة، ومن كان على خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة»، وعن النبي ﷺ أنه قال: «العلماء أمناءُ الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوه وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم»، وعن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه: تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والحلم ولا تكونوا من جبابرة

(١) - راجع لؤلؤة البحرين، ص ١٩. وروضات الجنات، ج ٧، ص ٦٧، وأعيان الشيعة، ج ٩، ص ٢٤٣.

(٢) - الكشكول، ج ١، ص ٣٦.

(٣) - (م.ن)، ج ١، ص ٢١٥.

العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم»، وعن عيسى عليه السلام أنه قال: «مثل العالم السوء مثل صخرة وقعت في فم النهر، لا هي تشرب الماء، ولا هي تترك الماء ليخلص إلى الزرع»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في بعض الكتب السماوية: «إذا أحب العالم الدنيا نزعَتْ لذة مناجاتي من قلبه»<sup>(٢)</sup>.

وأورد من القصص ما يمكن أن يكون عبرة له ولتلاميذه ولمعاصريه: «قال بعض العباد أعدت صلاة ثلاثين سنة في الصف الأول، لأنني تخلّفت يوماً لعذر فما وجدت موضعاً في الصف الأول، فوقفْتُ في الصف الثاني، فوجدت نفسي خجلاً من نظر الناس إليّ وقد سبقت بالصف الأول، فعلمتُ أنّ جميع صلّاتي كانت مشوبة بالرياء، ممزوجة بلذّة نظر الناس إليّ ورؤيتهم إياي من السابقين إلى الخيرات»<sup>(٣)</sup>.

إنّ القلق وعدم الرضى عن النفس والشعور الدائم بالإثم، والسعي نحو الخلاص الروحي نجدها في إحدى قصائده الفارسية<sup>(٤)</sup> التي يمكن أن تُعدّ سيرة ذاتية له، إنه يخاطب نفسه قائلاً:

«لقد صرتَ في الستين من عمرك ولا تزال مقيّداً بالقيود الأرضية وثملاً باللّهو واللّعب، قلتُ لعلك عندما تصل إلى الثلاثين تجد نفسك، لقد قرأت وأنت في الثلاثين درساً من كتاب الله عزّ وجلّ، لم يقدك إلى معرفة الحق، ومن الثلاثين إلى الأربعين لم تحصل غير الجهل، وها أنت قد وصلت إلى الستين، ولا تزال غارقاً في الوبال، لم تضع قدماً على طريق الحق، ولم تُضف رقماً إلى لوح الوفاء...».

(١) - (م.ن)، ج ١، ص ١٩٨.

(٢) - (م.ن)، ج ١، ص ١٩٨.

(٣) - (م.ن)، ج ١، ص ١٢.

(٤) - القصيدة الثالثة من مثنوي شير وشكر (الحليب والسكر)، كليات شيخ بهائي، ص ١٢٨.

وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة: يطلب إلى الساقى أن يسقيهُ من الخمرة الطهور التي تخلصه من العلائق الجسمانية، وتتورُّ قلبه وتهديه إلى الصراط المستقيم.

إذا درسنا هذه القصيدة من الناحية المعنوية، ندرك مدى علاقتها بشخصية صاحبها، فإنَّ أوَّل ما نلاحظه، هذا الإلحاح على طلب المغفرة، والشعور بالتقصير، يقول إنه من الأربعين وحتى الستين لم يخطُ خطوةً واحدةً في طريق الحقِّ، ولهذا التحديد الزمني أهمية كبيرة تبين ما تعنيه له تواريخ معينة:

ففي الثلاثين من عمره توفي والده: أي بدء الإحساس بالضيق النفسي، وبالشعور بالمسؤولية الذاتية، وبدء العمل في التدريس والوعظ رسمياً.

وفي الأربعين: بدء رحلة الحج التي تعدّ مفترق الطرق بالنسبة إلى أسلوبه في الحياة وتردده بين قبول المنصب (مشيخة الإسلام)، أو عدم قبوله، بين سلوك خط المتصوفة، أو سلوك خط الفقهاء الظاهري (بما لذلك من علاقة بالحكام)، واهتمام بمظاهر الحياة الدنيا.

ومن الأربعين حتى الستين: قمة العطاء الفكري، وقد أعطى في هذه المرحلة أهم نتاجه العلمي والفقه والأدبي، هذا من الناحية العلمية، أما من الناحية النفسية فإنَّ شعوراً دائماً بالذنب يلاحقه، وهذه ضريبة الإنسان المتفوق في سعيه الدائب نحو الكمال، فلا استقرار على الصعيد النفسي إلا لمن خفَّ لديه الشعور بالمسؤولية؛ أما الآخر المجهز ببصيرة تدرك ما لا يدركه الآخرون ونفسية في أعماقها بعد عن حبِّ الدنيا وبهرجها وهو مضطرب إلى أن يعيش في قلب الظروف التي تفرض عليه التعاطي مع الآخرين، بكل ما يحملونه من رياء ونفاق وغرور وتباه، وحب للظهور ولو على جثث الناس، وعلى حساب الأخلاق والدين، مستغلين علومهم وأزياءهم لخداع العامة واللعب بعقولها، فإنه يعيش في قلق دائم وشعور بالذنب لا ينفك يلاحقه في ليله ونهاره.

وهذا هو الوجه الإنساني الخالد في أدب البهائي، العربي والفارسي، لا سيما في شعره الفارسي، لأنه كان ينتقد في شعره معاصريه، ويتحدَّث عن نفسه، إلا أنه ينتقد

أيضاً أفراداً وجماعات، يعيشون في كلِّ عصر ومصر، ما دام الإنسان على هذه الأرض تتجاذبه قوتان، واحدة تشدّه نحو العلاء، ونحو عالم المثل، وأخرى تجذبه نحو أسفل السافلين، وهو يخاطب فينا إحساسنا الكامن بضرورة محاسبة النفس، وإعادة تقويم أفعالنا...

إذا كان الشيخ البهائيّ قد عرّف الصدق بأنه استواء الظاهر والباطن<sup>(١)</sup>، فإنه انتقد في شعره العربيّ الذين يتصدّون للتدريس من دون أن يستعدوا له الإستعداد الكافي، ومن دون أن يكون مسلّكهم موافقاً لأقوالهم، وهذا الأمر ينطبق على فئة من المعلّمين في عصر البهائيّ، وفي كل عصر، لا همّ لهم سوى أن يجمعوا حولهم بعض المريدين من باب المباهاة، وهو يعيب على هؤلاء المعلّمين قلة تعمّتهم في ما يعلمون، وإن هم ناظروا من هو أعلم منهم ناظروه مكابرة، ومع ذلك يعيرون في مجالسهم العلماء الأفاضل الذين سبقوهم في ميادين العلوم الرحبة، كي يسوّغوا جهلهم، وهم إذا ظلّوا على حالهم لقوا في الآخرة لهيب السعير:

يقول: «إشارة إلى نُبذ من حال من تصدى للتدريس في زماننا هذا»: (٢)

مرادك أن ترى في كل يوم	وبين يديك قوم أي قوم
كلاب عاويات بل ذئاب	ولكن فوق أظهرهم ثياب
فليس لهم جميعاً من بضاعة	سوى «سمعا لمولانا وطاعة»
وإن شمّرت عن ساق الإفادة	جلست لهم على عالي الرّفادة
وأسست السؤال لمن تكلم	ودّست الجواب لكي يسلم
وقرّرت المسائل والمطالب	ولست بذل لوجه الله طالب
وسّقت لهم كلاماً في كلام	وقلبك من ظلام في ظلام

(١) - الكشكول، ج ١، ص ٢٣٩.

(٢) - (م.ن)، ج ١، ص ١٤٩، وسلافة العصر، ص ٢٩٧، ونزهة الجليس، ج ١، ص ٢٨٠.

وإن ناظرت ذا نظراً دقيقاً وفكر في مطالبه عميقاً  
 عدلت عن النهج القويم وزُغت عن الصراط المستقيم  
 تكابره على الحق الصريح فإن ناجاك في نقل الصحيح  
 طفقت تروغ عن نهج السبيل وتقدح في الكلام بلا دليل  
 ... وعبت أئمة قالوا بذاكا وفي تجهيلهم فغرت فاكا  
 لأن لم ترتدع عن ذي الظلامه فبئس الحال حالك في القيامة  
 وللبهائي قصيدة بالفارسية ينتقد فيها أيضاً المدرسين الذين يحشون عقول  
 تلاميذهم بالخرافات ويقول: إن درسهم ليس درساً «إنه بئس المرض». فالقصيدتان  
 معاً تؤلفان موضوعاً متكاملًا، وتعطيان صورة عن الأسلوب الساخر الذي يستخدمه  
 البهائي في النقد الاجتماعي متدرجًا من المعاني العامة إلى التجزيء والتفصيل:  
 يقول: ما هو الخبز والحلوى<sup>(١)</sup>؟ ويجب قائلًا: إنه تدريسك الذي هو مظهر غشك  
 وخداعك، لا هم لك سوى إظهار الفضائل وجمع العوام حولك، وجعلهم من أتباعك  
 ومريديك، وأنت بالخداع تجهد نفسك لإدخالهم في مصيدتك... إن الدرس الذي  
 تعلمه إن لم يكن قرابة إلى الله تعالى ليس درسًا إنه «بئس المرض».

وفي قصيدة فارسية أخرى عنوانها:

«في ذم العلماء المتشبهين بالوزراء المترفعين عن سيرة الفقراء»<sup>(٢)</sup>.

يسمي هؤلاء الناس المجازيين، ويخاطبهم بقوله:

إن العلم يستمد الحسَن من الفقر لا من الحداثق والضياع.

إن الحشَمَ والمال والمتاع الدنيوي دلالة على نقص العلم.

ويقول لهم: ما هذا الفراء والخبز الذي تلبسونه كالمملوك؟

(١) - القصيدة من مثنوي «نان وحلوا» الخبز والحلوى: كليات شيخ بهائي، ص ١٢٩.

(٢) - القصيدة السادسة من مثنوي «تان وحلوا»: كليات شيخ بهائي ص ١٢.

وما هذه الفراخ والأسماك التي تزيّن موائدكم؟  
إن كنتم تدعون التقى والكمال أخبرونا إن كان هذا المأل حلالاً ميسوراً... ويخاطب  
الذين رفعوا لواء العلم الديني قائلًا:

إلى متى ستظل ناعمَ الملبس طيبَ المعلف؟  
إنّ الدين بريءٌ منك ومما تقول، لقمّتُك تأتي من طريق مشبوه!  
أيّها التراب الذي يأكل التراب!  
أيها المفتون بظاهر الدين، وقلبك خالٍ من العرفان والنور الحقيقي.  
إنّه ينصح هؤلاء المتعالمين الذين يستغلون الدين لمآربهم الدنيوية بالعبادة  
الصحيحة، أولى درجات السلم الموصول إلى معرفة الحق، فلقمة الخبز المشبوهة  
المصدر لا يطهرها إلا حرّم الكعبة، هذه اللقمة الطهور: بيدك تبذر حباتها وبيدك  
تفلق أرضها أثلامًا، وتحصدها، وتجعل من حجر الكعبة رَحَى لها، وبماء زمزم تعجن  
طحينها... إن هذه اللقمة تهتر النفس العصيّة الخاطئة:

وأنت إن لم تفعل ذلك فإنّ دينك ليس أكثر من مباحة. ثم يقول: إنّ العبادة وحدها  
لا تكفي، إنّها تحتاج إلى القناعة لتسندها في طريق الحق، والقناعة إنّما تكون بالتخلّي  
عن كل المظاهر الخادعة الكاذبة، امتنع عن لبس الحرير والخز، فلست بحاجة إلى  
أكثر من رداء بسيط يستر جسمك، ولتكتفِ بالبصل والخبز اليابس وتكفّ عن أكل  
المزعفر المطيب؛ قدمك خيرٌ من اللجام المحلّى بالجواهر.

وحصير المسجد أفضلٌ من السجّاد الحريريّ.

كل ما في هذه الدنيا يمكنك تعويضه عدا شيء واحد: عمرك.

ويقول: إنّ الإنسان لا يصل إلى الكمال الحقيقي إلا إذا ترك مباحج الدنيا، وذبح  
بقرة نفسه، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾<sup>(١)</sup>: فإذا كان جدنا

(١) - سورة البقرة، الآية: ٦٧.

آدم، بعدما قيل له أسكن أنت وزوجك الجنة، وكانت الملائكة له ساجدين صدر منه ذنب واحد، فأمر بالخروج منها فكيف ترجو أنت دخولها، مع ما أنت مقيم عليه من الذنوب والخطايا أيها المسود الوجه<sup>(١)</sup>؟

ويخاطب الإنسان الذي يسعى للخلاص الروحي بقوله:

أيها المأسور في قيد الذنوب أيها المحروم من سر الغيوب  
لا تقم في أسر لذات الجسد إنَّها في الجيد حبلٌ من مسد  
قم توجّه شطر إقليم النعيم واذكر الأوطان والعهد القديم  
إنَّ كنز العلم «النبوي ﷺ» الظاهر والباطن قال «إنَّ حبَّ الوطن من الإيمان» هذا  
الوطن ليس مصر ولا الشام ولا العراق.

هذا الوطن مدينة لا اسم لها.

كيف يعود إلى هذا الوطن (سعي الروح في العودة إلى موطنها الأصلي حيث كانت قبل أن تلتصق بالجسد الترابي الكثيف)؟ بقطع العلائق مع الدنيا الدنية وفك القيود التي تشده إلى الأرض<sup>(٢)</sup>.

ولا يكون ذلك إلا بمعاناة الآلام للوصول إلى الراحة الكبرى، وبالمجاهدة والتخلي عن مظاهر الحياة الدنيا يقول ما ترجمته:

ليس من زاد سوى التقوى على هذا الطريق، وبطرح الخبز والحلوى.

الخبز والحلوى! ما هي؟ جاهك ومالك وحدائقك والحشم والإقبال على مظاهر الحياة.

الخبز والحلوى! ما هي؟ هي طول الأمل، والعلم بلا عمل.

الخبز والحلوى! ما هي؟ سأخبرك: إنَّها سعيك الدؤوب من أجل تحصيل المعاش.

(١) - مثنوي «نان وحلوا» القصيدة السابعة: كليات شيخ بهائي، ص ١٢٤.

(٢) - القصيدة الثامنة من مثنوي «نان وحلوا»، وهي ملمع بالعربية والفارسية: كليات شيخ بهائي، ص ١٢٤.

الخبز والحلوى! ما هي؟ إنها زوجتك وأولادك، الذين يُقيّدون عنقك.

ما هو ثمن الخبز والحلوى غير منّة الناس<sup>(١)</sup>؟

إن لم يترك الإنسان الخبز والحلوى (العلائق الدنيوية) يكن كالعابد الذي «قلّ الصبر لديه فتفوق الكلب عليه»<sup>(٢)</sup>.

يتناول في هذه القصيدة قصة العابد الذي قلّ صبره فتفوق عليه كلب الشيخ المجوسي؛ وملخص القصة أنّ عابداً كان منزوياً في غار، وكان يصوم النهار ويأتيه كل ليلة رغيف يفطر على نصفه ويتسحر بالنصف الآخر، وظلّ على ذلك مدةً طويلة لا ينزل من الجبل، فاتفق أن انقطع عنه الرغيف في ليلة من الليالي فاشتدّ جوعه وقلّ هجوعه... وكان في أسفل ذلك الجبل قريةً سكانها من المجوس، فعندما أصبح العابد نزل إليهم واستطعم شيخاً منهم فأعطاه رغيفين من خبز الشعير، فأخذهما وتوجه إلى الجبل، وكان في دار ذلك المجوسي كلبٌ جربٌ مهزولٌ، فلحق العابد، ونبح عليه، وتعلّق بأذياله فألقى إليه العابد رغيفاً من ذينك الرغيفين، ليشغل به عنه، فأكل الكلب ذلك الرغيف، ولحق العابد مرةً أخرى، واشتدّ هريره، وتشبّث بذيل العابد ومزقه، فقال العابد: سبحان الله إنني لم أرَ كلباً أقلّ حياءً منك، إنّ صاحبك لم يعطني إلاّ رغيفين وقد أخذتهما مني... فأنطق الله تعالى ذلك الكلب؛ فقال: لست أنا قليل الحياء بل أنت، أعلم أنّي ربّيت في دار ذلك الشيخ أحرس غنمه وأحفظ داره، وأقع بما يدفعه لي من عظام أو خبز، وربما نسيّني فأبقى أياماً لا أكل شيئاً، بل ربما يمضي علينا أيام لا يجد هو لنفسه شيئاً ولا لي، ومع ذلك لم أفارق داره، ولا توجهت إلى باب غيره... وأما أنت فبانقطاع الرغيف عنك ليلةً واحدة، لم يكن عندك صبرٌ ولا كان منك تحمّل، حتى توجهت من باب رازق العباد إلى باب مجوسي، وطوّيت كشحك عن الحبيب وصالحت عدوّ المريب، فأينا أقلّ حياءً أنا أم أنت...؟

(١) - القصيدة التاسعة من مثنوي «نان وحلوا»، وهي ملمع بالعربية والفارسية: كليات شيخ بهائي، ص ١٢٦.

(٢) - (م.ن)، ص ١٢٧ القصيدة العاشرة في ثلاثة وأربعين بيتاً.

ثم إنه ينتقد الذين يدعون الزهد والتقوى من أجل العزّ والجاه والتقرب من السلاطين، ويبيعون دينهم من أجل الخبز الحرام، ويعتمدون المكر والحيلة لتسخير العوام، ولأكل مال السلطان...

ثم يقول: إِنَّ قَرَبَ الْمُلُوكِ أَفْءُ الرُّوحِ أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾<sup>(١)</sup>، وكأنّ لذة مخاطبة الشاه كلّ لحظة كمن يعبدّه هي غاية الحياة: ما هذا الإسلام؟ إنه الشرك بعينه.

اللّه الله أيّ إسلام هذا وأيّ دين؟ إنه شرك وربّ العالمين. ويمثل لهذا الرأي بحكاية ملخصها أنّ شاباً من خواص الملك، رأى عابداً في الصحراء يتقوّت من الأعشاب البرية كأنّه ظبيّ ضال، فيسأله الشاب، لم لا يدخل في خدمة الملوك ويرتاح من أكل الأعشاب؟ فيجيبه العابد: يا من تتفخر بخدمة الملوك؟ لو أنّك مثلي تأكل العلف لما أتلفت عمرك في هذه الخدمة<sup>(٢)</sup>.

ويقول: ما الخبز والحلوى؟ إنها المنصب الذي تدور حوله. أتعرف ما هو المنصبُ الدنيويُّ الذي تسعى وراءه؟ إنّهُ القيدُ الذي يمنع الإنسان من التحليق والوصول إلى معرفة الحق. إنّهُ القيد الذي يدفع الإنسان إلى ذلّ الحرمان المعنوي. إنّهُ الرغبة في الشهرة، والسّم الذي تشربه ليل نهار من دون أن تدري. ما هو المنصب؟ إنّهُ القلق الذي يعتورك والذي يذرو غلّة دينك في مهب الريح. ألم يقل المولوي المعنوي<sup>(٣)</sup>:

اترك الدنيا لتصبح سلطاناً وإلاّ فستبقى مضطرباً حائراً كدولاب دائم الحركة، باطن الدنيا سمّ كسمّ الحية، وإن كان ظاهرها نقشاً وزينة، سمّ هذه الحية المرقّشة

(١) - سورة هود، الآية ١١٣.

(٢) - مثنوي «نان وحلوا»، القصيدة الخامسة عشرة، كليات شيخ بهائي، ص ١٢٠.

(٣) - المولوي المعنوي: الشاعر جلال الدين الرومي.

قاتل، يهرب منه كلُّ إنسان عاقل؛ ولهذا السبب قال سيّد الأولياء: «حبّ الدنيا رأس كلِّ خطيئة، وترك الدنيا رأس كلِّ عبادة»<sup>(١)</sup>.

ويقول ما الخبز والحلوى؟ إنّها أعمالك وجبّة الصوف التي تلبس...  
ينتقد أدعياء التصوف الذين يلبسون لباس الدراويش، ويتظاهرون أنّهم من أهل السلوك. ولكنّ التقوى الحقيقية ليست بما يلبس الإنسان وإنما بما يعتقد...  
يقول: لا يصل الساعي إلى الحقّ إلاّ كان ظاهره كباطنه، وإنّ كان مخالفاً له، فجهنم مأواه وبئس المصير<sup>(٢)</sup>.

أمّا خلاصة منهج البهائيّ الفكريّ فيلخصه قوله في مقدّمة مثوي «الخبز والجبن»<sup>(٣)</sup> «في ذم المنتقدين للحكمة وينكرون لطائفها وسرائرها من الغفلة والظلمة، وفي تفسير من تفقه ولم يتصوّف فقد تفيقه، ومن تصوّف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق»:

إنّه ينتقد أتباع الظاهر من رجال الدين المنكرين للحكمة ولطائفها، الذين لا يميّزون بين الرأي والإستحسان وبين الإجتهد، وقد قصرُوا علوم الدين على الفروع، يؤكّدون على الظاهر دون الباطن، مثلهم كمثل العوام:  
ينتقدون الحكمة وهم لا يعرفون ماهيّتها.  
يقفون عند ظاهر الأحكام ولا ينفذون إلى بواطنها.  
ينتقدون العلم والفلسفة ولا يدركون كنه الحكمة:  
ذلك الطائر القدسيّ الضامى إلى الحقّ.

... المتوجّه أبداً إلى عالم النور الأعلى حيث الجمال والكمال... وهو يخاطب هؤلاء

الجاهلين بقوله:

(١) - مثوي نان وحلوا، القصيدة الثامنة عشر، كليات شيخ بهائي (م.س)، ص ١٣٢.

(٢) - (م.ن)، ص ١٣٢، القصيدة العشرون.

(٣) - مثوي «نان وبيبير»، الخبز والجبن، كليات شيخ بهائي، ص ١٤٤.

إنّ الحكمة هي الكنز المطلوب إن اقتربت بالفقه والزهد. فالفقه زاد السالكين، والزهد تجريد القلب من حبّ غير الله، والتسليم المطلق لإرادة الله، وعدم السرور بمال آتٍ ولا الأسى على نعيم زائل، وإذا كان حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، فإنّ أهل الدنيا وقفوا إزاءها محتارين، وإذا كان حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة فإنّ بين حبّ الشيء والشيء ذاته فرقاً كبيراً كالفرق بين طعم التفاحة وبين شكلها ولونها.

فالطفل لا يتعلّق إلاّ بلونها والعاقل يأكلها لفائدتها.

لذلك فإنّ العقل مدار الأمور كلّها.

أمّا أتباع الظاهر فإنّهم يفضلون النقل على العقل.

والعلماء الحقيقيون هم الذين يخضون النقل لسلطة العقل.

وهو يمثل لهذا الرأي بقصة العابد الذي تفرّغ للعبادة ليل نهار، وابتعد عن اللذات الدنيوية، حتى وصل صيته إلى عليين، فنظر الملائكة في لوح أجره، فإذا أجره قليل حقير، فسألوا ربّ العزّة عن سرّ ذلك فأمرهم أن يقضوا معه وقتاً ليعرفوا السرّ بأنفسهم، فنزل ملك إلى الأرض بصورة آدمي، ليضع عبادة الزاهد على المحكّ، ومن الحوار الذي دار بين الملك والعابد، نعرف أنّ سبب قلّة أجر المتزهد نقصان عقله. لقد كان عقله فاسداً ناقصاً، ولكنّ الفساد ليسا ظاهرين، لذلك كان أجره على قدر عقله، لأنّ مالك الملك عزّ وجلّ خلق لكلّ إنسان عقلاً، وهو يحاسب الناس على قدر عقولهم<sup>(١)</sup>.

ويعرّف البهائيّ العقل أنّه مقتبس نوره من المشكاة الأزلية، وأنّ العقل عين الذات، وهو النور الأعظم، ظاهر بذاته غير محتاج إلى غيره، نوره منبثق من شمس المعرفة، ومهمة نور العقل الداخليّ تنوير القلب، كما أنّ نور الشمس الظاهريّ ينير الموجودات<sup>(٢)</sup>.

(١) - (م.ن)، ص ١٤٨.

(٢) - (م.ن)، ص ١٤٩.

والعقل الإيمانيّ كالحاكم العاقل على مدينة القلب، يظلّ متيقظاً كالحجر في انتظار الفأر، وكما أنّ الفأر لا يستطيع أن يأكل الطحين إلاّ في غياب الهر أو حين موته، كذلك القلب لا يتسلّط على صاحبه إلاّ في غياب العقل، والعقل في الجسد هو الحاكم على مدينة الإيمان والمسيطر على النفس.

والعقل عقلان: عقل مكتسب من التعلّم ومن الكتاب والمعلّم والفكر والعلوم، وعقلٌ هو هبةٌ من الله عزّ وجلّ.

والعقل المكتسب التحصيليّ يشبه السواقي التي تستمدّ مياهها من النهر الكبير فإذا ما سُدّت طريقها لا تجد حيلةً، فيجفّ ماؤها ويصيبها الجفاف، أمّا العقل الذي هو هبة الله عزّ وجلّ، فإنّه في داخل الإنسان كالينبوع الذي لا يجف ولا يأسن، وعلى الإنسان أن يفتش عنه في داخله.

ويخاطب البهائيّ الإنسان بقوله: اجتهد لتكون سيّد العقل والدين، لأنك بعيداً من سلطة العقل تظلّ كالخفّاش شقيّاً في ظلمة الجسد... إنّ العقل هو الذي يقيد الشهوات. وكما أنّك تُخضع المعادن للنار لتميّز الذهب من غيره، كذلك يجب أن تخضع النقل والروايات لسلطة العقل لتمييز الصحيح من السقيم...

بالعقل يتمييز الإنسان من الحيوان، ومَنْ أصبح ولم يتفكر في شؤون الخلق وشجونهم، فهو كالأنعام بل أضلّ سبيلاً.

إنّ التفكير في أمر الدين أفضل من عبادات السنين.

فالنفس التي تتفكر وتعتبر، تدبر أمر علاجها بنفسها، بتقوى القلب والصلاح الفعليّ، وبالتفكّر وأخذ العبرة...

إنّ الجهال وحدهم هم الذين يعبدون الله من طريق العادة، وهم إمّا يهدفون إلى خداع العوام وتجميعهم حولهم، أو من أجل الدنيا هم يسعون<sup>(١)</sup>.

(١) - «نان وپنير» الخبز والجبن، (م.س)، ص ١٥٢.

إنَّ العبادة طمعاً بالجنة هي عبادة العبيد، أمَّا العبادة الحقيقية فهي العبادة التي لا مقايضة فيها.

إنَّ العبادة طمعاً أو خوفاً هي عبادة الجهّال: وهذا هو إسلام العوام: إنَّها مرحلة تلت مرحلة عبادة الأوثان، ولم يصل هؤلاء بعد إلى الإسلام الحقيقي<sup>(١)</sup>...

خلاصة القول إنَّ بهاء الدين العامليّ قاد الصراع الفكريّ في إيران على جبهتين: أولاً: مواجهة الفقهاء القشريين الجامدين المعجبين بالظواهر، المنكرين للتصوّف والعرفان والذوق، الذين وقفوا تعاليم الدين على بعض المسائل والطقوس، وأعرضوا عما هو جوهر الإسلام وتجاهلوه، الذين استغلّوا مناصبهم الدينيّة للشهرة والغنى والجاه، واستغلّوا زبّهم الخاصّ وسلطتهم المعنويّة للتأثير في العوام، وهم المفتونون بظاهر الدين، وقلوبهم خالية من العرفان.

ثانياً: مواجهة متصوّفة عصره الذين يدعون إلى الباطن دون الظاهر، والذين بالغوا في بعض الطرائق الصوفيّة، وبعض الممارسات وتظاهروا بالتقوى والزهد، ولم يكن لباسهم موافقاً لسرائرهم، وطغت عندهم الطرق والشكليات على أساليب النظر الفلسفيّ العميق، وانتهى التصوّف على أيديهم، لا سيّما في زمن الصفويين - حيث كان للتصوّف تأثير شديد في العامة، الذين يتعلّقون عادة بالخوارق والكرامات - إلى تقاليد وطقوسٍ شكليةٍ خالصة، وقد انتقدهم البهائيّ في مثنويّاته الفارسيّة وفي قصّة «موش وكربة» (الهر والفأر) لأنّهم أعرضوا عما هو جوهر الإسلام وتجاهلوه، ورأى أنّ التوكيد على الباطن، لا يعني مطلقاً النسخ الخالص البسيط للشريعة ولحرفية النصّ وظاهره، وإنّما يعني أنّ الشريعة، إذا تجردت من الحقيقة ومن الباطن، لا يبقى منها سوى جدول التعاليم والمعتقدات، بدل أن تظلّ منفتحة لنشأة المعاني الجديدة. هي دعوة لإقامة التوازن بين الحقيقة والشريعة، بين الظاهر والباطن.

(١) - (م.ن)، ص ١٥٣.

## أهم المصادر والمراجع:

- (١) الحبل المتين للشيخ البهائيّ: منشورات مكتبة بصيرتي، قمّ، إيران، لا.ت.
- (٢) الكشكول للشيخ البهائيّ: طبعة الأعلمي، ثلاثة أجزاء، ط٦، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، بيروت.
- (٣) كليات آثار وأشعار شيخ بهائي (بالفارسيّة) تقديم سعيد نفيسي، تهران، ١٣٦١ش/١٩٨٢م.
- (١) الإسلام وإيران، مرتضى مطهري، تعريب محمّد الهادي اليوسفيّ، دار التعارف، دار التبليغ، ١٤٠٠هـ.
- (٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، طبعة جديدة، د. حسن الأمين، دار التعارف لا.ت.
- (٣) خلاصة الأثر: للمحبي، الجزء الثالث، مكتبة خياط، بيروت، لا.ت.
- (٤) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا للخفاجيّ، ت. عبد الفتاح الحلو، عيسى... الحلبيّ، لا.ت.
- (٥) روضات الجنات للخوانساريّ، المكتبة المرتضوية، طهران، لا.ت.
- (٦) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، لابن المعصوم، المكتبة المرتضوية، لإحصاء التراث، طهران، لا.ت.
- (٧) الغدير في الكتاب والسنة، لعبد الحسين الأمينيّ النجفيّ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لا.ت.
- (٨) قصص العلماء، التنكابنيّ، المكتبة المرتضوية، طهران، لا.ت.
- (٩) مستدرك الوسائل، للطبرسيّ، ت. آغا بزرك الطهرانيّ، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران، سنة ١٩٨٣م.
- (١٠) بهاء الدين العامليّ «أديباً وفقهياً وعالمًا». دلال عباس، ط. دار المؤرّخ العربيّ ٢٠١٠م.

المراجع الفارسيّة:

- (١) إيران در «زمان صفويه» أحمد تاج بخش، تبريز ١٣٤٠ ش [١٩٦١ م].
- (٢) تاريخ أدبيات إيران از آغاز صفويه تا زمان حاضر: أودارد براون-ت. رشيد ياسمي، چاب دوم، تهران ١٣٢٩ ش [١٩٥٠ م].
- (٣) تشكيل شاهنشاهي صفويه، نظام الدين مجير شيباني، انتشارات دانشگاه تهران/١٣٤٥ ش [١٩٦٦ م].
- (٤) زندگانی شاه عباس أول، نصر الله فلسفي:
  - أ- جلد أول، چاب أول تهران ١٣٣٤ ش [١٩٥٥ م].
  - ب- جلد دوم، چاب چهارم تهران ١٣٤٧ ش [١٩٦٨ م].
  - ج- جلد سوم، چاب دوم تهران ١٣٤٥ ش [١٩٦٦ م].
  - د- جلد چهارم، چاب دوم تهران ١٣٤٦ ش [١٩٦٧ م].
  - ه- جلد پنجم، چاب أول، تهران ١٣٥٢ ش [١٩٧٣ م].
- (٥) فرهنگ فارسی، محمد معین، لغت نامه، چاب ششم ١٣٦٣ ش [١٩٨٤ م].

# التصوّف والعرفان عند الشيخ البهائي.. مقارنة أولية

## د. حبيب فياض<sup>(١)</sup>

لا يحضر العرفان عند عالم ما إلا ويصبح المحور في حياته العامة والخاصة، مهما تعددت إهتماماته وإنجازاته. وهذا هو حال بهاء الدين العاملي الذي لا يمكن الإقتصار في تصنيفه على أوصاف من قبيل العالم، الشاعر، الفقيه، الفلكي، و... بل يمكن أن ينطبق عليه أنه العارف السالك، باعتبار أن الحق تعالى بالنسبة له موضوع المعرفة ومصدرها في آن، مهما تعددت موضوعات هذه المعرفة ومسائلها. كما أن الوصول إلى الحق تعالى من خلال السلوك هو الطريق الذي اختاره في حياته رغم إهتمامه بالمعارف العقلية والنقلية والتجريبية. بمعنى أن العشق الإلهي بات عند الشيخ البهائي هو المحرك الأول إلى الخوض في أنواع المعرفة والموجه الأوحد إلى شتى مجالات الحياة. يقول الشيخ: العلم الحقيقي هو علم العشق وما عداه تلبيس إبليس الشقي<sup>(٢)</sup>

(١) الدكتور حبيب فياض هو أستاذ فلسفة اللغة والدين في الجامعة اللبنانية وباحث في الفكر الإسلامي

(٢) (شير وشكر/ القصيدة الأولى).

إذن، كل علم لا ينبع من العشق المفضي إلى الحق لا قيمة له، كما يرى الشيخ البهائي، لأن الباري عز وجل هو المقصد النهائي الذي تنتهي إليه الأكوان والمخلوقات، ولا ريب أن كل معرفة لا تقترن بمعرفته تعالى والإقتراب منه، إنما لإبليس دخالة فيها. لأن المخلوقات والأشياء كما يقول الحكماء تسير إليه تعالى بالطبع، معرفياً وعملياً، وعدم الوصول يقتضي وجود المانع كما يرى البهائي. فالعشق يحصل على كل شيء من شؤون المعرفة، فيما من يخلو قلبه من العشق افتقد إلى لب المعرفة وجوهرها.

### أصالة التصوف عند البهائي:

نزعة التصوف والعرفان عند الشيخ البهائي لا يمكن اعتبارها مجالاً معرفياً اشتغل عليه إلى جانب المعارف الأخرى. بل هي الإطار العام التي تشكلت فيه رؤيته الكونية والوجود. العرفان، إلى جانب الفلسفة، هو العلم الوحيد الذي يدعي امتلاك رؤية كونية شاملة يفسر من خلالها العلاقة بين الله والعالم والإنسان. غير أن معرفة الفلسفة في هذا المجال محدودة لكونها تتبع المنهج العقلي، فيما العرفان أكثر عمقاً وإيغالاً في الغيب لأنه يتبع طريق المشاهدة القلبية والمجاهدة السلوكية. وكما إن الفلسفة لدى أصحابها هي أم العلوم بوصفها أكثر كليّة وتمتلك حق الرقابة على العلوم وموضوعاتها، كذلك العرفان هو سيد المعارف الذي يضي الغاية على كل معرفة من خلال جعل الحركة فيها تجمع بين ما لأجله الحركة إلى جانب ما إليه الحركة. فالعرفان، عنده، لا يلغي المعارف الأخرى، بل يتكفل بجعل هذه المعارف تتمحور حول الحقيقة المشهودة عن طريق العشق والمجاهدة.

ومن الواضح أن الشيخ البهائي ينحاز إلى السلوك القلبي على حساب النظر البحثي، وهو ينحاز إلى القلب في جدليته مع العقل.. بمعنى أن اشتغاله في المعقول لم يكن على

## د. حبيب فياض

نحو منعه من اتخاذ العرفان إطاراً معرفياً شاملاً تتبثق منه رؤية كونية شاملة. (١)

أيها القوم الذي في المدرسة كل ما حصلتوه وسوسه فكركم أن كان في غير الحبيب ما لكم في النشأة الأخرى نصيب فاغسلوا بالراح عن لوح الفؤاد كل علم ليس ينجي في المعاد غير أن التصوف عند الشيخ البهائي اختلف عما هو موجود عند غيره من الصوفية.. إلى حد قد يجوز معه الحديث عن تصوف بهائي في بصمة الشيخ الخاصة. اشترك من خلاله مع الصوفية الآخرين بإشراقات التصوف لكنه ابتعد فيه عن كل ما هو من الشوائب التي لحقت بأراء الصوفية وأفعالهم. بمعنى أن البهائي قد عمل على إصلاح التصوف وتقديم نموذج صوفي لا من خلال الشطح أو الإصلاح المقتصر على النظريات بل من خلال تقديم نموذج صوفي تطبيقي يقوم على التوازن في فهم تعاليم الإسلام ومجالاته.

إن من التجلي العظيم للتصوف ارتباطه بمجموعة من المعارف الدينية والدنيوية التي يكون منها بمثابة القطب من الرحي، فيصبح الارتباط بالحق ملهماً لكل معرفة إنسانية، ويتحول عندئذ ارتباط العبد رأسياً بربه... وهذا ما نراه مجسداً لدى الشيخ البهائي. ذلك إن التصوف عنده لا يقتصر على سعادة الآخرة بل عمارة الدنيا. وليس هذا النسق الصوفي أصلاً عند المتصوفة بل هو استثناء لم نشهد مثله عند المتأخرين سوى عند الإمام الخميني الذي وظف انشغالاته العرفانية في سبيل بناء دولة عصرية تهتم بشؤون الناس الدينية والدنيوية.

لقد تحول كل نتاج البهائي إلى نص صوفي. أوليس التصوف نوع من السلوك إلى الله عن طريق القلب؟ في أعماله كلها، القلب يحضر كمنهج في المعرفة إلى جانب العقل والتجربة والوحي. بل إن القلب يبدو ها هنا ملهماً في شتى أنواع المعرفة.

(١) كتاب الكشكول (المؤلف بهاء الدين) ج ١ ص ٥٩.

على أن من الضروري في هذا المقام التمييز بين علم الأخلاق والتصوف عنده. اهتمامه بالأخلاق لا يعني كون رؤيته العرفانية مساوية للرؤية الأخلاقية. الأخلاق عبارة عن معرفة القبيح والحسن، نظرياً، وتزكية النفس عملياً من أجل تنظيم علاقة الإنسان بالإنسان. في حين أن التصوف عبارة عن علاقة رأسية تقوم على تزكية النفس بين الإنسان وربّه. بمعنى أن كل مسير صوفي لا بد وأن ينطوي على الأخلاق، ولكن ليس بالضرورة أن كل منظومة أخلاقية ترتقي بالضرورة إلى مصاف التصوف. على أن محورية الحقيقة عند البهائي التي يصبو إليها العارف المدفوع بالعشق، لا تتأتى إلا عن طريق الموت/ الوصول. لأن الموت بالنسبة للعارف ليس انتهاءً بل ذروة الوصال والتلاقي. إنه كشف عن كل الحجب التي تحول بين العاشق والمعشوق وبالتالي تتحول العلاقة مع الموت من علاقة خوف إلى علاقة راحة. يقول:

إن هذا الموت يكرهه كل من يمشي على الغبرا

وبعين العقل لو نظروا لرأوه الراحة الكبرى<sup>(١)</sup>

إذن، أصالة المعرفة العرفانية عند البهائي تتجلى من خلال جعله كل المعارف مستمدة من هذه المعرفة وخاضعة لمعاييرها وضوابطها. كل علم لا يقوم على تزكية النفس والقرب إلى الله، لا يؤتي أكله، وكل معرفة سامية بشؤون الحق تعالى تستدعي المعرفة أيضاً بكل ما دونها من معارف. المعرفة العرفانية هي الأشمل والأعمق، بخلاف الفلسفة التي تتصف بالشمول من دون أن تتصف بالضرورة بالعمق الذي يتصف به العرفان. شمولية التصوف عند البهائي انطلاقاً مما تقدم، إذا كان العرفان يمتلك رؤية شمولية تقوم على مقارنة الحقيقة إزاء الكون والإنسان والعالم، فإن ذلك يستدعي اشتغال العرفان على أدوات المعارف الأخرى ومضامينها، من دون أن يكون متضارباً معها كما يحلو للبعض أن يتصور. وحتى الفلسفة التي يحاول البعض أن يجعل قطيعة

(١) (الكشكول/ أعلمي/ ج ١ / ص ٢٩).

## د. حبيب فياض

بينها وبين العرفان هي من الممكن أن تكون من مكونات المعرفة العرفانية. وذلك باعتبار وحدة الحقيقة وتعدد سبل الوصول إليها.

على هذا الأساس، يمكن أن نصف النزعة التصوفية العرفانية عند البهائي بالشمولية على قاعدة المصالحة التي أقامها بين العرفان والمعارف الأخرى أولاً. وعلى أساس كليانية العرفان التي تتيح له الإنطواء على المعارف الأخرى نظراً لكون موضوعه أعم الموضوعات ويشتمل على موضوعات العلوم، كما هو الحال مع الفلسفة التي يشتمل موضوعها على موضوعات العلوم الأخرى.

فالجمع بين القلب بوصفه المكون الأساسي للمنهج العرفاني والعقل بوصفه المكون الأساسي في المنهج الفلسفي، هذا الجمع نجده واضحاً في المنهج المعرفي عند الشيخ البهائي. ولكن من الواضح أن مكانة القلب عنده أعلى شأنًا، فهو يجعل العقل في خدمة القلب. بمعنى أنه يُعلي من شأن القلب على العقل، بحيث يتحول العقل عنده إلى آلة في الإستدلال أكثر مما هو آلة في إنتاج المعرفة. بمعنى أن الحقائق التي كان يكشف عنها من خلال القلب كان يبرهن عليها ويقدمها للعوام من خلال العقل. وهذا أيضاً ديدن تلميذه الملا صدرا الذي اشتغل على هذا النحو في العديد من القضايا وخاصة في مسألة أصالة الوجود، يقول البهائي:

يجب أن يكون الظاهر والباطن واحداً حتى تجد طريق الحق ولو قليلاً<sup>(١)</sup>  
لا يخفى أن الظاهر بلغة العرفاء هو ما يمكن إدراكه عن طريق العقل، بينما الباطن ما يمكن إدراكه عن طريق القلب. ومن المسلم به بين أهل الاختصاص إن العقل لا يستطيع التوغل والوصول إلى حيث يصل، وإن كان ذا حجية وبرهان. بخلاف القلب الذي يخرق حجب المعرفة ولكنه يخلو من الحجية التي يمكن أن يلزم بها الآخرين.

(١) (مثنوي، نان وحلوا/القصيدة الثالثة).

فمن الطبيعي ألا يبقى الشيخ البهائي في حدود الظاهر في تعاطيه مع الدين، وقد عرف أولاً من نهج الإمام علي عليه السلام، ومن الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام، وكانت «مناجاة المحبين» للإمام السجاد عليه السلام من أوائل النصوص التي كان يعلمها لتلامذته، وهذا النص يعد من أوائل النصوص العرفانية في التراث الإسلامي، وقد نهل أيضاً من ذلك التراث العرفاني الفارسي الذي امتد قروناً<sup>(١)</sup>..

يخرج الشيخ البهائي من ثنائية العقل/ القلب. وبمعنى آخر يقلص الفاصلة بين الفلسفة والتصوف. بين البحث والذوق. بين الشهود والمشاهدة. هو لا يدمج بينهما لكنه يعقد صلحاً بينهما. والدمج جاء فيما بعد على يد تلميذه ملا صدرا الذي استطاع أن يؤسس لمنهج عبر مناهجي يجمع بين العرفان والبرهان والقرآن. وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول بأن المخزون المعرفي لدى الشيخ البهائي قد استوطن في نتاجات تلميذه صدر المتألهين. إن معرفة الذات في الإطار العرفاني هي الخطوة الأولى نحو معرفة الله والعالم. معرفة الذات بمعنى تهذيبها وتقويمها وتزكيتهما وتجهيزها للإنطلاق في السفر نحو المقصد. ومعرفة كل ما يتجلى فيها من شؤون المعشوق وصفاته. فمن عرف نفسه فقد عرف ربه، بخلاف الفلسفة التي لا يستوجب الخوض فيها سوى إعداد العقل وتجهيزه بقواعد المنطق والبحث من دون ضرورة الاقتراب من النفس وتهذيب أحوالها.

### إصلاح التصوف عند البهائي

ثمة تعريفات كثيرة للتصوف. غير إن التعريف الأكثر انسجاماً مع رؤية البهائي إلى الإنشغال بالسير والسلوك هو:

علم يبحث فيه عن الذات الأحادية، وأسمائه وصفاته، من حيث إنها موصلة لكل من مظاهرها، ومنوياتها إلى الذات الإلهية، وموضوعة الذات الأحادية ونعوتها الأزلية،

(١) (دلال عباس/ العاملي/ ص ٦٠٤).

## د. حبيب فياض

وصفاتها السرمديّة، وبيان مظاهر الأسماء الإلهيّة والنعوت الربانية، كبتيّة رجوع أهل الله تعالى إليه سبحانه، وكيفية سلوكهم ومجاهدتهم ورياضاتهم وبيان نتيجة كلّ الأعمال والأذكار في دار الدنيا والآخرة على وجه ثابت في نفس الأمر، ومبادئه معرفة حدّه وغايته واصطلاحات القوم فيه.

استحضرنا هذا التعريف حتى يمكن من خلاله، مقارنة رؤية البهائي إلى التصوف. إذ ليس التصوف بالنسبة له انقطاع عن الدنيا وترك التكاليف الحياتية التي أكد عليها الإسلام. وهذه نقطة في غاية الأهمية، لأنها تتطوي على أمرين. الأول: جعل التصوف معنياً بشؤون الدنيا كما الآخرة، هذا على مستوى التعريف وتحديد الماهية. والثاني: هو إن هذه النقطة تشكل الخطوة الأولى على طريق إصلاح التصوف وإخراجه من حيز الشعوذة والشطح والانحراف والغلو والنفاق والإنعزال وإلى ما هنالك من آفات وشوائب ارتبطت بالمتصوفة أو من يدعون التصوف على امتداد التاريخ.

من هنا، لم يقع البهائي في التناقض عندما مارس التصوف من جهة وانتقده من جهة ثانية.. فهو حاول أن يروج للتصوف السليم، وأن يعترض على التصوف المنحرف. وقد كان موفقاً فيما ذهب إليه إلى أقصى الحدود.

لقد وقع التصوف على مدى التاريخ الإسلامي ضحية بين من رفضه بالكامل ومن أخذه بهناته وانحرافات. في حين أن تعامل البهائي مع التصوف كان اعتدالياً فنبذه بمقدار ما كان انحرافياً. وتمسك به ما دام صحيحاً إلى حد اعتباره الأصل في الوجود والنظرة إليه:

كل ما كان في العالم كان ليلى نحن لا نرى فيه غير ليلى<sup>(١)</sup>

لا يخفى أن ليلى ترمز إلى المعشوق والرؤية إليها ترمز إلى الرؤية إلى الحياة والوجود.

(١) (نان وحلوا/القصيدة الرابعة).

في المقابل هو خالف الصوفية المنحرفة وحاول إصلاحها والتصدي لشطحاتها من خلال ما نسب إليه في كشكوله من حديث للنبي ﷺ فيه ذم للصوفية: لا تقوم الساعة على أمّتي حتى يخرج قوم من أمّتي إسمهم صوفيّة ليسوا منّي أنهم يهود أمّتي يحلقون للذكر ويرفعون أصواتهم بالذكر، يظنون أنهم علي طريق الأبرار بل هل أضلّ من الكفار وهم أهل النار، لهم شهقة كشهقة الحمار وقولهم قول الأبرار عملهم عمل الفجار وهم منازعون للعلماء ليس لهم إيمان وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عمالهم إلا التعب<sup>(١)</sup>. في معظم نتاجاته يحاول البهائي أن يقوم ويضبط مفهوم التصوف وحركته. لقد مارس البهائي نقده للتصوف المنحرف في كتابه القط والفار (موش وكربه) واعترض عليهم في غلوهم واتخاذ بعضهم للزهد ستاراً. وخالف أقوالهم في وحدة الوجود والحلول والتخلي عن الواجبات الدينية والتصل من الطاعات وواجه متصوفة عصره الذين دعوا إلى الباطن دون الظاهر حيث تحول التصوف وخاصة في زمن الصفيين إلى بضاعة رائجة<sup>(٢)</sup>. ولا بد من التأكيد بأن البهائي كان متمسكاً بالتصوف من خلال الدليل والحجة، وكان بالمقدار نفسه منتقداً حاداً للمتصوفة المنحرفين أيضاً بالبرهان والحجة. وكل ما نراه من دعوة إلى السلوك الصوفي السليم في أشعاره ونتاجاته، نجد ما يقابله بحدة في نقده للتصوف المنحرف في أمكنة أخرى وخاصة في القط والفار.

يعتبر البهائي أن التدين التقليدي لا يؤدي بالفعل إلى حقيقة التدين، ويدعو إلى كسر التقاليد التي درج عليها التقليديون من المتصوفة. فالعبادة الحقيقية عنده هي التي يكون دورها قهر النفس وتربيتها. والإقبال على العبادة يجب أن يكون كلياً وظاهراً وباطناً والذين يعبدون الله من أجل الجنة ليسوا عشاقاً بل طالبو أجر<sup>(٣)</sup>. والذين يسجدون على الحجر رياءً يُضاف إلى ميزان أعمالهم، ولا بدّ من قتل بقرة النفس في

(١) (الحر العاملي/رسالة الإثنى عشرية/ص٣).

(٢) (دلال عباس/ص٦٠٥).

(٣) (جواهري، رباعيات، ص ٨٢).

سبيل الوصول إلى حياة سعيدة<sup>(١)</sup>.

الصوفيّة السليمة عند البهائي هي التي تنطوي على اعتدال في الجمع بين الظاهر والباطن، بين الشريعة والطريقة، بين الدنيا والآخرة، و... وليس أدل على ذلك من حياته التي حفلت بعمارة الدنيا على أساس من التقوى ومصلحة العباد وفي الوقت نفسه عدم الغرق فيها على أساس أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن الآخرة خير وأبقى. التصوف وفق رؤية البهائي عبارة عن سلوك عرفاني ينم عن شعور رفيع يسمو بالإنسان إلى أجواء الصفاء النفسي، والإبتعاد عن هذا العالم المادّي الزاخر بكلّ رذيلة وشهوة دنيويّة.

ويجب الإعتراف بأنّ تصحيح حركة الإنحراف في التصوف من قبل البهائي والتي انتشرت مفاهيمها في النصف الأوّل من القرن التاسع الهجري لم تكن منفصلة عن إيمانه واعتقاده بمذهب التشيع. بمعنى أنه اتخذ من التشيع معياراً في تقويم حركة الصوفية إلى حد يمكن القول معه إن التصوف الشيعي قد تبلور ونضج على يديه وهو المعروف عنه حبه وولاهه لأهل بيت النبوة.

بمعنى آخر، إن علاقة الشيخ البهائي الروحية والمعرفية بأهل بيت النبوة، ساهم إلى حدّ كبير في بلورته لتصوف سليم، حتى أن السياحة التي عُرِفَتْ عنه كان يُمضي قسطاً كبيراً منها في زيارة الأماكن المقدسة حيث شكّلت له معيناً روحياً لا ينضب في مسيرته المعنوية والسلوكية. وذلك تجلّى بشكل كبير في أشعاره، حيث يتضح أنه كان يتخذ من أضرحة الأئمة عليهم السلام واسطة في الوصول إليهم، ليتخذ منهم واسطة أخرى في الوصول إلى الله. فها هو يمدح مقام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف:<sup>(٢)</sup>

(١) (نان وحلوق ٨٠ / ص ٥٠).

(٢) (خلاصة الأثر / جزء ٢ / ص ٤٥٤).

يا مَنْ ظلم النفس وأخطأ وأسى هذا حرم يفكّ عنك الدنس  
هذا حرم مقدس يخدمه جبريل وميكال صباحاً ومساءً  
فزيارة ضريح المعصوم تدفع إلى «التخلية» على الطريقة السلوكية من خلال ما  
اسماه «فك الدنس»، فيما هذه الزيارة تمهد أيضاً إلى العروج والإتصال بعالم الملكوت  
نظراً لوجود الملائكة التي تقوم على خدمة الحرم وزواره.

### المصطلح والتعبير الصوفي عند البهائي

يرقى الأسلوب الأدبي عند الشيخ البهائي، إلى حد المنهج اللغوي الذي يعكس طريقتة  
في التعبير. اللغة عنده ليست مجرد أداة اتصالية، بل هي في ذاتها أمر مطلوب بذاته  
بوصفها البنية التعبيرية، في منظومة التصوف التي آمن بها. الكلمة عند المتصوفة  
مرتبطة بالكينونة المنبثقة من كلمة كن التي تعبر عن الإرادة الإلهية وبها كان الكون.  
فقدسية الكلمة تتجاوز كونها وسيلة في إيصال المراد إلى كونها حالة خلقية من مراتب  
الوجود.

النسق الشعري عند الشيخ البهائي سواء ما كتبه بالفارسية أو بالعربية، إنما هو  
محكوم للنمط الصوفي الذي يقوم على إظهار مكنونات الإنسان السامية التي تربطه  
بخالقه. وذلك رغم ما نجده من أسلوب تعليمي أو علمي في نتاجاته، بحيث ما من معنى  
يمكن الوقوف عليه في هذه النتاجات إلا ومنبعه أو مردوده إلى التصوف والعرفان.  
وهذا ما يؤكد ما ذكرناه سابقاً من أصالة العرفان عنده حيث جعله حاكماً على كل  
منظومته العلمية والمعرفية.

لقد كان البهائي بارعاً في تطويع اللغة لتكون بخدمة التصوف والعرفان. ثمة ما  
يشبه تماهيهما معهما. وكل نتاجاته العرفانية التي عبر عنها شعراً يمكن اعتبارها  
تضاهي أعمال أئمة العرفان والتصوف من أمثال الرومي وأبن عربي والحلاج.

## د. حبيب فياض

ما يميز الشعر الصوفي عند كل المتصوفة، هو أن البنية السطحية للعبارة عندهم إنما هي بنية بسيطة خالية من التعقيد اللفظي والفظلكة. لكن القوة والجذب يكمنان في البنية العميقة للعبارة والتي تتصف بدرجة عالية من العمق والسحر والجازبية. البنية السطحية تستند على النحو التقليدي بينما البنية العميقة يكمن فيها نحو توليدي (إبداعي). وهذا ما نجده بامتياز عند البهائي حيث لا مفردات هجينة ولا فذلكات لغوية ولا تعقيدات لفظية ولكن رغم ذلك ثمة قوة جاذبة كبيرة تحرك الكلمات في أشعاره. ثمة رسالة ينجح في إيصالها بسبب صدق الطوية وصفاء الروح و بساطة التعبير و عمق المضمون فيغدو المضمون الروحي عنه دالاً، أولاً وبالذات، على المدلول اللغوي، ثانياً وبالتبع، يقول:

أيها اللاهي عن العهد القديم أيها الساهي عن النهج القويم<sup>(١)</sup>

نحن بإزاء وقع تعبيرتي يقوم على انعكاس الموقف بحيث يبدو المعنى مشيراً إلى اللفظ.. المعنى يستقر بالذات أولاً، ثم لا تلبث النفس أن تلتفت إلى اللفظ الذي استحضر هذا المعنى، فتصبح قيمة اللفظ مستتعبة إلى القيمة المعطاة إلى المعنى. وهذا ما يميز أفهم اللغوي في إطار التصوف حيث إن معنى المعنى لا شيء سوى التحقق الوجودي للشيء وليس مجرد مفهوم أو إشارة أو مصداق، على ما درجت عليه الأقوال في نظريات المعنى.

كذلك المصطلح عنده، يرتبط بالمنهج اللغوي التعبيري، المصطلح عنده يخضع لبيئة ناجحة من خلال استخراجه من حقله اللغوي التداولي وإدخاله في عالم من السير والسلوك. يشهد المصطلح عنده ارتقاءً من الناسوت إلى الملكوت. ومن الطين إلى الروح، ومن الأفلاك إلى العقول...

(١) (نان وحلوا/ القصيدة الأولى).

إن قاموسه العرفاني يزخر بمصطلحات مع دلالاتها في إطار حقولها اللغوية مع قدرة هائلة على تحميلها المعنى الذي تشير إليه من خلال التبادر والمجازات المعنوية إذا صحّ التعبير، بمعنى أنه يعمل على المصطلح لنقله من حيز المعنى إلى حيز الدلالة. المعنى يرتبط باللغة والدلالة ترتبط بالمعرفة. المعنى يرتبط باللفظ والدلالة ترتبط بالمدلول. وفي أشعاره العرفانية لا معنى لديه مجرد عن الحق تعالى، ولا دلالة بمعزل عن مدلولها المعشوق. لهذا ارتأينا القول بأن نتاج بهاء الدين العاملي الشعري/ العرفاني، يجسد اتحاداً هائلاً بين اللغة والوجود، كبديل عن ثنائية الذات/ الموضوع في الفلسفة. وللتدليل على صحة ما نقول يكفي أن نعود إلى أي قصيدة كتبها حتى نلمس صحة ذلك. وجدير بالذكر أن الأمر عنده سيان في شعره الذي كتبه بالعربية وأيضاً بالفارسية، غير أن شعره الفارسي أكثر تأثراً بالبيئة الفارسية، التي راج فيها العرفان في عصره أكثر من البيئة العربية.

في الختام، تحتاج دراسة شخصية وأثار الشيخ البهائي من الناحية (الصوفية العرفانية) إلى جهد فائق في سبيل الكشف عن مخزونه في هذا المجال. ذلك أنه كلما كان هنالك حفر أكثر في نتاجاته تم الكشف عن طبقات خبيثة. ولعل الإشكالية الكبرى التي تواجهنا معه أنه لم يكن مقتصراً في نتاجاته على العرفان، مع أنه كان من المتخصصين به ومن أربابه. ذلك أن المجالات المعرفية الأخرى التي خاض بها ضمن حقولها التخصصية، بمقدار ما هي من تجليات شوارق الإلهام لديه، فهي بالوقت نفسه، قد تدفع إلى انصراف الباحثين والمهتمين عمّا أنجزه على طريق السير والسلوك.

## الفصل السابع:

# الشعر والأدب والفن عند البهائي



### الأبحاث:

- دغدغات نحوية عند الشيخ البهائي: د. أكرم محمد نبها.
- شعرية العالم في قصيدة الشيخ البهائي: د. علي مهدي زيتون.
- البهاء في مرآة الكشكول: د. عبد المجيد زراقت.



## دغدغات نحوية عند الشيخ البهائي

(من كتاب كشكول الشيخ بهاء الدين محمد العاملي)

(ت ١٠٣٠ هـ)

### د. أكرم محمد نبها<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشيخ بهاء الدين محمد العاملي (٩٥٣ هـ - ١٠٣٠ هـ) ابن الشيخ حسين بن عبد الصمد الجبعي العاملي (ت ٩٨٤ هـ)، والشيخ حسين من مشايخ جبل عامل العظام « كان فاضلاً، عالماً، أصولياً، مُتكلماً، فقيهاً، مُحدثاً، شاعراً، ماهراً في صنعة اللغز<sup>(٢)</sup>، درّس إلى جانب أستاذه الشهيد الثاني<sup>(٣)</sup> في المدرسة النورية في بعلبك سنة ٩٥٣ هـ، وكان قد حصل على أمر التدريس من اسطنبول في السنة نفسها؛ هاجر إلى إيران الصفوية هرباً من الظلم العثماني.

(١) أستاذ في فقه اللغة جامعة LIU.

(٢) الصدر، حسن (١٢٧٢ هـ - ١٣٥٤ هـ): تكملة أمل الآمل، ص ١٨٢، رقم الترجمة ١٤٥، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ١٩٨٦ م.

(٣) هو الشيخ زين الدين الجبعي العاملي المعروف بالشهيد الثاني (٩١١ هـ - ٩٦٥ هـ) قصد اسطنبول فمُنح إجازة التدريس في المدرسة النورية في بعلبك، فدرّس الفقه على المذاهب الخمسة، قتل في القسطنطينية بتهمة أنه مبتدع، خارج من المذاهب الأربعة، مع أنه كان من أبرز رجال التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وُلِدَ الشيخ البهائي في بعلبك يوم الأربعاء ١٧ ذي الحجة سنة ٩٥٣هـ، وهاجر مع أبيه إلى إيران سنة ٩٥٩ (أو ٩٦٠) للهجرة، فَنَبَغَ وَأَبْدَعَ وَسَحَرَ الألبابَ، ولا غرو أن يكون هذا الشيخُ نابغةَ عصره، وهو الذي نشأ في بيتٍ علميٍّ أدبيٍّ مميّزٍ..

أخذ الأبُ بيدَ الإبنِ وأوصله إلى ذرى المجد في العلم والمكانة والسؤدد، وهو الذي تعهده بالعلم والمعرفة والأدب والدين، وقدّر الله للبهائي علماء صقلوا مواهبه، وتعهدوا ذكائه بالرعاية والإهتمام، وكان لاقتراحه بإبنة شيخ الإسلام الشيخ علي المنشازين الدين العاملي<sup>(١)</sup> قيمةً إضافيةً، فكانت الزوجة عالمةً فاضلةً أدبيةً فقيهةً، وهي وحيدة أبيها، ورثت عنه مكتبة ضخمة عدد كتبها تجاوز الأربعة آلاف في شتى العلوم، ولنا أن نتخيّل العناوين الكثيرة التي اطّلع عليها الشيخ البهائي، بالإضافة إلى اطلاعه على المكتبات العامة والخاصة في إيران بحكم منصبه الرسمي الرفيع.

تكوّنت ثقافة الشيخ ووسّمت روحه بالعلوم العقلية والنقلية ومبادئ السير والسلوك والأخلاق الحميدة، وكان من نتاج ذلك تلك الغزارة والتنوّع في عناوين مؤلّفات البهائي، فقد ألف في الفقه والحساب والأدب والفلك والأصول والعقائد والهندسة والكلام والألغاز..

إصطحب الشيخ حسين بن عبد الصمد ولدُه البهائي إلى هراة سنة ٩٧٥هـ، وفيها ألف البهائي كتاب (الفوائد الصمدية في النحو) لأخيه عبد الصمد، وسماه باسمه، وأتم تأليفه في شوال سنة ٩٧٥هـ، وكان عبد الصمد دون العاشرة من عمره «فتولّى البهائي تدريسه المبادئ، وهو الذي باشر التدريس في هراة سنة ٩٨٣هـ، وكان في حوالي الثلاثين من عمره»<sup>(٢)</sup>

وللشيخ البهائي مؤلّفات وألغازٌ نحويةٌ منها: (الفوائد الصمدية)<sup>(٣)</sup>، (لغز الكافية

(١) الصدر، حسن: تكملة أمل الأمل، ص ٢٨٠، رقم الترجمة ٢٥٦

(٢) عباس، دلال: بهاء الدين العاملي، ص ٢٢٧، دار المؤرخ العربي، بيروت. لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.

(٣) الطهراني، آقا بزرك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ١٦، ص ٣٤٥.

في النحو<sup>(١)</sup>، و (لغز الفوائد الصمدية)<sup>(٢)</sup>، وهذان اللغزان الأخيران مذكوران في (الكشكول) في الجزء الأول صفحة ٢٦٧، وفي الجزء الثالث صفحة ٤٠٨.

وكنْتُ أتمنّى أن أضعَ يدي على مؤلّف البهائيّ (الفوائد الصمدية في النحو) علنيّ أقع على شيءٍ من فوائده وفرائده في علم النحو، بيدَ أنّ الدّكتورة دلال عباس وصفت هذا المصنّف<sup>(٣)</sup> بقولها: «بسَطَ الشيخ البهائيّ بها مطالب النحو ومباحثه المعقّدة، وهو وضعَ هذا المؤلّف حينَ أشفقَ على أخيه الصغير وعلى أتراه وتلامذته من كتب النحو المعقّدة، فأخرج كتاباً في النحو الميسّر، وقسمَ الشيخُ كتابه إلى أبواب سماها حدائق، وقسمَ الحدائق إلى فصول، وفي كلّ فصلٍ مطالب، وفي كلّ مطلب تنبيه وتوضيح إذا اقتضى الأمر، وهذه القدرة على التبويب والتبسيط لا يدركها إلا مَنْ كان معلماً، وكان التعليم بالنسبة إليه حياةً واستمراراً، وفعل تغيير مستقبلتي.. ونحن نرى أنّ هذا الكتاب إذا أعيدَ طبعه بحلّة جديدة فهو يصلحُ لأنّ يدرّس في مُختلف المراحل، لأنّه خلاصة علم النحو وقواعده الأساسية»<sup>(٤)</sup>.

إنّ بحثي ينحصرُ بلُمع نحوية لغوية أوردتها الشيخ البهائيّ في مؤلّفه الموسوعيّ (الكشكول)، وأسَميتها (دغدغات نحوية)، واللفظة استعملها الشيخ البهائيّ أثناء تعليقه على مسألة نحوية، قال: «ولكاتب الأحرف هنا دغدغة..»<sup>(٥)</sup>، وهذه الدغدغات عبارة عن مباحث نحوية ولغوية أو ما إليها الشيخ في كشكوله إيماءات سريعة، فكان يُصحّح خطأً لغوياً وردَ في معجم لغويّ، فيستبعدُ رأيَ صاحبه، من دون أن يعلّل أو يوضّح ذلك، وإنما يكتفي بقوله: «وهو بعيدٌ جداً. فليتدبر بذلك»، أو كان يردُّ رأياً

(١) م.ن: ج ١٧، ص ٢٥٠.

(٢) م.ن: ج ١٨، ٢٣٤ و ١٦، ص ٨٧.

(٣) د. دلال عباس تقول أنّها تملك نسخة من مخطوط (الصمدية).

(٤) عباس، دلال: بهاء الدين العاملي، ص ٢٣٨ وما بعدها.

(٥) العاملي، بهاء الدين محمد: الكشكول، ج ٢، ص ٢٣٥. الدغدغة: الغمز في الإبط، وقد يكون معناها الطعن

(تقول: دغدغ فلانٌ عرض فلان)

نحويًا فيقول «وليس الأمر كذلك»، ثم يورد التصحيح مستشهداً بآيات من القرآن الكريم، وكانت له ترجيحات وتصويبات تتعلق بالغرض من التمييز الرافع للإبهام، فيقول «وربما لا يرفع الإبهام، فقد يكون للتوكيد»، وقد ذبَّ الشيخ عن رأي نحويٍّ للزمخشري ودغدغ النحاة دغدغات خفيفة بإشكالياته، فكان يقوم بتخرجات نحوية منطقيّة فلسفيّة قال عنها هو نفسه أنّها (مُتكلّفة)، وكأنّه كان يأبى إلا أن يُعمل ثقافته الحوزويّة القائمة على الفنّلة (إن قلت قلت)، وقد تبتعدُ تخرجاته أحياناً عن منطِق النحو واللغة لتميل إلى الدرس الأصولي، المنطقي، الفقهي والفلسفي، ولا غرو في ذلك لأنّه شيخ الإسلام المشبع بالثقافة الدنيّة الحوزويّة، فمن الطبيعي أن يستخدم الأقيسة المنطقيّة في الدرس النحوي واللغوي، وربما أعمل قلمه فألغز وأبهم المسائل النحويّة، ولكأنّ قلمه المعتاد على الألغاز، التي برع بها، أبى إلا أن ينغمس في الدرس النحوي، فكان الشرح والتوضيح مني على قدر الفهم والإدراك لألغاز الشيخ.

إنّ تناولي مواد البحث سوف تتدرّج، فأتناول الأمور النحويّة واللغويّة التي استبعد فيها الشيخ رأي بعض النحاة أو خالفهم وصوّب تعريفاتهم، ثمّ أنتقل إلى دغدغات الشيخ للنحاة، وفيها ذبُّ عن آراء نحويّة قال عنها الشيخ نفسه أنّها متكلّفة، وختمتُ البحث بأمور بلاغية أو نحويّة راقت للشيخ فعبّر عن إعجابه بها.

### إستبعاد

أورد الشيخ البهائي في كشكوله كلاماً يستبعد فيه رأياً للفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط في اللغة، قال فيه: «الإنس: البشر، كالإنسان، الواحد إنسي، ج. أناسي. وقال في فصل النون: الناس يكون من الإنس ومن الجن، جمع إنس، أصله أناس، جمع عزيز أدخل عليه (أل)»<sup>(١)</sup>.

(١) راجع: الفيروزآبادي (٧٢٩-٨١٧ هـ): القاموس المحيط، فصل النون.

- العالمي، بهاء الدّين محمد: الكشكول، ج ١، ص ٨١.

ويعقّبُ الشيخ البهائيّ على كلام الفيروزآبادي بقوله: «إنّ كلامَ القاموس صريحٌ في جواز إطلاق الإنس على الجنّ، وهو بعيدٌ جداً. فليتدبر بذلك»<sup>(١)</sup>.  
النّاسُ والبشر والإنس نظائرٌ، وهي الجماعة المتميّزة بالصّورة الإنسانيّة. و(النّاس) أصله (أناس) مشتقٌّ من الأنس ضدّ الوحشة «فالإنسانُ يأنسُ بجنسه لأنّه مدنيٌّ بالطّبع»<sup>(٢)</sup>.

قال سيبويه والفراء: «النّاس أصله (الأناس)، فإذا دخلت الألف واللام قلت (النّاس)، إلا أنّ (النّاس) قد يفارفهم الألف واللام ويكون نكرة (ناس)»<sup>(٣)</sup>.  
إنّ أصل مادّة (النّاس) قد يكون (أنس) أو (نوس)، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «ناس ينوسُ نوساً. وأصل النّاس: أناس، إلا أنّ الألف حذفت من (الأناس) فصارت: ناساً»<sup>(٤)</sup>.

وذهب الكسائيّ إلى أنّ مادّة (النّاس) من (نوس) أو من (أنس) «وهما لغتان، إحداهما أولى من الأخرى، يدلّ على ذلك أنّ العربَ تُصغّرُ ناساً نويساً، ولو كان ذلك الأصل [أي أنس] لقالوا (في تصغيره): أنيس»<sup>(٥)</sup>، «وليس من العرب أحدٌ إلا يقول (نويس)»<sup>(٦)</sup>.

قال البصريّون بمقالة سيبويه، ومنهم صاحب القاموس، ف«(النّاس) عندهم أصله

(١) العاملي، بهاء الدّين محمد: الكشكول، ج ١، ص ٨١.

(٢) الألوّسي، أبو النّشاء شهاب الدين (١٢١٧-١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، عند تفسيره الآية ٨ من سورة البقرة.

(٣) راجع: - سيبويه (١٤٨ - ١٨٠ هـ): الكتاب، ج ١، ص ٣١١، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٩٠م.

- النحاس، أبو جعفر (٣٢٨.٠٠٠ هـ): معاني القرآن، ص ١٠٢، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٥م.

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٠ هـ): العين، ج ٧، ص ٣٠٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م.

(٥) النحاس، أبو جعفر: معاني القرآن، ص ١٠٢.

(٦) سيبويه: الكتاب، ج ٢ ص ١٤٤.

(أناس)، جمعٌ عزيزٌ أدخل عليه (أل)، «ف(النَّاس) بُنِيَتْهَا مُؤَلِّفَةٌ مِنْ (أَل + أَنَاس) «والألف في (أناس) أصليَّةٌ، ثمَّ زيدت عليه (أل) صار الإِسْمُ (الأناس)، ثمَّ كثرت في الكلام، فكانت الهمزة واسطةً، فاستثقلوها فتركوها، وصار باقي الإِسْمِ (الأناس). بتحريك اللام بالضمَّة. فلما تحرَّكت اللام والنون أدغموا اللام في النون، فقالوا: النَّاسُ، فلما طرحوا الألف واللام ابتدأوا الإِسْمَ، فقالوا: قال ناسٌ من النَّاسِ، وهذا تعليل النحويين»<sup>(١)</sup>، وجزم سلمة بن عاصم «أنَّ كلاً من (ناس) و (أناس) مادَّةٌ مستقلة»<sup>(٢)</sup>.

وقالوا: «النَّاسُ قد يكون من الإِنْسِ ومن الجنِّ، وأصلُّه (أناس)، فحُفِّضَ»<sup>(٣)</sup>، وكلامهم هذا يؤكِّد أنَّ (النَّاسِ) «مشتقٌّ من (النُّوسِ)، وهو التَّحرُّكُ، وهو على هذا شاملٌ للملائكة أيضاً، وممَّن صرَّح من أهل اللغة بأنَّ (النَّاسِ) يكون من الإِنْسِ ومن الجنِّ الإمامُ أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي في كتابه (ديوان الأدب)»<sup>(٤)</sup>، «و(الإِنْسِ)، البشر، الواحدُ إِنْسِيٌّ و أَنْسِيٌّ أيضاً»<sup>(٥)</sup>، وهذا يعني أننا نستطيع أن نقول: إِنْسٌ كثيرٌ كما نقول: بشرٌ كثير، ونقول: إِنْسِيٌّ واحدٌ كما نقول: بشريٌّ واحد. وفي الحديث

(١) الأزهرى، محمد بن أحمد (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ): تهذيب اللغة، ج ٢، ص ٨٨، دار الصادق للطباعة والنشر، د.

ت.

(٢) الألوُسي، شهاب الدين (١٢١٧-١٢٧٠ هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، عند تفسيره الآية ٨ من سورة البقرة.

(٣) راجع: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، فصل النون.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد (١٠٠٠ - ٣٩٣ هـ): الصحاح في اللغة، مادة (نُوس)

- الرضى الصفاني، الحسن بن محمد (٥٧٧ - ٦٥٠ هـ): العباب الزاخر، مادة (نُوس)

- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (نُوس)

- ابن منظور، محمد بن مكرم (٦٣٠ - ٧١١ هـ): لسان العرب، مادة (أَنَّس)، ج ١، ص ١٧٠، ومادة (نُوس)،

ج ١٤ ص ٢٨٢، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ١.

(٤) البقاعي، برهان الدين (٨٠٩ - ٨٨٥ هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (يُعرف بـ) تفسير البقاعي، عند تفسيره الآية ١٨ من سورة الأنعام.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٧٠.

## د. أكرم محمد نبها

أنّه نهى عن الحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ يَوْمَ خَيْبَرَ<sup>(١)</sup>، التي تألف البيوت، والمشهور فيها كسر الهمزة، منسوبة إلى (الإنس)، وهم بنو آدم، والواحد إنسي<sup>(٢)</sup>.

مما سبق نستنتج أنّ (الإنس) وجمعه (أناس) أو (النّاس) تُطلق على جماعة النّاس من البشر من ولدِ آدم ﷺ على وجه الحقيقة، فهل يصحّ أن يطلق مثل ذلك على الجنّ على ما ذهب إليه صاحب القاموس واستبعده الشيخ البهائيّ؟

حكى ابن خالويه، قال: «قالت العرب: ناسٌ من الجنّ، وهو مجازٌ، إذ أصلُهُ في بني آدم»<sup>(٣)</sup>، إنّ إطلاقَ (الإنس) على الجنّ ضربٌ من المجاز، وهو استعمال لا وضوح فيه، لأنّ ما يقابل الجنّ (بحسب الإستعمال) هو الإنس، والإستعمال أعمّ، ومن المتبادر إلى الذّهن أنّ (الإنس) منصرفٌ عن الجنّ، وهذا هو المطرّد، وما أوردته بعض المعاجم والكتب الأدبيّة من إطلاق (الإنس) على الجنّ على وجه الحقيقة غير ثابت، ولا دليل عليه، وهو في البشر وأبناء آدم واضح الدلالة، قولهم: ناسٌ من الجنّ أريد به: قومٌ من الجنّ، أو طائفة من الجنّ، تشبيهاً لهم بالإنس، وحملُ الشيء على الشيء إذا اتفقا من وجه جائزٌ، ومثله ما رواه الفراء، قال: «قال بعضُ العرب، وهو يحدث: جاء قومٌ من الجنّ فوقضوا، فقيل: مَنْ أنتم؟ فقالوا: أناسٌ من الجنّ. وقال جلّ وعزّ ﴿قُلْ أُوجِبِ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾<sup>(٤)</sup> فجعل النّصر من الجنّ كما جعلهم من النّاس، فقال جلّ وعزّ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ

(١) سأل محمد بن مسلم أبا جعفر ﷺ عن لحوم الخيل والدواب والبغال والحمير، فقال: حلالٌ، ولكنّ الناس يعافونها، وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن أكل لحوم الحمر الإنسيّة بخبير لثلاث تفتنى ظهورها، وكان ذلك نهى كراهة لا نهى تحريم. ولا بأس بأكل لحوم الحمر الوحشية. (من لا يحضره الفقيه، باب: الحلال والحرام من لحوم الدواب، رقم الحديث: ٤١٩٧)

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٧٠.

(٣) الأندلسي، أبو حيان (٦٥٤ - ٧٤٥هـ): البحر المحيط، عند تفسيره الآية ٨ من سورة البقرة، دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ..

(٤) (سورة الجنّ: الآية ١)

الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا»<sup>(١)</sup> فَسَمَى الرَّجَالَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»<sup>(٢)</sup>، «وذلك أن المعهود في الكلام إذا قيل للناس: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالوا: ناسٌ من بني فلان، فلما كثر ذلك استعملوه في الجن على المعهود من كلامهم مع الإنس، والشئ يُحمل على الشئ من وجه يجتمعان فيه وإن تباينا من وجه آخر»<sup>(٣)</sup>، وعليه يكون قولنا: ناسٌ من الجن مجازاً، والحقيقة: ناسٌ من بني فلان من البشر من ولد آدم.

ثم إنَّ (الإنس) وضع مقابل (الجن)، فكما أنَّ الأوَّل يختص بالظهور والمشاهدة العينية، فإنَّ الآخر يختص بالخفاء وعدم الرؤية، قال الأزهرى: «وأصلُ الإنس والآنس والإنسان من الإيناس، وهو الإبصار، يقال: أنستُه وأنستَه: أي أبصرته، وقيل للإنس إنسٌ لأنهم يؤنسون: أي يبصرون، كما قيل للجن جنٌ لأنهم لا يؤنسون أي لا يرون.. قال نبطويه: سُمِّيَ الْإِنْسِيُّونَ إِنْسِيِّينَ لِأَنَّهُمْ يُؤنسون، أي: يرون، وسُمِّيَ الْجِنُّ جِنًّا لِأَنَّهُمْ مَجْتَنُونَ عن رؤية النَّاسِ، أي: متوارون»<sup>(٤)</sup>.

أقول ما قاله الشيخ البهائي وآخرون أن اللغة العربية أوجدت لفظين لقومين مختلفين، أحدهما (الإنس) وهم جماعة النَّاسِ من قوم البشر من أبناء آدم، وهم يرون بالأبصار، وثانيهما (الجن) وهم قومٌ آخرون متوارون عن الرؤية، لهم عالمهم الخاص المنفصل عن عالم الإنس، ومَنْ يُطلق (الناس) و (الإنس) ويريد منها (الإنس والجن) على حدٍ سواء على وجه الحقيقة فإنَّ رأيه مُجافٌ للحقيقة والواقع ومُستبعد، على ما قاله الشيخ البهائي.

(١) (سورة الجن: الآية ٦)

(٢) الفراء: معاني القرآن، ج ٢، ص ٣٠٢، دار السرور، بيروت - لبنان، د. ت..

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٧٠.

(٤) الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ١٢، ص ٨٩.

## تخطئة:

قال الشيخ البهائي: «زعم قومٌ أن وضع (نعم) و (بئس) للإقتصاد في المدح والذم، وليس كذلك، بل وضعها للمبالغة في ذلك»<sup>(١)</sup>.

إنّ الفعلين الماضيين الجامدين (نعم و بئس) هما لإنشاء المدح والذم، قال الرازي: «(نعم) منقولٌ من قولك: نعم فلانٌ إذا أصاب نعمةً، و(بئس) منقولٌ من بئس فلانٌ إذا أصاب بؤساً، فنقلنا إلى المدح والذم، فشابها الحروف فلم يتصرفا»<sup>(٢)</sup>، واستشهاد الشيخ البهائي على (نعم و بئس) بأيتين قرآنتين تدعّمان رأيه، الأولى قوله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>، والثانية قوله تعالى ﴿وَمَا أُوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبئس المهاد﴾<sup>(٤)</sup>.

في الآية الأولى يُثني الله على نفسه، فهو يمجّد ذاته ويُعظّم صفاته، وفي الثانية يصف سبحانه النار التي توعدّ بها الكفار.

إنّ إعراب جملة المدح أو الذم نمثل له بإعراب قوله تعالى ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾<sup>(٥)</sup>، فقوله تعالى ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾<sup>(٦)</sup> جملة خبرية تامة، و﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾<sup>(٧)</sup> جملة مستقلة سيقّت للمدح؛ ويمكن أن تكون (مولاكم) بدلاً من (الله)، والجملة المدحية خيرٌ، والمخصوص بالمدح مضمّر، أي: (نعم المولى الله ونعم النصير الله)، وكلّ ما كان من حماية هذا المولى ومنّ كان في حفظه كان آمناً من الآفات مصنوناً من المخلوقات.

(١) الشيخ البهائي: الكشكول، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٢) الرازي، عبد القادر: مختار الصحاح، ص ١٦، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢ م.

(٣) سورة الحج: الآية ٧٨

(٤) سورة الرعد: الآية ١٨

(٥) سورة الحج الآية: ٧٨.

(٦) (م.ن).

(٧) (م.ن).

إِنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ (نعم) و (بئس) للإقتصاد في المدح والذم جعل (أل) التعريف في فاعل (نعم وبئس) للإستغراق، لا على سبيل الحقيقة بل على سبيل المجاز، ﴿فَنَعَمَ الْمَوْلَى﴾ (أل) التعريف في (المولى) هي إستغراقية على سبيل المجاز، والمخصوص بالمدح (الله) المحذوف المعلوم<sup>(١)</sup> هو جميع الجنس، لجمعه ما تفرّق في غيره من الكمالات، وجعلت (الله) وجميع الجنس مبالغةً لإستغراقه جميع كمالات جنس المولوية، ولم تقصد من ذلك إلا مدحه.

وأما الذين يجعلون (أل) التعريف في فاعل (نعم و بئس) للجنس على سبيل الإستغراق فإنّ (أل) عندهم في (المولى) تفيد الإحاطة والشمول حقيقة لا مجازاً، ويكون الجنس عندهم كله ممدوحاً، وهنا (المولوية)، والمخصوص بالمدح (الله) المحذوف (نعم المولى الله) مندرجٌ تحت جنس المولوية، فيشمله المدح، ويكون المدحُ قد وقع أولاً على الجنس كله على سبيل الشمول حقيقةً (المولى)، ثم على سبيل المخصوص بالمدح (الله)، فيكون المخصوص قد مُدِح مرتين: مرّة مع غيره لدخوله في عموم الجنس، لأنّه فردٌ من أفراد ذلك الجنس، ومرّة على سبيل التخصيص، لأنّه قد خُصّ بالذكر، ولذلك يُسمّى بالمخصوص.

إنّ الغرض من جعل (أل) للإستغراق والشمول على سبيل الحقيقة هو المبالغة في إثبات المدح للممدوح والذم للمذموم، بجعلك المدح والذم للجنس، الذي يكون المخصوص فرداً منه، والجنس يذكر تبيهاً على أنّ المخصوص بالمدح أفضلُ جنسه، وأنّ كلّ فضيلة تفرّقت في جميع الجنس هي مجتمعةٌ في المخصوص بالمدح أو الذم، ويكون مبيّناً المرام من الإجمال في مدح الجنس أو ذمه على سبيل المبالغة.

(١) يجوز أن يُقتصر على ذكر الجنس ويضمّر المقصود بالمدح أو الذم اكتفاءً بتقدّم ذكره، كما جاء في الترتيل ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ سورة ص: الآية ٢٠ أي: نعم العبد سليمان، فحذف إسمه (المخصوص بالمدح) لتقدّم ذكره، وعلم المخاطب به.

وما قلناه في (نعم) نقوله في (بئس) في مثل قوله تعالى ﴿وَمَا أَوْهَمَ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ﴾ فالمخصوص بالذم محذوف، تقديره (وبئس المصير جهنم) فالجنس كله مذمومٌ وهنا (بئس المصير)، والمخصوص بالذم (جهنم) مندرجٌ تحت جنس (المصير البئس)، وتكون (جهنم) قد ذمّت مرتين: أولاً لمدخلها مع غيرها في عموم الجنس، وثانيهما على سبيل التخصيص، لأنه خصّ بالذكر.

إنّ الشيخ البهائي خطأً من يرى أنّ الجملتين الإنشائيّتين غير الطليبتين المركبتين من فعلي المدح والذم قد وضعتا للإقتصاد في المدح والذم، وصحّح أن تكونا قد وضعتا للمبالغة على سبيل إستغراق المدح والذم، فتمدح أو نذم الجنس كله من أجل المخصوص بالمدح أو الذم، ثمّ نخصّص المخصوص بالمدح أو الذم بالذكر، فتكون الإحاطة بهما وشموليتهما حقيقةً لا مجازاً، وهذا معنى المبالغة في المدح أو الذم الذي قصده الشيخ البهائيّ.

### تصويبٌ منطقيّ:

صوّب الشيخ البهائيّ تعريف النحاة للتمييز، فالتمييز عندهم «المراد به رفع الإبهام وإزالة اللبس، والمخاطب ينبّه على المراد بالنص على أحد محتملاته تبييناً للغرض، ولذلك سُمّي تمييزاً وتفسيراً»<sup>(١)</sup>، وتصويب البهائيّ ينطلق من أنّ «التمييز ربّما لا يرفع الإبهام، ومنه التمييز الذي قالوا عنه إنه للتأكيد، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾»<sup>(٢)</sup>، ومقتضى البحث يحتم أن نقدّم مقدمتين، الأولى تتعلق بالتمييز والثانية تتعلق بالتأكيد.

(١) ابن يعيش الموصلي (٥٥٣ - ٦٤٣ هـ): شرح المفصل للزمخشري، ج ٢، ص ٣٦، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠١ م.

(٢) البهائيّ: الكشكول، ج ٢، ص ٢٣٦.

التمييز إسمٌ نكرةٌ يُذكرُ تفسيراً للمبهم من نسبةٍ أو ذات، فالأول نحو (طابَ زيدٌ نفساً) حيث أسندنا الطيبةَ إلى زيد، والمراد تبيان شيءٍ من أشيائه، وهي كثيرة، فجاء التمييز (نفساً) لإبانة نسبة الطيبة إلى زيد، فهو طابَ نفساً لا قلباً ولا لساناً ولا غيرهما.. وأمّا تمييز الذات كقولنا: عندي رطلٌ زيتاً، فإنَّ التمييز (زيتاً) لم يأت لرفع إبهام في الجملة وإنَّما لرفع إبهام (الرطل)، إذ هو مقدارٌ يُوزن به، ويحتملُ أشياء كثيرة من الموزونات كالزيت والعسل والسمن و.. والأسماء المبهمة الدالة على الذات، والتي يأتي التمييز ليزيل إبهامها هي: العدد، المساحة، الكيل، الوزن، وكلّها تحتاجُ إلى إبانته بالأنواع، لأنها تقع على أشياء كثيرة، فإذا قلتَ: (عندي عشرون) إحتمل دنائير ودراهم وعبيداً وغيرها من المعدودات، فوجبَ لذلك إبانته بالأنوع.

وأمّا التوكيد فهو ضربان: لفظيٌّ ومعنويٌّ.

فاللفظيُّ يكون بتكرار اللفظ، كقولك: ضربتُ زيداً زيداً، أو بتكرير الجملة فتتأكدُ الجملة بأسرها، كقولك: ضربتُ زيداً ضربتُ زيداً.

وأمّا التوكيد المعنويُّ فيكون بألفاظٍ محدّدة، ك(نفسه، وعينه، وأجمع، وأجمعون، وكلّهم..)، وبها نكرُرُ المعنى دون لفظه، كقولك: رأيتُ زيداً نفسه.

وفائدة التوكيد تكمنُ في تمكين المعنى في نفس المخاطب، وإزالة الغلط في التأويل «فيجعل الأمر مستقراً متحققاً، بحيث لا يُظنُّ به غيره، فيدفع المتكلم ضرر غفلة السامع، أو الظنُّ به الغلط».

وصوبُ الشيخ البهائيّ تعريفَ النحاة بقوله «إنَّ التمييز لا يكون الغرض منه دائماً رفع الإبهام وإنما قد يأتي مؤكداً»، خلافاً لكثير من العلماء، واستشهد على ذلك بقوله تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾<sup>(١)</sup>، ف(شهرًا) تمييزٌ منصوبٌ، بيد أنه لا يرفعُ إبهاماً ولا يزيل لبساً عن العدد (اثنا عشر)، وإنَّما وظيفة التمييز هنا التأكيد

(١) سورة التوبة الآية: ٣٦.

على (عدّة الشهور)، فلو قلنا (إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر) لما أبهم المعنى ولا التبس، لأنّ الذات معروفة، وعليه تكون وظيفة التمييز التأكيد، ومثل ذلك قولك: عددُ صفحاتِ الكتابِ اثنا عشر، فإنّ الذات العدد (اثنا عشر) غير مبهم ولا لبس فيه، والمراد مفهوم أي (اثنا عشر صفحة) لأنّ المضاف إليه (صفحات) أبان المقصود من العدد، وإذا ثبتنا التمييز بعد العدد في مثل ذلك يكون الغرض التوكيد لا إزالة الإبهام واللبس عن العدد، ولو قلنا: (في القرية اثنا عشر) لكان الكلام غامضاً مبهماً لإبهام العدد، فهو يحتمل أشياء كثيرة من المعدودات كـ (بيتاً أو رجلاً أو عيناً...) ويكون التمييز في مثل هذا لازماً وواجباً لإزالة الإبهام عن العدد، لأنّه يقع على أشياء كثيرة. إنّ تصويب الشيخ البهائي له وجهٌ وجيهٌ، والتعديل الذي أدخله على التعريف يلتفت إليه، قال «التمييز ما يصلح لرفع الإبهام» فما كان صالحاً لرفع إبهام المميّز هو تميّزٌ وتفسيرٌ وتبيينٌ، فالتمييز عند البهائي يجب أن يكون صالحاً لإزالة الإبهام أو اللبس، فيكون ضرورياً في الجملة، ومن دونه لا يستقيم المعنى ولا يكتمل، ويكتنفه الإبهام. وقد أعمل الشيخ البهائي حسّه الأصولي في النحو، قال «التمييز هو الشيء الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، على الدليل الثاني»<sup>(١)</sup>، فالتمييز هو الاسم الذي يصلح أن يكون كاشفاً عن العلم بالميّز، ومن دونه يبقى الكلام غامضاً ملتبساً، كما قدّمنا، فالتمييز الذي يرفع الإبهام هو ذلك الاسم الذي لا يتضح العلم بالميّز إن لم يتضح العلم بالميّز، فالأول هو الدال والثاني هو المدلول، على ما ذكر الأصوليون، ومثل ذلك أن بدل البعض من الكلّ قد يجري مجرى التأكيد، وذلك كقولك: ضرب زيد ظهره وبطنه أو يده ورجله، فقد نعرب (ظهره وبطنه أو يده ورجله) بدل بعض من كلّ، ثمّ يستفاد من المعطوف والمعطوف عليه معاً معنى (كله)، فيجوز أن يكون ارتضاعهما على البديل وعلى التوكيد.

(١) م. ن: ج ٢، ص ٢٣٦.

ومثل هذا التوكيد يفيدُه الجار والمجرور كقولك: في الدار زيد قائمٌ فيها فتعيدُ (فيها) توكيداً، قال ابن السراج: «الحرف إنّما يكرّر مع ما اتصل به لا سيّما إذا كان عاملاً، كقوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾<sup>(١)</sup> فجعل (فيها) توكيداً و (ففي الجنة) مؤكّداً»<sup>(٢)</sup>.

إشكالٌ وتخريجٌ متكلّفٌ

ويتعرّضُ الشيخُ البهائيُّ في كشكوله إلى مسألة الفرق بين عطف البيان والبدل، يقول: «الفرقُ الذي أبدوه بين البديل وعطف البيان، رداً على مَنْ لم يفرّق بينهما كالشيخ الرضوي، يُشكّلُ بنحو قولك (جاء الضاربُ الرجل زيد)، مما يمتنعُ جعله بدلاً، كما نصّوا عليه، وذلك إذا قصدتَ الإسنادَ إلى (زيد) وأتيتَ بـ(الضارب) توطيةً، وقد يتكلّفُ بآئه إذا قصدَ مثل ذلك القصدِ لم يجزِ<sup>(٣)</sup> التلفّظُ بمثل هذا اللفظ»<sup>(٤)</sup>، ونحن نقدّمُ لذلك بمقدّمة تتناول البديل وعطف البيان.

البديلُ هو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة بينه وبين متبوعه، فلو قلنا: وضع الإمام علمَ النحو، فإنّ العبارة يشوبها بعض النقص والوضوح المعنويين، إذ تشرّبُ النفوسُ لمعرفة هذا (الإمام) الذي وضع علمَ النحو، ولو قلنا: وضع الإمام عليٌّ علمَ النحو يكون ذلك النقصُ المعنويُّ قد زال، لأنّ (عليّ) المقصود بالحكم ينسبُ وضعَ النحو إليه، ولما جاء البديل (عليّ) قوياً المتبوع (الإمام) وعيّن المراد منه ووضّحه «وأزال التوهّم ورفع اللبس عنه»<sup>(٥)</sup>، ويكون المتبوع (المبدل منه) قد ذكّر توطئةً للبديل ليستفاد من مجموعهما فضلُ توكيد وبيان، لا يكون إذا ذكّر أحدهما دون الآخر. والذي

(١) سورة هود: الآية ١٠٨.

(٢) ابن السراج النحوي، محمد بن سهل: الأصول في النحو، ج٢، ص٢٠، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان، ط٣، ١٩٨٨م.

(٣) في الأصل (لم يجزا) وهو خطأ لا يخفى.

(٤) الشيخ البهائي: الكشكول، ج٢، ص١٧٣.

(٥) ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، ج٢، ص٢٥٨.

عليه الإعتماد من الإسمين. البديل والمبدل منه. هو الثاني، ويذكر الأول توطئةً لبيان الثاني.

وأما عطفُ البيان فهو تابعٌ جامدٌ يخالفُ متبوعه في لفظه ويوافقه في معناه المراد منه الذات، وغرضه توضيح الذات إذا كان المتبوع معرفةً، كقولك: سار الحسين بن علي نحو الكوفة، وتخصيصها إذا كان نكرةً، كقولك: أصغيتُ إلى ما قلتَ فإذا كلمةٌ خطبةٌ استهوت الأفتدة. ف(الحسين) في المثال الأول مشتركٌ بين أفرادٍ متعدّدة، وهو يحتاج إلى مزيد إيضاح وتبيين يزيل عن الذات شائبة الإبهام، والمقصود من (الحسين) و(ابن علي) ذات واحدة، ولكن الثانية أوضحت الأولى مع أنها تخالفها لفظاً لا معنى وذاتاً.. وشبيه ذلك في المثال الثاني، فإن الكلمة (خطبة) خصّصت النكرة التي قبلها بعض التخصيص، وحددت شيوعها وإبهامها بعض التّحديد، والمراد منهما ذات واحدة. ومما تقدّم نستنتج أنّ البديل وعطف البيان يفصل بينهما خيطٌ رفيع لم يره الرضى الأسترآبادي، ولم يفرّق بينهما، قال: «وأنا إلى الآن لم يظهر لي فرقٌ جليّ بين بدل الكلّ من الكلّ وبين عطف البيان، بل لا أرى عطفَ البيان إلا البديل»<sup>(١)</sup>، وأما الذين فرّقوا بينهما من النّحاة فإنّهم قالوا أنّ «البديل يعملُ فيه العامل على تقدير تنحية الأول (المبدل منه)»<sup>(٢)</sup>، فلو قلت: وضع الإمام عليّ علمَ النحو وحذفت (الإمام) وأحلت محلّه (عليّ) لجاز التركيب، فنقول: وضع عليّ علمَ النحو، ولكنه تركيبٌ قد أبهم بعض الإبهام، لذلك نذكر الأول (الإمام) «كالتوطئة والبساط لذكر الثاني»<sup>(٣)</sup>، ويستفاد من مجموعهما فضل بيانٍ ووضوحٍ وتوكيدٍ لا يكون بذكر أحدهما دون الآخر.

(١) الرضى الأسترآبادي، محمد بن الحسن (... نحو ٦٨٦ هـ): شرح الرضى على الكافية، ج ٢، ص ٣٧٩، جامعة قار يونس، ١٩٧٨ م.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٣) م. ن: ج ٢، ص ٢٧٥.

وأما عطف البيان فإنه يوضح أو يخصص الذات نفسها «وهو يكون بالأسماء الصريحة، غير المأخوذة من الفعل كالكُنَى والألقاب، نحو قولك: ضربت أبا محمد زيدا وأكرمتُ خالداً أبا الوليد، بينت الكُنْيَةَ بالعلم، والعلم بالكُنْيَةِ، فعطفُ البيان إنما هو تفسير الأول باسم آخر مرادف له يكون أشهر منه في العرف والإستعمال من غير أن يتضمّن شيئاً من أحوال الذات»<sup>(١)</sup>، وعطف البيان يجري على ما قبله في التعريف، وليس كذلك البديل..

ويتبين الفرق بين البديل وعطف البيان من خلال المثل الذي أورده الشيخ البهائي (جاء الضَّارِبُ الرجلِ زيدٍ)، فالنَّحَاةُ الذين يفرِّقون بين البديل وعطف البيان لا يجيزون اعتبار (زيد) إلا عطف بيان لا بدلاً، واعتباره عطف بيان من المسائل الجائزة معنى ونحواً، لأنَّ (زيد) جرى بالنسبة إلى (الرجل) مجرى الصِّفَةِ وهو متَّسِقٌ مع حدِّ عطف البيان الذي تجري فيه الأسماء الصريحة مجرى الصِّفَاتِ، وإنَّ التابع (عطف البيان) خالٍ من (أل)، والمتبوع مقترنٌ بها مع إعرابه مضافاً إليه، والمضافُ إِسْمٌ مشتقٌّ إضافته غير محضة، نحو ما مثل به الشيخ البهائي (جاء الضَّارِبُ الرجلِ زيدٍ)، ف(الضَّارِبُ) هو العامل في ما بعده، وهو إِسْمٌ مشتقٌّ مضافٌ. (الرجل) متبوعٌ معرفٌّ ب(أل)، ومضافٌ إلى (الضَّارِبِ)، وإضافته غير محضة. (زيد) تابعٌ خالٍ من (أل)، والمتبوع قبله مقترنٌ بها، لذا تحتمُّ إعرابه عطف بيان لا بدلاً.

وعليه، يجبُ إعراب (زيد) عطف بيان لا بدلاً، لأنَّ البديل على نيّة تكرار العامل، وملاحظة وجوده قبل التابع كوجوده قبل المتبوع «لأنَّ حكم البديل أن يقدرَ في موضع الأول»<sup>(٢)</sup>، فالعامل (الضَّارِبُ) في المتبوع (الرجل) لوجعلناه عاملاً للتابع (زيد)، وقلنا: (جاء الضَّارِبُ زيدٍ) لم يجز، لأنَّ فيه فساداً إعرابياً، وسببُ هذا الفساد أنَّ العامل المضاف (الضَّارِبُ) مشتقٌّ مقترنٌ ب(أل)، والمضاف إليه (زيد) غير مقترن

(١) م.ن. ج ٢، ص ٢٧٢.

(٢) م.ن. ج ٢، ص ٢٧٥.

بها، فتمتّع الإضافة غير المحضة في مثل هذا، وتصحّح في مثل قولنا (جاء الضاربُ الرَّجُل) تشبيهاً بـ (الحسنِ الوجهِ)»<sup>(١)</sup>.

تأسيساً على ما تقدّم، فإنّ إشكالَ الشيخ البهائيّ ينطلق من اعتبار (الضارب) توطيةً للبدل (زيد)، فنقول (جاء الضاربُ زيدٌ)، ونعتبر (زيد) بدلاً من (الضارب)، ونستفيد من مجموعهما فضلَ توكيد وبيان، وهذا الأمرُ قاسه الشيخ البهائيّ قياساً خفياً على مثل قولنا (جاء الإمامُ عليٌّ) حيث اعتبرنا «فيما تقدّم» (عليّ) بدلاً و(عليّ) توطيةً وبساطاً له، ومثل هذا الأمر المعنويّ مُتكلّف في مثل قولنا: (جاء الضاربُ زيدٌ)، لأنّه إذا جازَ مثل هذا الأمر المعنويّ فإنّه لا يجوزُ التلفُّظُ بمثل هذا اللفظ والتركيب، أي إنّ أجزأنا المعنى فإنّ التركيب فاسدٌ، فلا نستطيعُ أن نرفع (زيد) على أنّه بدل من (الضارب) بل يجبُ نصبه على أنّه مفعولٌ به لاسم الفاعل (الضارب)، فنقول: جاء الضاربُ زيداً، وكذلك لا يجوزُ التركيب في مثل قولنا: جاء الضاربُ زيدٌ بإضافة (زيد) إلى (الضارب) لأنّ الإضافة بينهما لا تصحّح أن تكون غير محضة كقولنا (جاء الضاربُ الرَّجُل) تشبيهاً بـ (الحسنِ الوجهِ)، وسببُ ذلك أنّ العامل، وهو المضاف (الضارب)، مشتقٌّ مقترنٌ بـ (أل)، والمعمول والمضاف إليه (زيد) غير مقترن بها، ولا يجوزُ تشبيهه هذه الإضافة بـ (الحسنِ الوجهِ)، وعليه يكونُ إشكالُ الشيخ البهائيّ فاسداً نحويّاً وإن كان له وجهٌ معنويٌّ مُتكلّف، والشيخُ البهائيّ نفسه قال: «مثلُ ذلك القصد لم يجزُ التلفُّظُ بمثل هذا اللفظ» لأنّه مما حركات منطقيّة بحته، لا تُسمن ولا تُغني من جوع

علميّ أو نحويّ، ونحن نسعى إلى تسهيل النحو وتيسيره لا تعقيده وتعميته وإلغازه!! ومن التخريجات المتكلّفة محاولةُ الشيخ البهائيّ الذبّ عن الزمخشريّ في قضية نحوية تتعلق بتفسير (ما) في الآية القرآنية ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) م. ن: ج ٢، ص ٢٧٥.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٦.

سياق الآية يتناول نزول العذاب بالذين ظلموا، وقد ذكر سبحانه سببين لاستئصال المجرمين: الأول: تركهم النهي عن الفساد، والثاني: إتباعهم الشهوات الدنيوية، وإيثار اللذات على أمر الآخرة، فكانوا مجرمين.

إعتبر الزمخشري صاحب (الكشاف) أنّ (ما) في قوله تعالى ﴿مَا أَتْرَفُوا فِيهِ﴾<sup>(١)</sup> مصدرية، وعطف المقطع الثاني من الآية ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> على ﴿مَا أَتْرَفُوا فِيهِ﴾، وأوّل المقطعين (إتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين، لأنّ تابع الشهوات مغمور بالآثام)<sup>(٣)</sup>، فهم «اتبعوا في دنياهم ما عودوا من النعيم وإيثار اللذات على أمر الآخرة»<sup>(٤)</sup>، و(ما) المصدرية تُقدّر مع صلتها بمصدر يُعرب بحسب موقعه في الجملة، وتُوصّل بالفعل الماضي والمضارع، لذا أوّل الزمخشري المقطع من الآية بـ(الإتراف وكونهم مجرمين)، ومذهب سيبويه والجمهور أنّ «(ما) المصدرية حرف فلا يعود عليها ضميرٌ من صلتها، وذهب الأخفش وابن السراج وجماعة من الكوفيين إلى أنّها اسمٌ، فتفتقر إلى ضمير، فإذا قلت: يُعجبني ما صنعت فتقديره عند سيبويه: يعجبني صنعك، وعند الأخفش: يعجبني الصنع الذي صنعت»<sup>(٥)</sup>.

إنّ اعتبار الزمخشري (ما) مصدرية في الآية دفع ابن هشام الأنصاري إلى تغليطه بقوله «وللزمخشري غلطة، فإنه جوز مصدرية (ما) في ﴿وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتْرَفُوا فِيهِ﴾ مع أنّه قد عاد إليها الضمير»<sup>(٦)</sup>، وحجّة ابن هشام أنّ (ما) إسمية بمعنى (الذي) وليست حرفاً مصدرية، لأنّ الضمير المتصل في (فيه) يعود على (ما)،

(١) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ٤٢١.

(٤) الفراء: معاني القرآن، ج ٢، ص ٣٠ و ٣١.

(٥) المرادي، الحسن بن قاسم (ت ٧٤٩هـ): الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٣٢٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٢م.

(٦) ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب، ج ١، ص ٤٠٣.

والضماائر تعودُ على الأسماء ولا تعودُ على الحروف..

إنَّ الشيخَ البهائيَّ في كشكوله، وبإشارة لطيفة، أرادَ أن يُخرجَ الزمخشريَّ من غلظته، على حد وصف ابن هشام، فقال: «وقد يُذَبُّ عن جار الله بأنَّ ضمير (فيه) يعودُ إلى الظلم المفهوم من ﴿ظَلَمُوا﴾ في الآية»<sup>(١)</sup>، حيث أرجعَ الشيخُ البهائيُّ الضميرَ في (فيه) إلى معنى (الظلم) المنتزع من الفعل المذكور في الآية ﴿ظَلَمُوا﴾، ولم يرجع الضمير إلى (ما)، وإذا كان ذلك كذلك فإنه لا ضميرَ من اعتبار (ما) مصدريةً، وهي مع ما بعدها في تأويل مصدر واقع في محل نصب مفعول به للفعل (اتبع)، والتأويل (اتبع الذين ظلموا الإتراف) أي: الشهوات المغمورة بالآثام، ويكون المقطع الأخير من الآية ﴿وَكُنَّا مُجْرِمِينَ﴾ جملةً إعتراضيةً، وهي حكمٌ على الذين أترفوا (بأنهم قومٌ مجرمون)، وأهل المعاني أجازوا أن يأتيَ الإعتراضُ في آخر الكلام، وإن كان الأمرُ «لا يخلو من تكلف»<sup>(٢)</sup>، على ما جاء في ذيل ذبِّ البهائيِّ عن الزمخشريِّ، وإذ ذلك لا يلتفتُ إلى قول أبي حيَّان «ولا يُسمَى هذا اعتراضاً في اصطلاح النحو، لأنَّه آخر آية، فليس بين شيئين يحتاجُ أحدهما إلى الآخر»<sup>(٣)</sup>.

### دغدغةٌ ولفزٌ<sup>(٤)</sup>

يقول الشيخ البهائيُّ: «إذا سدَّت (أن) مع معموليها مسدَّ المصدرُ فتحت، وإلا كُسرت، وإن جاز الأمران جاز الأمران»<sup>(٥)</sup>، هذا القول الأخير يُشبههُ أَلغازُ الشيخ التي

(١) الشيخ البهائيُّ: الكشكول، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٢) م. ن. ج ٢، ص ٢٢٨.

(٣) الأندلسي، أبو حيَّان: تفسير البحر المحيط، عند تفسيره الآية ١١٦ من سورة هود.

(٤) راجع: ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري ج ٤، ص ٥٢٦.

الرضي الأسترأبادي: شرح الرضی على الكافية، ج ٤، ص ٢٤٠.

السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج ١، ص ٤٢٨.

(٥) الشيخ البهائيُّ: الكشكول، ج ٢، ص ٢٢٥.

برع فيها، وبعد هذا الإبهام الذي يُشبهه اللغز يدغدغ البهائي النحاة دغدغة خفيفة؛  
أوضح القول (اللغز) ثم أعود إلى الدغدغة.

الحرف المشبه بالفعل (إنَّ و أنَّ) تحتاج إلى اسم منصوب وخبر مرفوع، ووظيفتها  
في الجملة توكيد معناها، والتوكيد معناه تقوية الثابت لا تغيير للمعنى.

وأما (أنَّ) المفتوحة الهمزة فتكون مع جزأها في تأويل المفرد لكونها مصدرية،  
لذا وجب وقوعها موقع المفردات، فتقع مع معموليها جزءاً من جملة مفتقرة إلى فاعل  
أو مفعول أو خبر لمبتدأ أو مضاف إليه.. ولا سبيل للحصول على ذلك الاسم المرفوع  
أو المنصوب أو المجرور إلا من طريق مصدر منسبك من (أنَّ) مع معموليها، كقولك:  
سرّني أنك بارٌّ بأهلك، أي: سرّني برك بأهلك، أو قولك: عرفتُ أنَّ المدنَ مزدحمةٌ، أي:  
عرفتُ ازدحامَ المدن، وقولك: تألمتُ من أنَّ الصديقَ مريضٌ، أي: من مرضِ الصديق  
وهكذا..

وحكم النحاة بكسر همزة (إنَّ) في كل موضع لا يصحُّ أن تُسبَّك فيه مع معموليها  
بمصدر، ومن هذه الجهة يمكن أن تأتي بعد القول، فتكون واجبة الكسر إذا قصدت به  
الحكاية، لأنَّ المحكي بالقول لا يكون إلا جملة، كقول الشاعر (من الطويل):

تُعيرُنا أنَّا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لها: إنَّ الكرامَ قليلٌ  
وإنَّ وُجدَ القولُ ولم تكن محكيّةً بالقول بل كانت معمولة لغيره لم تُكسر، كقولك:  
أيها المعلم، أخصك القول أنك فاضلٌ، أي: لأنك فاضلٌ، فالمصدر المؤول معمول للام  
الجر لا للقول.

و(إنَّ) واجبة الكسر بعد الموصول، كقولك: جاء الذي إنَّه عزيزُ النفس، وتأتي  
دغدغة البهائي على كسر همزة (إنَّ) بعد القول والصلة، يقول: «ولكاتب الأحرف هنا  
دغدغة هي أنه في هاتين وأمثالها يجوزُ سدّها مسدّ المصدر، فإذا قلت: جاء الذي

أنه قائمٌ، كان في تأويل: جاز الذي قيامه ثابتٌ»<sup>(١)</sup>، ودغدغة البهائيّ فيها وجهٌ وجيهٌ، وهي تقوم على جواز فتح الهمزة وكسرها بعد الصّلة على اعتبار أنّ الجملة بعدها لا محلّ لها من الإعراب على كلّ وجه، سواءً كان الأمر كما قدر النّحاة بكسر الهمزة بعد الموصول واعتبار الجملة ابتدائية لا محلّ لها من الإعراب، في مثل قولك: جاء الذي إنّه قائمٌ، أو على تقدير الشيخ البهائيّ من أنّها مفتوحة مؤولة مع معموليها بمصدرٍ مُنسبٍ مأخوذٍ من لفظ خبرها المشتقّ، لأنّ المفتوحة موضوعة لتكون بتأويل مصدرٍ مأخوذٍ من خبرها مضافاً إلى اسمها، كقولك: جاء الذي أنه قائمٌ، أي: جاء الذي قيامه ثابتٌ، وتكون الجملة الإسمية (قيامه ثابتٌ) لا محلّ لها من الإعراب لأنّها صلة الموصول.

ولغز الشيخ: «وإن جاز الأمران جاز الأمران» تفسيره أنّه إذا جاز في (أنّ) السّبك وعدمه جاز الفتح والكسر، ومن الموارد التي يجوز فيها الأمران (الفتح والكسر) إذا وقعت (إنّ) بعد (إذا) الدّالة على المفاجأة. وقد مثّل له الشيخ بجزءٍ من بيت أورده سيبويه كما سيأتي. كقولك: خرجتُ فإذا إنّ سعيداً واقفٌ، من غير توكيد، والفتح على تأويل ما بعدها بمصدر مأخوذٍ من لفظ خبرها يكون مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: فإذا وقوفه حاصلٌ، وقد مثّل لذلك الشيخ بجزءٍ من بيت حكاه سيبويه في كتابه<sup>(٢)</sup> (من الطويل):

وكنْتُ أرى زيداً، كما قيل، سيّداً إذا إنّهُ عبدُ القفا واللّهازم  
اللّهازم: جمع لهزمة، واللّهزمتان: عظمتان نائنتان تحت الأذنين، يريد أنّه ليس سيّداً، وكُنّي عن ذلك بأنّه يُضربُ على قفاه ولهزميته.

وهمزة (إنّ) بعد (إذا) الفجائية يجوز فيها الفتح والكسر، فالكسر على الأصل، لأنّ (إذا) يقع بعدها المبتدأ والخبر، والتقدير: فإذا هو عبدُ القفا، والفتح «لإمكان

(١) الشيخ البهائي: الكشكول، ج٢، ص٢٣٥.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج٢، ص٥٥٢.

التأويل: فإذا عبوديته حاصلةً أو ثابتةً به؛ وهذا معنى قول الشيخ «وإن جاز الأمران جاز الأمران».

### حسّ منطقيّ

يستخدم الشيخ البهائي حسّه المنطقيّ في مبحث المفعول لأجله. والمفعول لأجله «يُذكرُ علّةٌ وعذراً لوقوع الفعل»<sup>(١)</sup>، أو هو «ما دلّ على مراد الفاعل من الفعل»، وعليه فإنّ المفعول لأجله «مصدرٌ قلبيُّ يُذكرُ علّةً لحدث شاركه في الزمان والفاعل»<sup>(٢)</sup> أي أنهم اشترطوا «مقارنته لعامله في الوجود»<sup>(٣)</sup>، ويشرح الشيخ البهائي هذا الشرط بمقولة منطقيّة، يقول: «الظاهر أنّ مراد النّحاة أنّ المتكلم إنّما يصحُّ له النّصب إذا قصد المقارنة خارجاً، إذ لو اشترطت المقارنة في الواقع لكان قولنا: ضربته تأديباً، فلم تحصل التأديب مثلاً، لحناً»<sup>(٤)</sup>.

إنّ العلة الدافعة إلى وجود الفعل قد تتقدّم عليه وجوداً وقد تتأخّر، وإذا كان المفعول لأجله يُذكرُ علّةً وعذراً لوقوع الفعل، فإنّه قد يتقدّم وجوده على وجود الفعل، كما في قولك: قعدتُ جُبناً، فالمفعول لأجله (جُبناً) هو الحامل على الفعل (القعود)، أي إنّ تحقق وجود الجُبْن فيّ سابقٌ وعلّةٌ لتحقيق وجود القعود.

ثمّ إنّ العلة التي دفعت إلى وجود الفعل قد لا تتقدّم وجوداً على الفعل، كقولك: ضربته تأديباً، فالتأديب هو العلة التي دفعت إلى وجود الضرب، إلا إنّ وجود التأديب يكون بعد وجود الضرب لا قبله، وإلا لو إنّ التأديب متقدّم وجوداً على الضرب وقمنا بالضرب كان الفعل عبثياً، لأنّ المراد من الضرب متحقّق قبله، فلماذا يكون؟ وعليه،

(١) ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، ج ١، ص ٤٤٩.

(٢) الغلابيني، مصطفى: جامع الدروس العربيّة، ج ١، ص ٤٣.

(٣) الشيخ البهائي: الكشكول، ج ٢، ص ٢٣٦. والشرط الذي ذكره البهائي أورده ابن معطي بقوله: «المفعول له مصدر لا من لفظ العامل فيه، مقارناً له في الوجود».

(٤) (م.ن): ج ٢، ص ٢٣٦.

نقول: إنَّ الدَّافع إلى الضَّرْب هو التَّأديب، غير أنَّ الضَّرْب محقَّقٌ وجوداً قبل تحقُّق التَّأديب، ويكونُ وجودُ التَّأديب تالياً لوجود الضرب.

إنَّ المفعول لأجله هو الحامل على الفعل، سواءً تقدَّم وجوده على وجود الفعل أو تأخَّر عنه، والتأخُّرُ عنه كقولك: جئتُكَ إصلاحاً لحالك، فـ (الإصلاح) متأخَّرٌ وجوداً عن المجيء، والغرض المتأخَّر وجوده عن وجود الفعل يكونُ علةً غائيَّةً حاملةً على الفعل، فهي متقدِّمةٌ من حيث التَّصوُّر، وإنَّ كانت متأخرةً من حيث الوجود.

وعليه، يكون المفعول لأجله هو العلةُ الحاملةُ على الفعل وليس بمعمولٍ له حملاً على الظاهر، كقولك: ضربته تأديباً، فالظاهر يدلُّ على أنَّ الضَّرْب علةُ التَّأديب، والصَّحيح أنَّ التَّأديب علةٌ حاملةٌ على الضَّرْب.

وبناءً على ما تقدَّم يمكنُ تفسير قول الشيخ البهائي: «المتكلِّم يصحُّ له النَّصب إذا قصد المقارنة خارجاً» أي: إنَّ نصبَ المفعول لأجله يصحُّ لمجرد إمكانِ وقوع العلة الحاملة على الفعل خارجاً، وفي مثل قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾<sup>(١)</sup> فإنَّ (الإملاق) ههنا متوقَّعٌ لا ناجزٌ، وإنَّ القتلَ قد يحصل والفقر لا يحصل، والقتل هنا ليس معلولاً لعلَّة هي الفقر، وإنَّما خشية الفقر دافعٌ وحاملٌ على القتل، فقد يتحقَّق القتل وجوداً ولا يتحقَّق الإملاق وجوداً، فـ (خشية الإملاق) متقدِّمةٌ من حيث التَّصوُّر، وإن كان الفقر متأخراً من حيث الوجود، فقد يوجد وقد لا يوجد، وأمَّا في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> فإنَّ الباعث على القتل هنا هو الإملاق النَّاجز، فالإملاق حاملٌ على القتل، وهو متحقَّقٌ وجوداً مثل تحقُّق القتل وجوداً، وكون الإملاق علةً لقتل الأولاد هو ما تقتضيه (من) التعليلية، فقد جعل الفقر عذراً لقتل الأولاد.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣١.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٥١.

## موافقة وتأيد

يقول الشيخ البهائي: «قد يتصف ما لا يعقل بصفات من يعقل، فيعرب بالحروف»<sup>(١)</sup>.

ولتوضيح ذلك نقول: إن الشيء إذا لابس وخالط آخر من بعض الوجوه أُعطي حكماً من أحكامه إظهاراً للأثر الملازمة والمخالطة، جرياً على قاعدة قياسية عقلية تقول: «الشيء يُعامل معاملة شيء آخر إذا شاركه في صفة ما»، واستشهد على ذلك الشيخ البهائي بقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup> هذه الآية تحدثنا عن رؤيا<sup>(٣)</sup> رآها نبي الله يوسف، وحدث بها والده يعقوب، وهي نزول الكواكب من السماء والسجود له، ويرى المفسرون أن الشمس والقمر هما أبواه، والكواكب إخوته الأحد عشر.

إن (الكواكب) عوملت في الآية معاملة العقلاء، فأعطيت صفة من صفاتهم (السجود) ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾، وهي جملة مستأنفة لبيان الحال التي رآهم عليها، ولما أعطيت صفة من صفات العقلاء أُجري عليها حكماً من أحكام العقلاء في الإعراب، حيث نُصبت (ساجدين) بالياء على أنها حال، وإنما جاز في (الشمس والقمر والكواكب) معاملتها معاملة الجمع المذكر السالم والإعراب بالياء والنون «لأنهم وصفوا بأفاعيل الآدميين، ألا ترى أن السجود والركوع لا يكون إلا من الآدميين، فأخرج فعلهم على فعال الآدميين، مثله ﴿وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾<sup>(٤)</sup>، فكانهم خاطبوا رجالاً إذ كلمتهم وكلموها. وكذلك ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>. فما

(١) الشيخ البهائي: الكشكول، ج ٢، ص ١٠٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤.

(٣) الرؤيا: تصوّر المهني في المنام على توهم الإبصار.

(٤) سورة فصلت الآية: ٤ ﴿وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

(٥) سورة فصلت، الآية: ١٨.

أَتَاكَ مَوَاقِعًا لِفَعْلِ الْآدَمِيِّينَ مِنْ غَيْرِهِمْ أَجْرِيَتُهُ عَلَى هَذَا»<sup>(١)</sup>.

إِنَّ (الكواكب) لَمَّا واقعت فعلاً من أفاعيل الآدميين عوملت معاملتهم في الإعراب، وأجري عليها حكمهم، وهو كثيرٌ شائعٌ في كلام العرب «أَنْ يُلَابِسَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ فَيُعْطَى حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِهِ إِظْهَارًا لِأَثَرِ الْمَلَابَسَةِ وَالْمُقَارَبَةِ»، ومثل ذلك أَنْ تُعْطَى الْكَلِمَةُ فِي الْإِعْرَابِ حُكْمَ كَلِمَةٍ مُجَاوِرَةٍ لَهَا «كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ (هَذَا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ) وَمَنْ حَقَّ (خَرِبٌ) الرَّفْعُ عَلَى النَّعْتِ، وَمِثْلُهُ أَنْ تَتَّبَعَ الْحَرَكَةُ الْحَرَكَةَ إِذَا جَاوَرَتْهَا لِضَرْبٍ مِنَ الْمَشَاكِلَةِ وَالْمَجَانِسَةِ، كَقَوْلِهِمْ (رَجِسٌ نَجِسٌ) وَالْأَصْلُ (نَجِسٌ)، فَكُسِرَتْ نُونُ (نَجِسٌ) اتِّبَاعًا وَمَشَاكِلَةً لِكُسْرِ الرَّاءِ»<sup>(٢)</sup>.

إِنَّ (السَّجُودَ) الَّذِي أَجْرِي عَلَى (الكواكب) - سِوَاءُ كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ سَجُودٌ تَوَاضَعٌ أَمْ سَجُودًا حَقِيقِيًّا - جَعَلَتْ الْكُوكَبَ تُخَالِطُ الْعُقْلَاءَ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِمْ، وَظَهَرَ أَثَرُ هَذِهِ الْمَخَالَطَةِ فِي الْإِعْرَابِ (فِي يَاءِ الْجَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ)، وَهَذَا سَائِغٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَهُوَ أَنْ يُعْطَى الشَّيْءُ حُكْمَ الشَّيْءِ لِلِإِشْتِرَاكِ مَعَهُ فِي وَصْفٍ مَا، وَإِنْ كَانَ الْوَصْفُ أَصْلَهُ أَنْ يَخْصَّ أَحَدَهُمَا، وَمِثَالُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرٌ، قَالَ تَعَالَى فِي صِفَةِ الْأَصْنَامِ: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أُعْطِيَ الْأَصْنَامُ صِفَةَ مِنْ صِفَاتِ الْعُقْلَاءِ (النَّظَرِ - الْبَصَرِ) فَظَهَرَ أَثَرُ هَذِهِ الْمَلَابَسَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي عَوْدِ الضَّمِيرِ الْمَخْتَصِّ بِالْعُقْلَاءِ (هُمْ) عَلَى الْأَصْنَامِ، وَالْعَرَبُ تَجْمَعُ مَا لَا يَعْقِلُ جَمْعَ مَنْ يَعْقِلُ إِذَا أَنْزَلُوهُ مِنْزِلَتَهُ، وَاسْتَشْهَدَ الشَّيْخُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الفراء: معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٥.

(٢) الأنصاري، ابن هشام (٧٠٨ - ٧٦١ هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج ٢، ص ٨٩٤، انتشارات كلستان، إيران، ط ٢، ١٣٧٠ هـ. ش.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٨ تمام الآية ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

(٤) سورة يوسف الآية: ٤.

## إستحسان

وأختمُ بحثي باستحسان قراءة قرآنية راقت للشيخ البهائيّ تتعلّق بالوصل والفصل. قال الشيخ البهائيّ: «يقال: إنَّ أبا عمرو بن العلاء قال: قرأتُ ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾<sup>(١)</sup> فاخترتُ تحريكَ الياء هيهنا لأنَّ السَّكون ضربٌ من الوقف، فلو سكنت الياء هيهنا كنتُ كالذي ابتداءً، وقال لا أعبُدُ الذي فطرني، فاخترتُ تحريك الياء هرباً من ضرب الوقف، وهذا من أبي عمرو في غاية الدقة في المعاني اللطيفة»<sup>(٢)</sup>. إنَّ قراءةً قرآنيّةً قرأها الجمهور وخرّجها أبو عمرو بن العلاء أطربتُ الشيخَ البهائيّ، فوصفها بأنّها (بغاية الدقة في المعاني اللطيفة)، فما وجهُ الدقة واللطف فيها؟ في سورة (يس) قصّةُ رجل مؤمن (جاء من أقصى المدينة يسعى) فقال للكفّارِ ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾<sup>(٣)</sup> أي: يا معاشرَ الكفّار اتَّبِعُوا المرسلين الذين لا يطلبون منكم الأجرَ، ولا يسألونكم أموالكم على ما جاؤوكم به من الهدى، فلمّا قال هذا أخذوه ورفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبع المرسلين؟ فقال ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾<sup>(٤)</sup> فاللفظُ يعودُ على المتكلم من خلال الضمير، والمقصودُ المخاطبين من الكفّار، وأصل الكلام: (يا قوم، ما لكم لا تعبدون الذي فطرکم) فنسبَ العبادة إلى نفسه تطفلاً في الإرشاد، وهو يريدُ نصحهم، فهو اختار لهم ما يختار لنفسه، وقوله لهم ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ تقريرٌ لهم على جهة التوبيخ في هذا الأمر، وكأنّه يريدُ أن يقول لهم: مَنْ فطرَ واخترعَ وأخرجَ من العدم إلى الوجود هو الذي يستحقُّ أن يُعبدَ «وأي شيءٍ لي إذا لم أعبدُ خالقي الذي أنشأني وأنعم عليّ وهداني»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة يس، الآية: ٢٢.

(٢) الشيخ البهائيّ: الكشكول، ج ٢، ص ١٠١.

(٣) سورة يس، الآية: ٢١.

(٤) سورة يس، الآية: ٢٢.

(٥) الطبرسي، الفضل بن الحسين (٤٧٢: ٥٦١هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢٢، ص ١٨، منشورات

دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت.

ومدار الحديث حول الوقف والوصل في قراءة قوله تعالى ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ «فَأَسْكَنْ الْيَاءَ مِنْ (لِي) حَمْزَةً وَيَعْقُوبُ وَالْأَعْمَشُ، وَفَتْحَهَا الْبَاقُونَ مِنْ جَمْهُورِ الْقُرَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وفتحُ ياء (لي) فيه معنى لطيفٌ قاله أبو عمرو بن العلاء متعلقٌ بالوقف، فما هو الوقف والوصل في القراءة؟

الوقف عند القراء وأهل التجويد هو العلم الذي يرشدُ قارئَ القرآن إلى مراعاة وقوفه، حرصاً على اتِّساق المعنى، وسلامة اللِّغة، بغرض الفهم والإدراك<sup>(٢)</sup>، والوقف في اصطلاح علماء العربية هو «قطع الكلمة عن الحركة»<sup>(٣)</sup>، والقطع يعني الإسكان والسكوت على آخر الكلمة قاصداً مختاراً، سواء كان بعدها كلمة أو كانت آخر الكلام. إنَّ المتكلم أو القارئ يجدُ نفسه إزاء حاجة ملحة للوقف بغرض إراحة النَّفس من أجل استرجاعه، واستئناف القراءة، لذا سُمِّيت بـ«يَاءِ النَّفْسِ»<sup>(٤)</sup>، أو من أجل تبيان الفروق بين المعاني المختلفة عن طريق المستوى الصَّوتي لضبط العلاقة بين ظاهر اللَّفظ ومضمون القصد، وهناك أسبابٌ ودواعي أخرى كإتمام السَّجع وغيرها.. إنَّ المتكلم أو القارئ يعبر عن غرضه وعن دلالات الكلام بالوقف والتنغيم وتلوين الكلام، ثمَّ إنَّ مقتضى الحال الذي هو فيه، يحدّد طابع الكلام، كي لا يقع القارئ أو المتكلم في اللَّحن أو الخطأ أو الإشتباه من السَّامع.

(١) راجع: الأزهرِّي، محمد بن أحمد (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ): كتاب معاني القراءات، ص ٤٠٠، دار الكتب العلميَّة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٩ م.

النحاس، أبو جعفر: إعراب القرآن، ص ٧١٥.

(٢) الأنباري، أبو بكر (ت ٣٢٨ هـ): إيضاح الوقف والإبتداء، ص ٢١ و ٢٢، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق - سوريا، ١٩٧٢ م.

(٣) نقره كار: شرح على شافية ابن الحاجب (ت ٧٧٦ هـ)، ص ١١١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.

(٤) النحاس، أبو جعفر (ت ٣٨٨ هـ): إعراب القرآن، ص ٧١٥.

بعد هذه المقدمة المتعلقة بالوقف وأغراضه نعود إلى قراءة أبي عمرو بن العلاء وتخرجه تحريك ياء (لي) بالفتح، ووصل مقطعي الآية، ولم يُسكن لأنَّ السكون ضربٌ من الوقف، وإذا وقف على (لي) في (ما لي) وقطع الكلام بالإسكان ثم استأنف فقال (لا أعبُدُ الذي فطرني) فإنَّ مقطعي الآية يكونان مقطعا صوتياً واحداً من دون وقف أو فصل، فيتأمن الحرس على اتساق المعنى، بغرض الفهم والإدراك، ولكي يتأمن التقرير لهم على جهة التوبيخ وصل أبو عمرو المقطعين بواسطة الفتحة على الياء «إذ كان لا يحسن الوقف عليها والإبتداء بما بعدها»<sup>(١)</sup>، هذا الأمر اللفظي ضبط العلاقة الصوتية بين ظاهر اللفظ ومضمون القصد، مما دفع الشيخ البهائي إلى أن يعجب بهذا التخرج، واعتبره «في غاية الدقة في المعاني اللطيفة».

### خاتمة

بعد هذه الجولة من دغدغات الشيخ البهائي النحوية في كتابه الكشكول أجدني معجباً بشيخ كان النحو جزءاً يسيراً من حركته العلمية، ومع هذا ظهرت له لمعات نحوية بارعة، وإنني لآمل أن تحقّق مخطوطات الشيخ النحوية (الكافية) و (الفوائد الصمدية) وتوضع بين يدي الباحثين والعاملين على تيسير النحو العربي، ويزداد الإلحاح على تحقيق المخطوطات النحوية عندما نعلم أنه «خرج على الناس أستاذ في جامعة مصرية بمشروع لتيسير النحو، ضمّنه كتاباً يحمل اسم (لغة الإعراب)، هذا المشروع هو تماماً منهج العامل في (الفوائد الصمدية)، ثم يغادر منه صغيرة ولا كبيرة، قدمه على أنه من ابتكاره هو، ثم يسبقه إليه سابق...»<sup>(٢)</sup>، وهذا يدل على أن

(١) العكبري، عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦هـ): التبيان في إعراب القرآن، ج ٢، ص ٢٩٤، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٢م.

(٢) مقالة للشيخ جعفر المهاجر، عنوانها: إن بهاء الدين ثروة سائبة، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد الخامس، ١٩٨٦م.

الشيخ البهائيّ قد أدرك في وقت مبكّر وجوبَ تيسير النحو العربيّ...  
أتمنّى لمؤتمركم الكريم خدمة العلم والعلماء، وأخصُّ بالذكر علماء جيل عامل،  
وأتمنّى أن يخرج مؤتمركم بتوصيات عمليّة تسعى إلى إخراج تراث عالمنا الكبير الشيخ  
بهاء الدين محمّد العاملي إلى الوجود.

## مصادر ومراجع البحث

١. القرآن الكريم
٢. ابن السراج النحوي، محمد بن سهل: الأصول في النحو، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٨م.
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم (٦٣٠ - ٧١١ هـ): لسان العرب، مادة (أَنَّس)، دار صادر، بيروت- لبنان، ط١.
٤. ابن يعيش الموصلية (٥٥٢ - ٦٤٣ هـ): شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
٥. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ): تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٦. الأزهري، محمد بن أحمد (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ): تهذيب اللغة، دار الصادق للطباعة والنشر، د. ت.
٧. الأزهري، محمد بن أحمد (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ): كتاب معاني القراءات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
٨. الألويسي، أبو الثناء شهاب الدين (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٤، ١٩٨٥م.
٩. الأنباري، أبو بكر (٢٢٨ هـ): إيضاح الوقف والإبتداء، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق- سوريا، ١٩٧٢م.
١٠. الأنصاري، ابن هشام (٧٠٨ - ٧٦١ هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعراب، انتشارات كلستان، إيران، ط٢، ١٣٧٠هـ. ش.
١١. البقاعي، برهان الدين (٨٠٩ - ٨٨٥ هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات

- والسور (يُعرف بـ«تفسير البقاعي»)، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ.
١٢. الجوهرى، إسماعيل بن حماد (٣٩٣.٠٠٠هـ): الصّاح في اللغة، دار الحضارة العربيّة، بيروت- لبنان، ط ١، د. ت.
١٣. الرازي، عبد القادر: مختار الصّاح، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٣م.
١٤. الرّضى الأسترابادي، محمد بن الحسن (... نحو ٦٨٦هـ): شرح الرّضى على الكافية، جامعة قار يونس، ١٩٧٨م.
١٥. الرّضى الصّفاني، الحسن بن محمد (٥٧٧. ٦٥٠هـ): العباب الزاخر، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
١٦. سيبويه (١٤٨ - ١٨٠هـ): الكتاب، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٩٩٠م.
١٧. السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٩٩٨م.
١٨. الصدر، حسن (١٢٧٢هـ- ١٣٥٤هـ): تكملة أمل الآمل، دار الأضواء، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.
١٩. الطبرسي، الفضل بن الحسين (٤٧٢- ٥٦١هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د. ت.
٢٠. العاملي، بهاء الدّين محمد: الكشكول، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان، ط ٦، ١٩٨٣م.
٢١. عباس، دلّال: بهاء الدّين العاملي، دار المؤرّخ العربي، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.
٢٢. العكبري، عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦هـ): التبيان في إعراب القرآن، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م.

٢٣. الغلاييني، مصطفى: جامع الدروس العربيّة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط٢٩، ١٩٩٤م.
٢٤. الفراء، يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ): معاني القرآن، دار السرور، بيروت-لبنان، د.ت.
٢٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد ((١٠٠-١٧٠هـ): العين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ١٩٨٨م.
٢٦. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٧٢٩-٨١٧هـ): القاموس المحيط، مؤسسة الريالة، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.
٢٧. المرادي، الحسن بن قاسم (ت٧٤٩هـ): الجنى الداني في حروف المعاني، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م.
٢٨. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد (١١٤٥-١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس.
٢٩. النحاس، أبو جعفر (٣٢٨-٠٠٠هـ): معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
٣٠. نقره كار، عبد الله بن محمد (ت٧٧٦هـ): شرح على شافية ابن الحاجب، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، د.ت.

# شعرية العالم في قصيدة الشيخ البهائي

## د. علي مهدي زيتون<sup>(1)</sup>

شعرية العالم في قصيدة من القصائد هي كيفية تبدي العالم المرجعي عند دخوله تلك القصيدة. ويُقال (تبدي) قصد الخروج من دائرة نظرية الإنكسار التي تبنتها حركة الشكليين الروس (الأبويان) في فهمها الأدبية، حين رأت في الأدبية إعادة تشكيل للواقع. ولا يعني الخروج من ربة نظرية الإنكسار عودة إلى رحاب نظرية الإنعكاس. فالنظريتان كلاتهما تتطلقان ممّا يراه عامّة الناس، بثقافتهم الشعبية المحدودة، من العالم المرجعي الذي اصطلح على تسميته العالم الموضوعي. ويوقعنا هذا في شبك المرئي المشترك بين جميع الناس من جوانب العالم، ويجرّنا إلى السقوط في قبضة التقنيات بعيداً من الحقيقة الأدبية. فأن يكون الأدب نسخاً للمرئي المشترك وفاق نظرية الإنعكاس، أو تعديلاً له، وفاق نظرية الإنكسار، يعني أنه مجرد تقنيات يمكن أن يجيد التعامل معها جميع من يمارسونها بقطع النظر عن موهبتهم أو ثقافتهم.

ترتبط الأدبية برؤية المبدع (كاتباً كان أم شاعراً)، قبل ارتباطها بالتقنيات وبقدر ما تكون ثقافة من يكتب عميقة، تكون رؤيته نافذة تستطيع إدراك عمق لا يمكن أن

(1) أستاذ في الجامعة اللبنانية ومدير كلية.

تدرکه أيّ رؤیة أخرى مهما بلغت طاقتها، إذ لا يمكن أن تماثل رؤیة ما، رؤیة أخرى. إنَّ أيّ جانب من جوانب العالم المرجعيّ ليس أحاديّ العمق تمسك به قراءة واحدة، أيّ قراءة كلّ جانب هو متعدّد الأعماق الى درجة غير قابلة للرصد أو للسبر النهائيّ. ولذلك فإنّ ما تصل اليه رؤیة شاعر كبير، مثقّف كبير، يمثّل ثقافة عصره في مواضع حساستها ومواقع حرجها، هو كشف ذو خصوصيّة لا تستطيع أيّ رؤیة أخرى أن تمسك بها وهذه الخصوصيّة، أو الفريدة، هي الشعريّة عينها. وحين تكون الشعريّة عين العمق المدرك المكتشف لا توجد مسافة بينهما، ويكون هذا العمق احتمالاً يحتمله المرجع تحقّقه الرؤیة من دون أن يأخذ منها شيئاً، لأنّه موجود بشكل مستقلّ عنها، علاقته بها علاقة المكتشف بالكاشف، صار مصطلح الخلق الأدبيّ ذا بعد مجازيّي يقيم المسافة بين الخصوصيّة والعام المشترك.

وهذه الرعشة التي تجتاح المتلقّي لحظة وقوعه في أسر النصّ، هي بسبب رؤيته ما لم يعتد أن يراه في أحد جوانب العالم. فالجمال عمق بديع جديد مكتشف من شاعر مثقّف موهوب، ولا يقللّ هذا من الشعريّة أو الأدبيّة، ولكنّه يصحّح التعامل معهما بعد أن طال ارتكاز الدارسين على مقولة الإنكسار منطلقاً.

وبهاء الدين العالميّ مثقّف من مثقفي عصره الكبار، قرأ ومن موقعه الدينيّ شخصيّة الرسول ﷺ، والأئمة الأطهار عليهم السلام، قرأ فنيّة قصيدته، والموت، تملّى مدينة هرات، وتناول وحدة الوجود، مستخدماً في كلّ ذلك تقنيّات الكتابة الشعريّة باحتراف شاعر غير عاديّ، ولكي نتعرف مستوى شعريّته لأبد من العودة إلى شعره الذي سنختار منه نماذج قد تكون المعبر الأفضل عن وضعيّة هذا الشاعر ومستواه:

أ- شخص الرسول ﷺ واستثمار الفضاء الصوفيّ:

قال الشاعر:

وشخصك قطب الكائنات فسرّها على سرّه في العالمين تدير  
نزلت من الله العزيز بمنزل يسير إليه الطرف وهو حسيّر

بدأ الشاعر رؤيته الرسول ﷺ من خلال (شخصه)، جسمه وكلمة (شخص) تثير في ذهن المتلقي ما يقابلها من الإنسان (الروح) أو (النفس)، وتقديم الشخص تقديم للنفس مقابسة؛ لنبني على مقام (الشخص) مقام (النفس)، وشخص الرسول ﷺ قُدِّم من خلال التشبيه، والمشبَّه به تركيب (مضاف ومضاف إليه)، والمضاف (قطب) لا يشير إلى المحورية فحسب، ولكنه يومئ، بطرف خفي، إلى البعد القيادي الإرشادي الذي يؤدِّيه القطب الصوفي أيضاً، وإضافته إلى (الكائنات) جملة لا تقدِّمه متعالياً عليها فحسب، ولكنها تقدِّمه سيِّداً للمخلوقات قاطبة بجميع أنواعها وأصنافها ومراتبها أيضاً، ويأتي كل ذلك ليضيء رؤية الشيخ إلى (شخص) الرسول ﷺ، ولا تكتمل هويَّة (الشخص) الفنيَّة مع هذه المشابهة، يأتي الفعل (يدير) المسند إلى الرسول ﷺ ليشير إلى التحكم العالي بالكائنات ليس على مستوى شخصوها، ولكن على مستوى سرِّها، منتقلاً بالمتلقي من المعاينة إلى التصوُّر، وبشخص الرسول ﷺ من الجسميَّة إلى ما وراءها، إلى سرِّها، فشخص الرسول ﷺ علامة أو دالٌّ مدلوله متجاوز مقولة: «إنَّ الدنيا قد خُلقت من أجل الرسول ﷺ»، إلى مقولة: «بدء الخليقة»، حتَّى لكأنَّه سرُّ الوجود.

ب- العسكريَّان ﷺ واستثمار الموروث القرآني:

وإذا ما حلتْ ناديمهم يا سقاها الله من نادي  
فاغضض الطرفَ خاضعاً ولهاً واخلع النعلَ إنَّه الوادي  
قرأ الشيخ المكان وصولاً إلى الإنسان، المكان المقدَّس عبوراً إلى الإمام المعصوم. والمكان المقروء مشهد الإمامين العسكريَّين ﷺ في سامراء، قُرئ من خلال بيتين يقومان على مركَّب شرطي، جواب الشرط وما يتعلَّق به (اغضض...إخلع) فيهما مترابط مع فعل الشرط (حلت)، حتَّى لكأنَّ الجواب لازم الفعل. ويشير هذا الترابط إلى قناعة وعقيدة وموقف ليس من المكان أساساً، ولكن ممَّن حلَّ في المكان أولاً وقبل كلِّ شيء.

والتركيبان: (أغضض الطرف) و(اخلع النعل) ليسا كنايتين فحسب، ولكنهما كنايتان مضمعتان برمزية قرآنية واضحة أيضاً، تصلنا الكنايتان بأيتين قرآنتين معروفتين: « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ <sup>(١)</sup> وَإِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى <sup>(٢)</sup> » وإذا ربطتنا الأولى بأمر إلهي (قل)، ربطتنا الثانية بحوارية قائمة بين الله وبين نبي من أنبيائه، في مكان مقدس (وادي طوى). إن هاتين الآيتين،

وبكل زخمهما الدلالي، تحضران بقوة في هذا البيت لتضيئاً المكان بقداسة غير عادية، تأسر القارئ، فيذهب معها تصوّره كل مذهب في تحديد مقدار قداسة ساكنيه.

### ج- الإمام الحجة واستثمار الخوارق:

هُمَامٌ لَوْ السَّبْعُ الطَّبَاقُ تَطَابَقَتْ عَلَى نَقْضِ مَا يَقْضِيهِ مِنْ حَكْمِهِ الْجَارِي  
لنكس من أبراجها كل شامخ وسكن من أفلاكها كل دوار  
ولانتثرت منه الثوابت خيفة وعاف السرى في سورها كل سيار  
جاءت كلمة (همام) خبراً لمبتدأ محذوف، وحذف المبتدأ حذف وظيفي، فعوض أن يُقدّم بضمير الغائب (هو) الذي يشترك معه فيه كل الناس، قُدّم بأخص خصائصه (همام) حتى أنه لا يُعرف إلا بهذه الصفة. والكلمة مأتت بها من قاموس السياسة السائد في الثقافة العربية القديمة، فالهمام الملك العظيم الهمة الذي إذا همّ بأمر أمضاه فلا يُرد عنه، بل ينفذ كما أراد، والآيات الثلاثة التي ارتكزت إلى هذا العنوان بشكل أساسي، لم تبق أسيرته، حكم المهدي عليه السلام الجاري مفارق حكم الملك الجاري، حكم الملك مرتبط بأهداف دنيوية تخص مملكته وحكم المهدي عليه السلام متعد إلى مصير البشرية والعالم، وتحرر كلمة (همام) من بعدها المعجمي كان بفعل لجوء البهائي إلى

(١) سورة النور الآية: ٣٠.

(٢) سورة طه الآية: ١٢.

الخوارق، خوارق قوانين الطبيعة المعروفة التي لم تبدل دلالة كلمة (همام) المعجميّة فحسب، ولكنها بدلت مقاييس تلك الكلمة وقواعدها وشروطها أيضاً. وفعل الشرط «تطابقت السبع الطبايق على نقض ما يقضيه» نقل المعركة التي يخوضها الإمام عليه السلام في حكمه من أجل إقامة العدل المطلق على الأرض من الحيز البشريّ الإنسانيّ إلى الحيز الكونيّ، وفي ذلك إشارة إلى صعوبة تلك المعركة وجذريّة أهدافها، وإلى محوريّة ذلك الحكم، والشاعر حين وصفه بـ (الجاري) إنّما قدّم ذلك التطابق الذي قامت به السبع الطبايق غير ذي جدوى، ومهزوماً سلفاً، كيف لا وجواب الشرط القائم على فعلين مبنيّين للمجهول، وآخرين مبنيّين للمعلوم، قد أكد جريان حكم الإمام، فالفعلان المجهولان: (نُكس) و(سُكّن) إشارة إلى أنّ فعل الإمام قدر مقدور، وممّا يزيد هذه القدريّة عمقاً أنّ نائبی الفاعل: (شامخ الأبراج) و(الأفلاك الدوّارة) يومئنان إلى القدرات الخارقة التي يتمتّع بها هذا الإمام عليه السلام. يؤكّد هذا الفعلان المعلومان: (انتشرت) و(عاف) المتعدّيان إلى الثوابت والسرى، ويعني ذلك أنّ الشاعر لم يكن أسير الموروث الشعريّ واللغويّ الذي ارتكز إليه بشكل واضح، كانت رؤيته إلى العالم (الإمام الحجّة عليه السلام) هي الفاعل الأساسيّ في إعادة إنتاج اللغة وتقديم شعريّة العالم على لسان بهاء الدين العالميّ.

#### د- جمال قصيدة البهائيّ والرمز الشعريّ

خاطب الإمام الحجّة عليه السلام قائلاً:

أيا صفوة الرحمنِ دونك مدحةٌ كدرٌ عقودٍ في ترائبِ أبكارٍ  
يُهنا ابنُ هاني إن أتى بنظيرها ويعنولها الطائيُّ من بعدِ بشارٍ

استحضر الشاعر رمزيّة الأنوثة من خلال معجم معبر عنها (الدرّ، العقود، الترائب، الأبكار)، وما يثيره كلّ ذلك في وجدان الذكر من شعور بالإمتلاء والدخول في زمن مجنّح يشعر المرء معه أنّه محمول على جناحي غمامة تبلغه من زمانه أقصى هناءات السعادة، كلّ ذلك من أجل تقديم رؤيته إلى المدحة التي يتوجّه بها إلى صفوة الرحمن

( الإمام الحجّة ) ، ولا يدري القارئ أيّ الطرفين قدّم الإضاءة الأقوى للآخر، الممدوح أم المدحة؟ إنّ انحسار حضور الممدوح، داخل مساحة البيتين، لصالح المدحة يقدمها الأكثر استفادة، أن تكون موجّهة إلى الإمام ذي «الحكم الجاري»، يعني أنّ المطلوب منها أن تقرأ الخارق، وهذه إيماءة قويّة إلى وظيفتها الفنيّة، ولقد أحضر هذا شعراء كباراً مثل أبي نواس، وأبي تمام، وبشار بن برد. والأسماء الثلاثة أسماء ثلاثة شعراء تجاوزوا عمود الشعر القديم الذي كان سائداً منذ العصر الجاهليّ، وأنتجوا ما سمّي بالشعر المحدث، فمتلّوا حداثة عصرهم. والمجيء بهم شهوداً على جودة مدحة البهائيّ مرتبط بقناعته بجودة مدرستهم. وهو لم يأت بهم شهوداً حياديّين. إنتقل بهم الشاعر من مقياس للجودة إلى معتمدي مدحته مقياساً لجودة شعرهم، وهذا امتداح للمدحة مرّتين، فخر النواصيّ أن يأتي بنظيرها، وشعور كلّ من أبي تمام وبشار، مع علوّ سهميهما الشعريّ، أنّهما مقصّران، وهذا ليس موقفاً نقدياً فحسب، ولكنّه استثمار لشعرية جيل من شعراء الحدائث العباسية في تقديم رؤيته إلى قصيدته، ومما يجدر ذكره أنّ استثمار البهائيّ للرمز الشعريّ العربيّ القديم لم يكن استثماراً عفويّاً، ولكنّه استثمار مدروس موقّق.

ه - الموت وانشاق الكلمة الواحدة إلى بعدين دلاليّين:

إنّ هذا الموت يكرهه كلُّ من يمشي على الغبرا  
وبعين العقل لونها نظروا لراوه الراحلة الكبرى  
إنّ كلمة (الموت) هي الكلمة المفتاحية التي تستقطب حولها جميع كلمات البيتين. وهي من الناحية المعجمية واضحة الدلالة، تعني بلوغ الحيّ أجله المحتوم، ولكننا حين نعود إلى النصّ نجد أنّ هذه الكلمة قد وقفت بين رؤيتين: واحدة تخصّ عامّة الناس، وأخرى يتبنّاها الشاعر، فإذا الموت موتان: واحد يتعدّى إليه الفعل (يكره) المسند إلى (كلّ من يمشي على الغبرا)، ولقد قدّمه ذلك مرفوضاً مردولاً، أمّا الآخر فقد تعدّى

إلى الفعل (رأى) المسند إلى عين العقل التي قدّمته (الراحة الكبرى). وحين نوجد قبالة الثنائيّة: (المكروه/الراحة الكبرى) إنّما نجد أنفسنا أمام ثنائيّة ملازمة لها: (كلّ البشر/القلّة العاقلة)، ويعني ذلك أنّ الإنقسام لم يتعدّ إلى كلمة (الموت) وحدها، تعدّى إلى البشريّة فقسّمها على قاعدة العقل، وفي ذلك إيماة إلى سوء إيمان الكثرة من الناس.

و- مدرسة المرزاء في الهرات واستثمار الموروث الشعريّ:

في صحنها نهرٌ لطيفٌ جارٍ مرصّفٌ جنباه بالأحجار  
في وسطها بيتٌ لطيفٌ مبنيٌّ كأنّما صانعه جنّيٌّ  
من يعاين البيت الثاني بعيداً من إيماة إلى الموروث الشعريّ يجد أنّ البيت المبنيّ وسط المدرسة آية في الدقّة والروعة والجمال، وذلك بناء على التصورات الشعبيّة المرتبطة بقدرة الجنّ الخارقة، ولكنّ البيت، بما يومئ إليه من شعر النابغة الذبيانيّ شأن آخر.

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البريّة واحدها عن الفندٍ وخيسّ الجنّ إنّي قد أذنت لهم يبنون تدمرَ بالصفّاح والعمد  
يستحضر البيتان النبيّ سليمان الحكيم وعلاقته بالجنّ. وهذا الإستحضر القائم على إخضاع الجنّ وتسخيرهم في بناء تدمر بكلّ تكاملها العمرانيّ والحضاريّ، إنّما يعيد

إنتاج صورة ذلك البيت في ذهننا، فهو لا يربط جماليّات ذلك البيت بجماليّات تدمر وعظمتها البنائيّة فحسب، ولكنّه يربطها بالبعد الرساليّ لذلك البناء، وإذا كان سليمان قد بنى تدمر علامة انسانيّة ثقافيّة، فإنّ البيت الهراتيّ سيفيد من تلك الأبعاد إفادة تقدّمه علامة إنسانيّة حضاريّة ثقافيّة بامتياز، إنّ علاقة التراسل التي أقامها بيت البهائيّ بين المبنيين، أعادت إنتاج اللغة في الوقت الذي أمسكت بعمق جديد من

## شعرية العالم في قصيدة الشيخ البهائي

العالم المرجعي، البيت الهراتي.  
ويبقى أن البهائي قد أفاد من ثقافته الغالية إلى الحد الأقصى، فكانت قراءته  
العالم المرجعي منبئة بخصوصية هي قوام شعرية يقف أمامها القارئ حائراً، أو هل  
صحيح أن البهائي قد عاش في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي؟  
إن لغته الشعرية التي تنفست الحداثة بصدر عصرها، لما شهدنا فيها من إرهاصات  
مبكرة، تقدّمه سابقاً لعصره، بذور حداثتنا الحالية واضحة القسّمات في شعره، وهذا  
دليل بأنّها حادثة أصيلة.

# البهائي في مرايا الكشكول

د. عبد المجيد زراقط<sup>(1)</sup>

## مقدمة:

تبحث هذه الدراسة في كتاب «الكشكول» بغية تبين أمرين: أولهما شخصية البهاء، أي بهاء الدين العاملي، مؤلفه، كما تبدو فيه، بوصفه أنموذجاً للعالم في مختلف حقول المعرفة، والعامل في الشأن العام على مقربة من السلطان في العصر الذي عاش فيه: النصف الثاني من القرن العاشر والرابع الأول من القرن الحادي عشر للهجرة (السادس عشر والسابع عشر للميلاد)، وهو عصر عرف، في كثير من كتابات المؤرخين، بعصر الإنحطاط، وثانيهما كتاب الكشكول نفسه، ما يقتضي تقديم معرفة بعدة قضايا: أولها: المؤلف وكتابه، وثانيها: نوع هذا الكتاب من منظور نظرية أجناس الكتابة العربية، وثالثها: رؤية المؤلف إلى العالم، التي حكمت عملية التأليف، ورابعها: «أنا الكاتب» أو «ذاته» كما تبدو في الكتاب، وخامستها: رؤيته إلى الآخر وموقفه منه، بما في ذلك السلطان، وأي آخر مختلف، وسادستها: ما يقدمه هذا الكتاب إلى الآخر من معرفة مباشرة وجمالية في الشعر والنثر ودلالات ذلك.

---

(1) كاتب، وشاعر، وأستاذ في الجامعة اللبنانية.

## بهاء الدین العاملي، الشخصية الفريدة

العالم بهاء الدین العاملي (٩٥٣ - ١٠٣٠ هـ / ١٥٤٦ - ١٦٢٦ م) شخصية فريدة في التاريخ الإسلامي بخاصة والإنساني بعامّة، قلّمًا يوجد التاريخ بمثلها، فصاحبها، أبو الفضائل محمد ابن الشيخ عزّ الدين، حسين ابن عبد الصمد الهمداني، فقيه وفيلسوف وعرفاني: صوفي، وأديب، وشاعر وعالم رياضيات وهندسة وحساب وفلك، وعامل في الشأن العام: شيخ الإسلام ومستشار (بلغة عصرنا) للسلطان، فهو موسوعي المعرفة، ليس على مستوى كسبها وتحصيلها وتداولها وإيصالها فحسب، وإنما، وهذا هو موضع التميّز والتفرد، على مستوى إنتاجها وصنعها إبداعات أضافت إلى الحضارة الإنسانية إنجازات، في غير مجال من مجالاتها، أسهمت في تطوّرها، في زمنٍ قلّ فيه الإبداع، وسمّاه بعضهم زمن الإنحطاط، ما يجعلنا نعيد النظر في هذه التسمية. هذا إضافة إلى الموقع الإجماعي والسياسي الذي أدّى منه دوراً فاعلاً في البناء المجتمعي، فمثل من مواقعه وبأدواره، في كلّ منها، نهجاً رائداً يتّبع وأنموذجاً يقتدى.

تتعدّد الأقوال في أمور تتعلق بسيرته وشخصيته، فقد نسب إليه بعض الكتاب غرائب، ونسب إليه بعضهم الآخر كتباً، بدوافع منها الإرتزاق، ولكن ما يحقّقه الباحثون، منهم د. دلال عباس على سبيل المثال<sup>(١)</sup>، يفيد أولاً: أن العصر الذي عاش فيه عرف صراعاً ظاهره مذهبي وجوهره سياسي بين دولتين كبيرين هما: الدولة الصفوية والدولة العثمانية، ما أدّى إلى هجرة العلماء العامليين إلى إيران، ومنهم والده الشيخ حسين بن عبد الصمد، الذي اصطحبه معه، وكان في السابعة من عمره، وثانياً: أنه ولد في

(١) راجع: دلال عباس. بهاء الدين العاملي: أديباً وفقهياً وعالماً، بيروت: دار الحوار، تصف د. دلال الصراع الصفوي العثماني مرّة، بأنه «الصراع المذهبي الدموي (ص ٩)، ومرة أخرى بأنه صراع قاده السلطان سليم الذي حقّق هدفه إلى التوسع، ويشبع ميله إلى العدوان، متخذاً الخصومة المذهبية ذريعة لذلك (ص ٣٥)». وهذا هو الصحيح، فطريقة وصول هذا السلطان إلى الحكم ونهجه في التوسع والقتل يفيدان ذلك، ومن نماذج ما فعله احتلال القاهرة وإباحته القتل والنهب حين احتلها، وليس من دافع مذهبي يحرضه على ذلك.

بعلبك في السابع عشر من ذي الحجة سنة ١٣٠٥ هـ، حيث كان والده العاملي الأصل، في صحبة الشهيد الثاني الذي كان يدرّس، آنذاك، في المدرسة النورية، وثالثاً: أن زمن أسفاره لا يتجاوز السنتين، وليس ثلاثين سنة كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين.

### الكشكول، مختارات كأنها جنى نحل يُقطف

يقول البهائي، في مقدّمة هذا الكتاب، إنه ألف، وهو في عنفوان الشباب، كتاب «المخللة»<sup>(١)</sup>، ويصف هذا الكتاب، فيقول: «حوى من كل شيء أحسنه وأحلاه». ثم يضيف، فيفصّل في هذا «الأحسن والأحلى» من كل شيء، فيقول: «جواهر التفسير، وزواهر التأويل، وعيون الأخبار، ومحاسن الآثار، وبدائع حكم يستضاء بنورها، وجوامع كلم يهتدى ببدورها، ونفحات قدسيّة... تعطر مشام الأرواح، وواردات أنسيّة تحيي رميم الأشباح، وأبيات رائقة تُشرب في الكؤوس لسلاستها، وحكايات شائعة تمزج بالنفوس لنفاستها، ونفائس عرايس تشاكل الدر المنثور، وعقائل مسائل تستحق أن تكتب بالنور على وجنات الحور، ومباحثات سديدة سنحت للخاطر الفاتر حال فراغ البال، ومناقشات عديدة سمح بها الطبع القاصر أيام الإشتغال». وهذا كله يتخذ ترتيباً فريداً، كما يقول: «مع ترتيب أنيق لم أسبق إليه، وتهذيب رشيق لم أراحم عليه».

ويضيف، فيصف كتاب الكشكول، فيقول:  
«ثم عثرت على نوادر تتحرّك لها الطّباع، وتهشُّ لها الأسماع، وطرائف تسرُّ المحزون وتزري بالدر المخزون، ولطائف أصفى من رايق الشراب، وأبهى من أيام

(١) حققت د. دلّال عباس الكتب المنسوبة للشيخ البهائي، وأيدت رأيها بأدلة مقنعة استقت بعضها من الكتب نفسها. وفي ما يتعلق بكتاب «المخللة» رأت أن الكتاب الموجود الآن، في الأسواق ألفه أحد الورّاقين بدافع الإرتزاق، ونسبه للبهائي، وأن المؤلّف الحقيقي ضاع، وأيدت رأيها بأدلة مستقاة من الكتاب الموجود في الأسواق نفسه، راجع: المصدر نفسه.

الشباب، وأشعار أعذب من الماء الزلال، وألطف من السحر الحلال، ومواعظ لو قرئت على الحجارة لا انفجرت، والكواكب لا تنتثر، وفقر أحسن من ورد الخدود، وأرق من شكوى العاشق حال الصدود».

لكن، لم يُقيِّض لهذا الكتاب ما قيِّض للكتاب السابق، يقول:

«ولما لم يتسع المجال لترتيبه، ولا وجدت من الأيام فرصة لتبويبه، جعلته كسقط مختلط رخيصه بغاليه، أو عقد انقصم سلكه فتناثرت لآليه، وسميته بـ«الكشكول» ليطابق اسمه اسم أخيه».

فالكشكول أخو المخلاة، وكل منهما جليس الوحدة، وأنيس الوحشة.. لذا يطلب من القارئ، فيقول:

«واتخذه وأخاه جليسين لوحدتك، وأنيسين لوحشتك، وموجبين لسوتك، صاحبين في خلوتك ورفيقين في سفرك، ونديمين في حضرتك، فإنهما جاران باران وسميران ساران وأستاذان خاضعان ومعلمان متواضعان، لا بل هما حديقتان تفتحت ورودهما، وخريدتان توردت خدودهما، وغانيتان لابستان حلل جمالهما، مائستان في برود جلالهما، فصنهما عن غير طالبهما ولا تبدلتهما إلا لخاطبهما...»<sup>(١)</sup>

فمن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم من موقع الفقيه العالم الشاعر... ينقّب البهاء في كنوز التراث العربي، فيلتقط، صَفْوَ العقول المتمثّل في جواهر الكلام، فيقدّم، كما يقول، أنواعاً مختلفة من المعرفة: تفسير، أخبار، حكم، شعر، حكايات، أبحاث، مناقشات، نوادر، طرائف، لطائف، مواعد، حكايات، نصوص متنوّعة... تتصف بالجمال، أو بالأكثر جمالاً من كل نوع، ما يجعلها شبيهة بالدرر المنتظمة في العقد الفريد، وإن لم تتظّم تكن كالعقد الذي انقصم سلكه، فيحار المرء أي جواهره يتلقّى... وفي تلقّيه هذا يبقى في مناخ الفرح،

(١) بهاء الدين العاملي، الكشكول، بيروت: دار المرتضى، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٩ و١٠. ودفعاً للتكرار، سنضع رقم الصفحة المقتبس منها، من هذا الكتاب، في نهاية الإقتباس، بين قوسين.

فكما يقول الإمام علي، أمير المؤمنين عليه السلام: «إن هذه القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان، فابتغوا لها من طرائف الحكمة».

وفي زمن تال، استرشد السيد محسن الأمين بهذا القول: ولعله أراد استعادة تجربة البهائي، فألف كتابه: «معادن الجواهر...»، ووصفه بقوله:

هذي الجواهر من معادنها بدت والدرُّ والياقوت فيها يُطلب  
فيها لكل مؤمِّل ما يشتهي فاختر لنفسك ما يروق ويُعجب  
يوجِّه هذا العقد من الجواهر، أو هذا البستان، إلى المتلقِّي، فيلتقط الدرُّ، أو يجتني  
يانع الثمر، وكلُّ يتلقى ما يروقه ويعجبه، فيكون تأثيره بيِّناً، يضيء، يكشف، يهدي،  
يسلي يمتع، يفرح، يفيده..

وهو، بهذا الصنيع، يتوجَّه إلى الناس العاديين، فضلاً عن توجُّهه للنخبة، كأنَّ هدفه هو جعل الثقافة ملك كل من يعرف القراءة والكتابة، ومؤلفاته في غير علم تفيد ذلك، ومنها: «الفوائد الصمدية في النحو»، وهو كتاب ميسر في قواعد اللغة العربيَّة، و«جامع عباسي» وهو كتاب ميسر في الفقه. وهذا يعني أنه كان يسعى إلى جعل المعرفة ميسرة لجميع الناس، يحصلونها في مناخ من المتعة الجماليَّة. وفي هذا قبول للآخر وحبُّ له ودعوته للمعرفة والحوار، في سياق تقديم ما يسلي ويمتع ويفيد ويثقف في آن.

### الكشكول حديث سمر متميِّز

الواقع أن هذا النوع من التأليف ليس جديداً في تاريخ الأدب العربي، فقد بدأ منذ أن بدأ جمع أحاديث السمر وتدوينها في كتب مختارات صنفت، من منظور نظرية أجناس الكتابة العربيَّة، تحت عنوان: حديث السمر. فمن المعروف أن إجادة الحديث بلغت من المكانة درجة أن جعلت العلم مقتصرأ على الحفظ، فقد جاء في الكشكول: (١)

(١) الكشكول: (ص ٩٢٥).

ليس بعلمٍ ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر  
كما بلغت درجة أن تعطي الإنسان قيمته، وهذا ما نفهمه من قول الجاحظ الآتي:  
«إنما الناس أحاديث، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثاً فافعل». ولعلنا لا نبعد  
عن الصواب حين نقول: إن مثل هذا الفهم للأمور يركّز قيمة الإنسان في ما يجيده من  
هذا النوع، من العطاء الأدبي.

وكذلك بلغت درجة «محادثة الرجال»، لذّة الحياة الأولى، كما قال أحد الخلفاء  
لوزيرهِ لمّا راح يعدّ لذات الدنيا السّبع.  
ولعلّ هذا يعود إلى طبيعة ذلك المجتمع الذي كان الحديث الممتع فيه حاجة  
ضرورية، إذ إنّه يفسّر الظواهر الكونية والاجتماعية، ويحكى أحداث التاريخ، بأسلوب  
يسلي ويمتع، ولا نعدم أن نجد، في كتب التاريخ الأدبي، ما يؤكّد رأينا هذا.  
من هذه الأخبار ما يأتي: يُروى أنّ أحد الخلفاء ألحّ في طلب جليس يحدثه، قائلاً:  
«أبغى محدثاً...». وأنّ خليفة آخر قال: «... فما أنا اليوم إلى شيء أحوج منّي إلى  
جليس يضع عني مؤونة التحفّظ»، وأنّ خليفة آخر سئل: «أي الأمور أمتع؟»، فأجاب:  
«مذاكرة العلماء».

ولعلّ هذا ما جعل أحد الشعراء يقول: (١)

فنلنا سقاطاً من حديث كأنّه جنى النحل أو أباكار كرم يُقطف  
والواقع أنّ هذه الأحاديث كانت تتضمّن، علاوة على الخبر، شيئاً من الشعر  
ومقتطفات من الخطب وسوى ذلك ممّا يمتع ويسلي. وهذا ما كان يعطيها قيمةً إضافية،  
الأمر الذي كان يجعلها نصوصاً تشمل مختلف أنواع الأدب. ولعلّ هذا ما جعل بعضهم  
يطلق عليها اسم «الأدب عند العرب».

(١) راجع: الجاحظ، البيان والتبني، ص ٢٥٠ و ٢٥٧ و ٦٦ و ١٥١.

وقد تمَّ جمع بعض هذه الأحاديث القصصية، في ما بعد، فأوَّل كتب قصصية دُوِّنت في العصر الأموي، ومنها كتاب «التيجان» لوهب بن منبه، وكتاب «أخبار ملوك اليمن» لعبيد بن شريه الذي قال لأحد الخلفاء:

- «يا أمير المؤمنين، لك، في هذا الحديث، ما يقصّر ليلك وتلدّ به نهارك»<sup>(١)</sup>.

وكان الأدباء العرب يدوّنون هذه الأحاديث في كتب، ومن هذه الكتب نذكر، على سبيل المثال، زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت. ٤٥٣)، وقد ألّفه لما رأى رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان في الأدب، ليستغني به عن جميع كتب الآداب. ويعرّف الحصري القيرواني كتابه، فيقول:

«وبعد، فهذا كتاب اخترت فيه قطعةً كاملةً من البلاغات في الشعر والخبر والفصول والفقر، بما حسن لفظه ومعناه، واستدل بفحواه على مغزاه، ولم يكن شاردًا حوشياً ولا ساقطاً سوقياً، بل كان جميع ما فيه من ألفاظه ومعانيه، كما قال البحتري:<sup>(٢)</sup>

في نظام من البلاغة ما شدَّ لك امرؤُ أنه نظامٌ فريد  
حُزْنٌ مستعمل الكلام اختياراً وتجنّب ظلمة التعقيد  
وركّب اللفظ القريب فأدرك من به غاية المراد البعيد...»

ومن الواضح أن هذا التعريف يتضمّن العناصر الآتية:

١. الاختيار ممّا حسن لفظه ومعناه.
٢. ما يتمُّ اختياره هو قطعة كاملة تتصف بالأدبية: البلاغات، ما حسن لفظه ومعناه، نظام من البلاغة.

(١) الدميري، الحيوان، ٦/١.

(٢) أبو اسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، بيروت: دار الجيل، ط ٤ ص ٢٣-٢٥.

٣. سهولة اللغة ووضوح الدلالة وعمقها.

٤. فزادة وطرافة.

٥. امتزاج الشعر والقصة (الخبر).

٦. الحجم يتراوح بين الفقرة والفصل.

ويمكن أن نصوغ هذه العناصر في التعريف الآتي: حديثُ السمرِ قطعةٌ لغويةٌ كاملة يتمُّ اختيارها مما حسن لفظه ومعناه، يتراوح حجمها بين الفقرة والفصل، يمتزج فيها السرد بالشعر، لغتها سهلة، قريبة إلى الفهم وبلغية في آن، تؤدي دلالة واضحة عميقة، بعيدة المرمى، ما يجعلها فريدة ونادرة.

ويبدو حديث السمر أقرب ما يكون إلى ما يسميه النقد المعاصر «النص المفتوح» للشعر والنثر من دون التقيّد بحجم، أو بقواعد مقررة مسبقاً سوى الحسن = الجمال من ناحية أولى، والسمر: الإمتاع والمؤانسة من ناحية ثانية.

وإن يكن الحصري قد ذكر الخبر، بوصفه عنصراً من عناصر «القطعة الكاملة» التي يختارها، فإن عبد القاهر الجرجاني (ت. ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) يتحدث عن الخبر بوصفه «الأصل والأول» وأعظم المعاني شأنًا، فيقول:

«اعلم أن معاني الكلام كلها معانٍ لا تتصوّر إلا في ما بين شيئين: والأصل الأول هو الخبر...». ويضيف فيقول: إن الخبر وجميع معاني الكلام معانٍ ينشئها الإنسان... وأعظمها شأنًا الخبر فهو الذي يُتصوّر بالصور الكثيرة، وتقع فيه الصناعات العجيبة»<sup>(١)</sup>.

وإن يكن عبد القاهر قد اكتفى بالنص على موقع الخبر ودوره في معاني الكلام، وعن وقوع الصناعات العجيبة فيه، فإنه لم يدرسه، ولعل ذلك يعود إلى حصر اهتمامه في «الإعجاز القرآني» ودلالاته.

(١) عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٠هـ / ١٩٨٢م. ص ٤٠٥.

ومما يجدر ذكره، في هذا المقام، أن القارىء (وإن يكن البهاء قد صرَّح بأنه لم يجد لديه من الوقت ما يتيح له فرصة ترتيب كتابه) لا يعدم أن يجد سياقات تنظم فيها الفقرات المختارة في موضوع واحد، ومن نماذج ذلك على سبيل المثال، نذكر سياقاً وعظيماً<sup>(١)</sup> يتكون من عناصره: الموت، الدنيا الفانية، ما يُدخل الجنة، وسياقاً آخر (ص ١٦٧-١٦٩) يتضمَّن خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكلاماً له، وسياقاً آخر (ص ٢٥٤-٢٦١) يتضمن مختارات شعرية ترى إلى الشيب والخضاب ورؤية المرأة إليهما المنظور.

### المنظور/الرؤية إلى العالم التي حكمت عملية الاختيار:

وإننا، إذ نحاول تبين رؤية البهاء، من طريق مختاراته، فذلك يعود إلى أن الاختيار قد تم من منظور رؤية إلى العالم، والمؤلف يصرَّح في غير موضع من كتابه بأنه قد اختار، ويصف ما اختاره بالجيد جداً، فيقول على سبيل المثال: «الأرجوزة المشهورة للفاضل مجد الدين ابن مكنس...»، «هذا ما اخترته من هذه الأرجوزة، وهي طويلة، جيدة جداً»<sup>(٢)</sup>، ويقول في موضع آخر: «هذا آخر ما انتخبته منها، أي قصيدة الشريف الرضي في رثاء أبي إسحاق الصابي، وهي نحو من تسعين بيتاً في غاية الجودة والحسن»<sup>(٣)</sup>. وفي موضع آخر يختار نصاً شعرياً، ويعلِّق: «هذه كلمات تستحق أن تكتب بالنور على وجنات الحور»<sup>(٤)</sup>.

يبدو واضحاً أن الرؤية التي يتم منها اختيار نصوص الكشكول رؤية دينية أخلاقية وعظمية جمالية في المقام الأول، تتمثل هذه الرؤية في نصوص شعرية أو سردية، أو

(١) الكشكول (ص ١٠-١٢).

(٢) الكشكول (ص ٨٥).

(٣) الكشكول (ص ٩٥٩).

(٤) الكشكول (ص ٩٥).

نثريّة حكمية تتطوق بالدلالة في مناخ أدبي جمالي، مسلّم وممتع وكاشف في آن. ويبدو واضحاً أن هذه الرؤية لا تقتصر على هذا الجانب الوعظي الجمالي، وإنما تشمل مختلف أنواع المعرفة، فتقدّم في هذا المناخ الديني الأخلاقي الجمالي، معرفة علمية، فتختار ما يحتاجه الإنسان في حياته اليومية في مختلف حقول العلم، كما تختار معرفة ترفيه وتسلية: ألغاز ألعاب متنوعة، وتقدّم ذلك كله بلغة دقيقة واضحة سهلة. بناء الإنسان: الأنا والآخر: وهذا يدل على أن صاحب الكشكول يسعى إلى أن يسهم، من طريق تنقيبه في التراث العربي الإسلامي، فضلاً عما يكتبه هو، إلى تقديم مختارات تسهم في تكوين الإنسان المتدين الخلق المثقف العالم، المتذوّق للجمال الأدبي والمتمتع بالتسالي الرّاقية، وهنا يبتدئ أمران: أولهما تحقيق الذات. الأنا وتفردّها، وثانيهما تحقيق ما تسعى إليه من هدف لدى الآخر، وهنا يتكشف حب هذه الذات، الأنا للآخر والسعي إلى جعله ممتلكاً هذا التفرد أو إلى بنائه إنساناً متميّزاً على مختلف الصعد، ويحيا حياة ممتعة في دنيا يسعى فيها إلى الآخرة. وهكذا تحقّق الذات، الأنا ما تدعو إليه في مختاراتها، فتكون قدوة لهذا الإنسان الذي تريد بناءه. وفي ما يأتي نحاول أن نتبيّن هذه الرؤية من طريق نماذج دالّة نختارها من الكتاب. يلاحظ من يقرأ «الكشكول» أن للموت، في نصوصه المختارة، حضوراً بارزاً، ففي شعر له، يذكره مرتين في هذا الكتاب، يرى أن هذا الموت الذي يكرهه كلُّ الناس، لو نظروا إليه بعين العقل، لرأوه الراحة الكبرى: (١)

إن هذا الموت يكرهه كل من يمشي على الغبرا  
وبعين العقل لو نظروا لرأوه الراحة الكبرى

(١) الكشكول: (ص ٢٥ و ٥٠٩).

وفي حكاية من أقاصي الهند، يحضر الموت بوصفه واعظاً للناس، وكاشفاً لهم «غرور الدنيا ولعبها بأهلها»، ما يجلمهم «يتوبون ويكثرون الصدقات»<sup>(١)</sup>.

والموت المفضي إلى الآخرة (دار البقاء) هو والدنيا يشكّل ثنائياً ضديّة، فالإنسان، العابد الفطن يطلّق دار الغرور هذه، بعد أن ينظر بعين العقل، ويرى أنها ليست وطناً له، ويتخذها بحراً يعبر به إلى الآخرة بسفن صالح الأعمال:<sup>(٢)</sup>

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطِنُوا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَةَ

نَظَرُوا فِيهَا، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطَنًا

جَعَلُوهَا لِحَيِّهِ، وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفِينًا

وَالْعَابِدَ الْفُطْنَ مَسْكُونًا بِالْإِيمَانِ. لَمَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنَ الشُّبْلِيِّ، قَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ

له: أيها الشيخ، قل: لا إله إلا الله، فقال:<sup>(٣)</sup>

إِنْ بَيْتاً أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرَ مَحْتَاجٍ إِلَى السُّجْرِ

نلاحظ، في الحكاية، جمالية السرد، وفي الشعر جمالية الصور، فالدنيا في هذه

الآيات تتجسد في صورتين محسوستين، كما أن صالح الأعمال يتمثل في صورة

لمموسة، ما يشكل مشهداً يعبر فيه الإنسان الفطن إلى ملاذ الخلاص بسفن يصنعها

هو بصالح أعماله. ولا يخفى ما في هذه الصور من تناص مع القرآن الكريم والحديث

الشريف، وهكذا تؤدّي الدلالة معرفة جمالية تمتع وتكشف في آن.

وهذه المعرفة الجمالية نجدها في النثر الأدبي. الحكمة، ففي القولين الآتيين

تتشكل ثنائيات ومفارقات لغوية ومعنوية كاشفة، يقول عابد: «اجعل الآخرة رأس مالك،

(١) الكشكول: (ص ١٢).

(٢) الكشكول: (ص ٢٣٦).

(٣) الكشكول: (ص ٢٧).

فما أتاك من الدنيا فهو ربح»، ويقول محمد بن الحنفية: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه دنياه»<sup>(١)</sup>. ويقول رويم الصوفي: الصوفي «هو الذي لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء»<sup>(٢)</sup>.

وهنا تتجلى كرامة الإنسان، فهو إن ابتلي بعسرة يصبر صبر الكريم، ولا يشكو إلا للرحيم الرحمن، يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:<sup>(٣)</sup>

وإذا بليت بعسرة فاصبر لها صبر الكريم، فإن ذلك أحزم ولا تشكون إلى الخلائق وإنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم. ويقول عبد الله بن العباس: «أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا سأله، وأبعد ما يكون عن الناس إذا سألهم»<sup>(٤)</sup>.

إن هذا الإنسان يسعى للخير في هذه الدنيا، ينظم أبو الفتح البستي في هذا الشأن قصيدة طويلة مطلعها:<sup>(٥)</sup>

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران  
... أقبل على النفس واستعمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان...  
وهذا تعريف للإنسان يتمثل في ما تتصف به نفسه من فضائل. وفي الحكاية الدالة على هذه الفضائل حكاية الرجل المتدين الذي أمر الحجاج بقتله، وقال لقتيبة بن مسلم: ليكن عندك، وتحضره في الغد، فطلب الرجل من قتيبة أن يسمح له بأن يذهب ليعطي ما لديه من ودائع لأصحابها، فسمح له قتيبة، وخاف ألا يعود، لكن الرجل عاد،

(١) الكشكول: (ص ١٥).

(٢) الكشكول: (ص ٢٥٠).

(٣) الكشكول: (ص ٧١).

(٤) الكشكول: (ص ١٥٩).

(٥) الكشكول: (ص ٢٧٤).

ولما لاحظ استغراب قتيبة، قال: جعلت الله كفيلاً ولا أرجع! (١)

وهذا الإنسان يقول على لسان الشاعر سليمان الباجي الأندلسي: (٢)

إذا كنت أعلم علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعة  
فلم لا أكون ضنيناً بها وأجعلها في صلاح وطاعة؟

إن هذا الإنسان الذي يجعل حياته في صلاح وطاعة، يتصف بمكارم الأخلاق، ورسول  
الله محمد ﷺ، إنما جاء ليتممها، وفي مختارات الكشكول ما يدعو إلى الإتيان بهذه  
المكارم، والنماذج كثيرة، من شعر وحكايات وأقوال بليغة، نذكر منها: (٣)

... وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به  
فإنك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه  
وفي بيتين طريفيين يشعان في صورة محسوسة ملموسة، بالكشف عن الزيف  
والكذب، نقرأ: (٤)

قالت، وقد أبصرت بلحيته صبغاً وسجادة بجبهته  
هذا الذي كنت قبل أعرفه يكذب في وجهه ولحيته  
وقيل للربيع بن خيثم: ما نراك تغتاب أحداً؟ فقال: لست عن نفسي راضياً، فأتفرغ  
لذم الناس! وأنشد: (٥)

لنفسى أبكي لست أبكي لغيرها لنفسى عن نفسي عن الناس شاغل

(١) الكشكول: (ص ٩٠٠).

(٢) الكشكول: (ص ١٩٧).

(٣) الكشكول: (ص ١٩٧).

(٤) الكشكول: (ص ٤٩ و ٨٦٥).

(٥) الكشكول: (ص ١٥٨).

وفي الحكاية المثل جاء أنَّ الذباب يتبع مواضع الجرح فينكأها، ويجتنب المواضع الصحيحة، وكذلك شرار الناس، يتبعون معائب الناس، فيذكرونها، ويدفتون المحاسن<sup>(١)</sup>.

هذا الذُّباب من الناس هو ما ينبغي تجنُّبه، يقول البهاء: لهُ دَرٌّ من قال:<sup>(٢)</sup>

كن عن الناس جانباً وارضى بالله صاحباً

قلِّب الناس كيف شئت تجدهم عقارباً

ويقول، أيضاً: لهُ دَرٌّ من قال:<sup>(٣)</sup>

لا أشتكى زماني هذا فأظلمه وإنما أشتكى من أهل ذا الزمَنِ

هم الذُّباب التي تحت الثياب فلا تكن إلى أحدٍ منهم بمؤتمن

قد كان لي كنز صبر، فافتقرت إلى إنفاقي في مداراتي لهم ففني

وإن يكن يحضُّ على تجنُّب الرذائل وتركها ويشكو الناس.. الذباب والذُّباب؟ فإنه

يحضُّ على التحليِّ بالفضائل، والنماذج كثيرة نذكر منها:

«قيل لأعرابية: ما الذلُّ؟ فقالت: وقوف الشَّريف بباب الدُّني، ثم لا يؤذن له!»<sup>(٤)</sup>.

«وقيل للمهلب: ما الحزم؟ فقال: تجرُّع الغصص إلى أن تنال الفرص»<sup>(٥)</sup>.

وقال أحدهم: «رحم الله من أطلق ما بين كفيهِ، وحبس ما بين فكِّيهِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) الكشكول: (ص ٤٦٧).

(٢) الكشكول: (ص ٢٣٤).

(٣) الكشكول: (ص ٢٠٧).

(٤) الكشكول: (ص ٦٣٤).

(٥) الكشكول: (ص ٢١١).

(٦) الكشكول: (ص ١٢٩).

ولا يخفى ما في هذه الأقوال من تركيز لغوي، يشكل ثنائيات، ويرسم مشاهد دالة على معنى مكثف عميق.

تبدو هذه الرؤية الجمالية واضحة، فجُلُّ ما يختاره هو مما حسن لفظه ومعناه، وقد يكون ذا دلالة اختياره هذا التعريف للشعر:

«الشعر إنما هو إبداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل اللطيف»<sup>(١)</sup>.

الشعر ليس الكلام الموزون المقفى الدال على معنى، وإنما هو إبداع اللغة الشعرية الدالة الكاشفة، وقد لاحظنا هذه الجمالية في ما سبق من مختارات وعظية أخلاقية، ونلاحظها في المختارات الأخرى في مختلف شؤون الحياة، فنقرأ، على سبيل المثال، قول الشريف الرضي:<sup>(٢)</sup>

... وتلفَّت عيني، فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

ونقرأ لأحدهم:<sup>(٣)</sup>

يامقلتي أنت التي أوقعتني في حبه

غرتك رقعة خده ونسيت قسوة قلبه

ولا تخلو رؤيته من تأثر بمعايير عصره للجمالية الشعرية، ومنها وفرة المحسنات

اللفظية والمعنوية، ومن نماذج ذلك نقرأ للشيخ محيي الدين بن عربي:<sup>(٤)</sup>

بان العزاء، وبان الصبر إذ بانوا بانوا، وهم في سواد القلب سكان

(١) الكشكول: (ص ٩٢٥).

(٢) الكشكول: (ص ١٧).

(٣) الكشكول: (ص ١٧).

(٤) الكشكول: (ص ١٥٢).

ونقرأ لأحدهم:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أعلم ما تقول عذلتك

لكن جهلت مقالتي فعذتني وعلمت أنك جاهل فعذرتك (ص ٣٧)

ففي هذين البيتين انتقال من الشرط إلى الإستدراك، ما يدل على انتقال في الموقف، وفيه ثنائيات ضديه: تعلم / جهلت، عذرتني / عذلتني أعلم، علمت / جاهل، عذلتك / فعذرتك، وهي في الوقت نفسه ثنائيات لغوية وموظفة في أداء الدلالة، وهذا يعني أن في هذين البيتين صناعة شعرية كانت رائجة آنذاك، ولكنها تظل هنا محببة لأنها دالة غير مجانية.

ولعل إعجابه بجمالية هذا النوع من الشعر جعله يفيد من مخمس ينسبه هو للصنوبري، وترى د. دلال عباس أنه لعبد المحسن الصوري<sup>(١)</sup>.

بالذي ألهم تعذيبي ثناياك العذابا والذي ألبس خديك من الورد نقابا

والذي صير حظي منك هجراً واجتبابا والذي صير حظي منك هجراً واجتبابا

ما الذي قالته عينك لقلبي فأجابا (ص ٤٢).

ويقول هو:

يا بدر دجى فراقه الجسم أذاب قد ودعني، فغاب صبري إذ غاب

بالله عليك، أي شيء قالت عينك لقلبي المعنى فأجاب؟ (ص ٦٠)

ولا تخلو المختارات من طرائف فكاهية، مثل الحوار الشعري الذي دار بين الشاعر

أبي الحسين الجزار الذي مات حماره، وبين أحد أصحابه، قال هذا:

(١) راجع: بهاء الدين العاملي، م.س.، ص ٤١١.

... من مات في عزّه استراح ومن خلّف مثل الأديب ما ماتا  
فأجابه الجزار:

... فقلت: مات حماري تعيش أنت وتبقى (ص ٣٥).

وهذه الجماليّة اللغوية نلاحظها كذلك في مختاراته النثرية، ومن نماذج ذلك نذكر هذا القول المركز الثري بالمفارقات الكاشفة: «العزلة من دون عين العلم زلّة ومن دون زاء الزهد علة».

أمّا في الحكاية فنلاحظ طرافة الحدث وندرته وعمق الدلالة وإنسانيته، وهي دلالة تنتظم في بناء الرؤية الشاملة التي يرى منها البهاء إلى العالم، ومن نماذج ذلك نذكر: حكاية من تاريخ الأدب، تعرّف بأعشى همدان، وتحكي أنه كان أسيراً في بلاد الديلم، فأحبته ابنة أسره، فحلت قيوده وهربت معه، ثم أسره الحجاج وقتله (ص ٢٦ و ٢٢)، فهذه الحكاية تقدّم معرفة بشاعر نائر، كما تقيم ثنائياً طرفها الأول الحب وطرفها الثاني الكره، فيفضي الأول إلى الحرية، ويؤدي الثاني، إلى القتل. يروي المؤلّف هذه الحكاية، من دون أن يحول خروجها إلى المحذور الجنسي، من اختياره لها لأنها حكاية طريفة نادرة تقدم معرفة ورؤية في سياق سردي ممتع.

وإن تكن هذه الحكاية تصوّر علاقة الشاعر بالسلطان، فإننا نقرأ حكاية أخرى تصوّر واقع الشاعر الذي اضطر إلى امتهان الجزيرة كي لا يحتاج أحداً.  
يقول الشاعر أبو الحسين الجرّار:

لا تلمني، مولاي، في سوء حالي عندما رأيتني قصّابا

كيف لا أترضى الجزيرة ما عشت حياً، وأترك الآدابا

وبها صارت الكلاب ترجّيني وبالشعر كنت أرجو الكلابا (ص ٢١٤)

وحكاية أخرى تقدّم معرفة بالشخصيات، وتكشف عن صفاتها، وتدُلُّ على بلاغة الجواب المفهم المفضي إلى تغيير الموقف، تحكي أن شاعراً قصد أبا دلف، فسأله هذا: من أنت؟ فأجابه: من بني تميم، فقال أبو دلف:

تميم بطرق اللؤم أهدى من العصا      ولو سلكت سبل المكارم ضلّت  
فقال الشاعر: نعم، بتلك الهداية جئت إليك. فخجل أبو دلف، واستكتمه وأجازه (ص ٤٦٣).

ومن هذا النوع حكاية العجوز التي لم تبع بيتها لجارها الثري بمئتي دينار، وهو يساوي عشرين ديناراً، فقيل لها: إن القاضي يحجر عليك لسفاهتك حيث ضيَّعت مئتي دينار...، فقالت: فلم لا يحجر على من يشتري بمئتين ما يساوي عشرين ديناراً؟ فأفحمت القاضي ومن كان معه (ص ٢٤٢ و ٢٤٣).

في هذه الحكاية، علاوة على متعة طرافة الحكاية، كشف لشخصية هذه العجوز الذكيّة، المحبّة لبيتها، الحريصة على كرامتها، وإقامة ثنائية الفقير الغني، المثيرة للسؤال: فلم يحاسب الأول ولا يحاسب الثاني؟  
وحكاية/ مثل خرافي تحكي عن كلب في فمه رغيف لم يُخدع بدمّ الآخر له (ص ١٧٢).

### تقديم المعرفة المتنوّعة

ولا تقتصر مختارات «الكشكول»، كما قلنا آنفاً، على الشعر والحكايات والأقوال البليغة المنتقاة من منظور ديني أخلاقي تربوي جمالي، وإنما تشمل مختلف أنواع العلم، فتقدّم معرفة بتفسير القرآن الكريم، وعلم القراءات وبالحدِيث النبويّ الشريف، والفقه والأدعية، والفلسفة، وعلم الكلام والتصوّف والنسك، والتاريخ، والجغرافيا، وفقه اللغة، وقواعدها، وتاريخ الأدب من شعر ونثر وأمثال، وبلاغة، وموسيقى وترجمة وهندسة وجبر وحساب ومساحة وطب وفيزياء وفلك وعلم الطلسمات وتنجيم وفسادة

والوزن، علاوة على معلومات متنوعة في خير الخيل والصفات المحمودة في الخادم وتسمية الأيام التي في آخر البرد بالعجوز، والآلات كالإسطرلاب. ويقدم هذا الكتاب كذلك ألغازاً وأحاجي متنوعة، وألعاباً في استخراج المضمّر، وتعريفاً بألعاب مستخدمة كالنرد والشطرنج.

تختلف اللُّغة المستخدمة في هذه المختارات عن لغة المختارات الأدبيّة، فهي لغة تواصل لا لغة إبداع، تتميز بدقّة الأداء وبساطة التركيب وسهولة الفهم، غير أنها لا تخلو من «نكهة طريفة»، فعندما يعرف المنطق على سبيل المثال يقول: «فإن نسبة المنطق إلى المعاني نسبة النحو إلى الكلام والعروض إلى الشعر» (٢١٥). وعندما يقدم المعرفة التاريخيّة يقدّمها في سياق سردي كاشف للشخصية والموقف، فيتمثلها المتلقي في مناخ المتعة السردية، ما يجعلنا نتحدّث مرة أخرى عن المعرفة الجمالية. وهذا ما نلاحظه لدى حديثه عن خصائص الشعر، ومنها الإقتباس من الفقه، فتأتي المعلومة الفقهية في سياق شعري لطيف. يقول أحدهم:

أنبت ورداً ناضراً ناظري / في جنّة كالقمر الطالع / فلم منعمت شفتي لثمه! / والحقُّ  
أن الزرع للزراع.

ويمكن أن يعد الكتاب، لوفرة ما تضمن من مختارات شعرية وأقوالٍ نثرية بليغة ووثائق كثيرة نادرة، ديواناً للشعر والنثر العربيين. وبهذا يكون ديواناً للمعرفة الجماليّة العربيّة، وسجلاً للمعرفة في مختلف صنوفها، علاوة على تقديمه معرفة بعدد كبير من الأعلام ومواقفهم، ما يجعله، أيضاً، كتاباً في الرجال، ولكن من طريق الرواية الراسمة للمشاهد والكاشفة عن صفات الشخصية ومواقفها.

## تقديم معرفة بالأعلام

وقد نتبيّن رؤية البهاء أكثر مباشرة في تقديمه معرفة بالأعلام ومواقفهم، وإن كنا لن نتحدّث عن الأعلام الذين يعرف بهم جميع، لكثرتهم، فإننا سنقدّم بعض النماذج

الدَّالَّة، ومنها على سبيل المثال..

-رواية هجوم جنود المتوكل على منزل الإمام علي الهادي عليه السلام ليلاً...، وفيها ترسم أمام القارئ صورتان: أولاهما صورة الإمام الهادي عليه السلام: «... يقرأ القرآن، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرَّمَل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصُّوف، متوجَّهاً إلى ربه يترنم بآيات في الوعد والوعيد»، وثانيتهما صورة المتوكل، وهو في مجلس الشراب والكأس في يده وقد حُمِل إليه الإمام عليه السلام، فيطلب منه أن يشرب، فيرفض. فيطلب منه أن يغني له، فيقرأ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ﴾<sup>(١)</sup> فيطلب منه أن ينشده شعراً، ويلح عليه في ذلك، فينشده قصيدة أبي العتاهية المعروفة ومطلعها:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل... (٦٤٦)

ترسم هذه الرواية شخصيتين تنتمي كل منهما إلى عالم، وتشكل ثنائية ضدية كاشفة واقع السلطان وواقع الإمام عليه السلام.

-ورواية، تقول: إن الرباب بنت امرئ القيس تزوجها الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام)، فولدت له سكينه، وكان يحبها حباً شديداً، وقال في ذلك شعراً، وكانت معه يوم الطَّف، فرجعت إلى المدينة مع من رجع، فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: والله، لا يكون لي حمو آخر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعاشت بعد الإمام الحسين عليه السلام سنة لم يُظَلَّها سقْف إلى أن ماتت حزناً (٩٦٥).

ترسم هذه الرواية شخصيتين: أولاهما شخصية الإمام الحسين عليه السلام الإنسان المحبّ لزوجته والمعبر عن حبه شعراً، وثانيتهما شخصية زوجته الرباب الوفيّة، والتي لم تعش بعده طويلاً، هذا العالم الإنساني الرّاقى يقابله في المسكوت عنه، أو في المشار إليه بـ«يوم الطَّف» عالم آخر، هو عالم وحشي ارتكب أفظع جريمة بشرية في كربلاء.

(١) سورة الدخان الآية: ٤٤.

وقد كان عبد الله بن العباس مصيباً في حوارهِ الآتي مع معاوية، إذ إن هذا هو من أنجب يزيد، وأسس لسياسته. قال معاوية لابن عباس، بعد أن كُفَّ بصره: ما لكم، يا بني هاشم، تصابون في أبصاركم؟! فقال ابن العباس: كما أنتم، يا بني أمية تصابون في بصائرکم (ص ١٧٣).

### المواقف النادرة

يلتقط المؤلف مواقف لأناسٍ عاديين، تتلمذوا على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، في مواجهة معاوية، في زمن طغيانه، تكشف عن شخصيات واجهت الطاغية من دون خوف، فهذه سودة بنت عمار تبيّن لمعاوية ظلمه، وتقارن بينه وبين عدل الإمام علي عليه السلام، وتهدّده (ص ٦٣٢)، وهذا جارية بن قدامة يرد إهانة معاوية له بمثلها، ويقول له: «أما، والله، إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا، والسيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا...» (ص ٣٢٧). وهذا شريك بن الأعور يصنع صنيع جارية، وينشد، متسائلاً:

أيشتمني معاوية بن حرب وسيفي صارمٌ، ومعِي لسانِي؟! (ص ٣١٤).

والنماذج في هذا المجال كثيرة (راجع على سبيل المثال: ٣١٦ و ٣١٧). وفي روايات كثيرة، يقدّم المؤلف معرفةً بالحلاج، ويبدو أن لهذا العَلَم الصّوفي مكانة كبرى لديه، إذ تتكرر الروايات عنه، كما يتكرر الإقتطاف من شعره ومن شعر ابن الفارض، ويكاد يكون ما اقتطف من شعر هذا الأخير يمثل ديواناً شعرياً.

ترتسم في الرواية الأولى (ص ٢١١) صورة المقتول صبراً وشجاعته، ورغبته في أن يخفي ما يدلُّ على خوفه من صفرة لا يستطيع الإنسان أن يخفيها إرادياً، وترتسم في الرواية الثانية (ص ٢٢٢)، صورة المتأمرين على الصّوفي الشاعر وصورة السلطان الأمر بتعذيبه وقتله، وصورة المعذب الصّابر على العذاب، والمقتول صبراً... وصورة

الجثة المحروقة، وفي الرواية الثالثة (ص ٢٢٤) صورة العارف التارك للناس دنياهم ودينهم، ليشغل بدينه ودنياه، وفي الرواية الرابعة (ص ٤١٢) تتكرر الصورة الأولى، وفي الرواية الخامسة (ص ٤٢٦) تتكرر الصورة الثانية. يتقدّم الحلاج إلى العذاب والقتل، وهو ينشد:

لم أسلم النفس للأسقام تبلغها إلا لعلمي أن الوصل يحييها  
نفس المحبّ على الآلام صابرةً لعل مسقمها يوماً يداويها  
فلما صلب إلى الجذع قال:

يامعين الضننى عليّ أعني على الضنى (ص ٢١١ و ٤١٢)  
تتكشف، في هذه النماذج، من طريق الحكاية الطريفة، صفات شخصيات مؤمنة تقية، شجاعة، تجيد القول البليغ، وتتخذ مواقف نادرة من دون خوف... لأنها ترجو المعونة من الله، سبحانه وتعالى، وكما تكشف شخصيات أخرى نقيضة، سكيرّة، مستبدة، طاغية...

شخصية البهاء، الأنا قدرها لا يزال يعلو  
ولا نكون بعيدين عن الصواب عندما نرى أن شخصية البهاء، كما يسفر عنها السفر في هذا الكتاب أنموذج آخر من تلك الشخصيات المؤمنة التقية الشجاعة التي تجيد النطق بالقول البليغ واتخاذ المواقف البليغة أيضاً، وفي ما يأتي نحاول أن نتبيّن ذلك.

ينتمي البهاء، كما تفيد مختارات الكشكول، إلى أسرة أدبية علمية تقية، فهو ينقل ما كتب بخط جدّه، وما قاله ونظمه أبوه، في غير موضع من كتابه، ما يفيد هذا الأمر (راجع: ص ١٠١ و ١٦٠ و ١٧٩ و ١٩١ و ١٩٢ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٥٣٧).

جمال الإنسان، كما تقول مختارات الشيخ البهائي، يتمثّل في عقله وأدبه، اللذين

وهبهما الله سبحانه له، وإن فقدهما، كان فقد الحياة أجمل به:

ما وهب الله لامرئٍ هبةً أحسن من عقله ومن أدبه

هما جمال الفتى، فإن فُقدَا ففقدته للحياة أجمل به (ص ٢١٣)

والعقل عقلان، غريزي، ووجوده في الطفل كوجود النخل في النواة والسنبلة في

الحبّة، ومكتسب، وهذا نوعان: أحدهما التجارب الدنيوية والمعارف المكتسبة، وثانيهما

العلوم الأخروية والمعارف الإلهية... (ص ٩٧٧).

والعلم يرفع شأن الإنسان، فهذا القاضي البيضاوي، صاحب التفاسير المشهورة،

وكان زاهداً عابداً متورّعاً، دخل في تبريز مجلس الوزير، فجلس في أخريات القوم، وإذ

أورد المتحدث في المجلس أسئلة، ولم يستطع أحد الإجابة عنها، أجاب، ثم سأل أسئلة

لم يستطع أحد الإجابة عنها، فأجاب هو عنها، فقام الوزير وأجلسه مكانه (ص ٥٢).

وقال بعض الحكماء: لست منتفعاً بما تعلم إذا لم تعمل بما تعلم، فإذا زدت في

علمك، فأنت مثل رجلٍ حزم حزمة من حطب، وأراد حملها، فلم يطق، فوضعها وزاد

عليها (ص ١٨٩).

يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام، كان (صلى) يقول: «النظر إلى وجه العالم

عبادة، فالمقصود العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرك بالآخرة، ومن كان على خلاف

ذلك فالنظر إليه فتنة»، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا

السلطان...» وعن عيسى عليه السلام: «مثل العالم السوء مثل صخرة وقعت في فم النهر،

لا هي تشرب الماء، ولا هي تترك الماء ليخلص إلى الزرع» (١٦٤).

نلاحظ، أولاً، حلاوة الحكاية في بيان الدلالة، وجمال التشبيه.. ثم نرى ثانياً أن هذه

المختارات ترى أن قيمة الإنسان تتمثل في ما يحصله من معرفة علمية وأدبية، وفي ما

يتصف به من أدب، فهذه المعرفة التي يحصلها ترقى به إلى أعلى المراتب، وشرط

الإنشغال بالعلم والعمل به، والعالم العامل بعلمه هو المعنى بالحديث الشريف: «إن الله،

عزَّ وجل، بيعت لهذه الأمة، على رأس كلِّ مئة سنة، من يجدد لها دينها» (ص ٣٦١).  
والعالم هذا إنسانٌ يحبُّ الجمال ويعشقه، فنقرأ من شعره:  
كلُّ من لم يعشق الوجه الحسن    قَرَّبَ الرَّحْلَ إليه والرَّسْنَ (ص ٧٠)  
ونقرأ مما يختاره تعريفاً للعشق يقول: «العشق إنجذاب القلوب إلى مغناطيس  
الحب، وكيفية هذا الإنجذاب، لا مطمع في الإطلاع على حقيقتها، وإنما يعبر عنها  
بعبارات تزيدها خفاء، وهو كالحسن في أنه أمر يدرك، ولا يمكن التعبير عنه،  
وكالوزن في الشعر» (٧٣).

وهذا فهم يساوي بين العشق والجمال والشعر، ويرى أن كلاهما أمر تلقائي، لا  
يمكن معرفة حقيقته، يدرك ولا يمكن التعبير عنه، واللافت هنا القول: إن الوزن في  
الشعر أمر تلقائي أيضاً، فالشعر يصدر موزوناً كما يتجلى الحسن جمالاً والعشق حباً.  
هذا العالم العامل بعلمه، العاشق للجمال، يُعنى بتفاصيل تدل على تديُّنه وولائه  
لأهل البيت عليهم السلام، فيبني، على سبيل المثال، «مكاناً في النجف الأشرف لتحفظ فيه  
نعال زوار ذلك الحرم الأقدس» ويكتب على ذلك المكان هذين البيتين:

هذا الأفق المبين قد لاح لديك    فاسجد متذللاً وعفَّ خديك (ص ٩٥).  
ذا طور سينين، فاغضض الطرف به    هذا حرم العزَّة فاخلع نعليك  
ويقول في الحنين إلى طوس، المشهد الأقدس الرضوي.

يا ريح إذا أتيت أرض الجمع    أعني طوس، فقل لأهل الربع  
ما حلَّ بروضة بهائيكم    إلا وسقى رياضها بالدمع  
ويخاطب الريح أيضاً: لتلثم أرض النجف نيابة عنه (ص ٢٤)  
ويحنُّ إلى المكان الذي يقيم فيه، فينظم في مدينة هرات... حيث أقام مدة، غير

قصيدة، منها أرجوزة، تصفها هي وهواءها وماءها ونساءها وثمارها وعنبها وبطيخها ومدرستها ومنتزهها (كازركاه)، وتنتهي بالتحسُّر على فراقها (ص ١٣٧ - ١٤١).

ويرحل في طلب المعرفة، ويطول سفره، يقرأ ويكتب في البلاد التي يزورها، فنقرأ ما كتبه في مصر المحروسة وما وقف عليه في القدس الشريف من كتابي: «مجلي الأفراح» و«الأغاني»، وما قاله وحرَّره في محروسة تبريز وفي قزوین وأصفهان ومشهد...

ولم يقتصر دوره، في هذا الكتاب، على اختيار المعرفة ونقلها وإيصالها، وإنما تمثل كذلك في نقدها وإنتاجها، فقد مرَّ بنا الكلام على المعرفة العلمية وضروب الترفيه والتسلية.

ونقدّم، في ما يأتي نماذج دالة على الأنواع الأخرى من المعرفة:

علم التفسير:

ففي علم التفسير نلاحظ رصده التناقض في تفسير علم من أعلام هذا العلم، يقول: «قال...، في سورة هود ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١)</sup>: إن الفعل معلق عن العمل، وقال في سورة الملك نقيض ذلك...»، ثم يتقصَّى الأمر في تفسير هذا العلم (راجع: ص ١٨٢).

ويتحدث عن يتصدى للتفسير، فيقرُّ ما يجب أن يقوم به، فيوافق الغزالي على ما جاء في إحدى رسائله، ويقول: «من الواجب على من يتصدى لتفسير القرآن أن ينظر فيه من جهات سبع: أولها: اللغة وجواهر الألفاظ، وثانيها: الاستعارات والكنيات، وثالثها: النحو، ورابعها: نضد الألفاظ المفردة والجمل وأحوالهما كما هو مبين في علم المعاني، وخامستها: عادات العرب في أمثالهم ومحاوراتهم، وسادستها: رموز الحكماء المتألهين، وسابعها: كلام الصوفيَّة ومقاصدهم» (راجع: ص ٩٠٤).

(١) سورة الملك، الآية: ٢.

يمكن القول: إنه، هنا، يضع منهجاً ليس في تفسير آيات القرآن الكريم فحسب، وإنما في دراسة النص وهذا المنهج ليس ببعيد عن المناهج الحديثة في مقارنة النصوص ودراساتها.

ويثير، في شأن تفسير القرآن، مسألة أخرى طالما كثر الجدل فيها، وهي مسألة التفسير بالرأي، فيطرح السؤال، كما ورد في شرح نهج البلاغة لكامل الدين بن ميثم، وهو: «إن قلت: كيف يجوز تجاوز الإنسان، في تفسير القرآن المسموع، وقد قال ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار، وفي النهي عن ذلك آثار كثيرة؟». ويجيب عن السؤال. فيقول: إن الجواب عنه من وجوه، ويعدّد هذه الوجوه، ومنها.

«إنه معارض بقوله ﷺ: إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً، ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن، ولو لم يكن سوى الترجمة المنقولة، فما فائدة ذلك الفهم...»، ومنها «قوله تعالى: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، فأثبت للعلماء استنباطاً». ثم، وبعد أن يقدم أدلة منقولة من القرآن الكريم، والحديث الشريف وأقوال الإمام عليّ عليه السلام، يفسّر ذلك النهي بالقول: «... فإذا الواجب أن يحمل النهي عن التفسير بالرأي أحد معنيين: أحدهما أن يكون للإنسان في شيء رأي، وله إليه ميل بطبعه، فيتأول القرآن على وفق طبعه ورأيه... الثاني: أن يتسرّع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهاره بالسَّماع والنقل...» (راجع: ص ٥٩٩ و ٦٠٠).

الواضح، مما تقدّم، أن البهاء باحث متمكّن يلاحظ ويرصد، ويكشف... ويضع منهجاً ويطبّقه، ويعطي لرأي العالم الموضوعي المختص دوره في إنتاج المعرفة الدينية، ما يفتح باب الإجتهد والتجديد ومواجهة مشكلات أي عصر... ذلك أن النبيّ محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء، ورسالته خاتمة الرسائل وموجّهة إلى البشر جميعهم.

(١) سورة النساء الآية: ٨٢.

علم الكلام:

وفي علم الكلام، يعرض مسألة وجوب شكر المنعم، فيقول: «مما استدل به أصحابنا (قدس الله أسرارهم وأعلى في الفردوس قرارهم) على أن شكر المنعم واجب عقلاً، وإن لم يرد به نقل...»، ويقدم الأدلة، ثم يناقش الأشاعرة في هذا الشأن نقاشاً مطوّلاً، ويخلص إلى نتيجة يقرّها مقدّمًا الأدلة المقنعة (راجع: ص ١٥٤ و ١٥٥).

قراءة النصوص ودراساتها:

ولتقتي الباحث المتمكّن لدى قراءته النصوص الأدبيّة ودراساتها وتقديم معرفة بها للمتلقّي، ونماذج ذلك كثيرة، نذكر منها تأييده لما ذهب إليه الصفي من أن أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل:

قوم، إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأهمم: بولي على النار  
من اثني عشر وجهاً (راجع: ص ٣٧٣)

ونقاشه للفاضل الجلي والتبريزي في فهم بيتي المتنبّي الآتين وبيان جماليتها:  
نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة، فأرت ليالي أربعا  
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا (راجع: ٧٢٤)  
جعلوها لجةً، واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا (ص ٢٣٦)  
وبيانه الوحدة الكلية في مقطوعة حاتم الطائي الشعرية:

وعاذلة قامت عليّ تلومني كأنّي إذ أعطيت مالي أضيما (راجع: ٩١٧).  
وتتبّع لما سمّي في النقد القديم بـ«سرقات الشعراء وسقطاتهم»، (ص ٣٦٥) وما  
يسمّي في النقد الحديث التآثر والتأثير أو التناص. وملاحظته التناص في الشعرين  
العربي والفارسي، وهو ما يسمّي في النقد الحديث بـ«الأدب المقارن» فنقرأ قوله: إن  
بيت ابن العفيف التلمساني.

تبدي النصار دلالاً وهي أنسةٌ يا حسن معنى الرضا في صورة الغضب  
 «هذا البيت يحوم حول قول العارف السامي الشيخ نظامي، في كتاب: خسرو  
 وشيرين»، وتبيئه خصائص شعر عمر بن أبي ربيعة (ص ٨٦٠). وشعر شعراء آخرين  
 (ص ٣١٩ و ٣٢٠)، وأخذه على أبي نواس، في نقد للمعجم اللغوي، استخدامه في بيته  
 الآتي:

كأنَّ صغرى وكبرى من فواقعها حصباء درُّ على أرضٍ من الذهب  
 «فعلى مؤنث أفعل» من دون أل التعريف والإضافة معاً، وهذا بعد أن يقول: «قد  
 أحسن أبو نواس في بيته هذا غاية الإحسان» (ص ٧٧٧).

ويشير قضية التلقّي والتأويل، لدى نقله الخبر الآتي: «قيل: إنه لمّا سمع بعضهم  
 قول أبي تمام:

لا تسقني ماء الملام لأنني صبُّ قد استعذبت ماء بكائي  
 جهَّز له كوزاً، وقال: إبعث لي في هذا قليلاً من ماء الملام، فقال أبو تمام: لا أبعثه  
 حتى تبعث لي بريشة من جناح الذل»<sup>(١)</sup>.

يعلق البهاء على ما قاله النقّاد عن هذا البيت، فيقول: «إن للبيت محملاً آخر كنت  
 أظن أنّي لم أسبق إليه حتى رأيت في التبيان (لنصير الدين الطوسي)، وهو أن يكون  
 ماء الملام من قبيل المشاكلة لذكر ماء البكاء. ولا تظن أن تأخر ذكر ماء البكاء  
 يمنع المشاكلة، فإنهم صرّحوا، في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ  
 مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾<sup>(٢)</sup> أن تسمية الزحف على البطن مشياً لمشاكلة ما بعده.

(١) كشكول: (ص ٢١٤).

(٢) سورة النور الآية: ٤٥.

وهذا الحمل إنما يتمشى على تقدير صحة الحكاية المنقولة»<sup>(١)</sup>.

لا يخفى أن هذا كله: بيت أبي تمام المذكور، والنقد الذي وجه إليه، وإجابة أبي تمام، عنه يثير قضية غموض شعر أبي تمام، وتفرّد لغته الشعرية، والاتصال بالتراث والإنصال عنه. يقول أبو تمام: إنه لا يخرج عن سنن الإبداع اللغوي العربي، فهو إنما يعتمد الإستعارة كما يعتمدها القرآن الكريم.

ويبدو واضحاً أن البهاء يضيف جديداً إلى قضية تلقي هذا البيت وتأويله، ما يدل على أنه يكشف عن وجه آخر للنص الشعري، فهو ذو عقل نقدي ينظر في السائد، ويرى فيه رأيه. وعندما يجد هذا الوجه يقرّ بفضل من سبقه إليه، ويستخدم المصطلح: المشاكلة، ويصدر في رأيه عن دراسة نصّية تكشف أن جديد أبي تمام متّصل بالتراث العربي الإسلامي/ القرآن الكريم، والنصوص الشعرية العربية التي استقي منها مفهوم مصطلح المشاكلة، أي أنه غير منقطع؛ وهو وبهذا، يسهم في بحث قضية لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، وهي: كيف يتم التجديد، بالاتصال بالتراث أم بالإنقطاع عنه؟ ما يجعلنا نفيد من عمق رؤيته في بحث قضية التجديد، وخصوصاً الشعري في هذه الأيام.

ولم تقتصر دراسته النصوص الأدبية على الشعر، وإنما درس نصوصاً نثرية، منها نصوص الصحيفة السجّادية للإمام علي بن الحسين عليه السلام، فيقول: إن الله، سبحانه وتعالى ألهمه إلى كشف الحجاب عن حقائق كنوز هذه الصحيفة الكاملة، ورفع الأستار عن خفايا رموزها... «مما لم يهتد إليه إلا واحد بعد واحد، ولم يطلع عليه إلا وارد بعد وارد»<sup>(٢)</sup>... ومنها شرح الأمثال العربية التي أورد كثيراً منها، ومن نماذج ذلك شرح المثليين: «هذا الأمر مما تركب إليه أعجاز الإبل»، و«طويت دونها كشحاً»<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع: بهاء الدين العاملي، م.س.، ص ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩١ و ١٤٩.

السيد محسن الأمين، رحلات السيد محسن الأمين، بيروت: مركز الغدير ط ٢، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، ص ١٩٧.

(٢) الكشكول: (راجع: ص ١٨٣).

(٣) الكشكول: (راجع: ص ٩٣٧).

## التاریخ:

وفي التاريخ، لا يكتفي، في حالات كثيرة، بتقديم المعلومة التاريخية من طريق الحكاية الطريفة، أو القول البليغ، وإنما يحقّق ويناقش، ويخلص إلى رأي، كما يفعل لدى نقاشه قول أحد الباحثين من أن حكاية البطة موضوعة وأن الغزالي وجار الله الزمخشري لم يجتمعا، إذ يحدّد تاريخ وفاة كل منهما، ويرى «أن اجتماعهما غير بعيد»<sup>(١)</sup>، وهذا ما يفعله لدى بحثه مسألة التقاء الإمام جعفر الصادق عليه السلام بأبي يزيد البسطامي، وعمل هذا سقاءً في داره عليه السلام، إذ يورد أسماء من ذكروا ذلك، وأسماء كتبهم، ويقرّر: «وبعد شهادة هؤلاء بذلك لا عبرة بما في بعض الكتب»<sup>(٢)</sup>.

وفي علوم أخرى، يحيل إلى كتب له، وينقل نماذج منها، ويخلص إلى القول: «... فهذه وجوه تسعة، في إبطال الجزء، لم يسبقني إلى شيء منها أحد»<sup>(٣)</sup>.

الذات، الأنا الفريدة والخلص من المحن:

يفخر من لم يسبق إلى مثل هذا الإنجاز، فيقول: من قصيدة يمدح بها صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه)، ويعدّد فيها مزاياه:<sup>(٤)</sup>

واني امرؤ لا يدرك الدهر غايتي ولا تصل الأيدي إلى سرّ أغواري  
ويعود هذا الفقيه العالم الشاعر الأديب...، وقد «أذن بلال الشيب في المفارق» إلى ذاته، أنه ويحاسبها: فيخاطب هذا الخائض في بحر الأماني، ويسأله: ما هذا التواني، فيثير منذ البداية السؤال: التواني عن ماذا؟ ويأتي الجواب في سياق يتنوع فيه الخطاب بين سرد للماضي وسؤال عن البقاء في هذه الحال، وإضاءة تكشف الواقع، وتأكيد لأمر... وأمر، فهو أوضاع العمر عصياناً وجهلاً، فمضى عمر الشباب...، فإلى متى

(١) الكشكول: (راجع: ص ٩١٨).

(٢) الكشكول: (راجع: ص ٨٤).

(٣) الكشكول: (راجع: ص ١٨٢).

(٤) الكشكول: (راجع: ص ١٦٢-١٦٤).

يبقى هكذا، والحال غدت كما يصوِّرها البيت الآتي المتقرِّد بصورة مبتكرة مستقاة من التراث الديني:

بلال الشيب نادى في المفارق بحَيِّ على الذَّهاب، وأنت غارق

هو أذان الشيب يؤدِّيه بلال، معلناً قرب الموت، فما العمل؟

يعرض ما فعله، فقد صرف ماله على كتب العلوم، فأتعب باله في تصحيحها، وأنفق

الأيام والليالي في ما لا ينفع في المعاد...، وينتهي إلى قرار: <sup>(١)</sup>

... بهذا النَّحو صرف العمر جهلاً فقم، واجهد، فما في الوقت مهل

وهكذا يجرِّد من نفسه شخصاً آخر، ويخاطبه، فيكون الخطاب للأنا والآخر، وفي

هذا الخطاب تتمثل الرؤية الدينيَّة، وجوهرها: بذل جهد العمر في جعل الدُّنيا مزرعة

الآخرة، والعمل من أجل يوم الحساب، يوم المعاد.

ويروي في قصيدة ذات بنية سردية ودلالة رمزيَّة حكاية الكردي الذي قتل أمَّه

الزَّانية <sup>(٢)</sup>، والأم هنا ترمز إلى النَّفس الكفور الجانية، وإن أراد الإنسان الخلاص في

يوم المعاد فليقتلها، يقول بعد أن يسرد القصة:

... إن تكن مع لسع ذي تبغي الخلاص أو ترم من عضِّ هاتيك المناص

فاقتل النفس الكفور الجانية قتل كرديٍّ لأمِّ زانية...  
ويخاطب الساقى فيقول:

أيُّها الساقى، أدر كأس المدام واجعلن في دورها عيش المدام

خلِّص الأرواح من قيد الهموم أطلق الأشباح من أسر الغموم

(١) الكشكول: (راجع ١٥٦-١٥٨، وراجع: ١٦١ في الموضوع نفسه).

(٢) الكشكول: (ص ١٥٩)

فالبهائي الحزين الممتحن من دواعي النفس في أسر المحن  
هذه قصيدة صوفيّة تستخدم رموزاً خاصّة، والمهم هنا هو أن البهائي كان يسعى  
إلى الخلاص من دواعي النفس التي تجعله حزينا ممتحناً ويعيش في أسر المحن...،  
فنفس المرء، كما يقول الإمام علي عليه السلام: «خطاه إلى أجله»<sup>(١)</sup>. وهذا يعني أنه يسعى  
إلى الكمال الإنساني، فقد كان شخصيّة فريدة في غير مجال، لكنه يريد أن يرقى إلى  
الخلاص من المحن، بذلك النور الذي يضيء النفس فلا تكون كافرّة، جانية، وهذا ما  
ينتهي به قصيدة أخرى:<sup>(٢)</sup>

... قل للبّهائي الممتحن داو الفؤاد من المحن  
بمدامّة أنوارها تجلوعن القلب الصدى  
ويتكرّر هذا الخطاب في قصائد أخرى منها قصيدة مطلعها:  
يا نديمي ضاع عمري وانقضى قم لاسـتـدراك وقت مضى  
واغسل الأدناس عنّي بالمدام واملأ الأقداح منها يا غلام  
وإن يكن نور المدامه يغسل الأدناس، فإن الشعر «يروض الروح» يقول:  
... روحن روحي بأشعار العرب كي يتم الحظُّ فينا والطرب  
وافتح منها بنظم مستطاب قلته في بعض أيام الشباب  
... ثم أطربني بأشعار العجم واطردنهما على قلبي هجم

(١) الكشكول: (ص ٩٥).

(٢) الكشكول: (ص ٦٤١).

قم وخاطبني بكل الألسنة عُلَّ قلبي ينتبه من ذي السنة  
ويختم بأن يجرد من نفسه شخصاً آخر، ويأمره بأن يتخذ قلباً لا يعبد هواه: (١)  
... يا بهائي، اتخذ قلباً سواه فهو ما معبوده إلا هواه  
وهكذا يسعى البهائي إلى أن يغسل بذلك النور الإلهي كل علم ليس ينجي في المعاد.  
إنه يريد أن يوظف كل ما يحسنه ويجيده في هذا السبيل، يقول: (٢)  
وإن كان يغسل بالإيمان/ النور الإلهي كل علم ليس ينجي في المعاد ليحقق لذاته/  
أناه/ الخلاص، فإنه كان، كما مر بنا، يروحن الروح بالشعر: شعر العرب والعجم وكل  
الألسنة، ويشغل البال به يقول: (٣)

فرمت شيئاً مشغلاً لبالي مما أقاسيه من البلبال  
فلم أجد أبهى من الأشعار وليس نظم الشعر من شعاري  
لم يكن البهاء محترفاً نظم الشعر، ولا متفرغاً له، لكنه كان يوظفه في «روضة  
الروح»، والواضح أنه يستخدم «المثنوي» في الغالب شكلاً لشعره، لأنه أكثر الأشكال  
الشعرية سهولة، ويلائم تجربته بوصفه عالماً كبيراً يغلب العنصر الفكري على  
العناصر الأخرى في شعره المتصّف بمعجم لغوي مأخوذ من الحياة اليومية، وبساطة  
تركيب العبارة، وبنية النص المتناسكة وسهولة الفهم، من دون أن يخلو من الصور  
والمحسنات، لكن هذه. أي المحسنات. لم تكن وفيرة، كما أن كان ما توافر منها كان  
موظفاً في إنتاج الدلالة، فتخلص بذلك من صناعة ذلك العصر وتصنّعه.

(١) الكشكول: (١٥١ و ١٥٢).

(٢) الكشكول: (١٤٧).

(٣) بهاء الدين العاملي، م.س.، ص ٣٦٢.

## الموقف من الآخر:

أما موقفه من الآخر، فقد مرّ بنا الكلام عليه في ما سبق، وقلنا: إن سعيه إلى جعل المعرفة ميسورة لعامة الناس وخاصّتهم، يحصّلونها في مناخ من الفرح والمتعة، يعني قبولاً للآخر وحباً له وسعيّاً إلى تثقيفه، ودعوة له للحوار. ويندرج، في هذا السياق، عمله على التقريب بين المذاهب، من طريق معرفة السنّة مذهب الشيعة الإماميّة، ومعرفة هؤلاء مذاهب السنّة، ما يجعل التقريب قائماً على المعرفة والإقتناع.

ونقرأ، في مختارات «الكشكول»، ما يؤكّد ما رأيناه، فقد نشأ، وهو يسمع والده ينشد له: (١)

صل من دنا، وتناس من بعدا لا تكرهنّ على الهوى أحدا  
قد أكثرت حواء ما ولدت فإذا جفا ولد فخذ ولدا  
ونشأ أيضاً، وهو يقرأ في النهج وصايا، مثل قول أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: «البشاشة حبال المودة. إذا قدرت على عدوّ، فاجعل العفو عنه شكرياً للقدره عليه» (٢).  
فعدا عالماً كبيراً يقول: (٣)

أنا الفقير المعنى ذو رقةٍ وحنين للناس طرّاً خدوم، إذ هم استخدموني  
يلو مقامي قدراً إذا هم لمسوني ولست أسلو هواهم ولو قطعوني..  
وتبدو هذه الرؤية إلى الآخر واضحة، عندما نجده يرى فلاحاً يحرث في حقول تبريز، فيقف قربه، ويرتسم أمام ناظريه مشهد الخصب والعطاء، ويعجب من جمال هذا الحرّاث الرائي إلى الزهرة الآتية، ويستشرف المستقبل المزهر المعطاء. يقول: (٤)

(١) الكشكول: (ص ١٠١).

(٢) الكشكول: (ص ٩٤).

(٣) الكشكول: (ص ٣١).

(٤) الكشكول: (ص ٧٠).

لله حُرَّاتٌ مَلِيحٌ غداً في كَفِّهِ المَحْرَاثُ ما أَجْمَلُهُ!  
كأنَّ الزُّهْرَةَ قَدَّامَهُ الثُّورِ راعي مَطْلَعِ السَّنْبِلَةِ

### العالم والسلطان:

تتمثل، في مسار حياة البهائي، إشكالية العالم والسلطان، وبلغة عصرنا إشكالية المثقف والسلطة، وهذه إشكالية قديمة قدم قيام السلطان الساعي إلى توظيف مختلف قوى المجتمع في سياق مشروعه، وجعلها عناصر تتنظم في بناء هو محوره، والعالم الحقيقي، المنتمي إلى دينه وأهله وناسه، والساعي إلى الخلاص ليكون ناجياً في يوم المعاد، كما بدأنا البهائي، يأبى أن يفرغ ذاته من ذاته ليكون أداة توظف في تحقيق مشروع السلطان، وخصوصاً إن كان غاشماً مستتبداً. والنماذج كثيرة في التاريخ عن الإباء كما عن الإنضواء.

وقد واجه البهائي هذه الإشكالية، إذ تولّى منصب شيخ الإسلام في عهد الشاه عباس، وكان مقرباً منه، ويبدو أنه أثر خوض التجربة، على الرغم من كرهه للمناصب وسعيه إلى الحرية الفكرية، وعلمه أن صاحب السلطان كراكب الأسد. وبهذا يكون قد اختار الموقف الأصعب، وفي وعيه نصيحة أبيه بتجنّب الإختلاط بالملوك، ورؤيته أن حبّ الدنيا رأس كل خطيئة.

وكانت التجربة شديدة الصعوبة، فالشاه عباس إشكالي الشخصيةً، مزدوجها. وقد نجح البهائي إلى حدّ كبير، كما تقول د. دلّال عباس، في التوفيق، في عصر مضطرب، وفي عهد سلطان مستبد، بين العقيدة المبدأ والسلوك العملي، فكان منحازاً إلى الناس، ولم يمدح السلطان، ولم يتوان عن نقده حين يقتضي الأمر ذلك.

وترى الباحثة أن كثيراً من إنجازات الشاه الإيجابية، تعود إلى تأثير البهائي الذي كان من نمط من العلماء توضح صفاته، عندما تروي حادثة حاول فيها الشاه الإيقاع

بينه وبين عالم آخر، فلم يوفق<sup>(١)</sup>.

يتحدث السيد محسن الأمين عن تجربة البهائي هذه، فيعجب من تجنيه على زمانه، وقد قيض له ما لم يقيض لغيره، فيقول:

للشيخ البهائي حجرة خاصة في المشهد، فيها قبره، وعليه صندوق علق عليه زيارة مكتوبة على لوحة ليزار بها الشيخ البهائي... وذكرني ما للبهائي من العظمة والجلال في بلاد إيران، حياً وميتاً، بما قرأته في كشكوله ما حاصله: «رحم الله أبي، لو لم يأت إلى بلاد العجم لما ابتليت بصحبة الملوك وأهل الدنيا».

فقال لسان حالي مخاطباً الشيخ البهائي: وأنت، رحمك الله، تتجنى على زمانك، وتتضرع من مجيئك لبلاد العجم، حتى أصبحت فيها شيخ الإسلام تركب مع الشاه عباس أعظم ملوك الصفوية، ويأتمر بأوامرك.

والشهيد الثاني، شيخ أبيك، يحرس الكرم في الليل في قرية جبع، ويراجع هناك الدروس التي يدرسها في النهار ويبني مسجده وداره بيده ويتاجر بالشريط لتحصيل معاشه، ويسافر مع المكارية والجمالة لتلك الغاية، ويعاملونه كما يعاملون أحدهم.

وأنت تدفن بمشهد الإمام الرضا في حجرة معظمة، وتزار كما يزار، وصاحباً المعالم والمدارك وغيرها من فطاحل علماء جبل عامل، مضية العلماء، الذين لا يقصرون عنك، يدفنون في مقبرة جبع في جبل عامل في تربة لا بناء عليها، وقد أشرفت قبورهم على الإندراس والإندثار بتوالي السيول والأمطار، ولا يزور قبورهم إلا النادر في نادر الأزمان والأعصار<sup>(٢)</sup>.

لكن، إن عدنا إلى ما تبيّنناه آنفاً، من أن البهاء يسعى إلى خلاص يجعله من الناجين في يوم المعاد، ويريد توظيف علومه ومناصبه في سبيل ذلك يجعلنا نفهم شكواه، ومن هنا نتبين تميزه من علماء السلطان، أو «مناديله» من نحو أول، ومن التصوف بمعنى

(١) راجع: بهاء الدين العاملي، م.س.، ص ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩١ و ١٤٩.

(٢) السيد محسن الأمين، رحلات السيد محسن الأمين، بيروت: مركز الغدير ط ٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠١١م، ص ١٩٧.

الدُّروشة من نحو ثانٍ، فهو متفردٌ في هذا الشأن مثله مثل كثير من العلماء الكبار في التاريخ.

ونجد في مختارات «الكشكول» من نصوص شعرية وحكايات وأقوال بليغة ما يكشف رؤيته إلى السلطان ويقدم معرفةً جماليةً به وبها.

يتميّز العالم من السلطان بميزة جوهريّة، يوضح سقراط هذا التميّز في ما يأتي: «قيل لسقراط: إنك تستخف بالملوك، فقال: إني ملكت الشهوة والغضب، وهما ملكاه، فهو عبدٌ لعبدي»<sup>(١)</sup>.

وإذ تستبد الشهوة والغضب بالسلطان، أثر ابن الأثير ألا يشفى من مرضه شفاهً تاماً ليبتعد عنه: وذلك كما قال لـ «تكميل نفسي، ومطالعة كتب العلم، ولا أدخل معه في ما يغضب الله ويرضيه...»<sup>(٢)</sup>، وهذا يعود إلى كلام قاله القدماء: «شرُّ العلماء من لازم الملوك، خير الملوك من لازم العلماء»<sup>(٣)</sup>، ويقول البهاء: «إذا رأيت العالم يلزم السلطان، فاعلم أنه لئس، وإياك أن تُخدع بما يقال: إنه يرد مظلمةً، أو يدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس اتخذها فُجَّارُ العلماء سلماً»<sup>(٤)</sup>. ومن الروايات الجميلة الدّالة: «أرسل عثمان بن عفّان، مع عبداً له كيساً من الدراهم إلى أبي ذر (رضي الله عنه)، وقال له: إن قبل هذا، فأنت حرٌّ، فأتى الغلام بالكيس إلى أبي ذر، وألح عليه في قبوله، فلم يقبل، فقال له: إقبله فإن فيه عتقي، فقال: نعم، ولكن فيه رقيٌّ»<sup>(٥)</sup>. وأوّل ما يفقده السلطان، حين يلي سلطانه، ودّه لإخوانه، «قال معاذ بن جبل: إرض من أخيك، إذا ولي ولاية بعُشر ودّه قبلها»<sup>(٦)</sup>.

(١) الكشكول: (ص ٣١٢٢).

(٢) الكشكول: (ص ٣٤).

(٣) الكشكول: (ص ١٦١).

(٤) الكشكول: (ص ١٦٤).

(٥) الكشكول: (ص ١٦٦).

(٦) الكشكول: (ص ٩٥٥).

والسلطان لا يحتمل وجود الإنسان المفكر بين المواطنين، ولا يقبل النقد، هذا ما تقوله حكاية إياس بن معاوية والقاضي والخليفة عبد الملك بن مروان: حاجج إياس القاضي فحجّه، فدخل هذا إلى عبد الملك فأخبره، فقال له: «اقض حاجته، وأخرجه من الشام، لا يفسد الناس»<sup>(١)</sup>.

يثير السلطان الخوف، تصوّر حكاية «البازي والديك» هذا الخوف، فيشبه أبو أيوب المرزباني، وزير المنصور، نفسه فيها بالديك الذي يرى الديوك مشويةً في السفود على النار، وهو في كل وقت يرى السفافيد مملوءة ديوكاً...، ويقول لمن يستغرب خوفه عندما يطلبه المنصور: «لو عرفتم من المنصور ما أعرفه، لكنتم أسوأ حالاً مني عند طلبه لكم»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الواقع يجعل القريب من الملوك يقول: «سررت بقرب الملوك وصلاتهم، فلم أر أحسن من الخلاص منهم».

وكيف يكون الخلاص؟ تدلُّ الحكايات على دروب، منها الجنون، فهذا الأعرابي يهرب إلى الجنون عندما يعرف أن من يخاطبه هو الحجاج، كان قد قال للحجاج: «ذلك ما ولي العراق أشرُّ منه، قبحه الله، وقبَّح من استعمله»، قال الحجاج: أو تعرف من أنا؟ قال: لا. قال الحجاج: أنا الحجاج. فقال الأعرابي: أتعرف من أنا؟ قال: لا. قال: أنا مجنون بني عجل، أصرع في كلِّ يوم مرتين، وكان أن ضحك الحجاج، فسطوته أفضت إلى هذا الدرب من الهرب منها، وأمر له بصلة. وهذان الحبيبان يهربان إلى الموت، فترمي الجارية نفسها في النهر بعدما غنت عذاب الأحيّة: «... ويعذبون من الأحيّة/ بالجفا ما يصنعون»، ويلحق الغلام بها، وهو ينشد: «... والموت ستر العاشقين»<sup>(٣)</sup> واعتنقا في الماء، وغاصا هرباً من عالم العذاب...

(١) الكشكول: (ص٤٥٧).

(٢) الكشكول: (ص٢٣٢).

(٣) الكشكول: (ص٥٧).

والسُلطان نفسه، عندما يواجه الحقيقة: الموت، ويتهياً للوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى، يتمنى لو لم يكن سلطاناً، جاء في الحكاية: «نظر عبد الملك بن مروان، عند موته، في قصره، إلى قِصَّارٍ يضرب بالثوب المغسلة، فقال: يا ليتني كنت قِصَّاراً، لم أتقلد الخلافة، فبلغ كلامه أبا حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم، إذا حضرهم الموت، يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه»<sup>(١)</sup>. وجاء في الحكاية: «دخل بعضهم على المأمون في مرضه الذي مات فيه، فوجده قد أمر أن يُفرش له جلّ الدأبة، وبساط عليه الرّماد، وهو يتمرغ عليه، ويقول: «يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه»<sup>(٢)</sup>. وكان عمر بن عبد العزيز قد فطن، فانتبه من النوم قبل أن ينبّه الموت منه، جاء في الحكاية: «قيل لعمر بن عبد العزيز: ما كان بدء توبتك؟ فقال: أردت ضرب غلام لي، فقال لي: يا عمر، أذكر ليلةً صبيحتها يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

إنّه يوم المَعَاد، يوم الوقوف بين يدي من لا يزول ملكه، يسعى البهاء إلى أن يكون من النُّجاة فيه، وبذلك يسعى إلى العلا، وهو يختار من ذاكرة الحياة والثقافة العربيّتين الأحسن والأحلى، ولذا ينهي كتابه بالقول:<sup>(٤)</sup>

لا زال يعلو قدره دائماً إلى العلا صاحب هذا الكتاب

(١) الكشكول: (ص ١١).

(٢) الكشكول: (ص ٩٣٨).

(٣) الكشكول: (ص ٢١١).

(٤) الكشكول: (ص ٩٨).



## ملحق

# مؤلفات الشيخ البهائي



يحتوي هذا الملحق على كتب الشيخ البهائي ومؤلفاته وإجازاته، وقد ذكرنا في بعض الأحيان بعض الحواشي على كتب الشيخ سواء كانت لنفس الشيخ أو لآخرين من تلامذته وغيرهم، كما وقمنا بذكر بعض الترجمات والشروح على كتب الشيخ وليس جميعها بما يناسب المقام ومنعاً من الإطناب. وفي الختام ذكرنا بعض الآثار المنسوبة والمجهولة للشيخ.



## أولاً: مؤلفات الشيخ البهائي (مع الحواشي والشروح والترجمات):

(١)

إثبات الأنوار الإلهية (عربي - عقائد وكلام)

رسالة باللغة العربية في موضوع الكلام والعقائد ذكر هذه الرسالة المدر تبريزي وآقا بزرك.

ريحانة ٣/٣٠٨؛ الذريعة ١/٨٥.

(٢)

إثبات وجود القائم عَلَيْهِ السَّلَام (عربي - عقائد وكلام)

يذكر صاحب رياض العلماء هذا الكتاب، كذلك يذكر هذا العنوان الشيخ عبد النبي كاظمي في تكملة نقد الرجال، والعنوان هو (إثبات وجود صاحب الزمان).

رياض ١/٢٩٢، /٥/٩٦؛ الذريعة ١/١١٠٨.

(٣)

الإثني عشرية (عربي - أدعية)

هذا المتن عبارة عن زيارة من تأليف الشيخ بهاء الدين محمد العاملي، حيث تتضمن كل فقرة من هذه الزيارة ١٢ حرفاً، وفي المجموع ٢٤ فقرة. يقول الشيخ البهائي في مقدمة المتن: «زيارة يزار بها كل واحد من الأئمة الإثني عشر عَلَيْهِمُ السَّلَام، وقد جرت على لساني وأنا الفقير بهاء الدين محمد العاملي، وسميتها بالإثني عشرية لأن كل فقرة منها بدون حرف العطف اثني عشر حرفاً». ذكر هذا الكتاب بعناوين: الزيارة المطلقة للأئمة الإثنا عشر، وإثنا عشر إمام.

(٤)

## الإثني عشرية = الإثني عشريات الخمس

هذا العمل يشتمل على خمسة مباحث: الطهارة، الصلاة، الزكاة، الصوم والحج مع الالتفات لوجود كل واحدة من هذه المباحث في بعض المكتبات بشكل نسخ خطية منفصلة، وبناءً على ما تقدم سنذكرنا في البداية النسخ الإثني عشرية الكاملة ثم سنذكر النسخ المفككة والمجزأة.

أمل الأمل ١/١٥٥؛ سلامة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢٠؛ روضات ٧/٥٩؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١٠؛ الذريعة ١/١١٣.

(٥)

## الإثني عشرية في الطهارة (عربي - فقه)

وهي أول اثني عشرية من الإثني عشريات الخمس للشيخ البهائي. نظم المؤلف أحكام الطهارة في تقسيم جميل في اثني عشر مطلب كما يلي: ما الطهارة، كم الطهارة، لِم الطهارة، بِم الطهارة، مِمّ الطهارة، على ما الطهارة، متى الطهارة، ممن الطهارة، فيم الطهارة، ما الذي يتقدم الطهارة، كيف الطهارة، ما الذي يتبع الطهارة؟

ريحانة ٢/٣٠٨؛ الذريعة ١/١١٧

(٦)

## الإثني عشرية في الصلاة (عربي-فقه)

ثاني اثني عشرية من الإثني عشريات الخمس للشيخ البهائي وهي في أحكام الصلاة. قسّم المؤلف كل ما في الصلاة إلى ١٢ فصلاً وأورد في كل فصل ١٢ مطلباً. انتهى الشيخ البهائي من تأليف هذا الكتاب سنة ١٠١٢.

كشف الحجب ٥؛ ريحانة ٣/٣٠٨؛ الذريعة ١/١١٧؛ مشارع عربي ١٨.

حاشية:

حاشية الاثني عشرية / للشيخ البهائي

حاشية كتبها الشيخ البهائي مع عناوين (قوله-قوله) وضح فيها بعض من الاثني عشرية في الصلاة.

شروح على الإثني عشرية في الصلاة:

الأنوار البهية في شرح الاثني عشرية / نور الدين علي بن حسين الموسوي العاملي  
(قرن ١١ق)

شرح مختصر على الاثني عشرية في الصلاة للشيخ البهائي، حيث انتهى الشارح  
من تأليفه في يوم الجمعة ٨ جمادى الأول ١٠٢٤.

كشف الظنون ٥/٦٠٥؛ كشف الحجب ٣١٨، ٦٦؛ الذريعة ٢/٤٢١.

الفوائد السرية في شرح الاثني عشرية الصلاتية البهائية / سليمان بن عبد الله

ماحوزي بحراني

كشف الحجب ٣١٩؛ الذريعة ١٦/٣٤٢؛ ١٣/٦٢

شرح الإثني عشرية في الصلاة/ علي بن أحمد بن موسى العاملي النباطي

كشف الحجب ٣١٩؛ الذريعة ١٣/٦٢

منظومة:

منظومة في نظم الاثني عشرية الصلاتية البهائية / عبد الله بن صالح بن جمعة

السماهيجي البحراني

كشف الحجب ٥٦٣؛ الذريعة ٢٣/١٤٤.

(٧)

الاثنى عشرية في الزكاة (عربي-فقه)

ثالث رسالة من الإثني عشريات الخمس للشيخ البهائي والتي بين فيها أحكام زكاة المال وزكاة البدن (الفطرة) بطريقة مبتكرة ومختصرة في اثني عشر مطلب (سته مطالب لزكاة المال والبقية لزكاة الفطرة) وفي الختام، أضاف إليها أحكام الخمس.

(٨)

الإثني عشرية في الصوم (عربي - فقه)

وهي الرسالة الرابعة من الاثني عشريات للشيخ البهائي كتبت في عام ١٠١٩، ومؤلفة من سبعة فصول وكل فصل تمّ تقسيمه إلى اثني عشر فصل صغير. ختمت هذه الرسالة ببيان اثني عشر ميزة من ميزات شهر رمضان المبارك.

ريحانه ٢٠٨/٣؛ الذريعة ١/١١٧

حاشية:

حاشية الاثنى عشرية في الصوم / محمد إسماعيل المازندراني الأصفهاني.  
تذكر هذه الرسالة كتعليق على الإثني عشرية.

شروح:

شرح الاثنى عشرية في الصوم / حسين بن موسى أردبيلي

كشف الحجب ٣١٩، ٣٢٥؛ الذريعة ١٣/٦٣.

شرح الاثنى عشرية في الصوم / حسام الدين بن جمال الدين طريح نجفي .

كشف الحجب ٣١٨؛ الذريعة ١٣/٦٣.

(٩)

الإثني عشرية في الحج (عربي - فقه)

وهي خامس وآخر اثني عشرية للشيخ البهائي، والتي يبين فيها المؤلف أحكام ومناسك الحج بترتيب خاص مع الإشارة إلى دلالات وأقوال كبار (الفقهاء) علماء الفقه.

(١٠)

إجازات (عربي - متفرقة)

١- إجازة الشيخ البهائي لأحد الوزراء في ٩٩٣هـ.

٢- إجازة الشيخ البهائي لمولانا علي جيلاني في ٩٩٣هـ.

٣- إجازة الشيخ البهائي لكمال الدين أبو تراب عبد الصمد عاملي في ٩٩٥هـ.

٤- إجازة الشيخ البهائي لـيكي از وزرا في ٩٩٦هـ.

٥- إجازة الشيخ البهائي لتلميذه مولى أمين الدين محمد في ٩٩٦هـ.

الذريعة ١١/٢٤.

٦- إجازة الشيخ البهائي لـ أمير كمال الدين شاه مير حسيني (حسني) في ٩٩٧هـ،

١٠٠٨م.

الذريعة ١١/٣٣٨؛ الغدير ١١/٣٣٥.

٧- إجازة الشيخ البهائي لنور الدين علي بن عبد العزيز بن عبد الله بن حائك

(حاسب) البحراني في ٩٩٨هـ.

الذريعة ١١/٢٣٨؛ الغدير ١١/٣٣٧.

٨- إجازة الشيخ البهائي لـ ملك حسين بن ملك علي تبريزي في ٩٩٨هـ.

الذريعة ١١/٢٣٩؛ الغدير ١١/٣٤١.

٩- إجازة الشيخ البهائي لـ أبي الحسن محمد بن سليمان في ٩٩٨هـ، ٩٩٩هـ، ١٠٠٠هـ.

الذريعة ١١/٢٣٩؛ الغدير ١١/٣٤١.

- ١٠- إجازة الشيخ البهائي لجمال الدين أحمد السعدي في رجب ١٠٠٠ هـ في كربلاء.
- ١١- إجازة الشيخ البهائي لمحمد حسين بن مجد الدين.
- ١٢- إجازة الشيخ البهائي لشاه حسين طالشي في ١٠٠٢ هـ.
- ١٣- إجازة الشيخ البهائي لسيد عز الدين حسين بن حيدر عاملي كركي في ١٠٠٣ هـ، ١٠١٠ هـ، ١٠٢٠ هـ.
- أعيان ٦/٥؛ الذريعة ١/٢٣٨؛ الغدير ١١/٢٢٤.
- ١٤- إجازة الشيخ البهائي لسيد محمد باقر بن عبد القادر حسيني استرآبادي في ١٠٠٣ هـ.
- ١٥- إجازة الشيخ البهائي لمولانا حاجي حسينا في ١٠٠٣ هـ.
- ١٦- إجازة الشيخ البهائي لشيخ صالح بن حسن الجزائري في ١٠٠٦ هـ. ق أمل الأمل ٢/٢٧٢؛ الغدير ١١/٣٣٦.
- ١٧- إجازة الشيخ البهائي لصدر الدين محمد بن محب علي تبريزي في ١٠٠٧ هـ. الذريعة ٦/٢٤١.
- ١٨- إجازة الشيخ البهائي لكمال الدين حاج بابا بن ميرزا جان قزويني في ١٠٠٧ هـ. الذريعة ٦/٢٤١؛ ١/٢٣٧؛ الغدير ١١/٣٣٢.
- ١٩- إجازة الشيخ البهائي لمحمد كاظم بن عبد العلي كيلاني تنكابني في ١٠٠٨ هـ.
- ٢٠- إجازة الشيخ البهائي لقطب الدين محمد تبريزي في ١٠٠٩ هـ.
- ٢١- إجازة الشيخ البهائي لمحمد كاظم بن عبد العلي كيلاني تنكابني في ١٠١٠ هـ.
- ٢٢- إجازة الشيخ البهائي لخواوردي في ١٠١١ هـ. رياض ٢/٢٣٥.
- ٢٣- إجازة الشيخ البهائي لشاه فضل الله في ١٠١١ هـ.

٢٤- إجازة الشيخ البهائي للشيخ زين الدين علي بن أحمد نباطي عاملي في ١٠١١هـ،  
١٠١٢هـ.

الذريعة ٣٠١/٥، ٢٣٨/١؛ الغدير ١١/٣٣٨.

٢٥- إجازة الشيخ البهائي للشيخ يونس بن حسن صيمري في ١٠١٢هـ.

٢٦- إجازة الشيخ البهائي لنظام الدين أحمد بن زين العابدين العلوي الحسيني  
العالمي في ١٠١٢هـ.

الذريعة ١/٢٣٧.

٢٧- إجازة الشيخ البهائي لمحمد (أحمد) بن عبد الحي شريف مشهور به نصير  
إمامي في ١٠١٢هـ.

٢٨- إجازة الشيخ البهائي لكي از فضلا في ١٠١٢هـ.

٢٩- إجازة الشيخ البهائي للسيد بهاء الدين علي الحسيني التفرشي في ١٠١٣هـ.  
الغدير ١١/٣٣٧.

٣٠- إجازة الشيخ البهائي لمولى صفي الدين محمد قمي في ١٠١٥هـ.

كشف الحجب ١٧؛ الذريعة ٢٣٩/١؛ الغدير ١١/٣٤٠.

٣١- إجازة الشيخ البهائي لمحمد رضا خادم مشهدي في ١٠١٦هـ.

٣٢- إجازة الشيخ البهائي لمولانا جلال الدين محمد في ١٠١٦هـ.

٣٣- إجازة الشيخ البهائي لكمال الدين حاج بابا بن ميرزا جان قزويني في ١٠١٦هـ.

٣٤- إجازة الشيخ البهائي لجلال الدين محمد بن عليخان جربادقاني (كلبايكاني)  
في ربيع الأول ١٠١٦هـ، وإجازة ثانية في صفر من نفس العام.

٣٥- إجازة الشيخ البهائي لأبي علي سيد ماجد بن هاشم البحراني في ١٠١٦هـ.

الذريعة ٢٣٨/١؛ الغدير ١١/٣٣٩.

٣٦- إجازة الشيخ البهائي للسيد سليمان بن السيد شمس الدين محمد بن شدقم  
الحسيني المدني في ١٠١٦هـ.

- ٣٧- إجازة الشيخ البهائي لملا محمد صالح مازندراني في ١٠١٨ هـ.
- ٣٨- إجازة الشيخ البهائي لكمال الدين (نظام الدين) أحمد بن زين العابدين العلوي الحسيني العاملي أصفهاني في ١٠١٨ هـ.
- كشف الحجب ٧؛ أعيان ٢/٥٩٤؛ الغدير ١١/٣٣١.
- ٣٩- إجازة الشيخ البهائي لمولانا حاجي حسينا في ١٠١٩ هـ.
- ٤٠- إجازة الشيخ البهائي لعلي بن عبد الله الحلي في ١٠٢٠ هـ.
- ٤١- إجازة الشيخ البهائي للشيخ لطف الله بن الشيخ عبد الكريم الميسي العاملي الأصفهاني وابنه الشيخ قوام الدين جعفر في ١٠٢٠ هـ.
- بحار ١٠٩/١٤٨؛ كشف الحجب ١٥؛ أعيان ٤/١٣٨؛ الذريعة ١/٢٣٨؛ الغدير ١١/٣٣٣.
- ٤٢- إجازة الشيخ البهائي لمحمد رضا بسطامي في ١٠٢٠ هـ.
- الذريعة ١١/٢٤؛ ١/٢٣٨.
- ٤٣- إجازة الشيخ البهائي لكمال الدين حاج بابا بن ميرزا جان قزويني في ١٠٢٠ هـ.
- ٤٤- إجازة الشيخ البهائي للسيد معين الدين محمد أشرف بن حبيب الله الحسيني الطباطبائي في ١٠٢١ هـ.
- الذريعة ١٣/١٤٦؛ ١/٢٣٧؛ الغدير ١١/٣٣٢.
- ٤٥- إجازة الشيخ البهائي لمولى شريف الدين محمد رويدشتي في ١٠٢٢ هـ.
- الذريعة ١/٢٣٨؛ الغدير ١١/٣٤٢.
- ٤٦- إجازة الشيخ البهائي لعبد الله بن إبراهيم نعاسي حوزاوي في ١٠٢٤ هـ.
- ٤٧- إجازة الشيخ البهائي للشيخ يحيى لاهجي في ١٠٢٥ هـ.
- الغدير ١١/٣٤٣؛ الذريعة ١١/٢٤ (در آخر إرشاد الأذهان).
- ٤٨- إجازة الشيخ البهائي لمحمد حسين بن محمود سليمي في ١٠٢٥ هـ.
- ٤٩- إجازة الشيخ البهائي للسيد أمير علي توني.

- ٥٠- إجازة الشيخ البهائي لبدر الدين أحمد العاملي الحسيني في ١٠٢٦هـ.
- ٥١- إجازة الشيخ البهائي لأمير محمد باقر الحسيني في عام ١٠٢٦هـ.
- ٥٢- إجازة الشيخ البهائي لمحمد رضا بسطامي في ١٠٢٦هـ.  
أعيان ٩/٣٣٥.
- ٥٣- إجازة الشيخ البهائي لمحمد بن عزيز الله الحسيني الخلخالي، بعد عام ١٠٢٦هـ.
- ٥٤- إجازة الشيخ البهائي لحاجي بابا بن ميرزاجان قزويني في ١٠٢٨هـ.
- ٥٥- إجازة الشيخ البهائي لمولانا محمد يوسف في ١٠٢٩هـ.
- ٥٦- إجازة الشيخ البهائي للشيخ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن نعمت الله بن خاتون العاملي في ١٠٢٩هـ.  
الذريعة ١/٢٣٩؛ الغدير ١١/٣٤٢.
- ٥٧- إجازة الشيخ البهائي لمحمد صالح بن أبي صالح بن جعفر الحسن الحسني الأردستاني في ١٠٢٩هـ.  
تراثنا ٧/١٥٢.
- ٥٨- إجازة الشيخ البهائي لحسن علي بن عبد الله الشوشتري الأصفهاني في ١٠٣٠هـ.  
كشف الحجب ٨؛ الذريعة ١/٢٣٧؛ الغدير ١١/٣٣٣.
- ٥٩- إجازة الشيخ البهائي لمولانا محمد هاشم الخراساني في عام ١٠٣٠هـ.
- ٦٠- إجازة الشيخ البهائي للسيد حسين المشهدي في ١٠٣٠هـ.
- ٦١- إجازة الشيخ البهائي للسيد شرف الدين حسين في ١٠٣٠هـ.  
أعيان الشيعة ٥/٤١١؛ الذريعة ١/٢٣٧؛ الغدير ١١/٣٢٤.
- ٦٢- إجازة الشيخ البهائي للشيخ محمد هاشم بن أحمد بن عصام الدين الأتكاني في ١٠٣٠هـ.

- الذريعة ١/٢٣٩؛ الغدير ١١/٣٤٣.
- ٦٣- إجازة الشيخ البهائي للشيخ أبو طالب التبريزي.  
رياض ٥/٤٦٨.
- ٦٤- إجازة الشيخ البهائي للمولى بديع الزمان قهبائي المشهور بالبديع الهندي.  
الذريعة ١/٢٣٧؛ الغدير ١١/٣٣٣.
- ٦٥- إجازة الشيخ البهائي لحيدر بن علاء الدين علي بن حسن الحسيني السبزواري.
- ٦٦- إجازة الشيخ البهائي لعلاء الدين محمد بن بدر الدين محمد القمي.  
الذريعة ١/٢٣٩.
- ٦٧- إجازة الشيخ البهائي للشيخ بهاء الدين محمد العاملي وهو من تلاميذ الشيخ البهائي.
- الغدير ١١/٣٤١؛ ديوان الشيخ البهائي (نفيسي)، ٦٣.
- ٦٨- إجازة الشيخ البهائي لمحمد أمين قاري.  
الغدير ١١/٣٤١.
- ٦٩- إجازة الشيخ البهائي لأحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ ماجد النجفي.
- ٧٠- إجازة الشيخ البهائي لسيدي؟.
- ٧١- إجازة الشيخ البهائي لمولانا حاج حسين.
- ٧٢- إجازة الشيخ البهائي لظهير الدين ميرزا إبراهيم بن قوام الدين حسين بن عطاء الله الحسن الحسني الحسيني الهمداني.  
الذريعة ١/٢٣٧؛ الغدير ١١/٣٣٢.
- ٧٣- إجازة الشيخ البهائي للسيد أبو القاسم رازي غروي.  
الغدير ١١/٣٣٢.
- ٧٤- إجازة الشيخ البهائي للشيخ أحمد بن إسماعيل الجزائري.  
روضات ١/٨٦.

- ٧٥- إجازة الشيخ البهائي للسيد أحمد بن عبد الصمد الحسيني البحراني.  
الغدير ١١/٣٣٢.
- ٧٦- إجازة الشيخ البهائي للسيد جلال الدين (جمال الدين) بن تاج الدين من  
طلاب الشيخ البهائي.  
أعيان ٤/٢٠١.
- ٧٧- إجازة الشيخ البهائي لجواد بن سعد بن جواد البغدادي المعروف بالفاضل  
جواد.  
الغدير ١١/٣٣٣.
- ٧٨- إجازة الشيخ البهائي لحسام الدين محمود بن درويش علي الحلّي النجفي.  
الغدير ١١/٣٤٠.
- ٧٩- إجازة الشيخ البهائي للشيخ حسين بن حسن العاملي المشغري.  
أمل ١/٧٠؛ الغدير ١١/٣٣٤.
- ٨٠- إجازة الشيخ البهائي للسيد حسين بن السيد كمال الدين الأبرز<sup>(١)</sup> الحسيني  
الحلّي.  
الغدير ١١/٣٣٤.
- ٨١- إجازة الشيخ البهائي لخليل بن غازي القزويني.  
الغدير ١١/٣٣٥.
- ٨٢- إجازة الشيخ البهائي لخليل بن محمد أشرف قايني أصفهاني.  
الغدير ١١/٣٣٥.
- ٨٣- إجازة الشيخ البهائي للسيد ميرزا رفيع الدين محمد النائيني.  
الغدير ١١/٣٣٩.

---

(١) بعض المراجع: الأبرز

- ٨٤- إجازة الشيخ البهائي للشيخ زين الدين علي بن سليمان البحراني.  
الغدير ١١/٣٣٦.
- ٨٥- إجازة الشيخ البهائي لسراج الدين قاسم بن مير محمد الطباطبائي القهباني.  
الغدير ١١/٣٣٨.
- ٨٦- إجازة الشيخ البهائي للسيد شرف الدين علي الطباطبائي الشولستاني.  
الغدير ١١/٣٣٧.
- ٨٧- إجازة الشيخ البهائي لشمس الدين محمد الكشميري المعروف بالمولى شمساً.  
الغدير ١١/٣٤٢.
- ٨٨- إجازة الشيخ البهائي لصالح بن أحمد المازندراني.  
الغدير ١١/٣٣٥.
- ٨٩- إجازة الشيخ البهائي لصدر الدين محمد الشيرازي المشهور بملا صدرا.  
الغدير ١١/٣٤٠.
- ٩٠- إجازة الشيخ البهائي لعبد اللطيف بن علي بن أحمد بن أبي جامع الحارثي  
الشامي العاملي.  
حديث شيعة ١٠٢.
- ٩١- إجازة الشيخ البهائي لعز الدين علي نقى بن أبي العلاء محمد هاشم.  
الغدير ١١/٣٣٧.
- ٩٢- إجازة الشيخ البهائي لغيث الدين علي الأصفهاني.  
الغدير ١١/٣٣٨.
- ٩٣- إجازة الشيخ البهائي للقاضي مجد الدين عباسي القثمي الدزفولي.  
الغدير ١١/٣٤١.
- ٩٤- إجازة الشيخ البهائي لمحمد بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود الكاشي.  
الغدير ١١/٣٤٢.

- ٩٥- إجازة الشيخ البهائي لمحمد تقي صوفي زيابادي القزويني.  
الغدير ١١/٣٤٢.
- ٩٦- إجازة الشيخ البهائي لمحمد تقي المجلسي.  
الغدير ١١/٣٤٠.
- ٩٧- إجازة الشيخ البهائي لتلميذه الميرزا محمد رضا.  
الذريعة ١١/٢٤
- ٩٨- إجازة الشيخ البهائي لمحمد علي بن ولي أصفهاني وأبيه.  
الذريعة ١/٢٣٨؛ الغدير ١١/٣٤١.
- ٩٩- إجازة الشيخ البهائي للملا محمد محسن الفيض الكاشاني.  
الغدير ١١/٣٣٩.
- ١٠٠- إجازة الشيخ البهائي للشيخ محمود بن حسام الدين مشرفي الجزائري.  
الغدير ١١/٣٣٩.
- ١٠١- إجازة الشيخ البهائي لمعز الدين محمد.  
الغدير ١١/٣٤١.

(١١)

أجوبة أسئلة الخواجوي (عربي-قرآن)  
أجوبة الشيخ البهائي على أسئلة الخواجوي في مسائل قرآنية. (المصدر مفقود)

(١٢)

أجوبة أسئلة الشاه عباس الصفوي (فارسي - فقه)  
أجوبة الشيخ البهائي على خمسة عشر سؤالاً طرحها الشاه عباس حول بعض المسائل  
الفقهية والتاريخية باللغة الفارسية. هذه الرسالة ذكرت في المصادر والمراجع بأسماء

أخرى: الأسئلة السلطانية، جوابات الشاه عباس الصفوي وجواب الشيخ البهائي للشاه عباس.  
الذريعة ٢٠٧/٥، ٢/٨٤.

(١٣)

أجوبة المسائل الجزائرية (عربي - عقائد وكلام)

تحتوي على ٢٢ سؤالاً في الأمور الفقهية والعقائدية والتفسير والتي قدمها الشيخ صالح بن حسن الجزائري في محضر الشيخ البهائي وأجابه الشيخ بأسلوب الفتوى أو الإستدلال. وانتهى منها في يوم السبت الرابع من ربيع الثاني ١٠١٤ هـ.  
وردت هذه الرسالة بأسماء أخرى: أجوبة مسائل الشيخ صالح الجزائري، الأسئلة الجزائرية، أجوبة البهائي للجزائري، المسائل الجزائرية، جوابات المسائل الحائرية، وجواب مسائل صالح بن حسن الجزائري.

أمل الآمل ١/١٥٦؛ رياض العلماء ٥/٨٩؛ لؤلؤة البحرين ٢١؛ كشف الحجب ١٦٥؛  
أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٩؛ ريحانه ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٥/٢١٨، ٢/٨١.

(١٤)

أجوبة المسائل الفقهية (عربي - فقه)

من جملة الأسئلة والأجوبة المأثورة عن الشيخ البهائي سبعة أسئلة وأجوبة فقهية لا يوجد منها إلا نسخة فردية واحدة ضمن جنك أسد الله بن ظهير الدين داوودي (وهو من تلامذة الشيخ البهائي). وهذه النسخة في مدرسة (نمازي خوي) رقمها ٦٦٠ وصورتها برقم ١١٧٦ في مكتبة مركز إحياء التراث الإسلامي في قم.

(١٥)

أجوبة مسائل ابن شدقم (عربي - عقائد وكلام)

وهي أجوبة المسائل التي طرحها علي بن حسن بن شدقم الحسيني المدني على الشيخ البهائي حول القرآن وأفضلية الإمام وعصمة الرسول الأكرم وخروج المهدي وعيسى، وأجاب عليها الشيخ البهائي عام ١٠١٣هـ. ذكر هذا الكتاب بعناوين متعددة، منها: أجوبة أسئلة الشدقمية، الأسئلة الشدقمية، جوابات السيد زين الدين علي، جواب الشيخ البهائي بثلاثة مسائل سألها علي ابن حسن شدقم الحسيني المدني.

أمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢١؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ الذريعة ٥/٢٠٩،

٢/٨٧.

(١٦)

أجوبة مسائل اللاهجي (عربي - تفسير)

وهي أجوبة الشيخ البهائي على ٢٢ أو ٢٥ سؤالاً طرحه ميرزا جان (ميرزاخان) حكيم لاهجي حول تفسير بعض الآيات ومعنى بعض الروايات وبعض مسائل الفقه والكلام والرياضيات. (المصدر مفقود)

(١٧)

أجوبة مسائل شاه فضل الله (عربي - تفسير)

جواب الشيخ البهائي على ثلاثة أسئلة طرحها الشاه فضل الله حول نظريات بعض المفسرين في تفسير آيات من القرآن. وردت هذه الرسالة بعناوين: أجوبة المسائل في التفسير، الأسئلة التفسيرية، جواب ثلث المسائل في التفسير.

أمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢١؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ ريحانه ٣/٣٠٩؛ الذريعة

٥/٢٠٢؛ ٢/٧٩.

(١٨)

## أحكام سجود التلاوة (عربي - فقه)

وهي رسالة موجزة ومختصرة حول السجود الواجبة والمستحبة في القرآن، واشتهرت هذه الرسالة بأحكام التلاوة املاء البهاء، وفائدة في سجود القرآن ومقالة في سجود القرآن وأحكامها وآدابها.

أمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢٢؛ روضات ٧/٦١؛ كشف الحجب ٢٦٧؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ ريحانة ٣/٣١٠؛ الذريعة ٢١/٤٠١، ١٢/١٤٨.

(١٩)

## الأربعون حديثاً (عربي - حديث)

أورد المؤلف في هذا الكتاب ٤٠ حديثاً مختلفاً في الآداب والسنن مع ذكر سلسلة السند بالإضافة إلى تفسيرها وشرحها، كما يوجد في مباحث الكتاب بعض مسائل الصلاة والوضوء والتيمم بشكل أكثر تفصيلاً، وبالإضافة إلى شرح الأحاديث المذكورة ذكر المؤلف آراء مختلف كبار العلماء الشيعة والسنة. تاريخ تأليف الكتاب (تم الأحاديث / ٩٩٥ هـ). ذكر هذا الكتاب بأسماء أخرى، الأربعين، أربعين البهائي، الأربعون، شرح الأربعين.

كشف الظنون ٦/٢١٥، ٥/٢٣٣؛ أمل ١/١٥٦؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢٠؛ روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ٣١٩؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١١؛ الذريعة ١/٤٢٥؛ مشار عربي ٣٦.

## حواشي:

حاشية الأربعين / شيخ عبد الصمد بن حسين عاملي (أخ المؤلف).

الذريعة ٦/١٣.

حاشية الأربعين / مظفر الدين علي

## مؤلفات الشيخ البهائي

كاتب الحاشية كان من أصلاب الشيخ البهائي حيث كتب تعليقات مختلفة على أربعين أستاذه في زمن حياة أستاذه الشيخ البهائي. الذريعة ١٣/٦. منتخبات ومختارات من الأربعين متفرقات من الشيخ البهائي يشتمل على مباحث حساب وأعداد بالعربية وقصص قصيرة بالفارسية من أربعين الشيخ البهائي.

### قسم منقول من أربعين الشيخ البهائي

يشتمل على مبحث شهادة أعضاء البدن في يوم القيامة، منقول من كتاب الأربعين للشيخ البهائي.

(٢٠)

### استحباب السورة (عربي - فقه)

إستدلال مختصر يشير فيه الشيخ البهائي إلى استحباب قراءة السورة في الصلاة بعد سورة الفاتحة. كتب المؤلف هذه الرسالة في إجابة على أحد العلماء ولكن كما يبدو من كتبه الأخرى، رجع المؤلف عن قوله وهو يرى وجوب قراءة السورة. تعرف هذه الرسالة ب: استحباب قراءة السورة بعد الحمد في الصلاة.

أمل ١٥٦/١؛ رياض ٨٩/٥؛ لؤلؤة ٢٢؛ روضات ٥٩/٧؛ أعيان ٢٤٤/٩؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانه ٣١٠/٣؛ الذريعة ٥٥/١٧، ٢٣٩/١٥؛ ١٨/٢.

(٢١)

### الإعتقادات (عربي - عقائد وكلام).

يشتمل على خلاصة عقائد الشيعة الإمامية في الرد على العقائد المنسوبة للسبعة من قبل المخالفين ذكر هذا العمل.

كشف الحجب ٥٢؛ الذريعة ٢٨٤/١٥؛ ٢٢٨/٢؛ مشار عربي ٧٠.

(٢٢)

امتياز مشرق الشمسيين عن الحبل المتين (عربي - فقه)  
ويشتمل على فائدة في بيان التفاوت والإمتياز بين كتابي مشرق الشمسيين والحبل  
المتين، يذكر الشيخ البهائي في الورقة (الصفحة) الأولى من إحدى النسختين  
الاختلاف بين هذين الكتابين.  
هدية بهارستان ٤٥٤.

(٢٣)

أنوار الكواكب مستفادة من الشمس (عربي - هيئة ونجوم)  
وردت هذه الرسالة بعناوين استفادة أنوار الكواكب من الشمس ورسالة في أن أنوار  
سائر الكواكب مستفادة من الشمس. النسخة الخطية موجودة في مكتبة المجلس تم  
طباعة مطول عن أنوار الكواكب في الكشكول.  
أمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ روضات ٧/٦١؛ لؤلؤة ٢٢، كشف الحجب ٢٣٩؛ أعيان  
٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانه ٣/٣١٠؛ الذريعة ٢/٢٩.

(٢٤)

بحر الحساب (عربي - رياضي)  
كتاب مطول وفصل في علم الحساب، على ما يبدو أن كتاب خلاصة الحساب  
للشيخ البهائي هو خلاصة هذا الكتاب. تمنى الشيخ البهائي في كتاب خلاصة  
الحساب أن يوفق لإتمام هذا الكتاب: «وكمّل العمل وبراهين هذه الأعمال مفصلة  
في كتابنا الكبير المسمى ببحر الحساب وفقنا الله تعالى لإتمامه». ثم أورد  
هذه العبارة في الكشكول: «طريق استخراجها بالجبر والمقابلة يطلب من  
كتابنا الكبير الموسوم ببحر الحساب». يعتقد السيد محمد أشرف طباطبائي

## مؤلفات الشيخ البهائي

(تلميذ الشيخ) في شرحه على خلاصة الحساب أن هذا الكتاب لم يستسخ في زمن الشيخ ولكن آقا بزرك يقول أنه رأى مطالب منقولة من بحر الحساب. الذريعة ٣/٣٥.

لؤلؤة ٢١؛ أمل ١/١٥٦؛ كشف الحجب ٨١؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣٠٨؛ الذريعة ٣/٣٥؛ الكشكول (الأعلمي) ٣/٢١٦.

(٢٥)

### التحفة (فارسي - فقه)

رسالة مختصرة في تعيين مساحة الكر والمسائل الفقهية المتعلقة به، والتي كتبت باسم السلطان محمد خدا بنده صفوي في عام ٩٨٥، هذه الرسالة تشتمل على ١٢ فصلاً.

هذه الرسالة تختلف عن رسالة الكر المؤلفة بالعربية وقد وردت بعناوين: أوزان شرعي وميزان المقادير.

ريحانه ٣/٣٠٨؛ الذريعة ٢٣/٣٢١، ٣/٤٠٢.

(٢٦)

### تحفة حاتمي (فارسي - هيات ونجوم)

تذكر هذه الرسالة أحياناً بعناوين التحفة الحاتمية، رسالة باسم حاتم بيك اردو بادي نصيري المعروف بالصابي. وهو وزير الشاه عباس في عام ١٠٠٤ هـ ألفها في سبعين باب.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢٠؛ روضات ٧/٦٠؛ كشف الحجب ١٠٤؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانه ٣/٣٠٨؛ الذريعة ٣/٤٢٥؛ مشار فارسي ١/٧٩٧.

منتخبات:

مختارات من تحفة حاتمي

مختارات من تحفة حاتمي يشتمل على ٢٠ باباً وبعض الفقرات المنظومة والمنثورة غير متواجدة في الكتاب الأصلي.

(٢٧)

تخليل الأسنان في ليالي شهر رمضان (عربي - فقه)

رسالة مختصرة في الإجابة على هذا السؤال: هل يجب على الصائم تنظيف الأسنان في الليل من الطعام العالق بينها حتى لا يبتلع شيء منه في النهار؟ وكما ورد في بعض النسخ قد كتب الشيخ البهائي هذه الرسالة لخان أحمد حاكم كيلان. ويحتمل أن تكون هذه الرسالة إحدى أسئلة ميرزاخان حكيم لاهيجي للشيخ البهائي والتي ذكرناها تحت عنوان مسائل اللاهيجي وفي بعض المصادر ذكرت هذه الرسالة باسم الجمع. الذريعة ١١/١٤١؛ ٥/١٣٤.

(٢٨)

ترجمة الرسالة الإمامية (فارسي - فالنامه)

هي ترجمة فارسية للرسالة الإمامية التي ألفها الإمام علي الرضا (عليه السلام) للمأمون، ذكر العلامة الأميني هذه الرسالة في الغدير، تحت عنوان: رسالة في ترجمة ما ألفه الإمام الرضا. الغدير ١١/٣٤٦.

(٢٩)

ترجمة محمد بن إسماعيل (عربي - رجال ودرايه)

رسالة قصيرة تشتمل على بضعة فصول في شرح حال محمد بن إسماعيل الذي ورد

## مؤلفات الشيخ البهائي

في بداية إسناد بعض الروايات في كتاب الكافي. على حد قول الشيخ البهائي. ورد اسم محمد بن إسماعيل وهو اسم مشترك لسبعة رواة والشخص المقصود في سند روايات كتاب الكافي هو محمد بن إسماعيل البرمكي. سنة تأليف هذه الرسالة بين ١٠٠٧ و ١٠١٥. الذريعة ٤/١٦٣.

(٣٠)

### تشریح الأفلاك (عربي - هيئة ونجوم)

من كتب علم الهيئة تشتمل على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

كشف الظنون ٣/١٨٤؛ أمل ١/١٥٦؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢٠؛ روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ١٢٣؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانه ٣/٣٠٨؛ الذريعة ٤/١٨٦؛ مشار عربي ١٨٦.

### حواشي:

#### حاشية تشریح الأفلاك / الشيخ البهائي

وهي حاشية موجزة للشيخ البهائي معنونة (بقوله)، أصل هذه الحاشية غير مدوّن ومبعثر حتى قام أحد تلامذة الشيخ بجمعه وتدوينه.

أمل ١/١٥٦؛ روضات ٧/٦١؛ فوائد ٥٠٩؛ ريحانه ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/٣٩.

تفريح الإدراك في توضيح تشریح الأفلاك / صدر الدين محمد بن محمد صادق

الحسيني القزويني (قرن ١١ق).

وهي حاشية مختصرة توضيحية، معنونة بقوله حيث كتبها الكاتب أثناء تدريسه وقدمها لزينل خان، حاكم قزوين، تاريخ تأليف الحاشية: ١٠٨٣هـ، وهي تطابق عبارة (حصل تفريح الإدراك).

كشف الظنون ٦/٢٣١؛ الذريعة ١٣/١٤٨؛ ٤/١٨٦.

شروح:

نهاية الإدراك في شرح تشريح الأفلاك / محمد كاظم بن عبد العلي جيلاني  
تتكابني (قرن ١١ق).

الشارح هو أحد تلامذة الشيخ البهائي حيث ألفها بأمر أستاذه وباسم الشاه عباس  
الصفوي في ١٠٠٧هـ في مشهد. ورد هذا الكتاب باسم: برهان الإدراك في شرح تشريح  
الأفلاك وقانون الإدراك في شرح الأفلاك.

الذريعة ٣٩٤/٢٤؛ ١٧/١٨؛ ١٣/١٤٨؛ ٣/٩٣.

شرح تشريح الأفلاك / شمس الدين علي بن محمد بن علي الحسيني الخلخالي  
(قرن ١١ق).

الشارح من تلامذة الشيخ البهائي وقد كتب هذا الكتاب في حياة أستاذه عام  
١٠٠٨هـ.

الذريعة ١٤٧/١٣؛ ٤/١٨٧

(٣١)

تفسير سورة الفاتحة (عربي - تفسير)

وهو تفسير سورة الفاتحة وضعها الشيخ البهائي في ختام كتابه مفتاح الفلاح وانتهى  
من تأليفه في أوائل العشرة الأخيرة من شهر صفر ١٠١٥ هـ.

الذريعة ٢١٩/٢٦

(٣٢)

توضيح المقاصد في وقايع الأيام (عربي - تاريخ)

ألفه الشيخ البهائي في أحداث أيام السنة حيث ذكر تاريخ ولادة ووفاة بعض العلماء  
الأعلام، واعتمد ترتيب الأشهر القمرية ابتداء من شهر محرم وختاماً بشهر ذي

الحجة. ذكر صاحب ريحانة هذا الكتاب بعنوان: توشيح المقاصد.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ امل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢١؛ كشف الحجب ١٤٦،  
١٢١؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانه ٣/٣٠٨؛ الذريعة ٤/٤٩٨؛ مشار عربي ٢٢٦  
شرح:

تفريح (تفريح) القاصد لتوضيح المقاصد / بهاء الدين محمد بن محمد باقر  
حسيني مختاري نائيني (١٠٨٠-١١٣٣ق)  
هذا الكتاب هو شرح وتكملة لتوضيح المقاصد ومعروف بتاريخ البهائيين.  
الذريعة ٢١٤، ٢٦/١٢٦، ٤/٢٢٩.

(٣٣)

تهذيب البيان (عربي - نحو)

متن مختصر في قواعد علم النحو ويشتمل على مسائل مهمة في هذا الفن حيث  
أورد المؤلف مقدمة قصيرة وبعدها بدأ بشرح وتوضيح الأسماء والأفعال والحروف.  
كشف الظنون ٦/١٢٥؛ أمل الآمل ١/١٥٦؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢١؛  
روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ١٤٦؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣٠٨؛  
الذريعة ٤/٥٠٩؛ مشار عربي ٢٢٩.

شروح:

شرح تهذيب البيان / محمد بن علي بن محمد الحرفوشي العاملي (-١٠٥٩ق).  
الغدير ١١/٣٦٠؛ الذريعة ١٣/١٥٩  
مفتاح اللبيب في شرح التهذيب / نعمت الله بن عبد الله الجزائري (-١١١٢ق).  
إرشاد اللبيب في شرح التهذيب للشيخ البهائي، تم تأليف هذا الكتاب سنة ١٠٦٤هـ  
في مدرسة المنصورية الشيرازية.

كشف الظنون ٤/٣٥٢؛ الذريعة ٢١/٣٤٦

إرشاد اللبيب في شرح التهذيب / علي محمد بن محمد دلدار علي نقوى لكهنوى

الذريعة ١/٥١٨

(٣٤)

جامع عباسي (فارسي - فقه)

وهو متن مهم في الفقه كتبه الشيخ البهائي بشكل فتاوي ليعمل به مقلديه، يشتمل على ٢٠ باب و بعد وفاته قام تلميذه نظام الدين ساوجي بإتمامه على طريقة أستاذه. حرّر الشيخ البهائي هذا الكتاب بأمر من الشاه عباس صفوي لذلك عرف باسم جامع عباسي.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل ١/١٥٦؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢٠؛ روضات ٥٩/٧؛ كشف الحجب ١٥٤؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانه ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٥/٦٢.

ترجمة

البرق اللامع في ترجمة الجامع / الشيخ عبد علي بن رحمة الله الحوزي المترجم من تلامذة الشيخ البهائي وقد ترجم كتاب أستاذه بهذا العنوان المذكور. أعيان ٨/٢٨.

حواشي:

حاشية جامع عباسي / محمد بن علي بن خاتون العاملي (قرن ١١ق). وهي حاشية ابن خاتون على جامع عباسي للشيخ البهائي التي دونها برهان تبريزي (تلميذ كاتب الحاشية) في عام ١٠٥٤هـ وهذه الحاشية ذكرت باسم شرح في بعض المصادر.

روضات ١/٧٨؛ كشف الحجب ١٧٢؛ ريحانه ٧/٤٩٠؛ الذريعة ١٣/١٧٢؛ ٦/٥٦.

حاشية جامع عباسي / حسين علي بن نوروز علي تويسركاني (-١٢٨٦ق).

الذريعة ٦/٥٦؛ الغدير ١١/٣٥٠

حاشية جامع عباسي / عبد الله المازندراني (-١٣٣٠ق).

الغدِير ١١/٣٥٠

(٣٥)

الجفر (فارسي - علوم غريبه)

وهو من الكتب الغريبة، ويشتمل على مقدمة وستة فصول: المقدمة: في المداخل الأربعة التي يتوقف عليها استخراج السؤال. فصل أول: في كيفية السؤال؛ الفصل الثاني: في كيفية النسبة بين الحرفين؛ الفصل الثالث: في طريق الإكتساب؛ الفصل الرابع: في تحصيل حرف الحاصل؛ الفصل الخامس: في كيفية مستحصلة؛ الفصل السادس: طريق الامتحان. يعتقد البعض أنّ هذه الرسالة ليست من تأليف الشيخ البهائي.

تذكر هذه الرسالة بعنوان بحر العلوم الجفريّة.

الذريعة ٥/١٢٢.

(٣٦)

جوابات بعض الناس (فارسي - متفرقة)

جواب الشيخ البهائي وتشتمل على جواب الشيخ البهائي على الأسئلة التي طرحها الناس بالفارسية (ما يقارب ٦٠ مسألة)، ذكر آقا بزرك هذه الرسالة في الذريعة بعنوان جوابات المسائل الفقهيّة، الجدير بالذكر أنّ هذه الرسالة مع بعض أسئلة وأجوبة الشيخ البهائي في كتاب واحد.

الذريعة ٥/٢٠٢، ٢٢٩.

(٣٧)

جواب مسائل الشيخ جابر (عربي - متفرقة)  
وهي أجوبة الشيخ البهائي على أسئلة الشيخ جابر.  
جواب مسائل صالح بن حسن الجزائري - أجوبة المسائل الجزائرية  
جواز امتناع الزوجة عن الاستمتاع قبل قبض المهر - منع الزوجة نفسها قبل  
الدخول عن الزوج حتى تقبض المهر.

(٣٨)

الجوهر الفرد في إنكار الجوهر الفرد (عربي - كلام وفلسفة)  
ذكر الشيخ البهائي هذه الرسالة في كتابه الكشكول ويشير فيها إلى البراهين  
الثمانية في نفي الجزء لا يتجزأ.  
أعيان ٩/٢٤٥؛ الذريعة ٥/٢٨٩.

(٣٩)

جهة القبلة (عربي - هيئة ونجوم)  
رسالة مختصرة في تحقيق وتعيين جهة القبلة ووجوب تحصيلها، مع الجانب  
الفقهي وأقوال الفقهاء في هذا الموضوع، مع رسم أشكال التوضيح المسألة ومعرفة  
القبلة وفق القواعد النجومية. ذكرت هذه الرسالة في بعض المصادر باسم رسالة في  
معرفة القبلة وتحقيق جهة القبلة.  
كشف الحجب ٢٧٨؛ ريحانة ٣/٣١١؛ الذريعة ٥/٣٠١.

(٤٠)

حاشية الإثني عشرية

حاشية استدلالية للشيخ البهائي على رسالة اثني عشرية الشيخ حسن العاملي (صاحب المعالم) أنهى هذه الحاشية عام ١٠١٢ هـ، ذُكرت هذه الحاشية في بعض المصادر باسم شرح الاثني عشرية.

أمل الآمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢٢؛ روضات ٥٩٧؛ كشف الحجب ٣١٨؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٩؛ ريحانة ٣/٣٠٩؛ الذريعة ١٣/٦١، ٦/١١.

(٤١)

حاشية التكملة في شرح التذكرة النصيرية

حاشية التكملة في شرح التذكرة النصيرية هذا الكتاب على ما يبدو هو حاشية الشيخ البهائي على شرح شمس الدين محمد خضري لتذكرة النصيرية، للخواجة نصير الدين الطوسي.

لم يذكر اسم شمس الدين خضري في فهرسة مكتبة العتبة الرضوية المقدسة ( ج ٨، ص ١٣٣).

مع الإلتفات لتصريح بعض المصادر بذلك مثل: كشف الحجب، الذريعة، ريحانة الأدب.

لذلك يبدو أنها حاشية الشيخ البهائي على شرح شمس الدين الخضري على تذكرة النصيرية للخواجة نصير.

أمل الآمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ روضات ٧/٦١؛ كشف الحجب ١٧٩؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٩؛ ريحانة ٣/٣١٠؛ الذريعة ٦/٤٧.

(٤٢)

حاشية القواعد والفوائد

وهي حاشية الشيخ البهائي على القواعد والفوائد للشهيد الأول، وهي معروفة بحاشية القواعد الكلية الأصولية والفروعية.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢٢؛ روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ٣٤٧؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٩؛ ريحانة ٣/٣١٠؛ الذريعة ٢٠/١١٠، ٦/١٧٣؛ مشار عربي ٢٩١.

(٤٤)

حاشية المطول

وهي حاشية الشيخ البهائي على المطول للفتازاني والتي على ما يبدو لم يوقف المؤلف لإكمالها.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢١؛ روضات ٧/٦١؛ كشف الحجب ١٨٨؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٩؛ الغدير ١١/٣٤٤؛ ريحانه ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/٢٠٣.

(٤٥)

حاشية أنوار التنزيل

حاشية تحقيقية وذات منفعة للشيخ البهائي على أنوار التنزيل للقاضي بيبضاوي والتي ذكر فيها المؤلف بالإضافة لتوضيحات، مسائل أدبية وبلاغية ولغوية.

كتب الشيخ البهائي عدة حواشي على أنوار التنزيل.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل ١/١٥٦؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢١؛ روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ١٧٠؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٩؛ ريحانه ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/٤٤، ٦/٥٩، ١٣/١٥٠.

(٤٦)

حاشية خلاصة الأقوال في علم الرجال

حاشية الشيخ البهائي على خلاصة الأقوال في معرفة الرجال للعلامة الحلي.  
كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل ١/١٥٦؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢١؛ كشف  
الحجب ١٧٥؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/٨٣.

(٤٧)

حاشية ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة

وهي حاشية الشيخ البهائي على كتاب الذكرى للشهيد الأول.  
ريحانة ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/٨٦.

(٤٨)

حاشية رجال النجاشي

حاشية الشيخ البهائي على رجال النجاشي.  
الغدير ١١/٣٤٣؛ ريحانة ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/٨٨.

(٤٩)

حاشية شرح مختصر الأصول

حاشية الشيخ البهائي على شرح مختصر الأصول للقاضي عضد الدين يحيى، وهي  
معروفة بحاشية شرح عضدية.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل ١/١٥٥؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢١؛ روضات ٧/٦٠؛ كشف  
الحجب ١٨٠؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/١٣٢.

(٥٠)

حاشية فهرس الشيخ منتخب الدين  
حاشية الشيخ البهائي على فهرس الشيخ منتخب الدين.  
ريحانة ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/١٦٨.

(٥١)

حاشية مختلف الشيعة في أحكام الشريعة  
حاشية الشيخ البهائي على مختلف الشيعة للعلامة الحلبي.  
روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ١٨٦؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٩؛ الغدير ١١/٣٤٣؛  
ريحانة ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/١٩٥.

(٥٢)

حاشية معالم العلماء  
حاشية الشيخ البهائي على معالم العلماء لابن شهر آشوب سروي.  
ريحانة ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/٢١١

(٥٣)

حاشية من لا يحضره الفقيه  
من أشهر الكتب حول (من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق، حيث يعتبر حاشية  
وشرح أيضاً وهو يحتوي على تحقیقات مهمة جداً. ويشمل مباحث ابتداءً من كتاب  
الطهارة حتى مبحث (منزوحات البئر).  
رياض ٥/٨٩؛ روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ١٩٠؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ ریحانة ٣/٣٠٩؛  
الذريعة ٦/٢٢٤

(٥٤)

الحبل المتين في أحكام الدين

كان في نية الشيخ البهائي أن يجمع الأحاديث والروايات الصحيحة والحسنة والموثقة، ويعمل على شرحها ويجمع بينها وبين الأحكام التي يمكن أن تستنبط منها في أربعة مناهج: المنهج الأول: في العبادات، المنهج الثاني: في العقود، المنهج الثالث: في الإيقاعات، المنهج الرابع: في الأحكام. ولكنه لم يوفق لإكماله واستطاع إكمال جزء من المنهج الأول في أحكام الطهارة والصلاة وبعض الأبواب الأخرى. أكمل الجزء الأول في مشهد المقدسة يوم الجمعة ١٨ شوال عام ١٠٠٧.

نقد الرجال ٤/١٨٧؛ كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل ١/١٥٥؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٨؛ لؤلؤة ٢١، روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ١٩٢؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/٢٤٠؛ مشارع عربي ٤١٥، ٣٠٢

(٥٥)

حدائق الصالحين في شرح صحيفة سيد الساجدين

يوجد حول هذا الكتاب مباحث مختلفة ومتناقضة بعض المصادر والتراجم مثل: السيد علي خان المدني الشيرازي في مقدمة رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين يقول: ما هو معروف عن الشيخ البهائي باسم حدائق لتصنيف أكثر من حديقة وهي الحديقة الهلالية، وإذا كان المؤلف قد أتم حدائق الصالحين لما أقدمت على تأليف رياض الصالحين.

وغيره مثل: العلامة المجلسي يقول: «المأثور أن الشيخ البهائي كتب أكثر من الحديقة الهلالية».

أقا بزرك أيضاً يقول في الذريعة: أن في عصر العلامة المجلسي كان هناك عدد من شروح الحدائق في المشهد الرضوي، ولكن اليوم لم يبق من هذه الشروح إلا

الحديقة الهلالية ومع الالتفات لكلام الشيخ البهائي في الحديقة الهلالية: (وقد قدمنا في الحديقة الأخلاقية في شرح دعائه (٤٩) في مكارم الأخلاق)

(٥٦)

### الحريرية

ألف الشيخ البهائي هذه الرسالة في عدم صحة الصلاة حين يُلبس فيها السروال والحزام والقبّعة من الحرير الخالص. وردت هذه الرسالة بعنوان: صحة الصلاة فيما لا تتم الصلاة إلاّ به.

ريحانة ٣/٣١٠؛ الذريعة ٢١/٤٠٤، ١٥/١٢؛ مشارع عربي ٤٣٠، ٣٥١

(٥٧)

### حلّ إشكالي العطارد والقمر (عربي - هيئة ونجوم)

أمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢٢، روضات ٧/٦١؛ كشف الحجب ٢٦٠؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١٠؛ الذريعة ٧/٦٦

(٥٨)

### حلّ الحروف القرآنية

الذريعة ٧/٦٨

(٥٩)

### حلّ عبارة قواعد الأحكام

رسالة تحليلية وتحقيقية وحلّ وتوضيح مسألة من كتاب قواعد الأحكام للعلامة الحلّي.

الذريعة ١٤/٢٦، ٧/٧٢، ٧/٦٦

(٦٠)

خلاصة الحساب (عربي - رياضي)

أحد أهم مؤلفات الشيخ البهائي في الرياضيات وهو باللغة العربية، طرح فيه المؤلف مباحث الحساب والهندسة والجبر والمقابلة وبعض المطالب الأخرى. ألف الشيخ هذا الكتاب وفق أسلوب نظام الدين نيشابوري صاحب كتاب الشمسية. سهولة أسلوب الشيخ واختصاره جعلاً من هذا الكتاب، كتاباً دراسياً في المجامع العلمية لفترة طويلة بعد تأليفه، ولهذا الكتاب عدة حواشي، وللكتاب مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة.

كشف الظنون ١/٥٥٣؛ أمل ١/١٥٥؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢٠؛ روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ٢٠٨؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١٠؛ الذريعة ٧/٢٢٥؛ مشار عربي ٣٣٥.

حاشية خلاصة الحساب/ الشيخ البهائي

وهي حاشية الشيخ البهائي على كتابه خلاصة الحساب.

فوائد ٥٠٨؛ الذريعة ٦/٨٤؛ ريحانة ٣/٣٠٩؛ مشار عربي ٢٧٧

حاشية خلاصة الحساب/ صدر الدين محمد بن مير مجد الدين طباطبائي تبريزي  
الذريعة ٦/٨٤

حاشية خلاصة الحساب/ محمد أمين قمي

على ما يبدو أنه محمد أمين بن ميرزا جان نجفي حجازي قمي صاحب توضيح  
الخلافة، حيث عرف عنه كتابة عدة نسخ.

الذريعة ٦/٨٤

حاشية خلاصة الحساب/ ميرزا محمد رضا

الذريعة ٦/٨٤

حاشية خلاصة الحساب/ محسن بن محمد طاهر طالقاني قزويني معروف به نجوى

الذريعة ٦/٨٤

حاشية خلاصة الحساب / محمد علي بن هبة الدين شهرستاني

الغدير ١١/٣٥٣؛ الذريعة ٦/٨٤

حاشية خلاصة الحساب / ميرزا محمد علي

الذريعة ٦/٨٤

شروح:

شرح خلاصة الحساب / حسين يزدي أردكاني (قرن ١١ ق)

الشارح من تلامذة الشيخ، وقد كتب هذا الكتاب بإذن من أستاذه الشيخ ولكن قبل أن يكلمه توفي، ثم أكمله تلميذه محمد أشرف. وقد كتب شرحين على خلاصة الحساب، الأول: شرح يشمل قسمة أصول الحساب ولا يحتوي على أي استدلال رياضي ولا اسم له. الثاني: الشرح المعروف أنه أكثر تفصيلاً وبيانا وأكثر علمية وفيه استدلال وبراهين ورياضة رياضية.

الذريعة ١٩/٥٨، ١٣/٢٢٩

شرح خلاصة الحساب / أمير شمس الدين علي الحسيني الخلخالي (قرن ١١ ق).

الشارح من تلامذة الشيخ وقد شرح كتاب أستاذه عام ١٠٠٨ هـ.

الذريعة ١٣/٢٣١

(٦١)

دليل وجوب شكر المنعم

أقام الشيخ البهائي في هذه الرسالة القصيرة دليلاً آخر بالإضافة إلى أدلة العلماء

على وجوب شكر المنعم. وردت هذه الرسالة بعنوان وجوب شكر المنعم.

(٦٢)

ديوان بهاء الدين العاملي (فارسي - أدبيات)

الشيخ الحر العاملي يقول في أمل الآمل حول ديوان الشيخ البهائي: «وله شعر كثير حسن بالعربية والفارسية متفرق، وقد جمعه ولدي محمد رضا الحر، فصار ديواناً لطيفاً».

آقابزرگ أيضاً أشار في الذريعة لبعض أشعار الشيخ البهائي بالعربية في جزء من كتابه. لم نجد ديوان الشيخ البهائي في فهرسة الكتب الخطية في مكتبات إيران، كل ما هو موجود من أشعار الشيخ البهائي يمكن تقسيمه إلى قسمين:

أ) مجموعة من الأشعار المستقلة والمعروفة مثل (حليب وسكر وخبز وحلوى وخبز وجبنة) أشعار وأبيات متفرقة مثل: قصائد الغزل والرباعيات... هذه الأعمال ليس لها عنواناً مستقلاً ومشهوراً، بل هي موزعة في بعض الحروب والرسائل المنظومة والمجموعات الخطية.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ روضات ٧/٦١؛ اعيان ٩/٢٤٥؛ الذريعة ٦٧٨/ (٢) ٩؛ ١٤٣/

٩(١)

## قصائد

قصيدة في رثاء والده

نظم الشيخ هذه القصيدة البهائية عند وفاة والده في رثائه وهي من ثلاثة وعشرين بيتاً.

الغدير ١١/٢٩٩

رياض الأرواح

قصيدة من البحر الوافي؛ نقل ابن معصوم ما يقارب أربعين بيتاً منها في كتاب

سلافة العصر.

الغدير ٣٤٤/١١؛ الذريعة ٣١٨/١١

قصيدة الألفية

قصيدة مع ردين حرف الألف باللغة العربية.

القصيدة الميمية في جواب بعض سادات عصره

تشتمل على قصيدة ميمية في جواب بعض سادات عصره.

القصيدة النونية

تشمل قصيدة نونية للشيخ

قصيدة في وصف امرأة كردية

تشمل قصيدة في وصف امرأة كردية باللغة العربية.

مثنويات:

مثنوي

الذريعة ١٩/٨٢

(٦٣)

ذبائح أهل الكتاب (عربي - فقه)

إستدلال مختصر على حرمة ذبائح أهل الكتاب يشتمل على ديباجه وثلاثة فصول. في رأي الشيخ دليل الحرمة أنهم عندما يذبحون لا يذكرون إسم الله أو أنّ هدفهم وقصدهم هو الإله الذي هو المسيح أو عزير ابن الله.

أثبت الشيخ حرمة هذه الذبائح استناداً إلى الآيات والروايات وأقوال فحول علماء الإمامية وأجاب على دلائل العامة. ألفت هذه الرسالة بأمر من الشاه عباس صفوي. ووردت بأسماء: تحريم ذبائح أهل الكتاب/ الذبيحة/ رسالة في حرمة ذبائح أهل الكتاب. أمل الأمل ١/١٥٥؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢١؛ كشف الحجب ٢٦٢؛ أعيان ٩/٢٤٤؛

فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١٠؛ الذريعة ١١/١٨٦، ١٠/٣؛ مشارع عربي ٤٦٠

(٦٤)

الزاهرة (عربي - أدبيات وتاريخ)

وهي أرجوزة مفيدة في مائة بيت، قام الشيخ بنظمها عندما ابتلي بالأم في عينه، في بلدة قزوين.

هذه المنظومة تشمل على وصف مدينة هرات ومقدمة وعدة فصول وفق ما يلي: ١- كليات عن هرات. ٢- طقس تلك المدينة. ٣- ماء تلك المدينة. ٤- نساء تلك المدينة. ٥- فواكه تلك المدينة. ٩- كيفية قسم كازركان. ١٠- التحسر على مرور الدهر في تلك المدينة.

كشف الحجاب ٣٠٢؛ الذريعة ١/٥٠٥

(٦٥)

زبدة الأصول (عربي - أصول الفقه)

كتاب مختصر يشتمل على قواعد مهمة في أصول الفقه ضمن خمسة مناهج وفق ما يلي: ١- مقدمات؛ ٢- أدلة شرعية؛ ٣- مشتركات الكتاب والسند؛ ٤- الإجتهد والتقليد؛ ٥- ترجيحات؛ أحد معاصري الشيخ البهائي نظم بيتين من الشعر باللغة العربية عندما انتهى من تأليف زبدة الأصول.

وهذان البيتان مكتوبان في الصفحة الأخيرة بخط الشيخ وموجودة في مكتبة آية الله مرعشي رقم ٧٣٥٥.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ امل ١/١٥٥؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢٠؛ روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ٣٠٣؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانه ٣/٣١١؛ الذريعة

١٢/١٩؛ مشاعر عربي ٥٠٤

حواشى:

حاشية زبدة الأصول / الشيخ البهائي

وهي حاشية الشيخ على كتابه زبدة الأصول، أسلوب الشيخ في هذه الحاشية يتلخص بأنه يبدأ بفقرة من المتن الأصلي ثم يوضح المطلوب منها كلمة كلمة، وبعض التفاصيل والتوضيحات وردت في مؤلفه (حاشية شرح مختصر الأصول) تاريخ الإنتهاء من التأليف عام ١٠١٨هـ.

أمل الآمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ روضات ٧/٦١؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٩؛ ريحانة ٣/٣٠٩؛ الذريعة ٦/١٠٣

حاشية زبدة الأصول / سلطان علاء الدين حسين بن رفيع الدين محمد المرعشى الأملى (١٠٠١-١٠٦٤ ق).

وهي حاشية مفصلة وتحقيقية على زبدة الأصول والنسخة الموجودة فيها حتى أواسط النهج الثالث.  
الذريعة ٦/١٠٢

شروح:

غاية المأمول في شرح زبدة الأصول / جواد بن سعد الله الكاظمي (قرن ١١ ق)  
الشارح من تلامذة الشيخ، وهذا شرح مفصل واستدلالي كتبه عام ١٠٢٧هـ.  
كشف الظنون ٥/١٢٣؛ كشف الحجب ٣٩١، ٣٣٧؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ الذريعة ١٦/١٥،  
١٣/٢٩٨

شرح زبدة الأصول / محمد بن على بن أحمد الحرفوشى العاملى (-١٠٥٩ ق)  
سلافة ٣١٦؛ الغدير ١١/٣٥٤؛ كشف الحجب ٣٣٧؛ الذريعة ١٣/٣٠١

(٦٦)

الزكاة وتقديرها بالمثاقيل (عربي - فقه)

ذكر آقا بزرگ هذه الرسالة في الذريعة، ولم تُذكر في أي مصدر آخر. على ما يبدو أن هذه الرسالة مأخوذة من أحد الكتب الفقهية للشيخ مثل الإثني عشرية أو كتاب آخر.

الذريعة ١٢/٤٤

(٦٧)

شرح الفرائض النصيرية

شرح مختصر على رسالة الفرائض النصيرية للخواجه نصير الدين الطوسي وهي تشمل توضيح المشكلات وبيان الإشارات المتعلقة بالكتاب. يبقى هذا الكتاب ناقصاً ووصل إلى مبحث (الإرث بالولاء). ذكر هذا الكتاب بعنوان (شرح جواهر الفرائض).

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل الآمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢١؛ كشف الحجب

٣٤٤؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ ريحانة ٣/٣١١؛ الذريعة ١٣/٣٨٠

(٦٨)

شرح حاشية الخطائي (عربي - معاني وبيان)

شرح وحاشية للشيخ على حاشية نظام الدين عثمان خطائي على شرح مختصر تلخيص المفتاح لسعد الدين التفتازاني. ذكر هذا الكتاب بعنوان: حاشية الخطائي على المختصر.

الذريعة ١٣/١٨٠

(٦٩)

شرح قصيدة البرودة (عربي - أدبيات)  
شرح كبير ومبسوط للشيخ على قصيدة البرودة.  
الذريعة ١٤/٦

(٧٠)

حليب وسكر (فارسي - أدبيات)  
وهو مثنوي أخلاقي رائع جداً يشتمل على مائة واثنين وأربعين بيتاً في مقدمة وستة أقسام كما يلي: القسم الأول: إنذار للضالين، القسم الثاني: النفس الأمارة، القسم الثالث: سلبيات العلوم الرسمية، القسم الرابع: مدح العلوم الدينية، القسم الخامس: تمنّي مجالسة أهل الإقبال، القسم السادس: التوبة من الذنوب.  
الذريعة ١٩/٢٣١، ١٤/٢٦٩؛ مشار فارسي ٢/٢١٨٩

(٧١)

الصفحة (عربي - هيئة ونجوم)  
كتبت في هذه الرسالة قواعد الأسطرلاب بشكل مختصر جداً لدرجة يمكن رسمها في صفحة واحدة من صفحات الأسطرلاب. ألفها المؤلف بإشارة من الشاه عباس صفوي أو بعض أصدقائه. وفي بعض المصادر ورد إسم هذا الرسالة (الصحيفة) وهو خطأ.  
كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل الأمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢١؛ روضات ٧/٦٠؛  
كشف الحجب ٣٦٥، ٢٣٥؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣١١، ٣٠٨، ٣/؛ الذريعة ٥١، ١٥/١٦؛ مشار عربي ٥٨٦

(٧٢)

عدم سهو النبي (ص) (عربي - فقه)

يشتمل على تقريرات وإفادات الشيخ في جلسة درس على موضوع: سهو النبي، كتبها ملا محمد تقي المجلسي وأوردها في مبحث الصلاة من كتاب لوامع صاحب قراني نقلاً عن أستاذه الشيخ البهائي. (المصدر مفقود)

(٧٣)

العروة الوثقى (عربي - تفسير)

تفسير سورة الفاتحة وقليل من سورة البقرة كتبها المؤلف بعد حاشية أنوار التنزيل. كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل الآمل ١/١٥٥؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٨؛ لؤلؤة ٢١؛ كشف الحجب ٣٨١؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١١؛ الذريعة ١٥/٢٥٢؛ مشار عربي ٦٢١

(٧٤)

عقد السلطان حمزة ميرزا بهادر خان (فارسي - متفرقة)

عقد السلطان حمزة ميرزا بهادر خان على (ورقية بيكم) إبنة إعتقاد الدولة من سلاطين الصفويين، والتي أنشأها الشيخ في الرابع من صفر عام ٩٩٠هـ، وثق في هذا العقد الخطبة ومقدار المهر.

(٧٥)

عين الحياة (عربي - تفسير)

تفسير مختصر مثل تفسير الصافي للفيض الكاشاني والعروة الوثقى للشيخ البهائي، وقد كتبه بعد العروى الوثقى وهو يشمل تفسير الفاتحة وسورة البقرة حتى آية

٣٧: (فتلقى)، وتفسير آل عمران حتى الآية ٣٥: (إذ قالت): ﴿إذ قالت امرأة عمران ربّ إنني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل الآمل ١/١٥٦؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢١؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١١؛ الذريعة ١٥/٣٦٩

(٧٦)

#### الفرائض البهائية (عربي - فقه)

هذه الرسالة هي الباب الثالث من المنهج الرابع في كتاب (الحبل المتين) وتشتمل على مبحث (الإرث) في مقدمة وخمسة مطالب. هذه الرسالة مذكورة بعنوان: (رسالة في المواريث) في بعض المصادر.

أمل الآمل ١/١٥٥؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢١؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ الذريعة ١٦/١٤٨؛ مشار عربي ٦٦١

(٧٧)

#### الفوائد الرجالية (عربي - رجال ودرايه)

يشمل بعض الفوائد في علم الرجال.

أعيان ٩/٢٤٤؛ الذريعة ١٦/٣٣٩

(٧٨)

#### الفوائد الصمدية (عربي - نحو)

جمع الشيخ البهائي قواعد علم النحو في هذا الكتاب بشكل مختصر، ورتبها في خمس حدائق: الحديقة الأولى: في المقدمات، الحديقة الثانية: في متعلقات الأسماء،

## مؤلفات الشيخ البهائي

الحديقة الثالثة: في متعلقات الأفعال، الحديقة الرابعة: في الجمل، الحديقة الخامسة: في المفردات. كتبه المؤلف عام ٩٧٥ باسم أخيه عبد الصمد العاملي. في بعض المصادر ذكر هذا الكتاب باسم: الصمدية.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل الآمل ١/١٥٦؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢١؛ كشف الحجب ٤٠٤؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ ريحانه ٣/٣١١؛ الذريعة ١٦/٣٤٥؛ ١٥/٨٨؛ مشار عربي ٥٩٣، ٢٤٦

(٧٩)

### الفوائد الحسابية (عربي - رياضي)

هذه المجموعة أغلبها بخط الشيخ البهائي مع الملكية والختم وتدوين الملاحظات في الرياضيات والحساب والحواشي والهوامش

(٨٠)

### قصر الصلاة في الأماكن الأربعة (عربي - فقه)

هذه الرسالة في إثبات مسألة وجوب قصر صلاة المسافر في غير الأماكن الأربعة: ١- المسجد الحرام؛ ٢- مسجد النبي ﷺ؛ ٣- مسجد الكوفة؛ ٤- مرقد الإمام الحسين عليه السلام؛ ألف الشيخ البهائي هذه الرسالة في المزار المشهور بشاه طور، وردت هذه الرسالة بعنوانين أخرى: التخيير في المواطن الأربعة بين القصر والإتمام والقصر في المواضع الأربعة، رسالة في القصر والتخيير في السفر.

أمل الآمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢٢؛ روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ٢٧٨؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١١؛ الذريعة ١٧/١٠٠، ١٤١، ١١

(٨١)

القوسية (عربي - أدبيات)

ألف الشيخ البهائي هذه الرسالة مقابل العلمية لملأ جلال الدين داووني.

الذريعة ١٧/٢٠٧

(٨٢)

الكرّ (عربي - فقه)

هذه الرسالة في تحقيق مقدار الكر ومساحته أو وزنه الشرعي وتطبيق القواعد الرياضية، تمّ تأليفها بإسم الشاه طهماسب الصفوي. ورد إسم هذه الرسالة في بعض المصادر: عناوين الكرية، تحقيق الكر، تقدير الكر ورسالة في حساب الكر في الأحجام المختلفة.

أمل الأمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢١؛ روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ٢٨٠؛

أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١١؛ الذريعة ١٧/٢٨٨

(٨٣)

الكشكول (عربي وفارسي - متفرقة)

هذا الكتاب كما يبدو من إسمه عبارة عن مطالب مختلفة متنوّعة في الأدب، الرياضية، التفسير، الآداب، الأخلاق، والنوادر، في قالب نظم ونثر بالعربية والفارسية في خمس مجلدات.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل الأمل ١/١٥٦؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢٠؛

روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ٤٧٠؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١١؛

الذريعة ١٨/٧٨؛ مشار عربي ٧٤٢

## الترجمات:

ترجمة الكشكول / الشيخ أحمد العاملي (قرن ١١ ق)  
ترجمة لفظية للكشكول، كتبها المؤلف بأمر من السلطان عبد الله قطب شاه (من  
سلاطين الهند) وقد أضاف المترجم بعض المطالب من عنده.  
الذريعة ٤/١٣٠

ترجمه كشكول / فضل الله بن أحمد بيك الكردستاني  
قام المترجم بالترجمة بأمر من أمان الله خان كردستاني في زمن فتح علي شاه  
قاجار. وقد أضاف على المتن بعض الأشعار الفارسية وترجم بعض الأشعار العربية  
وأصنافها.  
الذريعة ٤/١٣٠

(٨٤)

### اللغز (عربي - أدبيات)

وهو اللغز الذي طرحه الشيخ حسين العاملي (والد الشيخ البهائي) وأجاب عليه  
الشيخ البهائي.

(٨٥)

### لُغز الزبدة (عربي - أدبيات)

كلام مختصر حول اللغز ويشتمل على علوم مختلفة عقلية نقلية، كتبها الشيخ  
البهائي في مشهد عام ١٠٢١ بهدف تقوية الذهن ودفع الملل عن القارئ، وأرسلها  
لمحمد بن خاتون لعاملي، اشتهر هذا الكتاب ب: إعجاز الأصناف وإعجاز الألغاز ولغز  
الرضوية.

أمل ١/١٥٥؛ رياض ٥/٨٩؛ لؤلؤة ٢٠؛ كشف الحجب ٢٨٢-٢٨١؛ أعيان ٩/٢٤٤؛  
فوائد ٥٠٩؛ الذريعة ١٨/٣٣٤

شرح لغز الزبدة/ ميرزا ابراهيم بن أبي الفتح زنجاني (-١٣٥٠ق).  
الغدير ١١/٣٥٩؛ الذريعة ١٤/٤٥

(٨٦)

لغز الصّمدية (عربي - نحو)

لغز لكتاب الفوائد الصمدية.

الذريعة ١٨/٣٣٥

شرح لغز الصّمدية/ محمّد بن عبد الوهاب آل داود همداني كاظمي (-١٣٠٥ق).  
ذكر صاحب الغدير هذا الكتاب بعنوان: شرح الفوائد الصمدية.  
الغدير ١١/٣٥٧؛ الذريعة ١٤/٤٦

(٨٧)

لغز القانون (عربي - طب)

لغز مختصر جداً في الطب، إنتهى من تأليفه الشيخ في عام ١٠٠٠ قمرى.

الذريعة ١٨/٣٣٦

(٨٨)

لغز الكافية (عربي - نحو)

هذه الرسالة هي لغز للكافية لابن حاجب وهي معروفة أيضاً بـ (لغز النحويين).

الذريعة ١٨/٣٣٦؛ ١٧/٢٥٠

(٨٩)

المخلاة (عربي - متفرقة)

مجموعة من اللطائف والطرائف والأخبار والأشعار والمواعظ والمحاسن والأخلاق.

الذريعة ٢٠/٢٣٢.

(٩٠)

المسح على الرجلين (عربي - فقه)

يتعرض المؤلف في هذه المسألة لرد نظريات وعقائد العامة فيما يتعلق بالمسح على الرجلين، نسب آقا بزرك هذه الرسالة للشيخ حسين بن عبد الصمد (والد الشيخ البهائي)، ذكرت بعض الفهارس هذه الرسالة بعنوان: المسح على القدمين.

الذريعة ٢١/١٧

(٩١)

مشجر الرجال الثقات (عربي - رجال ودرايه)

يشمل جداول في علم الرجال حيث تم تقسيم رجال الشيعة فيه إلى ثمانية طبقات ثم ذكر اسم الرواة في عدة جداول. ألف الشيخ البهائي هذه الرسالة عام ١٠٠٥ هـ، يبدو أن آقا بزرك رأى هذا الكتاب في مكتبة الشيخ محمد السماوي وذكره بعنوان: طبقات الرواة، وبعبارة: مشجر لطيف. كذلك العلامة الأميني سمى هذه الرسالة: طبقات الرجال.

(٩٢)

مشرق الشمسيين واكسیر السعادتین (عربي - فقه)

كتاب فقهي استدلالی بدأ فيه المؤلف، في كل باب بآيات قرآنية، ثم أحاديث معتبرة

والتي تمّ استخراجها اعتماداً على الأصول الأربعة الإمامية. هذا الكتاب مثل كتاب آيات الأحكام، وقد أورد الشيخ في البداية، مقدمة في فوائد الحديث والرجال وتعريف الحديث وبيان أنواعه. تمّ تأليف هذا الكتاب بعد تأليف كتاب الحبل المتين وكان هدف المؤلف أن يقسّم هذا الكتاب مثل تقسيم كتاب الحبل المتين في أربعة مناهج: باب العبادات، العقود، الإيقاعات، الأحكام. ولكنّه وُفّق لتأليف كتاب الطهارة، إنتهى منه بتاريخ ١٤ ذي القعدة ١٠١٥ هـ في مدينة قم. ورد هذا الكتاب بعناوين: النورين، ومطلع النيرين.

نقد الرجال ٤/١٨٧؛ كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل الآمل ١/١٥٥؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٨؛ لؤلؤة ٢١؛ روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ٥٢٢؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١١؛ الذريعة ٢١/٥٠؛ مشار عربي ٨٤٧

(٩٣)

معرفة التقويم (عربي - هيئة ونجوم)

هذه رسالة موجزة للشيخ البهائي في معرفة التقويم.

الذريعة ٢١/٢٥١

(٩٤)

مفتاح الفلاح (عربي - أدعية)

هذا الكتاب من المؤلفات المعتبرة في أعمال وأدعية الليل والنهار، ويشتمل على ست أبواب وخاتمة كما يلي: الباب الأول: فيما يُعمل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ الباب الثاني: فيما يُعمل ما بين طلوع الشمس إلى الزوال؛ الثالث: فيما يعمل ما بين الزوال إلى الغروب؛ الرابع: فيما يُعمل ما بين الغروب إلى وقت النوم؛ الخامس: فيما يُعمل ما بين وقت النوم إلى انتصاف الليل؛ السادس: فيما يُعمل ما بين انتصاف الليل

## مؤلفات الشيخ البهائي

إلى طلوع الفجر، وخاتمة: ينبغي للمصلي ملاحظة معاني أذكار الصلاة وأدعيتها. تمّ تأليف هذا الكتاب في أوائل العشرة الثالثة من صفر ١٠١٥ هـ في كنجه.  
كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل الآمل ١/١٥٦؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢٠؛  
روضات ٧/٥٩؛ كشف الحجب ٥٤٠؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١١؛  
الذريعة ٢١/٣٣٩؛ مشارع عربي ٨٨١.

(٩٥)

### مناظرة البهائي وميرداماد (عربي - عقائد وكلام)

هذه مناظرة ومحادثة وقعت بين الشيخ وميرداماد (المعلم الثالث)، وفيها يرى الميرداماد أنّ ذكر اسم الإمام المهدي الموعود غير ضروري ولكن الشيخ يراه ضرورياً.

(٩٦)

### منشآت (عربي وفارسي - متفرقة)

- الشيخ البهائي الشاه الصفوي

رسالة الشيخ البهائي لأحد ملوك الصفويين باللغة العربية.

المرعشي ٢٨/١٠.

- ميرزا إبراهيم الهدماني الشيخ البهائي

الذريعة ٢٢/١٥٨

- الشيخ البهائي نواب سيد ميرزا إبراهيم الهدماني

جواب الشيخ على رسالة ميرزا إبراهيم همداني في قالب نظم ونثر باللغة العربية

والفارسية.

الذريعة ٢٢/١٦٢

(٩٧)

منع الزوجة نفسها قبل الدخول عن الزوج حتى تقبض المهر (عربي-فقه)  
 هذه الرسالة تدور حول جواز عدم تمكين الزوجة لزوجها قبل قبض المهر، واشتهرت  
 باسم الإمتناع عن الإستمتاع قبل قبض المهر وجواز امتناع الزوجة عن الإستمتاع قبل  
 قبض المهر. وقد أورد ناظر الفهرسة في المكتبة المركزية بجامعة طهران حول مؤلف  
 هذا الكتاب ما يلي: يبدو أنّ هذا الكتاب للشيخ البهائي أو والده طهران ٥/١٧٨٤.  
 الذريعة ٥/٢٤٢

(٩٨)

نان وحلوا (فارسي وعربي - أدبيات)  
 مثنوي عرفاني وأخلاقي مشهور، على وزن مثنوي المولوي في ٤٠٨ أبيات حول السفر  
 للحجاز باللغتين الفارسية والعربية. ذكرت هذه الرسالة بعناوين السوانح الحجازية  
 وسوانح سفر الحجاز.  
 كشف الظنون ٦/٢١٥، ٢/٧٣٦؛ أمل الأمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢١؛ روضات  
 ٧/٥٩؛ كشف الحجب ٥٧٥، ٣١٢؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ١٢-٣/٣١١؛  
 الذريعة ١٢/٢٥٣، ١٩/٢١٢، ١٩/٣١٩، ٢٤/٣٠

(٩٩)

نسبة ارتفاع أعظم الجبال إلى قطر الأرض (عربي - نجوم)  
 يوجد كتاب لمحمود بن محمد بن عمر جفميني حول النجوم باسم (الملخص)  
 قام موسى بن محمد بن محمود المعروف بقاضي زاده رومي، بشرحه، ثم قام الشيخ  
 البهائي بكتابة حاشية على الشرح، وهي هذا الكتاب. وهذه الحاشية هي بحث في  
 نسبة ارتفاع أكبر جبل لقطر الكرة الأرضية كُتبت سنة ٩٩٠ هجري وردت هذه الرسالة

بعناوين أخرى: حاشية شرح الملخص في الهيئة، تضاريس الأرض، شرح شرح الرومي على الجفميين، رسالة في كروية الأرض ونسبة القطر إلى المحيط.  
أمل الأمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ لؤلؤة ٢٢؛ كشف الحجب ٣٤٠، ٢٨٩؛ أعيان ٢٤٥-  
٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ریحانة ٣/٣١١؛ الذريعة ١٤٤، ٢٤/١٤٤، ١٧/٢٩٢، ١٣/٣٣٣،  
١٣/١٧٧، ٤/٢٠٠؛ مشار عربي ٤٢٦

(١٠٠)

الوجود الذهني (عربي - كلام وفلسفة)

رسالة مختصرة حول مبحث الوجود الذهني.

الذريعة ٢٥/٢٨

(١٠١)

الوجيزة (عربي - درايه)

رسالة مختصرة ومعروفة في علم الدراية تشتمل على مقدمة وستة فصول وخاتمة، وفق ما يلي: المقدمة: في تعريف علم الدراية. الفصل الأول: ما يتقوم به من معنى الحديث، الفصل الثاني: في المتواتر والواحد، الفصل الثالث: في أنواع الحديث، الفصل الرابع: في عدالة الراوي وجرحه، الفصل الخامس: في أنواع تحمّل الحديث، الفصل السادس: في آداب كتابة الحديث، الخاتمة: كثرة أحاديث الشيعة. كتب الشيخ البهائي هذه الرسالة كمقدمة لكتابه الحبل المتين وذلك يوم الأربعاء آخر ذي القعدة ١٠١٠هـ عندما كان برفقة جنود الشاه عباس في مرورود المعروف بـ ماروجاق.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل الأمل ١/١٥٥؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٥٨٩؛ لؤلؤة ٢٠؛

كشف الحجب ٥٩٩، ٢٦١؛ أعيان ٩/٢٤٤؛ فوائد ٥٠٨؛ ریحانة ٣/٣١٢؛ الذريعة ٢٥/٥١؛

مشار عربي ٤١٥

شروح:

شرح الوجيزة/ عبد النبي بن مفيد بن حسن البحراني الشيرازي  
شرح مفصل على الوجيزة في الدراية للشيخ البهائي.

الذريعة ١٦٨/١٤، ٢٣٤/١٣

الدرّة العريضة في شرح الوجيزة/ على محمد حسين بن محمد على الحسيني  
الشهرستاني الحائري (-١٣٤٤ق).

الذريعة ١٠١/٨؛ مشار عربي ٣٥٩

(١٠١)

وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان ﷺ (عربي - أدبيات)

قصيدة رائية للشيخ البهائي من البحر الطويل يشتمل على ٦٣ بيتاً، أغلبها في مدح  
صاحب الزمان ﷺ وطلب ظهوره. وردت هذه الرسالة في بعض الموارد باسم: الفوز  
والأمان في مدح صاحب الزمان.

## ثانياً: آثار منسوبة ومجعلولة للشيخ البهائي

(١)

أحاديث أهل بيت النبوة (عربي-حديث)  
يحتمل أن تكون منتخبة من أحد كتب الشيخ البهائي مثل الأربعون حديثاً أو كتاب آخر له.

(٢)

أحاديث وحكايات متفرقة (عربي - أحاديث)  
يشتمل على أحاديث وحكايات متفرقة، يحتمل أن تكون قسماً من (الأربعون حديثاً) أو كتاب آخر للشيخ.

(٣)

إحصاء أحاديث وأبواب من لا يحضره الفقيه (عربي - أحاديث)  
هذا المتن هو فهرسة أحاديث وأبواب كتاب (من لا يحضره الفقيه) لم نجد اسماً لهذا الكتاب في المصادر والفهارس. للشيخ البهائي حاشية على كتاب من لا يحضره الفقيه (سبق أن أشرنا إليه).

(٤)

أحكام النظر في كتف الشاة (عربي - علوم غربية)  
مقالة في العلوم الغربية، هذه الرسالة لا تشبه أسلوب وعبارة الشيخ البهائي من جهة المضمون ومن جهة الأسلوب.

(٥)

أسامي ساعات الليل والنهار (عربي - هيئة ونجوم)  
يحتمل أن يكون أحد مؤلفات الشيخ في علم الهيئة والنجوم.

(٦)

استحباب حضور الولي والشاهد في النكاح الدائم للمرأة (عربي - فقه)  
استحباب حضور الولي والشاهد في النكاح الدائم للمرأة. يحتمل أن يكون قسماً من  
الكتب الفقهية للشيخ.

(٧)

استخارة بالقرآن (عربي - أدعية)  
مع الإلتفات لترقيم الكاتب، يبدو أن هذا العمل عبارة عن صفحة تشتمل على طريقتين  
للإستخارة بالقرآن نقلها الشيخ البهائي عن ابن طاووس ثم أملاها على أحدهم.

(٨)

أسرار البلاغة (عربي - أدبيات)  
يعتقد آقا بزرك أن هذا العمل منسوب للشيخ البهائي وفي هامش المخلاة المطبوعة  
في مصر طبعت باسم الشيخ البهائي.

ريحانة ٣٠٨/٣؛ الذريعة ٤٢/٢؛ مشار عربي ٥١

(٩)

إعجاز أسماء الله تعالى (فارسي - علوم غربية)  
رسالة مختصرة في بيان إعجاز وتأثير أسماء الله في المعرفة، قام المؤلف

## مؤلفات الشيخ البهائي

بتحريرها لابنه محمد أمين. يرى آقا بزرك في الذريعة أنّ المؤلف متأخر عن الشيخ البهائي ويحتمل أن يكون الكتاب من مؤلفات الشيخ بهاء الدين محمد مكي العاملي أو بهاء الدين محمد بن محسن العاملي أو محمد بن محسن العاملي، هذه الرسالة ذكرت بعنوان: الأسماء الإلهية - رسالة في بيان إعجاز الأسماء الحسنی.

الذريعة ٢/٢٣١

(١٠)

إفادات شيخنا البهائي في محمد بن ماجيلويه... وأحمد بن الوحيد (عربي -

رجال)

هذه الرسالة يحتمل أن تكون مأخوذة من أحد الكتب الرجالية للشيخ البهائي.

(١١)

بحث في أن النفساء كالحائض في جميع الأحكام (عربي - فقه)

بحث مختصر جداً حول النفساء ومطابقة أحكامها مع أحكام الحائض، يحتمل أن

يكون مأخوذاً من أحد الكتب الفقهية للشيخ.

(١٢)

تأويل الآيات (تأويلات) (عربي - علوم قرآني)

هذا الكتاب من مؤلفات عبد الرزاق بن أحمد الكاشاني الذي ينسب خطأ للشيخ

البهائي، وذلك في رياض العلماء ٥/٩٦ وكذلك في فهرس النسخ الخطية في مكتبة

العتبة المقدسة. الذريعة ٣/٢٠٣.

(١٢)

تحقيق قبلة العراق العجم وخراسان (عربي - هيئة ونجوم)  
رسالة مختصرة تشتمل على أربعة فوائد وفصل وخاتمة. ناظر فهرسة  
مكتبة المجلس ومركز إحياء الميراث الإسلامي يرى أنّ هذا الكتاب من مؤلفات  
الشيخ البهائي. بينما في المصادر الأخرى لم تذكر في عداد مؤلفات الشيخ.  
أنظر في: الذريعة ١٧/٤٦؛ ريجانة الأدب ٤/١٢٩.

(١٤)

تسطيح الكرة (فارسي - هيئة ونجوم)  
يحتمل أن تكون هذه الرسالة قسماً من كتب الشيخ في علوم الهيئة والنجوم  
والإسطرلاب والرياضيات، وتشتمل على مطلعين: المطلع الأول: في نقل الدوائر الفلكية  
لسطح صفحة الإسطرلاب، المطلع الثاني: في عمل الإسطرلاب.

(١٥)

تعريف المحارم وأقسامهم (عربي - فقه)  
مطالب ومباحث متفرقة للشيخ البهائي تشتمل على ٣ بحوث فقهية، يحتمل أن تكون  
مختارة من أحد الكتب الفقهية للشيخ.

(١٦)

رسالة تعزية (عربي وفارسي - أدبيات)  
يحتمل أن تكون قسماً من قصيدة الشيخ في رثاء والده أو جزء من أشعاره في  
المراثي.

(١٧)

تفسير (عربي - تفسير)

يبدو أنه منتخب من أحد كتب الشيخ في تفسير القرآن.

(١٨)

تنبيه الغافلين (فارسي - أخلاق)

ذكره العلامة الأميني كجزء من مؤلفات الشيخ ولكن آقا بزرك في الذريعة يرى أنه

من مؤلفات بهاء الدين محمد السرمدي التبريزي (القرن ١٠).

الغدير ١١/٣٤٥؛ الذريعة ٤/٤٤٤.

(١٩)

تهذيب الأصول (عربي - اصول)

هذا الكتاب من مؤلفات العلامة الحلبي ونسب للشيخ البهائي خطأ.

(٢٠)

الجبر والمقابلة (عربي - رياضي)

هذه الرسالة يحتمل أن تكون الباب الثامن من خلاصة الحساب.

الغدير ١١/٣٤٥

(٢١)

جوابات المسائل الشرقية (عربي - متفرقة)

يحتمل أن يكون كاتب فهرسة مكتبة المجلس قد وقع في الخطأ عند تشخيص عنوان هذه

الرسالة، وهذه الرسالة هي نفس رسالة: جوابات المسائل الشدقمية التي (سبق ذكرها).

(٢٢)

## جواهر العقول في مناظرة الفأر والسنور (فارسي - ادبيات)

وهي قصة تمثيلية لقطة عالمة وفأر صوفي، كتبت بالنثر حيث نقل الكاتب حكايات على لسان القطة والفأر، وهذه الحكايات تتضمن مضامين أخلاقية وتعليمية. أسلوب تأليف هذا الكتاب مغاير لأسلوب الشيخ البهائي. بعض المصادر اعتبرت هذا الكتاب منسوب للشيخ البهائي والبعض الآخر اعتبره للعلامة المجلسي الثاني، وكذلك في بعض الموارد نسبت للميرداماد وأحياناً لجمال الدين محمد بن محمد فراهاني. ذكر هذا العمل في المصادر بعناوين متعددة منها: فكر أهل العلم على لسان القطة والفأر ومناظرة الفأر والقطة. يوجد اختلاف بين نظار الفهارس المحترمين ولكن مع الإلتفات لتاريخ كتابة أول نسخة، وهو عام ١١٦٨ قمري أي بعد وفاة الشيخ البهائي لـ ١٣٨ سنة، ومع الإلتفات إلى عدم شبهه هذا الكتاب بأي من مؤلفات الشيخ، لذا لا يمكن أن يُنسب هذا الكتاب للشيخ.

الذريعة ٢٢/٢٩٨؛ ٢٢/٢٧٢؛ ٣/١٩٩

(٢٣)

## حاشية إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان (عربي - فقه)

أورد العلامة الأميني هذه الرسالة من مؤلفات الشيخ البهائي، ولكن آقا بزرك الطهراني يعتبرها لوالد الشيخ البهائي.

الغدير ١١/٣٤٤؛ الذريعة ٦/١٥

(٢٤)

## الحاشية الأصولية (عربي - أصول فقه)

رسالة حول مباحث أصول الفقه.

(٢٥)

حاشية حاشية شرح تهذيب المنطق (عربي - منطق)

حاشية على حاشية ملا عبد الله يزدي على شرح ملا جلال داوودي على تهذيب المنطق للتفتازاني.

رياض ٥/٩٦

(٢٦)

حاشية شرح تهذيب الأصول (عربي - أصول)

يذكر هذا الكتاب سعيد نفيسي في كتاب أحوال وأشعار فارسي في صفحة ٢٨ أنه للشيخ البهائي ولم نجد أية نسخة لهذا الكتاب في فهارس النسخ الخطية.

(٢٧)

حساب (فارسي - رياضي)

يوجد ترديد في نسبة هذا الكتاب للشيخ البهائي، بعض الفهارس اعتبرته من مؤلفات ميرزا محمد طاهر وحيد القزويني (فهرس مجلس الشورى الإسلامي (٩/٨٤)، (٦/١١١). الرسالة المذكورة تشتمل على ثلاث مقالات في الحساب وفق ما يلي: المقالة الأولى: في صور الأعداد ومراتبها؛ المقالة الثانية: في حساب أهل التجيم والمقالة الثالثة: في المساحة.

(٢٨)

الخطب البهائية (عربي - متفرقة)

مجموعة من المنشآت في الوقف والمصالحة والمبايعة ومناسبات مختلة، بعضها كتبت بعد مرحلة الشيخ البهائي.

(٢٩)

قصة قيادة ناقة السيدة الزهراء عليها السلام وأمر الرسول ﷺ بذلك (عربي -  
أحاديث)  
قصة منقولة عن الشيخ البهائي ويحتمل أن تكون قسماً من أحد كتب الحديث للشيخ.

(٣٠)

دعاء الصلوات على النبي ﷺ (عربي - أدعية)  
يذكر هذا الكتاب سعيد نفيسي في كتاب أحوال وأشعار فارسي للشيخ البهائي في  
صفحة ١٠٢ ولكن نجد أية نسخة عنه في الفهارس الخطية.

(٣١)

الذبيحة (عربي - فقه)  
هذه الرسالة مرتبة في ثلاثة فصول وهي حول حرمة ذبائح الكفار مطلقاً ونجاستهم  
وحكم صناعاتهم من قبيل اللباس والذهب والفضة.  
للشيخ البهائي كتاب آخر باسم: ذبائح أهل الكتاب (سبق أن ذكرناه)، ومع مطابقة  
الكتابين في المقدمة والخاتمة تبين عدم انسجامهما، لعل هذا الكتاب هو قسم من  
كتاب ذبائح أهل الكتاب أو قسم من كتاب فقهي آخر للشيخ أو أحد مؤلفات شخص آخر  
ولكن نسبها آقا بزرك للشيخ، والله أعلم.

(٣٢)

رجال (عربي - رجال ودراية)  
أورد المؤلف في هذا الكتاب أسماء وأحوال مختصرة لناقلي الحديث الذي يتضمن  
أمراً فقهياً. تم تدوين هذا الكتاب وفق أبواب الفقه، وفي كل باب يمر المؤلف على

## مؤلفات الشيخ البهائي

أحوال الراوي شارحاً حاله. وكذلك ذكر المحل الذي أخذ منه الحديث واسم الراوي، الجدير بالذكر أنّ المؤلف ذكر في نهاية الكتاب تاريخ التأليف وهو ١٠٧٤هـ لذلك لا شك أن الكتاب ليس من مؤلفات الشيخ لأنه توفي عام ١٠٣١هـ.

(٣٣)

رسالة فقهية (عربي - فقه)

يمكن أن تكون مختارة من أحد الكتب الفقهية للشيخ.

(٣٤)

رسالة فقهية فلسفية (فارسي - فقه وفلسفة)

ذكر في هذه الرسالة الفقهية والفلسفية للشيخ البهائي آداب مناظرة فاضل سماكي وقصيدة فلكية لأبي الحسن الصوفي التي ألّفها لعضد الدولة. تحتوي هذه الرسالة على مباحث للأوزان الشرعية والساعات والتواريخ والصلاة والحساب والهيئة والمنطق.

(٣٥)

رسالة في الإرث (عربي - فقه)

رسالة مختصرة في مبحث الإرث وكيفية تقسيمه. يوجد اختلاف بين كاتبَي الفهارس في عنوان وتأليف هذه الرسالة، السيد صدر أي خوئي يعتقد أن هذه الرسالة من مؤلفات العلامة الحلي وذلك في فهرس النسخ الخطية في مدرسة: نمازي خوي. (الفهرس المذكور صفحة ٤٢٢). السيد حسين أشكوري لم يعرف رسالة الإرث في فهرس مكتبة المرعشي وفهرس المخطوطات (مرعشي ١٦/٩٢، تراثنا ٣/٥١) ويوجد نسخة أخرى من هذه الرسالة في مكتبة المرعشي بعنوان (شرح الفرائض) والشارح غير معروف. (مرعشي ٣٠/٤٧٨). أبو الفضل حافظيان إعتبر أنّ هذه الرسالة للشيخ

البهائي لأن خطبة الكتاب صرّحت بذلك، في فهرس ٧٠ نسخة خطية من مكتبة شخصية في قم. ويوجد نسخة أخرى من هذه الرسالة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، إعتبر ناظر الفهرسة أنها من مؤلفات الشهيد الثاني وعنوانها: الحاشية على المختصر النافع (فهرس المجلس ١٦/٢٥١).

(٢٦)

رسالة في الزكاة عجيبة (عربي - فقه)

يحتمل أن تكون هذه الرسالة جزءاً من الإثني عشرية في الزكاة أو أي كتاب آخر للشيخ البهائي.

ريحانة ٢/٣١١

(٢٧)

رسالة في الصوم عجيبة (عربي - فقه)

هذه الرسالة يحتمل أن تكون الإثني عشرية في الصوم أو جزءاً من مؤلف آخر للشيخ البهائي.

ريحانة ٢/٣١١

(٢٨)

رسالة منظومة في خواص الحروف (عربي - علوم غربية)

رسالة قصيرة في خواص الحروف في قالب شعري يمكن أن تكون جزءاً من رسالة الجفر أو ديوان الشيخ.

(٢٩)

رضاعية (عربي - فقه)

متن مختصر، يحتمل أن يكون قسماً من أحد الكتب الفقهية للشيخ.

(٤٠)

السّر المستتر في العلوم الغربية والجنفر وتعبير الرؤيا (عربي وفارسي - علوم

غربية)

مجموعة تشتمل على مباحث مختلفة في العلوم الغربية: الجنفر، خواص أسماء الله ومعرفة بعض المطالب المجهولة. المرحوم مشار يعتقد أنّ هذا الكتاب للشيخ بناء على عنوانه. أما عند البحث في محتوى الكتاب الذي دوّن فيه السيد سقازاده (جامع الكتاب) في صفحة ٧٨ يقول: «السّر المستتر تأليف حاج محمد رضا سقازاده واعظ سقاية العطشان الذي وعدتُ به طلاب العلوم الغربية والآن بعد مدة من الزمن في المشقة والكتابة وجمع الأمور القديمة أقدمه لهم». بصريح هذه العبارة وبالنظر لمحتويات الكتاب نستنتج أنّ هذا الكتاب مثل الكشكول مأخوذ من مصادر متعددة وليس أحد مؤلفات الشيخ.

مشار فارسي ١٩٧٧/٢

(٤١)

سؤالات الشيخ البهائي وجوابها (عربي - متفرقة)

يحتمل أن يكون قسماً من أجوبة وأسئلة الشيخ الذي (سبق أن أشرنا إليه).

(٤٢)

شرح الألفية (فارسي - نحو)

شرح فارسي على ألفية ابن مالك لم يُذكر إلا في كتاب رياض العلماء.

رياض ٩٥/٥

(٤٣)

شرح الحق المبين (عربي - عقائد)

هذا الكتاب لم نحصل على أي أثر له في المصادر والفهارس الخطية لكتب الشيخ البهائي، ذكر هذا الكتاب كل من العلامة الأميني في الغدير وسعيد نفيسي في أحوال وأشعار فارسي، استند نفيسي لكتاب (تاريخ عالم آراى عباسي) ومع مراجعة الطبقات المتعددة لهذا الكتاب (تاريخ عالم آراى عباسي) لم نجد أثراً لمؤلف الشيخ البهائي، يبدو أن نفيسي أخطأ في ضبط هذا الكتاب.

الغدير ١١/٣٤٤؛ أحوال وأشعار فارسي للشيخ البهائي ١٠٤

(٤٤)

شرح حديث الحقيقة (عربي - حديث)

نقل العديد من المؤلفين حديث الحقيقة في كتبهم منهم الشيخ البهائي في كتاب الكشكول، حيث نقل هذا الحديث في ما يقارب خمسة أسطر وبشكل مختصر، رغم أنه في الأصل، ورد بالتفصيل في كتاب الكشكول.

(٤٥)

شرح رباعي أبو سعيد أبو الخير (فارسي - أدبيات)

شرح منسوب للشيخ البهائي، وفي بعض الفهارس نُسب هذا الشرح بالإضافة للشيخ، نُسب لمحمد نور بخش أسيري لاهيجي و... غيره.

(٤٦)

شرح فصوص الحكم (عربي - عرفان)

كاتب فهرس المكتبة الوطنية يعتقد أن هذا الشرح للشيخ البهائي، ومن المعروف أن

## مؤلفات الشيخ البهائي

الشيخ هو الكاتب ولكن على ما يبدو أنّ هذا القول غير صحيح بدليلين: (أ) لا يوجد توافق بين خط هذه النسخة والخطوط الموجودة للشيخ البهائي. (ب) مع النظر والتأمل في كتب وفكر الشيخ البهائي يستبعد أن يكون الشيخ قد كتب شرح فصوص الحكم لابن عربي.

(٤٧)

صحيح البهائي (عربي)

لم نجد لهذا الكتاب أثراً إلا في رياض العلماء.

رياض ٥/٩٦

(٤٨)

الصراط المستقيم في تفسير القرآن الكريم (عربي - تفسير)

يحتمل أن يكون هذا الكتاب هو كتاب العروة الوثقى للشيخ أو قسماً من أحد كتب التفسير للشيخ.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ خلاصة الأثر ٣/٤٤١؛ الغدير ١١/٣٤٥؛ ریحانة ٣/٣١١

(٤٩)

صرف البهائي (فارسي - أدبيات)

رسالة في علم الصرف، قام مؤلفها بتقسيم الكلام العربي إلى ثلاثة أقسام: إسم، فعل، وحرف ثم قسّم الإسم إلى ثلاثي ورباعي وخماسي وقسّم الفعل إلى ثلاثي ورباعي وبدأ بذكر الأوزان. لا نقطع بنسبة هذا الكتاب للشيخ البهائي، بعض المصادر نسبته للشيخ وبعضها نسبته لعصام الدين اسفرايني وبعضها نسبته لصالح نجارايي سمرقندي المعروف بندايي.

مشار فارسي ٢/٢٢٢١

(٥٠)

صلاة الجمعة (عربي - فقه)

يبدو أنها رسالة للشيخ البهائي أو قسم من أحد الكتب الفقهية مثل الإثني عشرية في الصلاة أو من مؤلفات غيره ونسبت إليه.

(٥١)

طريق الإستخارة بالسبحة (عربي - أدعية)

يحتمل أن تكون هذه الرسالة للشيخ البهائي.

(٥٢)

طريقة إستعلام تقويم الشمس بالإسطرلاب (عربي - هيئة ونجوم)

يحتمل أن تكون من كتب الشيخ البهائي في علم الهيئة والنجوم.

(٥٣)

طوطى نامه (رسالة الببغاء) (فارسي - أدبيات)

وهو مثنوي عرفاني تم تأليفه بنفس الطريقة والبحر لمثنوي معنوي ومثل قصة الملك والببغاء، شبه الإنسان بالببغاء الذي أرسل إلى الدنيا بهدف الوصول للكمال، وأورد القصص والحكايات التمثيلية في القصص الأصلية تماماً مثل مثنوي مولوي. وقد كتب السيد علي آل داود مقالة بعنوان: «رسالة الببغاء ونسبتها للشيخ البهائي، تصحيح الخطأ» بحث فيها الكاتب بشكل مفصل وأثبت أن هذا المثنوي هو القسم الأول من مثنوي طاقديس للملا أحمد النراقي، حيث حرّف كاتب النسخة كلمة صفائي إلى بهائي، وصفائي الإسم المعروف للنراقي وقد ورد في هذا المثنوي بشكل صريح في أحد الأبيات الشعرية أن الكاتب كان في نراق. نستنتج من هذا أن هذا الكتاب ليس

للشيخ البهائي وهو القسم الأول من طاقديس وقد طبع مرات عديدة طباعة حجرية.

الذريعة ١٩/٢٤١، ١٥/١٨١، ٩/١٤٣

(٥٤)

طومار تقسيم ماء النبع (عربي - رياضي)

جاء في هذا الكتاب قوانين تقسيم ماء النبع بين مالكي الأراضي. كتب في عهد شاه طهماسب عام ٩٢٣هـ وطبع عام ١٢٤٧هـ في أصفهان باسم الشيخ البهائي خطأ، مع الإلتفات أنّ سنة التأليف ٩٢٣هـ وميلاد الشيخ البهائي عام ٩٥٣هـ فمن الخطأ نسبته للشيخ.

الذريعة ١٥/١٨٢

(٥٥)

العقائد العباسية (عربي - عقائد)

رسالة مختصرة في ترجمة الفخرية لفخر المحققين محمد بن حسن الحلبي. يشتمل على مباحث في التوحيد، النبوة الإمامة، الولاية والبراءة والمعاد. كاتب فهرس المكتبة الوطنية إعتبر هذه الرسالة للشيخ البهائي، بينما هذه الرسالة هي من ترجمة صدر الدين محمد التبريزي وكتبت بأمر من الشيخ البهائي في باش أجوق كرجستان باسم الشاه عباس الصفوي.

(٥٦)

رسالة في التفاؤل (عربي - علوم غربية)

من الكتب المنسوبة للشيخ والتي لا تتسجم مع أسلوب الشيخ في التأليف، ذكرها آقا بزرك.

الذريعة ١٦/٩٩

(٥٧)

فائدة في الرياضيات (عربي - رياضيات)

يحتمل أن تكون قسماً من خلاصة الحساب أو أي كتاب آخر في الرياضيات للشيخ البهائي.

(٥٨)

فائدة في إسم إذا قرأ على الحلويات أعطى على مطلوبه بطريق اللغز (عربي -

علوم غريبة)

يبدو أن هذه الفائدة هي جزء من آثار الشيخ البهائي في الجفر أو العلوم الغريبة.

الذريعة ١٦/٨٧

(٥٩)

الفتاوى (عربي - فقه)

فتاوى ونظريات الشيخ بالعربية، في بحث الغسل ويحتمل أن تكون جزءاً من أحد الكتب الفقهية مثل الإثني عشرية في الطهارة أو غيره.

(٦٠)

القبلة (عربي - هيئة ونجوم)

يبحث مؤلف هذه الرسالة في ماهية جهة القبلة وعلاماتها وكيفية استخراجها، لا يقطع أنها من مؤلفات الشيخ، في نهايتها سقط بعض الكلام، ونسبت أيضاً لأمير علاء الملك مرعشي، ويحتمل نسبتها لغيره.

أمل الآمل ١/١٥٦؛ رياض ٥/٩٠؛ الذريعة ١٧/٣٩.

(٦١)

كيفية عمل الدائرة الهندية (عربي - هيئة ونجوم)

رسالة مختصرة في كيفية عمل الدائرة الهندية في تعيين ساعات الليل والنهار.

(٦٢)

كلام حول كيفية تجدد الأرواح بعد مفارقة الهياكل الهيولائية (عربي - فلسفة)

متن مختصر حول المسألة المذكورة ويحتمل أن تكون قسماً من أحد الكتب الفلسفية

للشيخ.

(٦٣)

مثنوي شيخ أبو اليشم (عربي - أدبيات)

يشتمل على أمور دعابة وهزلية وفكاهية. لا يقطع بنسبة هذا الكتاب للشيخ البهائي،

مؤلف هذا الكتاب أبو البركات منير بن عبد المجيد لاهوري ملتاني (١٠٥٤ق) وفي

مكان آخر ذكر مؤلف باسم خالصا.

الذريعة ١٩/٢٣٠

(٦٤)

المخلاة (عربي - متفرقة)

مجموعة من اللطائف والطرائف والأخبار والأشعار والمواعظ والمحاسن والأخلاق،

يقول آقا بزرك: رأى الشيخ العلامة النوري والشيخ عبد النبي نوري نسختين من

المخلاة البهائية وسمعت أن نسخة من هذا الكتاب، موجودة في مكتبة أحفاد الثقة

عبد الصمد الوشتري، وقد رأى السيد أحمد المشهور بأقا شوشتري هذا الكتاب ونقل

عنه عدة مطالب. والآن هذا الكتاب عند الأمير الصمد الشوشتري. الذريعة ٢٠/٢٣٢.

ويوجد نسخة في مكتبة كوهرشاد التي أضاف أحدهم في آخرها: يبدو أنها المخلاة للشيخ البهائي، والمسؤول عن فهرسة المكتبة سمّاها المخلاة بناء على ذلك، ومع التحقيق في النسخة تبين أنها: مجموعة مشتملة على حكايات وفوائد وروايات وألغاز متنوعة بالإضافة إلى أشكال ودوائر متعددة متعلقة بعلوم غريبة، ويوجد الجفر والطلاسم أيضاً وفي بعض الصفحات يوجد أشعار ومطالب من الكشكول ولكن لم يُذكر إسم الشيخ فيها، وما يظهر منها أن هذه المجموعة ليست بعيدة عن مؤلفات الشيخ البهائي ولكن لا يمكن بشكل دقيق أن نسمّيها المخلاة.

كشف الظنون ٦/٢١٥؛ أمل الأمل ١/١٥٦؛ سلافة ٢٩١؛ رياض ٥/٨٩؛ كشف الحجب ٤٩٩؛ أعيان ٩/٢٤٥؛ فوائد ٥٠٨؛ ريحانة ٣/٣١١؛ الذريعة ٢٠/٢٣٢؛ مشار عربي ٨٢٠.

(٦٥)

مدار استدلال الإخباريين (عربي - عقائد وكلام)  
متن مختصر حول مسائل عقائدية للإخباريين.

(٦٦)

مسائل فقهية (عربي - فقه)

يشتمل على عدة مسائل فقهية بعناوين (مسألة - مسألة) يحتمل أن تكون مختارة من أحد الكتب الفقهية للشيخ.

(٦٧)

مسألة حسابية (عربي - رياضي)

يبدو أنّ هذه الرسالة للشيخ البهائي وهي في جواب أسئلة بعض الطلاب في مسائل علم الحساب.

(٦٨)

مصباح العابدين (عربي - أدعية)

يقول آقا برزك في الذريعة: نقل صاحب كتاب فاكهة الذاكرين مطالب من كتاب مصباح العابدين ولكن في رأي الكاتب أن كاتب مصباح العابدين شخص آخر.

الذريعة ١١٣/٢١

(٦٩)

معرفة الإسطرلاب (فارسي - هيئة ونجوم)

يعتقد كاتبوا فهرس المكتبة الوطنية ومكتبة المرعشي أن هذه الرسالة للشيخ البهائي، وفي حال أننا طابقنا بداية الرسالة ونهايتها مع بداية رسالة (العشرون باباً) للخواجة نصير الدين الطوسي، ومع نهايتها أيضاً فوجدناهما متطابقتان تماماً لذلك هذه الرسالة من مؤلفات الخواجة نصير الدين الطوسي.

(٧٠)

معرفة قبلة البلاد (عربي - هيئة ونجوم)

هذا الكتاب من مؤلفات الشيخ تقي الدين أبو الخير محمد بن محمد فارسي وعنوانه الصحيح الدائرة الهندية أو سمت القبلة، وقد أخطأ كاتب فهرس مكتبة المجلس عندما نسبه للشيخ البهائي.

أنظر: الذريعة ٨/١٩ فهرس مكتبة المرعشي ١٩/٩١.

(٧١)

مفردة (فارسي - علوم قرآن)

ذكر كاتب فهرسة مكتبة وزيرى، أن هذا الكتاب من مؤلفات الشيخ البهائي ولكن

بعد البحث والتحقيق توصلنا إلى حقيقة وهي: الاسم الأصلي لهذا الكتاب: (تحفة الطالبين) من مؤلفات مظر الدين محمد بن بهاء الدين علي بلياني، وهو منسوب للشيخ البهائي خطأ ولا أساس له من الصحة. هذا المتن المذكور يشتمل على ثلاثة أبواب في فضيلة وأصول وطرق القرآن. يوجد نسخة من هذا الكتاب في جامعة طهران رقم ٤٠٢٤ مؤرخ ١٠٦٦.

(٧٢)

مكتوب ومكنون (فارسي - اخلاق؟)  
يحتمل أن يكون قسماً مختاراً من أحد مؤلفات الشيخ.

(٧٣)

ملخص الهيئة (عربي - هيئة ونجوم)  
يحتمل أن تكون هذه الرسالة جزء من مؤلفات الشيخ في علم الهيئة والنجوم.  
ريحانة ٢/٣١١

(٧٤)

ملل ونحل (فارسي - عقائد وكلام)  
قام المؤلف في هذا الكتاب بتصنيف فرق الصوفية والعرفان على غرار كتاب معرفة المذاهب، إثنان وسبعون فرقة في أغلب المصادر ورد العنوان الأصلي لهذا الكتاب فرق متصوفة أو رسالة في بيان مذاهب أهل التصوف مع الإلتفات إلى البحث فقد صرح المؤلف في مقدمة إحدى النسخ أن هذا الكتاب من مؤلفات نجم الدين عمر نسفي وقد ورد خطأ في بعض الفهارس باسم الشيخ البهائي. يوجد نسختان من هذه الرسالة في فهرسة جامعة طهران ٨/٦١٥ ومجلس سنا. توجد كذلك النسخ الأخرى بعنوان انتخاب

## مؤلفات الشيخ البهائي

رسالة شيخ بهاء الدين محمد في بيان مذاهب أهل التصوف في مكتبة العتبة الرضوية المقدسة والمسجد الأعظم ومكتبة ملك.

الذريعة ٢١٩/٢٢؛ ١٦/١٨٠

(٧٥)

موجبات نكبت (فارسي - أخلاق)

تشتمل هذه الرسالة على المسائل التي ينبغي على الإنسان الحذر منها وقد كتب في بداية الرسالة هذه العبارة «من كلام الشيخ البهائي» ولكن صياغة وسياق العبارات وركاكة الشعر لا تشبه مؤلفات وأشعار الشيخ البهائي.

(٧٦)

الناس على ضربين مؤمن وكافر والكافر في النار بالإجماع (عربي - عقائد؟)  
يحتمل أن يكون جزءاً من آثار الشيخ البهائي.

(٧٧)

خبز وجبن (فارسي - أدبيات)

مثنوي أخلاقي على وزن مثنوي مولوي، ما يقارب ثلاثمائة وتسع أبيات من الشعر. بناءً على الخطبة الواردة في مقدمة هذه النسخة الموجودة عند كاشف الغطاء، ورد أن هذه الرسالة من مؤلفات محمد رفيع بن محمد مؤمن كيلاني. ورد في الخطبة ما يلي: هذا الحقير الذي أورد في سياق النظم ردود الفقهاء والمتكلمين في ذم الحكمة الحقّة، وإن كان شيخنا بهاء الملة والدين (قده) بحسب الظاهر يوافق الرأي ولكن بحسب المعنى يوجد بُعد ما بين المشرقين، والغرض منه الترويج للمسائل الكلامية المبنية على المسلمات والمشهورات بين المعتزلة والأشعرية وأما هدف الشيخ أعلا

اللّه شأنه الترويج لعلم أهل اليقين يعني أصحاب أسرار أمير المؤمنين (ع) مثل: سلمان وأبو ذر والمقداد وكميل ورشيد الهجري وميثم التمار. وبالإجمال هدف الشيخ ترجيح علم الحال على علم المقال، كما ذكر في كتاب: شير وشكر (حليب وسكر) ونان وطوا (خبز وحلوى) وهذا المثنوي للعبد الفقير سميته (خبز وجبنة) كما سمى الشيخ (خبز وحلوى) وأخاطب به الفلاسفة والفقهاء والمتكلمين من أهل السنة. الذريعة ٢٤/٢٨.

مع الالتفات إلى هذه العبارات وإلى عدم وجود نسخة خطية لهذا المؤلف، نستنتج أن كتاب (نان وبنير) أي (خبز وجبنة) من مؤلفات محمد رفيع بن محمد مؤمن كيلاني، وبعد حذف المقدمة النثرية وحذف بعض الأشعار المصراحة باسمه (محمد رفيع بن محمد مؤمن كيلاني) نسبت للشيخ البهائي وطبعت باسمه ضمن ديوانه.

الذريعة ٢٤/٣٠، ١٩/٣١٩

(٧٨)

نان وخرما (خبز وتمر) (فارسي - ادبيات)

رسالة مختصرة في قالب النظم، يحتمل أن يكون قد نظمها أحد مقلدي الشيخ أو شخص باسم أصحابه أو بهائي لاهيجي وقد تم نسبتها للشيخ البهائي.

الذريعة ٢٤/٣١، ١٩/٣١٩

(٧٩)

النفس والروح (عربي - فلسفة)

يحتمل أن يكون جزءاً من كشكول الشيخ أو من كتاب آخر في نفس الموضوع.

رياض ٥/٩٦

(٨٠)

وحدة الوجود (عربي - كلام وفلسفة)

طبعت هذه النسخة من الكتاب في عام ١٣٢٨ قمري في مصر.

الذريعة ٢٥/٥٧؛ مشار عربي ٩٨٧؛ بهاء الدين العالمي ٢٨٦

(٨١)

الهداية (عربي - نحو)

يحتمل أن يكون أحد أجزاء كتب الشيخ البهائي في النحو.

(٨٢)

هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار (عربي - عقائد)



(رسم) صورة توقيع الشيخ البهائي



هو

وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَجِبْتُ مِمَّنْ يَحْتَمِي عَنِ الطَّعَامِ  
 مَخَافَةَ الدَّاءِ كَيْفَ لَا يَحْتَمِي عَنِ الذَّنُوبِ مَخَافَةَ النَّارِ

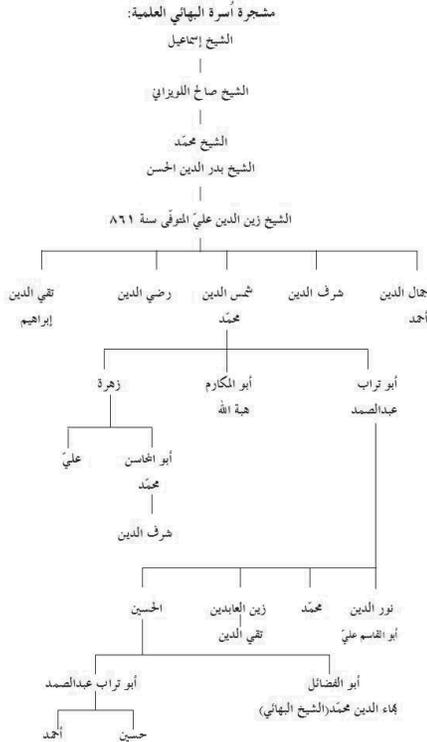
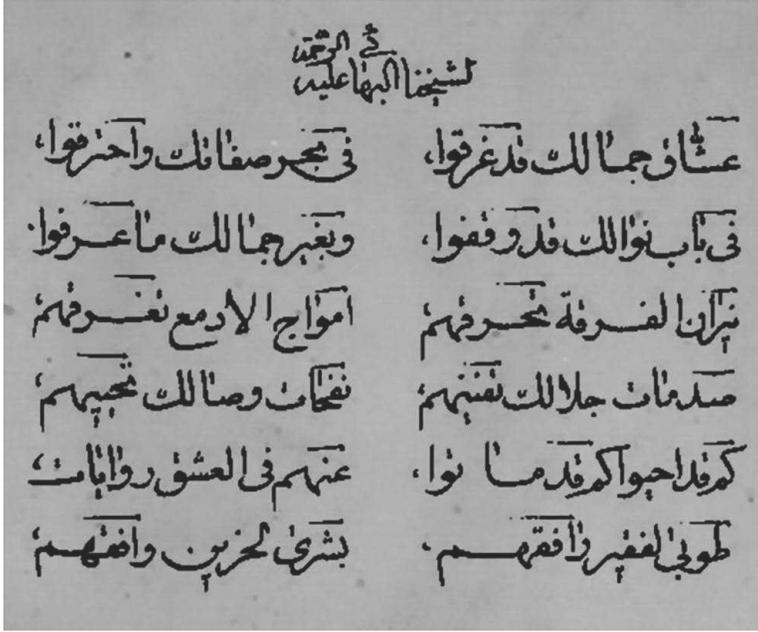
جمع اول الامام بهاء الله العاشر  
 عن شهر ربيع الثاني ١٢١٦

مماثلة لـ العوالم لما فينا من والى الفرداد ونزفت روية قتيبة كذا  
 اء ارحم موسى الكاظم وآله صلوات الله عليهم الصواب والحق  
 الا يا صمد الزور آخرج على الغوية من تلك الخاني  
 ونعليك اخلص واجتهدوا لاد الاحت لدرك العتقان  
 فتحها لمررت نار موسى ونور محمد ستار تان

عمر الكمال الله  
 في السابع

والمعاني في الامم والاسماء  
 انك جبار مستودع من زيار  
 يارب كل ربي حبيب كبر ادد  
 دل اسرار الله في الامم والاسماء  
 ازجوه من معاني رفت از روش  
 ورنامه من مفاهيد  
 جوان شجره فزاد و زيار  
 يكبر من كرمه و جلاله  
 تعالى دار السلام في  
 في السابع









في اكد يث المومن واه راقع  
 اي يهي دينه بعصيته مزهبي  
 يهي اي يضعف ويرقم تنوته  
 مر رقع وهو الترميم

  
 اكد يث  


يا حمره جود او عمد و الاحوال  
 مالي حمله على نواكم مالي  
 جود و اوصاكم على مددكم  
 فاكم قد اعصى و حالي حالي

في اكد يث لا يصلين احدكم و روزنانه  
 اسي حاقن بوله ه

وَذَكَرْنَا الْبَهَائِيَّ مِنْ حَمَلِكُمْ اِمَامَةً  
 اتفقوا بالشيخ والميركان في بيه شي من القصة وكان اولاده يكرهوا حال الحياة  
 اسكنهم بعض الخيل و نزلوا الله تعالى التي برزوا فافادت من الشيخ  
 فواقعه في امانة الخيرة و قالت لهذا الخيرة شيها الخيرة كما فذهب  
 الاولاد اليه و قالوا اباها تها الخيرة فلما راه ان الله تعالى جعل الشيخ لهم  
 فبما اشكره الله تعالى عليه فقال شيخنا هكذا كان حالنا فلما اجتمعنا الى العجم  
 ذهب تلك الاصل ثم قراء من كتب يوم و فرد من يومين جام بود انتهي  
 تاريخ الكتاب ١١٥٧ هـ



قال الطهراني في الذريعة في تعريفه لأحد مؤلفات الشيخ البهائي وهو شرح  
الصحيفة السجّادية :

### حدائق الصالحين

في شرح صحيفة سيد الساجدين، لشيخ الإسلام والمسلمين الشيخ بهاء الدين  
محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي نزيل أصفهان والمتوفى بها  
(١٠٢١) ثم حمل إلى المشهد الرضوي في مقبرته المجدد عمارتها بعد الخراب.  
جعل شرح كل دعاء في حديقة وقد خرج شرح عدة من حدائقه وكانت تلك العدة  
موجودة في المشهد الرضوي في عصر العلامة المجلسي، كما ذكره بعض معاصريه  
أو تلاميذه في رسالة كتبها إليه، والرسالة بصورتها مدرجة في آخر إجازات البحار.  
ولكن الموجود المتداول منها اليوم هو الحديقة الهلالية فقط في شرح دعائه عند  
رؤية الهلال الذي هو الدعاء الثالث والأربعون، وأوله : نحمدك يا من أطلع في فلك  
الهداية شمس النبوة وقمر الولاية.

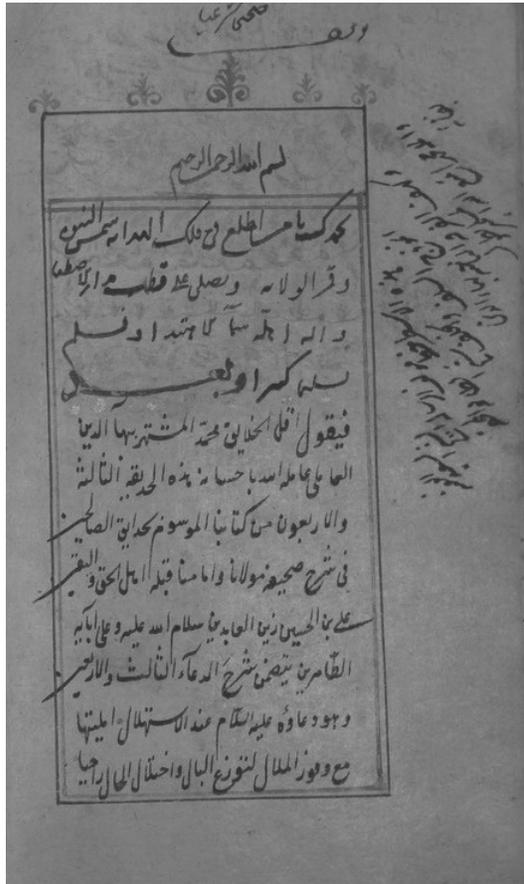
وقال في آخره: تم تأليف الحديقة الهلالية من كتاب حدائق الصالحين وبتلوها  
بعون الله تعالى الحديقة الصوفية وهي شرح دعائه عليه السلام عند دخول شهر رمضان.  
وذكر أنه فرغ من كتابة الهلالية في جانب الغربي من بغداد بالكاظمية أوائل جمادى  
الثانية ١٠٠٢.

وقد كتب قبل الهلالية الحديقة الأخلاقية قطعاً لأنه قال في أثناء الهلالية ما لفظه:  
وقد قدمنا في الحديقة الأخلاقية في شرح دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق كلاماً. ثم  
أورد الكلام بعينه. ودعاء المكارم هو الدعاء العشرون، فظهر أن ما خرج من قلم الشيخ  
البهائي لم يكن منحصرأً بالحديقة الهلالية حتى يقال إن استعمال حدائق الصالحين  
مجاز لا حقيقة له.<sup>(١)</sup>

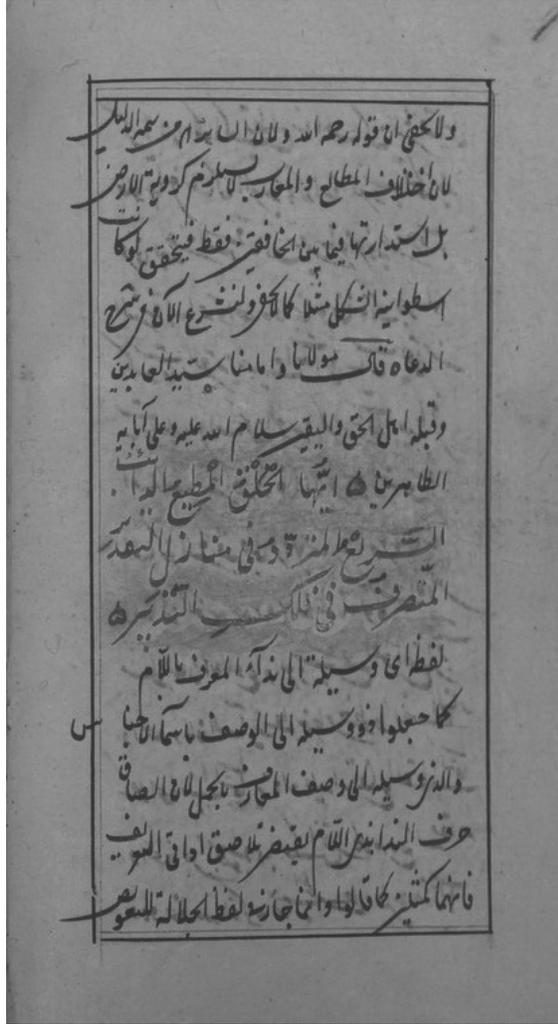
(١) الطهراني . الذريعة إلى تصانيف الشيعة . ٢٨٨/٦ .

## مؤلفات الشيخ البهائي

والكتاب الذي بين يدينا هو صورة مخطوطة الحديقة الهلالية التي أشار إلى وجودها دون غيرها من الحقائق الأخرى وهي مصورة من مكتبة خاصة في إيران .  
وتتميز هذه النسخة النفيسة بوجود خط المؤلف ( البهائي ) قدس سره على الصفحة الأولى منها وذلك من ( البسمة ) إلى قوله : ( وبعد ) .  
بالإضافة إلى التذهيب الموجود في صفحاتها الأولى . إلا أنها نسخة ناقصة الآخر.



الصفحة الأولى من الحديقة الهلالية ويبدو خط المؤلف مغايراً لخط الناسخ .



صفحة أخرى من المخطوط ويبدو فيه بعض التذهيب.